

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع اللغة

فَرَائِدُ المَعَانِي

في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني
للإمام العلامة المقرئ النحوي أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
المشهور بـ « ابن آجرؤم » المتوفى سنة (٧٢٣ هـ)

(السفر الأول)

تحقيق ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف

إعداد الطالب:

عبد الرّحيم بن عبد السلام نبولسي

إشراف سعادة الأستاذ الدكتور:

سليمان بن إبراهيم العايد

رئيس قسم الدراسات العليا العربية

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعياً): **عبد الوهيم عبد السلام خليفة نبولسي** قسم: **اللغة العربية**.....
الأطروحة مقدمة لنيل درجة: **(الدكتوراه)**.... في تخصص: **(النحو والصرف)**.....
عنوان الأطروحة: **« فرائد المعاني في شرح حوز الأمانى ووجه التهانى لابن آجرؤم، السفر الأول،
تحقيق ودراسة »**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه، والتي تمت مناقشتها بتاريخ
١٤١٨/١/٢٢ هـ. بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي
بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه، والله الموفق .

(أعضاء اللجنة)

المناقش الخارجي

المناقش الداخلي


المشرف

الاسم: أ.د. سليمان إبراهيم العايد الاسم: أ.د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم الاسم: أ.د. عبد العزيز استماعيل

التوقيع: التوقيع: التوقيع:




رئيس قسم الدراسات العليا


أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
وبعد: فهذه رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية (تخصص النحو
والصرف) بعنوان: (فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني، لابن آجروم
الصنهاجي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ، السفر الأول تحقيقاً ودراسة) .

وقد اقتضت طبيعة هذه الرسالة أن تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: للدراسة ، والقسم الثاني: للتحقيق .

أما قسم الدراسة فقد قسمته أربعة أبواب:

الباب الأول: المؤلف، وفيه سبعة فصول تناولت فيها الحديث عن: (اسم المؤلف
وكنيته، وحياته العلمية ورحلته، ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه، وشيوخه،
وأسانيده، وتلاميذه، وتوابعه) .

الباب الثاني: المؤلف، وفيه أربعة فصول، تحدثت فيها عن: (منهج المصنف في
الكتاب، وبعض الظواهر الأسلوبية في عباراته، وشواهد، وموقفه القرآني، وموقفه
اللغوي، والمصطلح النحوي عنده) .

الباب الثالث: وفيه فصلان، تحدثت في أولهما عن (الشاطبية طرقها وشروحها،
وفي الثاني عن موقف المؤلف من القصيد) .

الباب الرابع: وفيه فصلان، كان الحديث في أولهما عن: (مصادر الكتاب، وفي
الثاني عن قيمة الكتاب العلمية، وفيه قمت بعمل موازنة بينه وبين بعض الشروح
الأخرى) .

ثم القسم الثاني، وهو النص المحقق، وقد حاولت جاهداً إخراجه على أقرب صورة
ارتضاها ابن آجروم، قدمت له بتحقيق النسبة والتسمية، ثم بوصف النسختين
المعتمدتين، فعملي في التقويم، ثم المصطلحات والرموز، وأمثلة مصورة من النسختين،
ثم أتبع النص بفهارس فنية تبسط البذل بوعده منجز، والله ولي التوفيق .

عميد الكلية

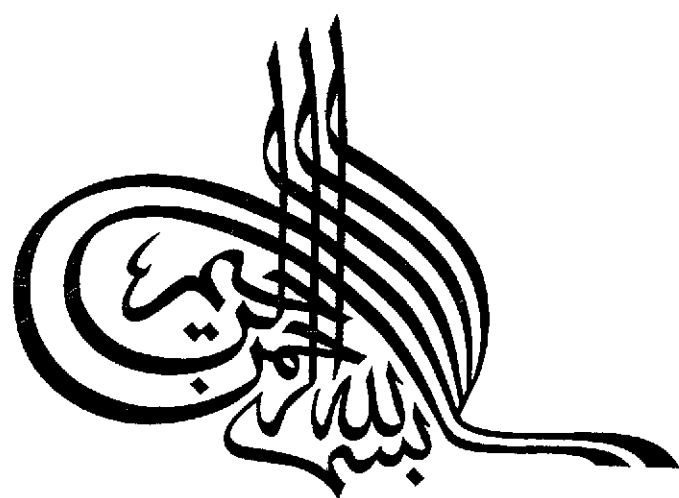
المشرف

الباحث

عبد الرحيم عبد السلام نولسي أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد أ.د. حسن محمد باجودة

صوب

نولسي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله الذي اصطفانا بوراثته التَّزْيِيلِ، وجعلَ حِفْظَنَا له من حِفْظِهِ
إِيَّاهُ من التَّحْرِيفِ والتَّبْدِيلِ، وشرفنا بما حُمِّلناه من قراءاتِهِ، وطرقه
ورواياته، وضبطِ أدائِهِ واختيارَاتِهِ، وعَصَمَنَا مِنَ اللَّحَنِ - جَلِيهِ وخَفِيهِ - في
آيَاتِهِ، وجَبَلْنَا عَلَى تَعْظِيمِهِ وتَعْزِيرِهِ، وتَجْهِيلِهِ وتَوْقِيرِهِ، ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،
مَا نَاحَ فِي دَوْحِ حَمَامٍ، عَلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَآلِهِ وَتَبَعِهِ عَلَى مَرِّ الْحُقْبِ .

هذا وإن خير كلام استنهضنا إلى وصالِ عَقْدِ حَبَائِلِهِ، والوُقُوفِ عَلَى
مَدْلُولِ دَلَائِلِهِ، لَكَلَامٍ نُزِّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وما كان
لنا أن نَسْطِيعَ له ظهوراً، ولا أن نَسْتَطِيعَ له نَقْباً، إلا بما أُودِعَ في جِبِلَاتِنَا
من كِبْدٍ لَتَسْخِيرِهِ في تَحْصِيلِ عُمُومِ الْأَدَبِ، وارتشافِ ذلك الضَّرْبِ،
بِاقْتِيافِ آثارِ لُحُونِ الْعَرَبِ، إِذْ فَضَّلُ أَلْسِنَتِهِمْ بَيْنَ لَا يُدْفَعُ، وَمَكْشُوفٌ لَا
يُقْنَعُ، فَلَنَلْزِمَ شُفَافَةَ مَوْرِدِهِمْ، وَلَنَعْتَدِ تَأْوَةَ مِلَّتِهِمْ؛ لِنَحْظَ بَدْرِكِ الصَّوَابِ،
كَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ لِمَشَابِهَتِهِ الْأِسْمِ فَازَ بِالْإِعْرَابِ .

وبعدُ، فإنَّ الكُتُبَ والمصنِّفاتِ التي جَرَدَتْ رِوَايَةَ الحُرُوفِ (الفرش
والأصول) تَأَلِيفاً في العَصْرَيْنِ الْأَوَّلِ وَالْأَخِيرِ كما هو شأنُ كتابِ السَّبْعَةِ،
وكتابِ التَّيْسِيرِ، وكتابِ التَّلْخِيصِ، وكتابِ الإِقْناعِ، وكتابِ البَدُورِ...،
وغيرها من التَّوَالِيفِ فإنَّها لا تَكَادُ تُحْصَى عَدداً.

وأما ما يُعنى منها بتعليل وتوجيه المرويِّ من الحروف المختلِّفِ فيها، فهي تواليفُ تحصرُها أرقامٌ معلومةٌ؛ لندرتِها، وعزَّتِها، وما السببُ في ذلك إلا وعارةٌ مسلِكِها، وغورٌ حُلكتِها، وبعْدُ نُجومِ سماءِها، فلا يسطيعُها طابُها والراغبُ فيها إلا بعدَ جهدٍ جهيدٍ .

ومن ثمَّ انبرى أئمةُ أعلام، وجهابذة نقادِ لحوضِ هذا الغمار، وكشف السُّتارِ عما اشْتَبَهَ من هذا المضمار، فقاموا فيه - بعونِ الله - يستفتونُ سالِكُهُ الأوَّلَ، ويستهدونَ مُعلِّمَهُ الأشملَ، ويأخذونه حَرْفاً حَرْفاً، وكلمةً كلمةً، وآيةً وآيةً، بالتَّحليلِ والتَّعليلِ، والتَّوجيهِ والتَّفصيلِ، حتى انجلى عنه سوادُ الدُّجِيَّةِ، ونبئتِ الحاجةُ منه لطالِبِ البُغِيَّةِ، وإخالُ كتابِ صاحبِنَا العلامَةِ (ابنِ آحروم) من أينعِ هذه الثَّمَرَاتِ التي عُنتِ بجمهرةِ المرويِّ من الحروفِ، ثم التعليلِ لها، وقد سماه: « فرائد المعاني في شرحِ حرزِ الأمانِي ووجهِ التهاني »، وهو موضوعٌ بحثي، حيث وفَّقني اللهُ عزَّ وجلَّ إلى تسجيله أطروحةً لدرجةِ الدكتوراهِ بجامعة أم القرى، وكان من دوافعِ اختياري له ما يلي:

١ - مصاحبتي لكتابِ اللهِ المبينِ مذ فَتَقَ لِسانِي بنطقِ الحروفِ، والله الحمد.

٢ - حِفْظِي لَهُ ولقراءاته بمختلفها وحُصُولِي على أعلى أسانيده في هذا العصر من فضيلةِ الشَّيْخِينِ النَّحْرِيرِينِ أحمدِ عبدِ العزيزِ الزِّيَّاتِ، وعبدِ الغفارِ الدُّرُوبِي.

٣ - مِيلِي إلى المشاركةِ في إغناءِ الخزانةِ القرآنيةِ (تقديمًا وتقويمًا) .

٤ - رَغْبَتِي في ربطِ الخطِ المعرفي (القرآني اللغوي) بين الخافقين .

٥ - رَغْبَتِي في تنبيهِ الدارسين اللغويين، على تركيزِ أبحاثهم حول

النص القرآني المقدس وفيه.

وكان الفضلُ في اختيار هذا الكتاب لله أولاً، ثم لأستاذي الدكتور عياد بن عيد الشيبني، الذي اقترحه عليّ مشكوراً، وأعارني مصورته، فله مني ثناءٌ كثيرٌ أثيرٌ .

فقدمته أطروحةً إلى قسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى لنيل شهادة الدكتوراه في النحو والصرف بعنوان : (فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني) للإمام المقرئ النحويِّ محمد ابن آجروم الصنّهاجي (ت ٧٢٣ هـ) تحت إشراف فضيلة الدكتور، أستاذ الأساتيد، ومعلم الجيل، فائق المشكلات، ومُبيد العضلات، أستاذاً وشيخي محمد إبراهيم البناء، الذي لم يألُ جهداً، ولم يضمنْ بفائدة، بائدة كانت أو سائدة، حتى قاربَ العملُ الكمالَ، فجالت فرسُ السباقِ إلى الفراق، ولا مفرّاً مما قُدِّرَ، فأحسْتُ بلُطفِ سريِّ، وحَظِّ مليِّ، أن يعتورَ العملَ جَبَلانَ سَلَفٍ وخَلَفٍ، وقطرانَ كنانةٍ وحجازٍ، أما الأول فقد قُدِّمَ، وأما العاقبُ فرئيسُ قسم الدراسات العليا فضيلة الدكتور: سليمان بن إبراهيم العايد، أستاذاً وشيخي الذي شرفني الله بمزاحمة الرُّكْبِ في حِلْقِ دَرَسِهِ ، فاجتنتيتُ من طيبِ غَرَسِهِ، وقد حضرتهُ وهو يحلُّ دَقَائِقَ الأشكالِ، ويُزيلُ مُعْتَرِضَ الإشكالِ، والعلمُ حَسُو ثيابه، والأدبُ ملءُ إهابِهِ، يقولُ عن رويّةٍ، بفكرةٍ سويّةٍ ، ويُقومُ الأفهامَ، ويطبّقُ مَفَاصِلَ المرامِ ، وينقُضُ شُدُوذَ المداركِ، ويُنيرُ دُجَى المسالكِ :

لَقَدْ جَادَ حَتَّى جَادَ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَحَتَّى آتَاهُ الْحَمْدُ فِي كُلِّ مَنْطِقٍ
فَادَامَ اللَّهُ رِيَادَتَهُ، وَبَسَطَ بَيْنَ الْخَافِقِينَ سِيَادَتَهُ .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في قسمين: القسم الأول

وأسير بل طليق. رفع الله ذكره في الصالحين، ورقم كتابه في عليين .
كما أشكر كل من مدّ لي يدَ العون، أو أسهم بأي جهدٍ أو نصحٍ أو
مشورةٍ من أساتذتي الكرام، وزملائي الأوفياء، فلجميع هؤلاء وغيرهم
الشُّكْرُ والدعاء، شُكْرُ معترف بالفضل لأهله، عاجزٍ عن أداء دينٍ لهم في
عنقه، مدّخِرٍ لهم دعواتٍ صادقاتٍ بأن يجمعني الله وإياهم في مستقرِّ
رحمته، راجياً أن أكونَ قد شاركتُ بهذا العمل المتواضع في وُضع لبنةٍ من
لِبَنَاتِ إحياء هذا التراث العظيم الخالد، محتسباً الأجر والثواب من الله
تعالى، والله من وراء القصد.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد:

بين يدي الكتاب

لم يُؤثر متنٌ من المتون التي تُعنى بنظم أو نشرِ رَوَاضِ المعارف بمثل ما أُورثَ به قصيدُ الحِرز، ودُررُ ابن بري، والأوّلُ أعلى وأثرٌ، وما ذلك إلا لأنها قصيدةٌ أُخْلِصَتْ على قصد، وفريدةٌ أتت من فرد، فهي عروسُ القصائد، زانتها القوافي، ورصّعتها المعاني .

فهي ولهذا مع قُرب لفظها غائرة المرام، مستمرة النظام، سارت بها الرُكبان، بما لم يكُ في حُسيان، وطارَت في الآفاق، من غير قَدَمٍ وساق، فحفظتْها الأنامُ لما لحظتْها، وروتها كما رأتها، وعكفتُ على معارضتها، والنسج على منوالها، فلم تُعدُ منها بطائل، ولم تشفِ منها جوابَ سائل، ورأبطت من أجلها في تُغور الأسفار، واستشفعتْها بقيام الأسحار، فجاءت الشُّروحُ عليها، حسب مقاصدِ أربابها، كلُّ منها ينشدُ شوارِدَ القصيد، ويدفعُ استغلاق هذا النظم العتيّد، مُنفقاً كلَّ طارفٍ وتليد .

فبينما هي كذلك، إذ طلّع عليها فاتقُ رتقها، وداركُ خرقها، في إصباحِ بياضِ البرد، فلم يستنكفُ عن مورِدِهِ من الشَّارحين أحدٌ، حتى جَلَسَ إلى القصيد، ورمى راحتيه إلى طلعها النضيد، فتدبّر ما تأبطته من المعاني، واستقرى ما نشرته في ألفاظها من المباني، فأتحفَ بها الأودَّ

المتداني، وزفّها في أبهى مَلَاطِيمِ التّهاني، بكشف لُغُوزها، وفتق رموزها،
وتحقيق حقائقها، وتقريب رقائقتها .

فَتَمَلِّكُمُ « فرائدُ المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التّهاني » ، وذلكم
مؤلفه ابنُ آجُرُومِ الصنهاجى، الذى استنار بصنعتِهِ كُلُّ سارٍ ودَاجى :
[فَجَلَبْنَا بَزَنًا نَحْوَهُ وَغَلَاءُ السُّعْرِ جَلَابُ]

* * *

الحركة السياسية والعلمية في عصر ابن أحرّوم

لقد بزغ نجمُ الدولة المرينيّة على إثر وقعة العقاب، التي أبادت - وللأسف - دارَ الإسلام من الأندلس، وتعاقت بعدها أزماتٌ وكوارثٌ، أدّت إلى طغيان الجماعة، فقُطعت السّابِلة، وخلّت الديار، وأقفرت القرى، وأكل الناسُ بعضهم بعضاً، وتوالت الغارات؛ لضعف حامية الدولة الموحدية، حينها خلا الجو لقبائل زناة، فباضت وأصفرّت، وأسرت حسواً في ارتغاء، ونقبت في البلاد بزعامة عبد الحق بن محيو المريني، الذي دوّخ الخليفة الموحدِيّ يوسف المنتصر بمراكش، وهزمه وظهر عليه .

واستتبّ الأمر من بعده لبنيه، وأخصّ من بينهم: السلطان يعقوب بن عبد الحق، الذي فتح الله على يده بلاد الأندلس من جديد، وأحمد نار فتن الداخل، ومكّنَ لمنابر المرينيين، واتخذ مدينة فاس الجديدة داراً للملكه، ومحلّ إيوانه، فكان اعتناؤه بالعلم والعلماء حافزاً لإيقاظ الهمم، فأقبل الناس على العلم في شتى دروبه، لاسيما علمي اللغة والقراءات، وخصّ العلماء بوظائف القصر والتراتب الإدارية، والكتابات، والدواوين، شأنَ سائر سلاطين الدولة المرينيّة، التي اتسع فيها أفق العلم؛ بتفريغ الطلبة للانكباب على الطلب، والقيام دون ما يحول بينهم وبينه، فبدأ الاجتهاد لتكوين المدارس، وقد كان المغاربة من قبل هذا تبعاً لمدارس الأندلس لا يزيدون على الاستيعاب، لا يجاوزُ تراقيهم، فتأخّرَ بذلك الانتاجُ الفكري للمدرسة المغربية .

قال أعراب^(١): ظَلَّتْ دراسةُ القراءات بالمغرب في القرنين الخامس والسادس للهجرة في نطاق محدود لا يتجاوز دائرة الأخذ والتلقي . قلتُ: لكن اختلف الأمر في القرن السابع، لاسيما آخِرُهُ، حيث وُرِّيَ زنْدُ الاجتهاد، وطُويت مراحل الطلب، وعلا كعبُ الاحتجاج والتعليل، وناحت حمائمُ الشعر على أيكِ الفنون، فقَصَّدت القصائدُ، وغيضَ فيضُ المطولات، حيث حُجِّمَت في خيام الأرجاز، وزُمَّت بقوافي المسجَّعات، وتظافرت الجهودُ في تنافسٍ نزيهٍ، وانحى سوادُ دجية التقليد، وانبلج الصبح على أمثال محمد بن القصاب، وأبي القاسم الضرير، وابن آجروم، وابن برِّي، وغيرهم كثير .

فقد مالُوا على إنشاد شوارِدِ وضوَالٍ علمي القراءات والنحو، وطارِدُوا ألغازهما، وفتقُوا رتقهُمَا، وحرروا معاطن الخلف فيهما، وأنقوا مصطلحاتهما، فسقوا بصنيعهم هذا تبَّعَهُم من روادِ دُرِّهِم شراباً سائِغاً طهوراً .

قال العلامة سيدي عبد الله كُنُون^(٢) منوهاً بالأعمال العلمية الباهرة التي كانت نتيجة اهتمام السلاطين من هذه الدولة العظيمة:

« ولقد سار أولئك السلاطين في إقامة مراسمِ الخلافة على سننٍ لاحبٍ، فكانوا يعقدون المجالس للمناظرة والمحاضرة، ويُطارحون الأدباء، ويجاورون الشعراء .

(١) جريدة الميثاق: عدد (١١٩) .

(٢) النبوغ المغربي: ١٨٥، وانظر ج ٣ من الاستقصا للناصرى .

أما العلماء فلا تسَلُّ عن شدَّة تقريهم لهم، واختصاصهم بهم ...
وهذا يعني أنَّ الدولة كانت في خدمة العلم، بحيث انصرفت الهممُ إلى
طلبه، واشتدَّ التنافسُ في تحصيله ...

وفعلًا فإن ما عمله المرينيُّون في هذا الصدد، يجعلهم حريِّين بلقب
دولة العلم ... ولقد بزوا بمآثرهم العلمية جميعَ مَنْ تقدم أو تأخر من ملوك
المغرب، فمدارسُهم الفنيةُ العديدة لم يستطع أحد أن يأتي بمثلها إلى الآن .
وخزائنُ الكتب كذلك لا تزالُ تنطق بفضلهم على الحركة العلمية في
هذه البلاد منذ أسسوها، ولاسيما خزانة القرويين؛ التي أنشأها السلطان
أبو عنان، وأودعها كما يقول الجزنائي^(١): الكثير من الكتب المحتوية على
أنواعٍ من العلوم على اختلافها، وتنوع ضروبها وأجناسها، ووقفها ابتغاء
الزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى .

قلتُ: وبعد أن أحصى علوم هذا العصر وتفريعاته، وذهابه في فنون
شتى، ونبوغه وسبكه، قال^(٢):

والقراءة، ونعني بها ما يشمل التحويد والرسم والقراءات المأثورة
والغريبة وتوجيهاتها، ما من أحد من صدور فقهاء هذا العصر إلا وكان له
إمام بها كلاً أو بعضاً. فلا جرَم أن نقول بعد هذا: إنَّ كل أعمالهم
ومآتيهم للنهضة والتجدد، كانت في دائرة العروبة والإسلام الصحيح، لا
تزيغُ عنها قيد فتر، وإنهم خدموا العربية والدينَ خدمةً صادقةً، ورفعوا لها
مناراً عالياً، وما بعد العيان بيان .

(١) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد (١٦) .

(٢) النبوغ: ١٩٥-١٨٧

القسم الأول

الدراسة

وفيه أربعة أبواب:

- الباب الأول: المؤلف .
- الباب الثاني: المؤلف .
- الباب الثالث: الشاطبية، وموقف المؤلف منها .
- الباب الرابع: مصادر الكتاب، وقيمته العلمية .

الباب الأول

المؤلف

وفيه سبعة فصول:

- الفصل الأول: اسمه وكنيته ونسبه .
- الفصل الثاني: حياته العلمية ورحلته .
- الفصل الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .
- الفصل الرابع: شيوخه .
- الفصل الخامس: أسانيده .
- الفصل السادس: تلاميذه .
- الفصل السابع: تواليفه .

الفصل الأول

ترجمة المؤلف^(١)

اسمه وكنيته - نسبه - :

محمدُ بنُ محمدِ بنِ داوَدَ الصَّنْهَاجِي^(٢)، أبو عبد الله، الفاسيُّ المشهورُ
بـ « ابنِ آجُرُومِ » .

وفي التذكرة قال: من أهل فاس، يُعرف بـ « أَكْرُومِ » ، صاحب
المقدمة النحوية المشهورة بالآجُرُومِيَّةِ .

قال الزبيدي في التاج: وابنُ آجُرُومِ صاحبُ المقدمة المشهورة، وُلِدَ
سنة ٦٧٢ هـ، وهي السنة التي توفي فيها الإمام ابن مالك، وهذا من بدائع
الاتفاق حتى قيل: توفي نحويٌّ، ووُلِدَ نحويٌّ .

لم يكن في أهل المغرب ممن عاصره أعرفَ منه بالنحو .

(١) مصادر هذه الترجمة كالتالي:

الروافي بالوفيات ٢٠/١، والإحاطة (ضمن ترجمة محمد الغساني) ٩٦/٣، ونفح
الطيب ٩٥/١، ٩٦، ٢٢٥/٥، وثبت الوادي آشي: ١٩٩، وبغية الوعاة:
١٠٢-١٠٣، ونثير الجمان: ٤١٧، ودرة الحجال ١٠٩/٢، وشذرات الذهب
٦٢/٦، وكشف الظنون: ١٧٩٦، وهدية العارفين ١٤٥/٢، وجزوة الاقتباس:
٢٢١-٢٣٣، وشجرة النور الزكية: ٢١٧، وسلوة الأنفاس ١١٢/٢، والدائرة
(وجدي) ٧٩/١ (أجر)، ودائرة المعارف الإسلامية: ٨٤، والأعلام ٣٣/٧، ومعجم
المؤلفين ٢١٥/١١، ومعلمة المغرب: ١٤٣، وذكريات مشاهير رجال المغرب
٢٠/٤، وكنز العربية للكدوسي: ١-٢، وتاج العروس (جرم) ، والنبوغ المغربي:
٢١٠، ونيل الابتهاج: ٤٣ .

(٢) من أعمال صفرو .

قال في كنز العربية: هو أبو عبد الله محمد، بنُ الشيخ العالم القدوة الحسايي الفَرَضِي، أبي عبد الله محمد .

(قال فيه ابنُ الأحمر:

ومحمدٌ والدُ محمد كان فقيهاً فَرَضِيّاً صالحاً ورِعاً)، ابنُ الشَّيخ الفقيه الورع المتفنن في علومِ شتَّى، أبي سليمان داود الصَّنْهَاجِي، عُرفَ بابن آجُرُوم، بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشددة، وهو بلغة البربر^(١): الفقيهُ الصَّافِي في حاله، وهو رحمه الله كذلك .

تادليُّ الأصل، فاسيُّ المولد والنشأة^(٢).

وفاته:

توفي بفاسٍ قبل صلاةِ ظهر يوم الأحد، لعشرين خلَّت من صفر، سنة ثلاثٍ وعشرين وسبعمائةٍ، ودُفِنَ بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين داخلَ باب الحديد أو الجيزيين، وهو الباب المغلق عن يمين باب الفتوح .

وقد بلغ من العمر إحدى وخمسين سنة، والله المستعان وعليه

التكالان^(٣).

(١) قال في الدررة الإلغية هامش: ٤ ص: ٧: « ونحن معشر السويسين نقول: أكرام بذلك المعنى .. الخ .

(٢) وصفه المترجمون بالفقير الصوفي بدل ما كتبه عن كنز العربية .

(٣) كنز العربية ٢/٢، و جذوة الاقتباس ٢٢٢/١، والسلوة ١١٣/٢-١١٤، وفيه: لعشر يقيت، والوافي بالوفيات: ٢٠/١، ووفيات الونشريسي ص: ١٠٤ .

وجاء في سلوة الأنفاس: ١٠-١٢:

قد وُلد ابن آجروم عام (حج) و(حكز) فيه إلى الله رجع

الفصل الثاني:**حياته العلمية**

لقد اكتنف هذه الشخصية الفذة الغموضُ عند ناشِري سيرته، ولم يشرحوا الجوانبَ المضيئة من حياته، حتى إنَّ إيجازهم هذا كاد يذهب بمعالم شخصيته، أو قارفَ ذلك، شأنُ ثلَّةٍ من العلماء الذين ضيَّعهم التوريق على يد أصحابهم، إما لانزوائهم وتحفُّظهم، وإما لرفضهم دواعي الشهرة من تأديب أبناء السلاطين، أو العملِ في دواوينهم، وكان ما ذكرته أهمَّ مميزات شخصية ابن آجروم، فقد كان « من مؤدبي مدينة فاس^(١) ». .

نكرة مقصودة عند القراء والنحاة، لا يكاد يُعرفُ عند غيرهم، مُوطناً نفسه على القراءة والإقراء .

قال العلامة عبد الله كنون^(٢):

« ولقد نشأ المترجم، ودرس بفاس طبعاً، وإن كنا لا نعرف شيئاً عن نشأته، ولا عن دراسته، حتى شيوخه الذين أخذ عنهم لم يذكرهم أحدٌ،

وقبره ذكروا في باب الحديد بفاس الغراء هاك ما تريد
وقد نظم الشيخ صالح الإلغي مولده ووفاته على حساب الجمل بقوله:
إن ابن آجروم ذا المقدمه رحمه الله بخير قدَّمه
عام (تبرُّع) بدا فحبذا بدوهُ وغاب عام (كُبَّ ذا)
عن الدرّة عن الدرّة الألفية: ٨ .

(١) العبارة من الجنوة ١/٢٢١ .

(٢) ذكريات مشاهير رجال المغرب: عدد ٢ (ابن آجروم) ص: ١٠ .

ما عدا أبا حيان النحويّ، صاحب التفسير الكبير المعروف بـ «البحر المحيط»، فإنهم ذكروا أن المترجم أخذ عنه في طريقه إلى الحج .
كلُّ ما هنالك أن المترجم من صنهاجة (من أعمال صفرو)، وُلد بفاس، بَعْدُوة الأندلس، ولم يُذكر له بدءُ تعليمه، ولا على يد مَنْ تعلّم، إلا شيئاً أذكره في محله .

رحل هذا الإمام إلى المشرق لأداء النسك، وتتميم ما نقص أهل المغرب من الإجازات والأسانيد العالية، فمرَّ بالقاهرة، وألفى أبا حيان النحويّ المفسر، فأجازه بكل ما تصحُّ روايتهُ عنه، ثمَّ آب إلى فاس عاكفاً على التأديب والإقراء بالقرويين، بعيداً عن إغراء السلاطين، والتشوّفِ للجاه والعزة في ظلال أروقة القصور، متغنياً عن ذلك كله بحلقة درسه، وطائفةٍ من رواد نبعه، نقرأ من هذا كلّهُ، ما طُبِع في ابنه، ووارث سره، الإمام منديل حيث يقول في قصيدة له (لامية) مطلّعها:

مَنْ المَشِيبُ عَلَى فَوْدِيهِ يَشْتَعِلُ

فكَيْفَ باللَّهِوِ فِي دَنِيَاهُ يَشْتَعِلُ

ثم قال:

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِمَّنْ سَاءَ عُمُرُ

وَسَرَّهُ أَنَّ أَمْرَ النَّفْسِ مِمْتَثِلُ

لَكِنَّ أَعْجَبَ مِنْهُ مَبْتَغِي رُتَبِ

وَلَا لَدِيهِ بِهَا عِلْمٌ وَلَا عَمَلُ

شَتَانُ مَا بَيْنَ مَنْ رَقَاهُ مُحْتَدُهُ

وِخَامِلٍ كَسِيلٍ أَوْ دَى بِهِ الْكَسْلُ

إِلَى أَنْ قَالَ:

نَحْنُ الْأُلَى فَرَعُوا لِلْمَجْدِ ذُرُوتَهُ

وَفِي ظِلَالِ تَبْلَاعِ الْعِزِّ قَدْ نَزَلُوا

إِنْ كَانَ ذُو نَهْلٍ لِلْعِلْمِ أَوْ عَلِيٍّ

فَعَنْ أَبِي كَانَ ذَاكَ النَّهْلُ وَالْعَلْلُ

لَمْ نَتَّكَلْ فِي ارْتِفَاعِ الصَّيْتِ قَطُّ عَلَيَّ

إِشَادَةَ الصَّوْتِ مِنْ زَيْدٍ كَمَا أَتَّكَلُوا

لَمْ نَبِعْ أَجَرَ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ بِمَا

يَفْنَى مِنَ السُّومِ فِي الدُّنْيَا كَمَا فَعَلُوا^(١)

(١) نثير الجمان لابن الأحرر: ٤١٩-٤٢٠ .

الفصل الثالث:**مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه**

كان المؤلفُ رحمه الله دعامةً أركان مدرسة ابن القصاب قرآناً ونحواً وأدباً، تشهدُ بذلك كله تواليه التي باحت بشذا عرفه، وأفشت أسرار فهمه، واستقامة باطنه كظاهره، وهي مع كل ذلك لم تُحِط بما لديه خُبراً، إذ لم يُنسأ له في أجله، وعجّل دون بلوغ أمله. عالمٌ مشاركٌ نحريراً، وإمامٌ مبرزٌ في النحو والقراءات بلا نظير، وإن كان لم يُعرَف بالقراءات عند الجمِّ الغفير .

قال عنه ابن مکتوم: نحويٌّ مقرئ، وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفاتٌ وأراجيزٌ في القراءات وغيرها، وهو مقيم بفاس يُفيدُ أهلها من معلوماته المذكورة. والغالب عليه معرفةُ النحو والقراءات .

وصَفَهُ شُرَّاحُ مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهما بالإمامة في النحو والصلاح .

ويشهد بصلاحه عمومُ نفع المبتدئين بمقدمته .

وصَفَهُ محمدُ الغساني بالنحوي بالأستاذ .

ووصَفَهُ أحمدُ بن القاضي بالأستاذ النحوي .

ووصَفَهُ الخرازُ الشريشي في أثناء نقله عنه بقوله: قال صاحبنا الأستاذُ.

ووصفه شرفُ الدين العمريطي بالحبر في منظومته على المقدمة، قال:

وكان خيرُ كتبه الصغيرة كُرَّاسةً لطيفةً شهِيرة

وانتفعت أجلةً بعلمها مع ما تراه من لطيف حجمها

ووصفه محمد بن المبارك في شرحه على المقدمة، قال:

وهذا شرح لطيف وضعته على الآجرومية المعزوة للشيخ أبي عبد الله العالم العلامة الأستاذ الصالح محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، عُرف بـ «ابن آجروم».

قال: وصفته شُراخُ هذه المقدمة: بالأمانة والبركة والفلاح... مدرساً شهيراً، وكان عالماً بقراءة السبع، فقد وضع في علمها نظماً ونثراً...^(١)

ووصفه الشيخ عبد الإله بن صالح على المقدمة بقوله:

الشيخُ الفقيه الأستاذ المقرئ المحقّق الجوّدُ، فريدُ دهره، ونخبةُ أهل عصره، أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي، عُرف بـ «ابن آجروم»^(٢).

ووصفه الأمير ابن الأحمر الأندلسي بقوله:

... أبو عبد الله محمد كان فقيهاً متفنناً، أستاذاً نحوياً لغوياً، مقرئاً، شاعراً، بصيراً بالقراءات، ولم يكن في أهل فاس في فنه أعرف منه بالنحو^(٣).

وصفه التنبكي بقوله إخباراً عنه في رحلته بقوله^(٤):

« ولما حج الأستاذ الأكبر أبو عبد الله بن آجروم الفاسي ... الخ » .

(١) كنز العريية: ٢-١ .

(٢) شرحه على المقدمة: ٢ .

(٣) نثر الجمان: ٤١٧ .

(٤) نيل الابتهاج: ٤٣ خ في ترجمة إبراهيم الصفاقسي .

الفصل الرابع:شُيُوخُهُ

لم تُسَعِّفني تراجمُهُ في البحث عن شيختِهِ، وهذا مما يُتَّهَمُ به مؤرخوننا، من تغافلهم عن مثل هؤلاء الأساطين، الذين لم يُفْتَقِدُوا في درب من دروب المعارف؛ لطول باعهم، وعلو كعبهم، وفوح شذاهم في أطراف الخافقين، مما دفع العلامة عبد الله كنون^(١) إلى القول: «... وإن كنا لا نعرفُ شيئاً عن نشأته ولا عن دراسته، حتى شيوخه الذين أخذ عنهم لم يذكرهم أحدٌ، ما عدا أبا حيان...» .

قلتُ: لقد منَّ الله عليَّ أن أحظى بالعثور على ثلاثة^(٢) من شيوخه الذين تلقى عنهم، في أثناء قراءتي لفرائد المعاني إلى جانب أبي حيان، وسعدتُ بهذا كثيراً، وهم كالتالي:

١ - الإمام محمد بن القصاب المكنى بـ «أبي عبد الله»:

قال عنه ابنُ الجزري: محمد بن علي بن عبد الحق أبو عبد الله الأنصاري الفاسي، يُعرف بـ «ابن القصاب»، مقرئٌ مصدِّرٌ كامل .
قال أبو حيان: كان يُقرئ القرآنَ بقراءاته السبع، ويُقرئ العربية

(١) ذكريات مشاهير رجال المغرب: ٢٠ .

(٢) لقد عثر الدكتور عبد الهادي حميتو على اثنين فقط إلى جانب أبي حيان، فلعله لم ينظر الفرائد إلا لماماً. انظر رسالته ٤/١٢٧٥-١٢٧٦ .

أيضاً، وتوفي في حدود سنة تسعين وستمائة^(١).

وهذه الترجمة على وجازتها وعدم إيفائها بالملطوب، تُعدُّ من إفسادات العلامة أبي حيان، أفاد بها ابن مكتوم، حيث دونها في تذييله على معرفة القراء الكبار للذهبي .

قال ابن مكتوم: « محمد بنُ علي بن عبد الحق الأنصاري، شهر بـ «ابن القصاب»، من أهل فاس، كان يُقْرئ القرآن بالقراءات السبع، ويُقْرئ العربية أيضاً .

وتوفي في حدود سنة تسعين وستمائة، أفادنيه شيخنا العلامة أبو حيان الأندلسي، وكتبته من خطه^(٢).

قال سعيد أعراب عنه: « ... من الرواد الأول في هذا الميدان، يعني ميدان القراءات، وهو من أئمة القراءات بفاس^(٣).

قال عبد الهادي حميتو: يُعتبر الإمام أبو عبد الله القصاب الأنصاري رائد المدارس المغربية في أصول الأداء الخاصة بقراءة نافع، وصاحب أول مدرسة فنية اهتمت بهذه القراءة ودرست أحكامها الخاصة، ووضعت معالم البحث والتأليف فيها^(٤).

قلت: ضاعت آثاره العلمية، ولم يبق إلا كتابٌ له في قراءة نافع سماه: « تقريب المنافع في أصل مقرأ نافع^(٥) »، تأثر به كلُّ من ألف في قراءة نافع

(١) الغاية ٢٠٤/٢ .

(٢) القراء الكبار ٦١٢/٢ .

(٣) القراء والقراءات بالمغرب: ٣١ .

(٤) قراءة الإمام نافع عند المغاربة ١٢٦٣/٤ .

(٥) انظر الفهرس الخاص بعلوم القرآن من فهارس الخزانة المغربية الحسنية رقم: ٢٥٥ بعنوان: رسالة في قراءة نافع .

بعده .

وله كتاب في القراءات سماه: « الكتاب الكبير » ذكره في باب المد من الكتاب الأول^(١) .

٢ - محمد بن عبد الرحيم، أبو القاسم الضرير^(٢):

قال الوادي آشي: « محمدُ بنُ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب القيسي العنسي السبتي »^(٣) .

قال ابن الجزري: « القيسي الضرير، مقرئ ضابطٌ عارف، كاملٌ، علامةُ الغرب، إمامٌ حاذقٌ .

وُلد في حدود الثلاثين وستمئة بالجزيرة الخضراء، قرأ على خطيبها عبد الله الركينى، ثم قرأ على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشريشي^(٤) .
وقرأ أيضاً على أبي محمد بن ستاري، والقاضي أبي عبد الله الأزدي، وأبي الحسين المتيوي، وأبي عمرو العبدري، وأبي يعقوب المحسّاني، وأبي العلاء إدريس القرطبي، وغيرهم^(٥) .

وكان أسرعَ الناسَ حفظاً، وانتهت إليه رئاسةُ الإقراء .

(١) سأذكره في المواطن التي نقل عنه المؤلف فيها في ذكر المصادر .

(٢) سأذكر نقول المؤلف عنه في المصادر .

(٣) البرنامج: ١٢٢ .

(٤) الغاية ١٧١/٢ .

(٥) البرنامج: ١٢٣ .

قرأ عليه الشيخ أبو عبد الله القصري^(١).
قال ابن عبد الملك: كان مجوداً للقرآن العظيم، من أحسن الناس
صوتاً به، وأطيبهم نغمةً في إيراده ...
تلا بحرف نافع من طريقه، والإدغام الكبير عن أبي عمرو، وبرواية
يعقوب على أبي الحسن عبيد الله بن أبي الربيع^(٢).
توفي بسبته في رمضان سنة (٧٠١ هـ)^(٣).

٣ - عبد الملك بن موسى أبو مروان^(٤):

هذا الشيخ الثالث تفردتُ بتحصيله إذ وفقني الله لذلك، لكنني لم أعر
له على ترجمة، ولن أقطع البحث عنه حتى أُلْفِيَه بإذن الله .
ذكره المؤلف، ووسمه بلفظ شيخنا في أثناء شرحه لقول الشاطبي:
والاخرى كمدَّ عند ورشٍ وقنبلٍ
وقد قيل محضُ المدِّ عنه تبدلاً
قال: وكان شيخنا أبو مروان عبدُ الملك بن موسى ...^(٥)

(١) الغاية ١٧١/٢ .

(٢) الذيل والتكملة ٣٧٠/٦ .

(٣) الغاية ١٧١/٢، ومقدمة تحقيق البسيط للدكتور عياد ٦٢/١ .

(٤) سأذكر نقل المؤلف عنه في ذكر المصادر .

(٥) الفوائد:

٤ - الإمام محمد بن يوسف أبو حيان النحوي^(١):

محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين، أبو حيان النحوي الأندلسي الغرناطي، الإمام الحافظ الأستاذ، شيخ العربية والأدب والقراءات، مع العدالة والثقة .

وُلد في سنة أربع وخمسين وستمئة بغرناطة، قرأ السبع ببلده على عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري، وأحمد بن علي بن محمد بن الطباع وغيرهما، وفي مصر قرأ بالسبع على هبة الله بن المليجي وخلق . قال الذهبي: ومع براعته الكاملة في العربية، له يدٌ طولى في الفقه والآثار والقراءات واللغات، وله مصنفاتٌ في القراءات والنحو، وهو مفخرٌ أهل مصر في وقتنا في العلم .

له منظومةٌ لاميةٌ في القراءات السبع على وزن الشَّاطِبية سماها: «عقدُ اللآلي» أخلاها من الرمز^(٢).

قصدَه من المغرب والأندلس طائفةٌ من الأكابر للرواية والإسناد، منهم شيخنا ابن آجرؤم، وابنه منديل، عرجا عليه في طريقيهما إلى الحج . توفي بمصر سنة (٧٤٥ هـ)^(٣).

وله تواليفٌ أشهرٌ من أن يُعرَّفَ بها، أعظمُها في النحو: «التذليل والتكميل»، وهو شرحٌ على كتاب «التسهيل» لابن مالك .

(١) جاء في سلوة الأنفاس ١/١١٣:

وشيخه بدر الدجا أبو حيان

(٢) انظر الغاية ٢/٢٢٥، والشذرات ٦/١٤٥، والبغية: ١٢١-١٢٣ .

(٣) انظر نفتح الطبيب ٣/٣٩٢، الوافي بالوفيات ٢/٥٥٦ .

الفصل الخامس:**أسانيده**

أمَّا الكلامُ عن أسانيده، فإنه ضربٌ من الخيال، غمرها النسيانُ والإغفالُ حتى صارت في عِدَادِ العدم، ولذلك قال الدكتور عبد الهادي حميتو: ولقد كان الظنُّ به - يعني المؤلفَ - أن يذكُرَ في صدر شرحه المذكور - يعني الفرائدَ على الشاطبية - سنده بقراءتها أو بالقرءاة بمضمونها على مَنْ قرأها عليه، ولكنه لم يفعل...^(١)

قلت: لقد فعل المؤلف رحمه الله، وذكُرَ في صدر شرحه هذا سندهُ بقراءتها على شيخه، وقد منَّ الله عليَّ بالحصول على هذه الدرَّة اليتيمة لتؤنِسَ سابقتها، وهذا تفصيلٌ ما جاء في سنده:

لقد جاء في باب إدغام الحرفين المتقارنين في كَلِمَةٍ وفي كلمتين، عند قول الشَّاطبي:

وللَّذَالِ كَلِمٌ تُرَبُّ سَهْلٍ ذَكََا شَدًّا

ضَفَا ثُمَّ زُهْدٌ صَدَقُهُ ظَاهِرٌ جَلَا

قوله بعدما أعرب البيت:

« سمعتُ شيخنا أبا عبد الله بن القصاب حين قراءتها عليه يقول: سألتُ أبا يعقوبَ المحسَّاني حين قراءتها عليه عن هذا الذي قاله الناظم في تُرَبِّ سَهْلٍ بنِ عبدِ الله، أهو حقيقةٌ أم مجازٌ على عادة الشعراء؟

(١) انظر قراءة الإمام نافع ٤/١٢٧٥ .

فقال أبو يعقوب: سألتُ أبا الحسن السخاويَّ حين قراءتها عليه كما سألتني فقال: حقيقةٌ .

ثم لما فرغ المجلسُ قال لبعض الطلبة: سيرُ معه إلى قبر سهلِ بن عبد الله... (١) .

بعد أن وضعتُ يدي على هذه اليتيمة، شرعتُ في النحت في صخور التراجم مبتغياً التوفيقَ بين أسامي رجالِ الأسانيد، عَلِّي أقع على ما يوسِّعُ طرقَ هذا الإسناد أو يقوِّيه ويؤيِّده .

وبعد هذه الفذلكة من المتابعة والتمحيص، خرجتُ بفائدة كبيرة بحمد الله، وهي استخراجُ واستنباطُ إسنادين آخريْن إلى جانب هذا الذي ذكره المؤلف .

وهذا بيانُ الاستنتاجات:

١ - أن ابنَ القصاب أخذَ على ابن آجروم الشاطبية قراءة منه عليه بسماعه وشرحه .

٢ - أن أبا يعقوب أخذ على ابن القصاب الشاطبية قراءة منه عليه بسماعه وشرحه كالأول .

٣ - أن أبا الحسن السخاوي أخذ على أبي يعقوب الشاطبية قراءة منه عليه بسماعه وشرحه كالسالف .

٤ - أن أبا الحسن السخاوي قرأ الشاطبية على ناظمها مباشرة .
وبهذا يتبين أن بين ابن آجروم والشاطبي شيوفاً ثلاثة، على العلم بأن

(١) الفرائد:

الشاطبية تم نظمها بالمشرق، وهذا يدل على اهتمام المغاربة بنقلها وروايتها وشرحها، في هذا الزمن الوجيز بين نظمها وظهورها، وبين العمل عليها والقراءة بمضمونها عند المغاربة .

ولكن الأكمة التي هالني أمرها هو أنني لم أعثر على ترجمة لأبي يعقوب المحسّاني، ولم أُلّفِه بين مَنْ تلمذَ لأبي الحسن السخاوي حسب اطلاعي، إلا شيئاً يسيراً وقفتُ عليه عند ابن جابر الوادي آشي في برنامجه، حيث ذكره في شيوخ شيخه محمد بن عبد الرحيم أبي القاسم الضرير، حيث قال:

مولده يوم السبت الثاني عشر لجمادى الأولى سنة تسع وعشرين وستمائة. ومن شيوخه: أبو محمد بن ستاري، والقاضي أبو عبد الله الأزدي، والحافظ أبو الحسن المتيوي، وأبو عمر العبدري، وأبو يعقوب المحسّاني، وأبو العلاء إدريس القرطبي، وغيرهم^(١).

وهذا هو الذي ذكره أحمد بن القاضي في درة الحجال^(٢) في ترجمة أبي القاسم، وزاد تاريخ وفاته قال:

توفي في ليلة رمضان سنة (٧٠١ هـ) أخذ عنه ابن جابر الوادي آشي. وبهذا يكون أبو يعقوب شيخاً لابن القصاب وأبي القاسم؛ شيخي ابن آجروم .

ويعني هذا أنني قد أحرزتُ سندين للمؤلف يجمعهما طريقٌ واحدٌ:

(١) برنامج الوادي آشي: ١٢٢-١٢٣ .

(٢) درة الحجال ٢/٢٥٩-٢٦٠ .

الأول عن ابن القصاب، والثاني عن أبي القاسم الضرير، وابن القصاب وأبو القاسم، كلاهما عن أبي يعقوب، وهو عن خاتمة المحققين أبي الحسن السخاوي، وهو عن شيخ الأولين والآخرين الإمام أبي القاسم الشاطبي . والحمد لله رب العالمين .

- إلا أنه يجب أن يكون أبو يعقوب قد رحلَ إلى مصر أو دمشق للقراءة على السخاوي، أو يكون ابن القصاب وأبو القاسم قد رحلا إلى أبي يعقوب، إذا لم يثبت أن أبا يعقوب من أهل المغرب أو رحل إليه .
- لا بد أن يكون أبو يعقوب قد قرأ على السخاوي في بلد فيه تربة سهل التستري، وأرجح أن يكون دمشق؛ لأنه منزل أبي الحسن السخاوي، أو يكون البصرة؛ لأنه قد سُمِعَ للتستري بها كلام، كما في السير، لكون السخاوي قد أمرَ بعض طلبته بالسير مع المحسّاني إلى تربة سهل يوقفه عليها.

أما ما يمكن أن يكون إسناداً ثالثاً للمؤلف كما قدمت في أول هذا البحث، - وهو بالفعل كذلك - فهو ما استقرتُه من آكام التراجم تفصيله كالآتي :

١ - وقفتُ في الذيل والتكملة^(١) على أن أبا القاسم الضرير تلمذَ لأبي الحسين بن أبي الربيع، قرأ عليه بحرف نافع من طريقه، والإدغام الكبير عن أبي عمرو، وبرواية يعقوب^(٢) كذا قال.

(١) الذيل والتكملة ٣٧٠/٦، وانظر مقدمة البسيط ٦٢/١ .

(٢) الجيد أن يقول: بقراءة يعقوب؛ لأنه يقتضيه اصطلاح القراء، فالقراءة للبدن، والرواية

٢ - وقفتُ على أن ابن أبي الربيع قرأ بقراءات السبعة من طريق الكافي لابن شريح، بالإدغام الكبير، وبقراءة يعقوب على ابن أبي هارون^(١).

٣ - وابنُ أبي هارون محمد قرأ على أبيه أحمد بن أبي هارون^(٢). قلتُ: ولا يصحُّ ما عند ابن الجزري في الغاية أنه قرأ على أخيه أحمد^(٣).

٤ - وقرأ أحمدُ بن أبي هارون على عبيد الله اللحياني عن شريح، وأحمد بن عيسون، وأجازَه أبو الحسن شريح^(٤).

٥ - وقرأ أبو الحسن شريح على أبيه محمد بن شريح^(٥).

٦ - و محمد بن شريح هو: أبو عبد الله الزعيني الإشبيلي، الأستاذ المحقق صاحب كتاب الكافي، والتذكير، ولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة رحل فقرأ على ابن نفيس بمصر، وعلى أحمد القنطري بمكة، وتاج الأئمة أحمد بن علي، والحسن بن محمد البغدادي، ولقي مكّي ابن أبي طالب وأجازَه .

رجع إلى أشبيلية، قرأ عليه بالقراءات الثمان ابنه أبو الحسن شريح

للشهاب، ويعقوب هذا هو الحضرمي القارئ التاسع من القراء العشرة .

(١) ترجمته في الغاية ٩٠/٢ .

(٢) الغاية ١٤٦/١ .

(٣) المصدر نفسه ٩٠/٢ .

(٤) الغاية ١٤٦/١ .

(٥) نفسه ٣٢٤/١-٣٢٥ .

السابق الذكر، مات سنة (٤٧٦ هـ) ^(١).

قلتُ: وابن شريح أحدُ معالم طرُق الأسانيد، فكفَى بالإسناد أن يصل إليه، وبهذه المتابعة يسرَّ الله لي أن أقف على طريقٍ آخرَ لإسناد المؤلف غير طريق الشاطبي، تفرَّعت عن أبي القاسم الضير، من غير روايته عن المحسَّاني ^(٢). والحمد لله رب العالمين.

(١) نفسه ١٥٣/٢ .

(٢) وقد وقف الدكتور عبد الهادي حميتو في رسالة (قراءة الإمام نافع ٤/١٢٦٤-١٢٦٥) على إجازة في القراءات السبع من أبي عبد الله البوعناني الفاسي لتلميذه أبي عبد الله محمد الشرفي، فيها أنه حدثه بالقراءات السبع عن شيخه ابن القصاب، ومنتهى الرواية في هذه الإجازة إلى أبي عمرو الداني، وهذا طريق آخر يمكن أن يضاف إلى أسانيد ابن آجروم، بشرط أن يكون ابن القصاب قد أجاز ابن آجروم ومن هذه الطريق.

الفصل السادس:**تلاميذه**

إنَّ عالماً كمحمد بن آجروم شِعَّ سنا برقه في المشرق والمغرب، وتلقَّتْ جهابذةُ النقاد آثاره بالقبول والرضى، لقَمِينٌ أن يتقاطرَ على حلَّقَتِه رُوَادُ العلم وطلابه، ويتزل على ينابيعه كلُّ وارد، ويُرصد من أقلامه كلُّ شارِد، لا سيما أن ابن آجروم إمامٌ في القراءات بلا نظير، نثراً ونظماً، بيد أنه لم يشتهر بها اشتهاره بالنحو، فمقدمته طارت في الآفاق، وسارت بها الركبان، وانتفعت بها جلة، إلا أن الواقف على فرائد معانيه، يعلمُ مقدار ما أوتي القرمُ من مدارك نفيسة، ومدارج عالية، وأفهام، يعز مطلبها على سائر الأعلام، تنبئ عن تمكنه وهيمته وتمعنه، فقد كان في عجم أهل المغرب من بربر وغيرهم، كسيبويه في أهل فارس وغيرهم، زكيَّ المحتد، عذب المنهل والمورد، عالي الهممة، عزيز النفس، بعيداً عن حِمَى الشبهات، ترَّاك أمكنة إذا لم يرضها، يتغيى الكفاف، ويُلازم العفاف، كأنَّ ذا القروح نعته إذ يقول :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
بدهي أن تعقبه آثاره من صلبه ومن غيره، فأول من يُطالعنا من
تلاميذه ابنه:

١ - محمد أبو المكارم (المدعو منديل):

قال ابن الأحمر^(١): شيخنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ، محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، يُكنى: أبا عبد الله؛ ويُدعى بأبي المكارم منديل؛ ويُعرف بابن آجروم.

وهو من فاس، وبها رأته، وأخذتُ عنه العربية، وأجازني إجازة عامة.

وقال عنه أبو زكريا يحيى الرندي الحميري الفاسي المعروف بالسراج في فهرسته: الشيخ الأستاذ الحاج المقرئ اللغوي الأديب، ابن الفقيه الأستاذ المقرئ العلامة، كان أديباً شاعراً كثيراً مجيداً منبسطة، جميل المجلس، من أعجب المقرئين فصاحةً وحسن إلقاء، وكان جُلُّ إقرائه مقامات الحريري، كان فيها أوحد زمانه، وكان نبلاء الطلبة يرصدونه فلا يسمعون منه لحنه^(٢).

ذكر تلميذه ابن الأحمر الأمير أنه كان يحضر حلقته حين كان يُقرئ مقامات الحريري بجامع القرويين من فاس، هو وابن عمه الرئيس إسماعيل قال^(٣):

وكان حسن المشاركة في العربية، حافظاً للطريقتين التاريخية والأدبية، حسن المخايل، لطيف الشمائل، مع ذكاء لا يوجد في سواه، وكلام

(١) نثير الجمان: ٤١٦، وهو تلميذ المترجم.

(٢) معلمة المغرب: ١٤٣، ابن آجروم منديل عبد الله العمراني.

(٣) نثير الجمان: ٤١٨.

أحلى من الشهد في الأفواه، ونظم كالقلائد في أجياد الخرائد، ونثر بارع مستعذب أرق من مرّ النسيم وأطيب، بل هو أحلى من الشهد وأعجب. رحل إلى المشرق لأداء الفريضة سنة (٧٤١ هـ)، ولقي جماعة من العلماء فأجازوه، منهم أبو حيان، وأباح له رواية جميع ما روى وجميع ما أُلّف من نظم ونثر^(١).

وأخذ بتونس عن أبي برّال، والفقير أحمد أبي العباس بن أبي بكر اليحصبي التونسي، والقاضي ابن عبد السلام، وابن جابر الوداي آشي، والفقير ابن زيري، والفقير المدرس أبي مهدي عيس الزواوي، والفقير أبي عزيز، وابن مسفر، وعن قاضي الجماعة أبي عبد الله ابن يوسف، وأبي العباس أحمد الزواوي، وغيرهم^(٢).

قلت: وكذلك أخذ عن والده، وعن أبي محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بابن آجطا (ت ٧٥٠ هـ) صاحب : « التبيان في شرح مورد الظمان » .

وعن أبي عبد الله محمد بن شعيب المخاصي، قرأ عليه فاتحة الكتاب بالقراءات السبع، وبعض الشاطبية، وبعض الدرر اللوامع، وناوله شرحه عليها^(٣)...

(١) انظر نص ما أملاه أبو حيان على كاتب الإجازة، إذ فيها تحذير من نسخة من البحر المحيط وقعت لإبراهيم السفاقي ادعى فيها أشياء ليست لأبي حيان، وزاد فيها ونقص، وأخبر أن هذا الأخير أخذ عن منديل. (من درة الحجال ١٧/٣-١٨، والجدوة ٢٣٣/١).

قلت: يدل هذا على أن المترجم لقي أبا حيان، وهو أهل للأخذ عنه.

(٢) انظر نيل الابتهاج: ٦١٤ .

(٣) انظر القراء والقراءات بالمغرب: ٤٥ .

آثارُه:

قلتُ: وقفتُ له بحمد الله على منظومةٍ من الرجز «مخطوطة»،
استدرك فيها على الإمام أبي الحسن السخاوي في منظومته في متشابه
القرآن الموسومة «هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب» قال في أولها:
قال السخاويُّ عليُّ ناظماً كان له الله الرحيم راحماً
ثم قال:

وقد نظمتُ في اشتباه الكلم أرجوزةً كاللؤلؤ المنتظم
لقبُّتها هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب
أودعتها مواضعاً تخفى على تالي الكتاب وتريحُ مَنْ تَلَا^(١)
واستدراكُ الإمام منديل يقع في (٢٦) بيتاً على اعتبار الشطرين بيتاً
مستقلاً^(٢).

(١) نشر الهداية د. عبد الله اللحياتي، ولم يعرج على ذكر هذا الاستدراك، فأوردته إتماماً
لما نُشر.

(٢) وهذا نص ماجاء في النسخة الخطية:

(ذكرُ ما استدركه الإمام الأستاذ أبو المكارم بن آجروم)

على الأستاذ أبي الحسن السخاوي رحمه الله:

ولفظ ألفينا أتى في البقرة	من قبل ليس البر فاقطُ ثمرة
وجاء في لقمان قبل الحزب	لفظُ وجدنا عنه لا للحزب
وفي النساء قد أتى أنزلنا	إليك فاقراه كما قررنا
وتحت صَاد فاتلُّه عليك	ووجب حفظهُمَا عليك
أن يطفئوا باليسف ونون	في سورة التوبة عن يقين
وبعده لفظاً ويأى الله	وليس ثم هكذا سيواه
ولام كي مع يطفئوا مذكورة	من قبل والله متم نوره

وهذه طائفةٌ من بدائع حكيمته، ونوادير قريحته، تدل على نخته للقوافي من معادنها، واستجلابه للمعاني من مراصدها.

من ذلك ما أورده الأميرُ ابن الأحمر في باب ما بلغه من شعر قضاة

فاحفظهُمَا هُدَيْتَ لِلصَّوَابِ	في سُورَةِ الصَّفِّ بِلَا ارْتِيَابِ
وغيرُهُ أَتَى بِنُونٍ وَاحِدُهُ	وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا أَتَى فِي الْمَائِدَةِ
وَلَمْ يَجِئِ سِوَاهُمَا فِي الْقُرْآنِ	أَعْنَى الَّذِي جَاءَ بِآلِ عَمْرَانَ
بِالْبَاءِ جَرَمَعَ ذَاتَ التَّعْرِيفِ	فِي مَا فَعَلْنَ بَعْدَهُ بِالْمَعْرُوفِ
كِلَاهِمَا مِنْ قَبْلِ تِلْكَ الرُّسُلِ	وَاجْرُرُ تَنْكِيرًا يَارْجُلُ
مِنْكُمْ قُبَيْلِ الْوَالِدَاتِ بَيَانَ	ذَاكَ يُسَوِّغُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْ قَبْلِ يُوعِظُ لَدَى التَّحْرِيمِ	وَقَدْ أَتَى ذَلِكَ بِالْمِيمِ
بُعَيْدِ إِنَّمَا السَّبِيلِ قَدْ رُسِمَ	وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مَنْ غَيْرِ فَاعِلٍ فَكُنْ مَتَّبِعًا	وَجَاءَ قَبْلَ الْحَزْبِ لَفْظُ طَبِعَ
مُتَّصِلٌ لَيْسَ بِهِ خِصَالَفِ	نَزَرُكُمْ بِالْفِعْلِ قَبْلَ الْكَافِ
وَالْعَكْسُ فِي الْإِسْرَاءِ دُونَ إِبْهَامِ	قَبْلَ وَإِيَاهُمْ أَتَى فِي الْأَنْعَامِ
فِي سُورَةِ الْحَجْرِ وَأَمْسِ سَمْعًا	وَاقْرَأْ وَأَمْطِرْنَا عَلَيْهِمْ جَمْعًا
تَحْظَى بِكُلِّ سِسْوَدٍ وَفَائِدَةٍ	وَاقْرَأْ فِي هُوْدَ بِهَا وَاحِدَةٍ
فِي آخِرِ الطُّوْلِ وَبِالْفَتْحِ أَتَتْ	وَسِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ وَرَدَتْ
مَعُ فِي الَّذِينَ دُونَ مَا ارْتِيَابِ	لَكِنِّهَا فِي حَرْفِي الْأَحْزَابِ
تَسْلَاهُ كُلُّ قَارِيٍّ وَرَاوِ	وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا بِالْوَاوِ
وَحَذَفَهَا فِي أَوَّلِ فِيهِ دَارِ	وَهُوَ الَّذِي جَاءَ آخِرَ الزَّمْرِ
وَبِالْعُقُودِ يَعْمَلُونَ فَآدِرِ	لَا يَعْقِلُونَ قَدْ أَتَى فِي الْبِكْرِ
فَاتْلُوهُمَا كَمَا أُوتُوا الْعِزْمَ تَلَّوْا	قَبْلَهُمَا قَدْ جَاءَ لَفْظُ أَوْلَّوْا

انتهى ص: ٢٧-٢٨ من نسخة خاصة . وقوله: « فاقط » من قط الشيء: قطعه عرضاً، وباب (رد)، فالقياس أن يقول: اقطط، وربما قطها للوزن، والله أعلم .
 وقوله: « قبل الحزب »: الحزب عند المغاربة هو نصف الجزء عند المشاركة .
 وقوله: « في البكر »: المراد البقرة، سميت بالبكر لورود البكر في قصة البقرة .

المغرب وفقهائها :

قوله : أنشدني لنفسه في الفخر والتعريض لبعض أهل العصر :

مَنْ الْمَشِيْبُ عَلَى فَوْدِيهِ يَشْتَعِلُ

فَكَيْفَ بِاللَّهُوِ فِي دَنِيَاهُ يَشْتَعِلُ

وَكَيْفَ يَحْرِصُ فِي طَوْلِ الْمَقَامِ بِهَا

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنْ لَا بَدَّ يَرْتَحِلُ

صَحَّ الَّذِي خَرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ نَبَأِ

عَنْ النَّبِيِّ وَمَا فِي قَوْلِهِ خَطَّ لُ

إِنَّ الْفَتَىٰ إِنْ يَشِيبُ مُسَوِّدٌ مَفْرَقِهِ

(١) تَشِبُّ مِنْهُ اثْنَانِ : الْحَرْصُ وَالْأَمَلُ

قال :

يُقَرَّرُ بِالْفَضْلِ إِنْصَافاً لِصَاحِبِهِ

وَيَسْبِقُ السَّيْفَ فِي أَعْدَائِنَا الْعَذْلُ

قال :

مَا طَابَ أَصْلٌ لَهُ الْفَرَعُ يَتْبَعُهُ

وَلَيْسَ عَنْ طَبْعِهَا الْأَشْيَاءُ تَنْتَقِلُ

(١) فات السبيوطي أن يذكر هذا البيت في كتابه (الازدهار فيما عقده الشعراء من

الأحايث والآثار) ، والآيات التي بعده ذكرتها في ترجمة أبيه .

لو أُسْقِيَتْ بِمَجَاجِ النَّحْلِ حَنْظَلَةٌ
 لم يُعَذِّبِ الطَّعَمَ مِنْهَا ذَلِكَ الْعَسَلُ
 بِسَبَبِ يَبُويهِ نَسِينَا كُلَّ فَائِدَةٍ
 فِي صِنْعَةِ النَّحْوِ لَا «الكراس» و «الجمال»
 وَفِي مَسَائِلِ «إيضاح» لَنَا وَضَحَتْ
 مِنْ التَّصْرِفِ شَمْسٌ بَيْتُهَا الْحَمَلُ
 وَعِنْدَ «حرز الأمانى»^(١) شَاهِدٌ قَطَنٌ
 إِذْ أُحْرِزَتْ بِحَمَانَا تِلْكَمُ السُّبُلُ
 وَكَمْ لَنَا فِي عَرُوضِ الشَّعْرِ مِنْ نَكْتٍ
 يَدْرِي بِذَلِكَ عَنَا «الرَّحْفُ وَالْعَلَلُ»
 بِالشَّعْرِ نَفَعَلُ إِنْ نَشَرِعْ أَسِنَّةً
 مَا لَيْسَ تَفْعَلُهُ الْخَطِيئَةُ الذُّبُّ
 إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ هَذَا فَلْتَعِدْ نَظْرًا
 مَا الْعَالِمُونَ كَمَنْ لِلشَّيْءِ قَدْ جَهِلُوا!^(٢)
 وَهُوَ شَعْرٌ^(٣) فِي رِثَاءِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَوَاباً عَلَى
 طَلَبِ.

(١) يعني الشاطبية، (انظر كيف يفتخر بحفظها وإحرازها) مما يدل على أنه قرأها
 وبمضمونها.

(٢) نثر الجمان: ٤٢١ .

(٣) انظره في نثر الجمان: ٤٢٥ .

وله شعرٌ في السيف منه قوله :

شأموا بفاسٍ سيفَ إدريسِهِم فوق منارٍ لا لأمرٍ مخوفٍ
بل أشعروا بقول خير الورى جنتكم تحت ظلال السيوف^(١)

وله قصيدةٌ طويلةٌ في ذكر منتزهات باب الفتوح من مدينة فاس

مطلعتها :

أيها العارفون قدر الصبوح حدُّوا أنسنا بباب الفتوح
جدُّوا ثم أنسنا ثم جدُّوا نسرَح الطرفَ في مجال فسيح^(٢)
قلتُ: مخاطبه أبو عبد الله الماجري بأبيات تدل على مكانته بين

علماء فاس وغيرهم منها:

يا من بآدابه البديعة قد أحملَ ذكرَ البديع والبُسُتي
وسَيِّداً من يَشِمْ شمائله يقلُ فرى ذا الجمال والبست^(٣)

توفي - رحمه الله - رابع جمادى الأولى عام اثنين وسبعين^(٤) .

(١) قلتُ: وهذا البيت فات السيوطي أيضاً في كتابه (الأزدها فيما عقده الشعراء من

الأحاديث والأخبار) ، والحديث في الصحيح بلفظ: « الجنة تحت ظلال السيوف » .

(٢) أوردتها بكاملها ابن الأحمر في نثر الجمان ص: ٤٥٦-٤٥٨ ، وعبد الله كنون في

النبوغ المغربي ص: ٧٢٨-٧٣٠ .

(٣) انظرها في نثر الجمان ص: ٤٢٣ ، ووفيات الوئشيسي ص: ١٢٦ ، ٢١٥ .

(٤) انظر نيل الانتهاج: ٦١٤ .

٢ - محمد بن محمد بن إبراهيم^(١) :

أبو عبد الله الخراز المغربي الأموي الشريشي، إمامٌ كاملٌ مقررٌ متأخراً، له نظمٌ لطيفٌ، أتى فيه بزوائد على رائية الشَّاطبي - الموسومة بالعقيلة، والمقنع من التنزيل لأبي داود وغيره سماه : « مورد الظمآن في حُكم رسم القرآن » .

قلتُ: وقد أخطأ خيرُ الدين الزركلي^(٢) رحمه الله إذ نسب إليه: « الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع »، إذ هي لابن برِّي التازي، وإنما الذي للخزاز هو الشَّرْحُ على البرية المسمى: « القصد النافع » .

قلتُ: قرأ الخرزُّ على ابن القصاب، ونقل عنه في « القصد النافع » في أماكن منها: نقله عنه في باب الإستعاذة الصيغَ الثلاثة التي زادها ابنُ القصاب في صيغِ التعوذ .

قال: وزاد شيخنا أبو عبد الله بن القصاب رحمه الله ثلاثة ألفاظ لم أرها لغيره^(٣) .

وقرأ على ابن آجروم، ونقل عنه، وشافهه، وأجاب عن أسئلته، وإن كان يقول : قال صاحبنا، فقد وصفه بالأستاذية .

وقد أوردتُ ذلك في قيمة الكتاب العلميَّة كاملاً .

وتلمذَ له أبو محمد بن آجطا، وهو أول من شرَّح مورده .

(١) انظر الغاية ٢/٢٣٧ .

(٢) انظر الأعلام ٧/٣٣ .

(٣) القصد: ٧٥ .

توفي الخزاز قبل أستاذه ابن آجرؤم بنحو خمسة أعوام؛ وذلك سنة (٧١٨ هـ) .

٣ - محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني^(١).

من أهل حمّة، وشق من عمل المرية الغربي، يُكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن العربي، وينتمي في بني أسود، من أعيانها .
قال لسان الدين بن الخطيب عنه : كان - رحمه الله من أهل العلم والدين والفضل، كثير الحياء ..، له تحقيق بضبط القراءات والقيام عليها، وعناية بعلم العربية، قدم فاس، وقرأ بها على أبي الربيع سليمان اللجّائي، وأبي الحسن بن سليمان، وابن مصامد القرطبي، والأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد بن آجرؤم الصنهاجي .
وُلد عام (٦٨٢ هـ) توفي بالحمّة عام (٧٤٨ هـ) .

٤ - عبد الله بن عمر الوانغيلي الضرير، يكنى أبا محمد^(٢).

قال ابن الخطيب القسنطيني : شيخنا ومفيدنا - الفقيه الحافظ المفتي بمدينة فاس، من تلامذة أبي الربيع اللجّائي الذي قرأ على القرافي .
وقال الكتاني : وأخذ عنه - ابن آجرؤم - جماعة من الأئمة بفاس ..
والأستاذ الفقيه النحوي الصالح أبو محمد عبد الله بن عمر الوانغيلي

(١) الإحاطة ٩٦/٣-٩٧، والجدوة ٢٩٧/٢-٢٩٨ .

(٢) انظر سلوة الأنفاس ٣/٣٠١، والجدوة ٤٢٤/، وشجرة النور: ٢١٧، ٢٣٥ .

الضريير .

أخذ عنه الفقيه الفرضي عمر الركراكي، وعبد الرحمن المكودي شارح الأجروميّة والألفية . توفي عام (٧٧٩هـ) .

٥ - وأبو محمد عبد الله بن محمد - ولد المؤلف .

٦ - وأبو محمد بن مسلم القصري السبتي - شارح الدرر .

٧ - وأبو عبد الله بن عمر اللخمي .

٨ - وأبو العباس أحمد بن محمد بن شعيب الجزنائي .

٩ - وأبو عبد الله محمد بن عبدالمهيمن الحضرمي .

١٠ - وأبو العباس أحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي .

قال الكتاني في « سلوة الأنفاس »^(١) في ترجمة ابن آجروم يذكُر بعض

من أخذ منه :

وأخذ عنه جماعة من الأئمة بفاس كالشيخ أبي العباس أحمد بن محمد ابن شعيب الجزنائي، والأستاذ الفقيه النحوي أبو محمد عبد الله بن عمر الوانغلي الضريير، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، والفقيه الأستاذ المقرئ أبو العباس أحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي.

ومن أخذ عنه أيضاً ولداه: الأستاذ الأثير، العالم الكبير: أبو محمد

عبد الله، وبرسمه وضع والدّه المقدمة ...

والأستاذ المحقق الناظم الناشر أبو عبد الله محمد المدعو بمنديل .

(١) سلوة الأنفاس ١١٣/٢، وشجرة النور: ٢١٧، وذكريات مشاهير رجال المغرب:

٢٠ / ١١ - ١٢ (ابن آجروم)

وفي بغية الوعاة^(١) أن السيوطي : رأى في تاريخ غرناطة^(٢) : أن محمداً
ابن علي بن عمر الغساني النحوي قرأ عليه بفاس ووصفه بالأستاذ .

(١) بغية الوعاة: ١٠٢ .

(٢) تاريخ غرناطة لابن جزى الكلبي، ذكر الزركلي في ترجمة ابن جزى أن لسان الدين
بن الخطيب وفق على جزء منه، والذي نقلته الآن عن الغساني من الإحاطة ٩٦/٣ -
٩٧، والجدوة ٢/٢٩٧-٢٩٨ .

الفصل السابع:**آثار ابن أحرّوم**

أمّا تواليقه فإنها لم تكن من حيث عددها مما يثير الدهشة، ولكن في عمق حملتها ما يدعو إلى البهجة، لاجرم أنه أفضى إلى ما قدم، وهو في سنّ بزغ فيها نجم عطائه، إذ الرياح تجري بما لا يشتهي السفن.
وما بقي من آثاره يُغنيه للحلول بين الأساتذة المبرزين، والحفاظ المجتهدين، النّائين عن حضيض التقليد، إلى يفاع الإطلاع على الدليل السديد .

والحديث عن تعيين كتبه، كالحديث عما سبق من محيط شخصه، غمره موج البحر السابق، فحال بيني وبين الوقوف على الحقائق، غير أنني ألفت بعد ما أنفقت زمناً معتبراً في تتبع أخباره في البرامج والفهارس والتراجم طائفة مما صح أن يُنسب إليه، فيها المنشور والمنظوم، والمقتضب والمسهب، لا غرو أنه كان غاية منشور ومنظوم، وخيمة شعر محزوم .
وفي تقديمها آثرت الترتيب الألف بائي .

أولاً: البارع:

وهو نظمٌ رجزيٌّ يقع في اثنتين وعشرين ومائة بيت^(١)، عُني فيه ناظمه بنشر الخلف القرّائي بين ورش^(٢) وقالون عن نافع المدني - أصولاً

(١) على اعتبار الشطرين بيتاً واحداً .

(٢) على عادة المغاربة في تقديم ورش على قالون .

وفرشاً .

نظّمه المؤلف سنة ٦٩٦ هـ، كما سيأتي في آخره، وبهذا يكون
- والله أعلم - أولَ ناظمٍ لقراءة نافع في المدارس المغربية التي تُعنى بهذه
القراءة، على اعتبار القصيدة الحصرية في قراءة نافع من نسج أندلسي .
أمّا النظمُ المشهورُ الموسوم بـ « الدرر اللوامع » لابن بري التازي، فإنه
نُسِجَ بعد نسج صاحبنا بسنةٍ كاملةٍ، وذلك لأن ابنَ بري نسجه سنة
٦٩٧ هـ، وفي ذلك يقول في آخر البرية :

نظّمَهَا مَبْتَغِيًّا لِلأَجْرِ عَلِيٌّ المَعْرُوفُ بَابِنِ البرِّ
لسنة سبعٍ بعد تسعين مضتُ من بعد ستمائةٍ قد انقضتُ

ولا اعتبار بقول واستنتاج الأستاذ محمد الأمراني^(١) الذي يرى أنّ
الناظم نظمها في سنٍّ مبكرةٍ تقدّرُ بعشرين سنة، اعتمد في ذلك ما وقع له
من تصحيف في البيت الأخير، حيث نقله بصيغة :

[سنة تسع بعد سبعين مضتُ من بعد ستمائةٍ قد انقضتُ]

أي بدل سبع تسع، وبدل تسعين سبعين .

ولا أعلم لهذه المنظومة نُسخاً سوى نسخة الخزانة الصباحية بمدينة
سلا، وهي ضمن مجموع برقم (٣٠٦) وتعتبر هذه النسخة يتيمة .

ولا أعلم لهذه الأرجوزة شرحاً، حتى قيضَ الله لها من يفتق رتقها،
ويعن غورها، شيخُ القراء الأكمل، وإمام الإفهام المجل، شيخنا
المصطفى البحياوي، بشرح فيه نُكَّتْ تُلْمِحٌ بالغرض، وتقضي حقَّ الجوهر

(١) ابن بري التازي ص: ١٥٧ .

والعرض، وسمه بـ «إتحاف القارئ والسامع بشرح نظم البارع». وهذا نص البارع برمته، أبرزه مجلواً في حلتها، وما ذلك إلا لعزته وندرته.

البارع في مقراً الإمام نافع

مستهل النظم :

يقولُ مَنْ عَفَوَ إِلَهَ رَاجِي	وعونه مُحَمَّدُ الصنْهَاجِي
اللَّهُ أَحْمَدُ الَّذِي هَدَانَا	وَمَنْ أَنْ عَلَّمَنَا الْقُرْآنَا
وَحَصَّنَا بِأَكْرَمِ الْبَرِيئَةِ	مُحَمَّدٍ وَخَاتِمِ النَّبِوَةِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ رَسُولٍ	وَصَحْبِهِ طُرّاً ذَوِي التَّفْضِيلِ

قصد الناظم وغايته:

وبعدُ فالقصدُ بهذا الرجزِ	مقراً نافعٍ بلفظٍ موجزِ
ورشٌ وقالونٌ على طريقِ	عثمانِ الدانيِّ ذي التحقيقِ

سند قراءة نافع :

رَوَى الْقِرَاءَةَ أَبُو رُوَيْمٍ	عَنْ جِلَّةٍ وَهُمْ خِيَارُ قَوْمِ
يَزِيدُ لِلْقَعْقَاعِ جَا بِنَسَبِ	وَالْهَدَلِيِّ مُسْلِمُ بْنُ جَنْدَبِ
وَعَابِدُ الرَّحْمَنِ نَجْلُ هَرْمَزِ	وَابْنُ نِصَّاحِ شَيْبَةَ فَمَيِّزِ
وَعَنْ يَزِيدَ وَهُوَ قُلُ يُعْزَى إِلَى	رُومَانَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ نَقْلًا
رَوَاهُمُ الْحَبْرُ أَبُو هَرِيرَةَ	مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ بِخَيْرِ سِيرَةِ
وَنَجْلُ عِيَّاشِكَ عَنْ أَبِي	سَلِيلِ كَعْبِهِمْ عَنِ النَّبِيِّ

محترز اصطلاحات النظم :

فإن ذكرتُ دون واو حُكما
وسوف أستغني بلفظِ القاري
والله حسبي وعليه المتكَلُّ
فنافعاً أعني به إذ عمَّما
وحلفه رغبة الاختصارِ
في كلِّ ما أرومُ قولٍ أو عملٍ

باب التعوذ :

عَوَّذُ بما في النحل عند الابتدا
جهرأ وإن نَزَّهتَ كنتَ مرشداً

باب البسملة :

بسمِ لِعِيسَى عند وصلِ السُّورِ
واترك ليوسف وقومٍ خَيْرَةَ
إلا ببراءة في الابتداء
بسمِ وخيرٍ أوَّلَ الأجزاءِ
إن وُصِلتْ بِأخِرٍ لا تَقِفَا
(وُصِلَ لورثٍ أو بسكتٍ خَفِفاً)
واتركُ لدى براءة عن عذرِ
يَرَوْنَهَا في الأربَعِ المشهورَةِ

باب ميم الجميع :

صِلْ ضَمَّ ميم الجميع مَع ضميرِ
وقبلَ همزِ القطع ورشٌ وصَلا
وَضُمَّها لساكنٍ أخيرِ
والخُلفُ عن عيسى بتحريكِ جَلا

باب هاء الضمير :

لا تَصِلَنَّ هاءَ الضَّميرِ قبلَ ما
واقصُرَ لِعِيسَى هاءَ فعلٍ يَجْزِمُ
نُصِّلُهُ نُؤَلُّهُ يَتَّقُهُ وَيؤرِّثُهُ
وها في يرضه وصلٌ إن لم يره
يَسْكُنُ أو من بعد أن تقدَّمَا
أرجه يودُّه ألقه إليهمُ
والخُلفُ في طه لدى من يأتِه
عنه وفي الزَّلزالِ صِلْ حرفي يره

باب المد والقصر :

والمدُّ في السواو وفي اليا والألفُ
إن أُسْكِنَا مَيْتاً وهمزٌ قد أُلِفُ

من بعدها زِيدَ أو السكونُ
 وإن تشا فاقصُر ووسطه وما
 كذا لورشٍ واقصرنِ ءالنَ
 وصلًا وإسرائيلُ وعَآدا الأولى
 (واقصُر وزِد قبلَ سكونِ أَشكِلامَ)
 ومدَّ ورشٌ ثمَّ مثلَ سَـوِءَـةٍ
 وموثلاً فاقصُرهُ والمـوِءُوءَـةُ

باب الهمزتين من كلمة :

في كَلِمَةٍ أُخْرَاهُمَا قَدْ سُهِّلَتْ
 بمصرَ والفصلُ لعيسى يـوِجُدُ
 ءأمنتُم ءأهـلـةٌ لاخبراً
 إبدالُ همزِ الوصلِ بينَ لامِ
 وليس في هذا ولا أئمَّـةُ
 وليس في أُخْرَاهُمَا إن أُسْكِنَتْ

باب الهمزتين من كلمتين :

وأسقطَ الأولى إذا ما اتفقا
 عيسى وإن ضمًّا وكسراً عَادَا
 والسُّـوِـرُ إلا والنبيُّ إلا
 وبينَ بينَ ورشهُم في الأخرى
 وهؤلاءِ إن على البيغَاءِ
 وثانيَ المختلفينَ سَهَّلَا

ومع سكونِ الوقفِ ذا يكونُ
 قُدِّمَ فيه الهمزُ مُدًّا كيفمَـا
 ونحو خِطِّئاً أو لهمزِ كانِ
 كيف يُؤاخِذُ وقِسْ مَسئُولَا
 وذانِ عنِ عيسى لهمزِ فُصِّلَا
 زادَ ووسطَ ويا كهَيئَـةُ
 وخلفُ سَوِءَاتِ لورشٍ مُثَبَّتُ

وذا تُفْتَحُ مِنهُمَا قَدْ أُبْدِلَتْ
 بِالْفِ وَالخُلْفُ فِي أَوْشَهْدُوا
 ثانيهما سَهَّلُ وَأُبْدِلُ آخِرَا
 أَجْدَرُ قُلُ وَهمزِ الاستفهامِ
 فصلٌ ولا فيما ثلاثُ عمَّـةُ
 خُلفٌ كأوتوا بل لكلُّ أُبْدِلَتْ

بالفتح في كلمتين نسْبَقَا
 سَهَّلُ وللنبيِّ إن أرادَا
 يُبْدِلُ والإدغامُ بعدُ وصَّـلَا
 وغيرُ آلِ أُبْدِلَتْ بمصرَا
 بالياء مكسُوراً لدى الأداءِ
 وإن تُفْتَحُ الأولى وإلا أُبْدِلَا

واقصُر ومُدَّ قبلَ همزٍ غيرًا وحققِ الكلَّ لوقفٍ إذ فرى

باب الهمزة المفردة :

أبدلْ لورشٍ همزةً في الفاءِ وأواؤاً إنْ فُتحتْ بعدَ الضَّمِّ
وأيسَ وفي الأعرافِ بيسٍ عنهما

تسكنُ غيرَ جملةِ الإيـواءِ والذَّيبُ بـيرِ عنه مَعُ ذِي الذَّمِّ
وأبدلنُ رعياً لعيسى مُدغماً

باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها :

وحرَّكَ الإسكانَ صحَّ طرفاً والخُلفُ في كتابيهِ وعنهما
رداً والأولى هامزاً إذ ينقلُ

ورشٌ بشكلِ الهمزِ ثم حذفاً ءالنَ الأولى بعدَ عاداً مُدغماً
بدءاً ووصلاً نُجلاً مينا الأجلُ

باب الإظهار والإدغام :

وساكنَ المثلينَ صحَّ أولاً وذالَ إذ أدغمهُ عندَ الطَّاءِ
وورشُهُم في الضادِ والظَّا أعجماً
والكلُّ عندَ الدالِ ثم الطَّاءِ

أدغمُ وخلفُ مآليه قد انجلاً عن نافعٍ ودالٍ قد في التَّاءِ
وعنه تاءُ الفعلِ في الظَّا مثلاً
ولامُ قُلٍ وبَلٍ بحرفِ الرِّاءِ

فصل :

أورثتمُ لبثتُ ثمَّ عذتُ وبـبابٍ تعجَّبَ ثم صادَ ذِكرٍ
يلهتُ لعيسى مُدغمٌ وبأِ اركبِ

نخسِفُ يُردُ ثوابَ مع نَبذتُ أظهرُ وذالَ الأخذِ أدغمُ واذرِ
بعضٌ وكلُّ عنه با يُعذبِ

باب النون الساكنة والتنوين :

أدغمُ برلَ النونَ دونَ غنةٍ وأحسرفِ الحلقِ وعندَ الباءِ
ويومُ أبقِ ولتبنِ بكلمةٍ تُقلِّبُ ميماً عن أولى الأداءِ

عيسى بإظهار كُنُوزنا
أولى، وقيس مثلها التَّنوينُ

وأخف للباقي وقلُ ياسينا
وخلُفُ ورشٍ فيه والتَّبينُ

باب الفتح والإمالة وبين اللفظين :

قلُّ لدى الأفعالِ والأسماءِ
مستفهماً بلى متى قد عَنَّا
لكن أراكهم بحرفٍ جاء
خلفُ كسُـقياها ومنتَهياها
كالدار قلُّ إن وصلت أوتقِفُ
والخلفُ في جارٍ وجبارينَا
كالرعدِ والحجرِ وكلُّ جاء
عنه وعيسى ثم عن خِلافِ
ومحضُ ها طه لورشٍ أعرِفُ

وإن قلبتَ ألفاً عن ياءِ
وألِفِ التانيثِ ثم أني
ولاخلافَ بعد حرفِ الراءِ
وفي رؤوسِ الآيِ بعدها ها
وإن جررتَ الراءَ من بعد الألفِ
والكفرينِ ثم كفرينا
وحا لدى حاميمٍ ثم الراءِ
لورشِهِمِ ها ويا بكفافي
توراةُ ثم محضُ هارٍ يُعرِفُ

باب الراءات :

والكسرِ لازمين حرفِ الراءِ
إلا الذي من قبلُ كالقصرِ يُرى
والمرءِ والدَّاني كُلاً فحَمَّما
حالٍ وإن أُخرَ إلا الخِلاءُ
وبابُ ذِكرًا والخِلافُ في إرَمُ
من بعد كسرٍ أو به قد حُرِّكتُ
واليا وما أملتُهُ في الذِّكْرِ
في غير هذا أصلُهُ مُقيمُ

رَقُّ لورشٍ مع سكونِ الياءِ
ولا ترَقُّنُهُ إن تأخَّرا
والخلفُ في را قَرِيَّةٍ ومَرِيما
وإن محَرَّكٌ أو استعلاءُ
فحَمُّ وحيث كُرِّرتُ والأعجمُ
ولا خِلافَ في التي قد سُكِّنتُ
كذلك الوقفُ يَثرُ الكسرِ
والرَّومُ مثلُ الوصلِ والتفخيمُ

باب اللامات :

وفتح لام فحَّـمُ إثرَ الطَّاءِ
يُفْتَحُ أو يَسْكُنُ قُلُّ والوجهانِ
وفي ذواتِ الياءِ فحَّمُها جُمِعَ
واللامُ في اسمِ اللهِ للتعظيمِ

عن ورشِهِم والصادِ قُلُّ والظَّاءِ
في نحو طالَ أو وقُوفِ الإسكانِ
إلا الفواصلَ لتأتي في تَبَعِ
كلُّ لغيرِ الكسرِ بالتفخيمِ

باب الروم والإشمام :

أشِمُّمُ ورُمٌ ضمًّا ورفعًا واقِيفًا
والفتحِ والنصبِ وميمِ الجمعِ
وعارضِ الشكلِ فهاءِ المضمَرِ
أو واوٌ أو ياءٌ وبعضُ الناسِ
(ولتَبَعِ المرسومِ إن وقفنا

والرُّومُ بالكسرِ وجرُّ عُرْفًا
وهاءِ تأنِيثِ فخذُ بالمنعِ
إن ضمَّ حرفٌ قبلها أو يُكسَرِ
أجراها على القياسِ
ولا تُخالِفُ ما به وجدَّتَا)

باب ياءات الإضافة :

أسْكِنُ من الياءاتِ عن قالونا
(ولْيُومِنُوا بي) ثمَّ (بين إخوتي)

تَسَعًا فهَاكَ عُدَّها يقينًا
ثمَّ (ولي فيها) معي في الظُّلَّةِ
ثانٍ و(أوزعني) معاً و(تؤمنوا)

(لي) ثمَّ خُلِفُ فُصِّلَتْ قد بَيَّنُّوا

وياءَ (محيي) وعن عثمانِ
وما عدا هذا الذي ذكَّرنا
في هذه فديتكَ الوجهانِ
إنك قد تدرِيه حيث يُغنى

باب الزوائد :

خمسُونَ ياءٌ غيرَ ياءِ ثَبَّتْ
وصلاً زوائدَ لحذفِ سُمِّيَتْ

بآلِ عمرانَ مَنْ اتبعني
 والمهتدي لا أولاً يهديني
 ءاتني الله وأن تَعْلَمَنَّ
 أولى الجوارِ الداعِ ذاتِ الجرِّ
 أكرمني أهانني والخُلفُ
 ورشٌ بهودَ تسألنَّ الدَّاعِ
 يُكذِّبونَ قالَ ثم البِدادِ
 أولى دعاءِ أربعُ نكيري
 نذري ستُّ يُنقِذونَ ترجمونَ
 وزدْ لعيسى اتبعونَ غافرُ
 باب فرشِ الحُرُوفِ :

وها هو الاسكانُ ثم ها هيا
 والواوِ ثم هوَ ورا قُربةُ
 أخفِ يَخَصِّمونَ معَ نِعْمًا
 قرا ليلًا ورشُهُم بالياءِ
 كاليا وقفَ بالياءِ له وأسكنا
 وليتمتعوا كذا وأخبرِ
 في العنكبوتِ اعكسُ ونملِ وأهبُ

بالياءِ وقالونُ بهمزٍ استحبُ
 وأخفِ تأمنا وفي استفهامِ
 وكم جليلي لورشِ أبـدلاً
 سيئتُ وسيءِ اقرأهُ بالإشمامِ
 رأيتَ معَ هأنتمُ قد سهلاً

والهَاءُ مِنْ هَمَزٍ بِذَلِكَ مُبَدَّلَةٌ أَوْ هَاءٌ تَنْبِيهُ فَهَاكَ مُكَمَّلَةٌ
 أَرْجُوزَةٌ جَامِعَةٌ الْمَنَافِعِ لِأَجْلِ ذَا سَمِّيَتْهَا بِالْبَارِعِ
 أَكْمَلْتُهَا فِي رَمَضَانَ الْأَعْظَمِ عَشْرِينَ مِنْهُ ذِي الْمَعَادِ الْأَكْرَمِ
 (سَنَةٌ سِتٌّ مَعَهَا سِتُّمِائَةٌ) ثَمَّتَ تِسْعِينَ) بِخَيْرٍ مُنْبِئَةٌ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الطُّوْلِ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ
 وَبَعْدُ صَلَّى اللَّهُ رَبِّي سَرْمَدًا عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ أَحْمَدًا^(١)

ثانياً: التبصير في نظم التيسير :

وهو نظمٌ رجزي كذلك، نظم فيه « التيسير » لأبي عمرو الداني، ويمكن أن يُعتبر من معارضات « حرز الأمانى » ، إلا أنه ليس على وزنها وقافيتها، والنظمُ إلى الآن لم أعثر له على أثرٍ، ولا أعلم أحداً يُعنى بالبحث عنه، إلا أنني كنتُ أقرأ في مخطوطٍ لأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي المكناسي المسمى بـ « بيان الخلاف والتشهير وما وقع في الحرز من الزيادات على التيسير » وهو كتابٌ ألف فيما زادته قصيدةُ الشاطبي على حد أصلها ومصدرها الذي هو « التيسير » ، وهذه الزيادات تُسمى بالألفاف؛ لقول الشاطبي:

وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ فَلَفَّتْ حِيَاءً وَجَهَهَا أَنْ تُفَضَّلَا

(١) نشر منها العلامة عبد الله كنون خمسة أبيات من مستهلها في سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب (عدد ٢٠) ص: ٢٤ .
 ونشرها الدكتور عبد الهادي حميتو في رسالته المسماة: قراءة الإمام نافع عند المغاربة ١٢٧٨/٤-١٢٨٢ وإلى الآن لم تر نور الطبع .

فوجدته يقول في زوائد سورة المؤمن: التلاق والتناد، الأخذ لقالون
 بحذف الياء فيهما، وإليه أشار ابن أحرّوم في التبصرة في نظم التيسير :
 وفي التّلاقِ والتّنادِ الخُلفُ عن ابن مينا والكثيرُ الحذفُ
 قلت: وهذا هو البيتُ الموجودُ من هذا النظم إلا أن يُيسرَ الله العثور
 على سائره .

وكما ينظر فقد سماه ابن القاضي بـ « التبصرة » ، والذي يُناسب والله
 أعلم أنه « التبصير في نظم التيسير » ليوافق السجعة .
 وقد نقله أيضاً ابن القاضي في الفجر الساطع شرح الدرر والمنشوري،
 كذلك في شرحه على الدرر في الزوائد.
 وقد عثرتُ بحمد الله على معلوماتٍ أخرى عن كتابه هذا، بيانها
 كالآتي:

في هامش ص: (٤٦) من « فرائد المعاني » عند شرحه لترجمة هشام،
 عند قوله: « يُكنى أبا الوليد » علّق بعض قراء الفرائد في الهامش بقوله:

« وقال في التبصير: إنه يُكنى أبا عمران » .

وقال في حاشية ص: (٥٠) من « الفرائد » أيضاً في ترجمة شعبة:

« وهذا هو الذي ذكر في التبصير » .

وفي الحاشية نفسه في ترجمة حفص قال :

« وقال في التبصير: إنه توفي قريباً من عام تسعين ومائة » .

وفي حاشية (٥٩) في ترجمة أبي الحارث قال:

« ووقع له في التبصير أنه توفي سنة أربعين ومائة، وهو وهمٌ،

والصوابُ ما قال هنا » .

مما يؤكد نسبه إلى المؤلف، والله أعلم .

ثالثاً: ألفات الوصل :

وهو نظمٌ رجزي كذلك، نظم فيه ألفات الوصل في الأسماء والأفعال، وهو أيضاً نادرٌ جداً، ولا أعلمُ أحداً طبعه، وقد عثرتُ عليه بفضل الله في أثناء تنقيبي في مجموعٍ يحمل رقم (٢٨٨) ق - ص (٢٩٣) يوجد بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط، وها هو ذا مقدّمٌ إلى الباحثين في صورة بهية، قال:

يا سائلاً عن ألفات الوصلِ

في الحرفِ أو في الاسمِ أو في الفعلِ

الألفاتُ قُلْ على قِسمينِ	قطعٍ ووصلٍ حين دون مَينِ
أمَّا الحروفُ قطعاً فيُعرفُ	إلا التي الاسمُ بها يُعرفُ
والاسمُ كائنينِ وابناً وابنتاً	واسماً كذاك وامراً وامرأتاً
وإيمن الله بيباء القسمِ	واستأ كذاك في اثنتينِ وابنمِ
وكلُّ فعلٍ ماضيٍ خماسيِ	فهو وصلٌ وكذا السُداسيِ
والأمرُ منهما كذا والمصدرُ	وفي الثلاثيِّ إذ ما تؤمَرُ
والقطعُ في الكل إذا استفهمتا	كنحو قولِ الله أسْتَكْبَرْتَا؟
واكسِرُ جميعها في الأبتداءِ	والفتحُ في المعرّفاتِ جَاءِ
والضمُّ في الأفعال أيضاً مَهما	يُلازمُ الثالثَ منه الضمُّ ما

فاللازمُ اُخْرُجُوا واقتلوهُمُ

والعارضُ امشوا وكذا فاهدوهُمُ

وكلُّها تسقُطُ إن وصلتا إذ غيرها به قد استعنتا
وفي سواءِ هذه الأشياءِ القطعُ في الوصل والابتداءِ

رابعاً: المقدمة الآجرومية :

لقائل أن يقول : إن الحديث عن المقدمة لن تفرع الأذن بجديد حوله، فالمتكلم عنها كحامل تمر إلى هجر، ولكني استصغي آذان الباحثين وأروى أوام المتعطين إلى تصحيح ماجاء في مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩١١ م) من مقال اكتبه الدكتور يعقوب صرُوف: حول إسقاط كلمة آجرومية وإقحامها في سلسلة تاريخية تحكي تطور كلمة (غراماطيقا) التي ألفها ديونيسيوس تراكس، قبل الميلاد بنحو سبعين سنة، قال: وأول من وضع علم النحو أو قواعد علم اللغة وتركيب الألفاظ فيما يُعلم اليونان، والظاهر أنهم وضعوها لكي يُسهلوا تعليم لغتهم على الطلبة من الرومان .

والمعروف أن ديونيسيوس تراكس ألف : (غراما طيقا) في زمن ميمبوس قبل المسيح بنحو سبعين سنة، فكان أساس كل الآجروميات التي ألفت بعده، وقد حُدد هذا العلم بأنه معرفة لغة العلماء في أقسامها الستة؛ أي: علم اللفظ والشكل (أو الإعراب)، وعلم تفسير الكلام المجازي، وعلم التعريف أو التحديد، وعلم الاشتقاق، وعلم التصريف، وعلم النقد. وعلى هذا المبدأ أُلّف الآجروميات في رومية والإسكندرية، ووصلت إلى السريان فالعرب .

ويظهر لنا أن كلمة آجرومية بالعربية هي نفس الكلمة (غراما)

اليونانية، أو (اغراماريا) اللاتينية .

نعم إن الزبيدي قال في تاج العروس : إن مؤلفَ الأجرومية هو ابن آجروم^(١)، فُنُسبت إليه، ولكن المأثور أن مؤلفها هو الشيخُ أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي، ولا ذِكرَ لآجروم في ترجمته .

قلتُ: لا شك أن هذه النزعة توحى باجترار مضغةٍ لفظتها الحقائق التاريخية للنحو العربي من لدن هلهلته إلى استقامة عوده، متمثلةً في نظريات وطروحات الخليل، في قالبٍ أمالي وإفاداتٍ اكتتبها قلمُ سيبويه، وهي قضية علاقة النحو العربي بالمنطق اليوناني (الأرسطي)، وأجمل ما يتقلده المغالب في ادعائه بعد تلکم الفذلکه التي سطرت في أسفار الأولين والآخريين هو ترجمته الأنشطة اللغوية اليونانية إلى العربية على يد ابن المقفع (١٣٩هـ) الذي ترجم قاطوغوريلاس، و باري أرميناس (العبارة)، وأنولوطيقا، زَعَموا . ومن المعلوم أن كراوس نفى بعض هذه الرواية، وزعم أن هذه الأسفار إنما هي ملخصٌ لبعض شروح كتب أرسطوا .

وإذا كنا لا نشك في اكتمال الحدود النحوية في أواخر القرن الثاني الهجري، وهذا من المسلمات البديهية، فإن الأعمال اليونانية المتمثلة في المنطق الأرسطي لم تثبت ترجمتها إلا على يد حنين بن إسحاق (ت ٢٦٤هـ) وتحت إشرافه .

وإن كان يَختلجنا ونحن نصفُ هذه الظاهرة استعمالُ سيبويه لمصطلحاتٍ فزيائيةٍ مثل: الثقل والخفة - وغير ذلك، فإن استعمال

(١) التاج (جرم) .

المصطلح لا يعني التحيز والتأثير، فبراءة النحو العربي تتمثل في (نماذجه) المكتملة، وأمثله التي ترصد ترجمته لواقع معين موصوف داخل حيزه اللهجي والجغرافي .

ولنرجع إلى المقدمة التي تمثل حلقةً في سلسلة تقريب التأسيس النحوي إلى الاستعمال، نجد أن صاحبها اشتهر با ابن آجروم أكثر من اشتهاره باسمه محمد الصنهاجي، وهذه مغالطة من الدكتور أن يتعامى عن هذه المسألة، التي تشهد بها كلُّ نصوص تراجمه، ولم يشذ عنها أحد، حتى ترجموا معناها إلى (الفقير الصوفي) أو (الفقيه الصافي) .

قال العلامة عبد الله كنون^(١): ولا يزال الشُّلُوح (يعني البرابرة) يستعملونها بهذا المعنى أو ما يقرب منه، لكن بلفظ « أَكْرَام » ، وعلى كل حال فهي لقبٌ تشریف عندهم، وتقوم مقام السيد بالعربية .

ويقال : إن جده هو أولٌ من عُرف بها، فما صلة كلمة « ابن آجروم » بكلمة : (كراماطيقا) .

وإذا كان هذا الوصف يُرمَى على كل التآليف النحوية، فلم اختير ابنُ آجروم ؟ ولم يكن بأول من ابتدَع الصنعة، وكان الأحرى والأجدى أن يُوصف بها صنيع سيبويه؛ فهو أولُ كتاب رصد الظاهرة النحوية ووصفها، ثم إنه كان أقرب تاريخياً إلى الأعمال اليونانية، مما يزيد هذه الالتفاتة غير الموفقة نُحولاً وفساداً .

نعم يمكن أن نقول : إنَّ المقدمة الآجرومية طُبعت في الغرب أولَ مرة

(١) مشاهير رجال المغرب ص: ٩ عدد: ٢٠ (ابن آجروم) .

سنة ١٥٩٣م في روما، وأعيد طبعها بروما أيضاً سنة ١٦٣٥م بإعداد الأب أوبتشيبي obicni المستشرق الألماني، مع ترجمة لاتينية وشرح، ثم طبعت في كامبردج سنة ١٨٣٢م .

وفي الجزائر سنة ١٨٤٦م بإعتناء برينيه : brasniay مع ترجمة فرنسية.

يظهر من هذا العرض السريع اعتناء الغربيين ببعض أعمال النحو العربي المتمثل في هذه الورقات في مبادئ النحو، وما ذلك إلا لحاجتهم إلى اقتناص المنهاج الذي أُسِّت عليه القاعدة النحوية العربية ليهتدوا بها في ظلمات صوت غُفلٍ صِفِرِ اليدين من تراثٍ يُبرهن عن هويته وحقيقة وجوده، غير موصوفة له مادة اشتقاقه، فهو إذن منقطع عن التقاليد والتطور، منهوكُ الأسس، محدودُ الاستعمال بفترة لا يصلح لغيرها، لذلك يجد المطلع على لاروس، أو جل القواميس Les dictionnaires أن الكلمات lis mots تتغيّر بتغيّر الطبقات، فكلما ماتت الحاجة إلى الكلمة، ماتت معها تلك الكلمة، ورُكبت كلمة أخرى لتحل محلها، وغير هذا من الأمثلة كثيرٌ .

أرجعُ فأقول: إن كلمة كرامير grammaire قد نُجِّت من كلمة آجرومية لتدلّ على الأعمال التي ترصدُ تقويم الألسن، والشاهد: الأعمال التاريخية، والعربُ بالباب، والكلام في هذا الباب يطول، ولا مقام له هنا^(١).

(١) فصمتُ أكحل هذه الأغلوطات والأحاجي في سلسلة من مقالات أكتبها سابقاً .

خامساً: روض المنافع :

وهو كتابٌ ألفه في قراءة نافع، ولعله حاكي فيه تأليف شيخه ابن القصاب في كتابه المسمى «تقريب المنافع» وممن عرّف بالكتاب أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الغرناطي المتتوري (٨٣٤ هـ) حيث نقل عنه في شرحه لدرر ابن بري .

سادساً: - فرائد المعاني شرح حرز الأمانى ووجه التهاني:

وهو الكتاب الذي بين أيدينا .

الباب الثاني

المؤلف

وتحتة أربعة فصول:

- ١ - منهج ابن آجروم في الكتاب .
- ٢ - موقفه القرائي .
- ٣ - موقفه اللغوي .
- ٤ - المصطلح النحوي في عمل المؤلف .

الفصل الأول

منهج ابن أجيروم في الكتاب

وتحتة مباحث:

- ١ - منهج المؤلف في الكتاب .
- ٢ - ظواهر أسلوبية في الكتاب .
- ٣ - شواهد (أصلية وفرعية) .

المبحث الأول:**منهم المؤلف في الكتاب**

أَعْرَبَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مَنْهَجِهِ الَّذِي رَسَمَهُ لِشَرْحِهِ حَرْزَ الْأَمَانِيِّ فِي مَلَطَمِ تَأْلِيفِهِ، إِذْ قَالَ :

« .. ولم أزل منذ حفظي لها [الشاطبية] مُوَلَّعاً بالنظر في معانيها، مُغْرِيّاً بتأمل مقاصدها ومناحيها، مستفتِحاً باب مبهمها، متعرِّضاً لإفصاح معجمها، إلى أن منح الله الكريم، ما كنتُ من ذلك أروم، وأعثرني على ما كنت منه أحوم، فوضعتُ هذا الكتاب، مبيناً فيه مقاصده، ومهدداً قواعده، وموضحاً مشكلات إعرابه، ومستوفياً لفصوله وأبوابه، مع ما أوردته من تعليل وتوجيه لوجوه القراءات بعبارات مهذبة، وألفاظ مقربة^(١) ... » .

حسب استقراء مادة الكتاب تبين أن المؤلف التزم بما دبج به تأليفه من منهج اعتمده، بل زاد - أحياناً - رسوماً على ما ذكر، اقتضتها مادة البسط؛ ففي البداية يرسم بيت القصيد بخط عريض، يعرض فيه الصنعة العروضية .

ثم يتحول إلى تفكيك المادة اللغوية شرحاً وبسطاً، ثم يعقبها بإعراب البيت إعراباً وافياً، يعرض من خلاله الصيغ والأوزان الصرفية، وآراء أهل

(١) انظر النص المحقق ص: 6

الصنعة في ذلك، وقد يُذيلها باستدراكات، أو اقتراحات، لا تخلو من فائدة.

كما يعتني بتراجم مطوّلة للواردين في القصيد، هذا بالنسبة لتقدمة القصيد.

أما في قاهوس أبواب النظم، فإنه يخوضُ غمار أطواده، ويغور لاقتناص دُرره، من بين خُلف أصولي وفرشي، فيبسُطُ القول في الخلف القرائي بسطاً يُنبئ عن تمكنه وإحاطته، وتبريزه وإمامته، يعرض فيه مذاهب الأئمة القُرُوم، ثم يُعلل فيرجح أو يستدرك، منتصراً في ذلك للمسنون المتبع، داحضاً حجج الرأين للرأي المخترع.

يكاد يطرد عنده طريق العرض بطرح السؤال، وفرض الاعتراض في ثنايا تعليقاته بقوله: فإن قيل، أو فإن قال قائل، أو فإن قلت، فيجيب عن المستشكل فيبدأ بقوله: فالجواب، وهذه طريقةٌ سلكها على درب شيخه محمد بن القصاب في كتابه: «تقريب المنافع» فإن مبتدأه السؤال، وإنهاءه بالجواب، ونجدها كذلك عند مكّي في الكشف وغيره .

كقوله عند شرحه لقول الشاطبي: (من باب الهمز المفرد)
سوى جملة الإيواء والواو عنه إن تَفَتَّحَ إثر الضمِّ نحو مُؤَجَّلًا
فإن قيل: لِمَ أُبدلت الهمزة في أولِّف وأوَّذن حين اجتماعنا، ولم تحذف
كما حُذفت في: أنا أكرم، والأصل: أأكرم؟ .

فالجواب: أن همزة أأكرم زائدة على الفعل، وهمزة أولف أصلية

لأنها فاءٌ من الفعل، فحكموا للزائد بالحذف، ولما هو أصل بالبقاء والإبدال^(١).

أغنى تأليفه^(٢) بإيراد أقوال الأعلام السابقين كاللداني ومكي والمهدوي والحصري وابن الباذش والفاسي والسخاوي والجوهري وسيبويه، والفراء، والزجاج، والكسائي، وغيرهم^(٣).

(١) الفرائد ورقة: ١١٦ .

(٢) خلافاً لما ذكره الدكتور عبد الهادي حميتو، وليست لأمثاله. انظر قراءة الإمام نافع

عند المغاربة: ١١٩٩ .

(٣) أسهبت القول عنهم في المصادر .

المبحث الثاني:**ظواهر أسلوبية في الكتاب**

أمّا عن العبارة، فهي منه حرّة معطارة، هذبها فأحسن تهذيبها، وشذبها فأنق تشذيبها، وأبسها رداءً الوقار، ووقاها أكمة العثار، حتى كادت تسيلُ عذوبةً ورقّة، عرض بها الآراء، وناقش بها المخالف، في أناة العلماء واعتدال الحكماء، لم تزغ به سطوة القلم ولا سلطانه، عن جادة العلم ونزاهته، فليت شعري هل إلى هذا السلوك من سبيل، حتى تعتدل أقلامنا، فلا تخط إلا مختاراً من القول .

إلا أنه في ثنايا هذه المزايا طُوِيَتْ بعضُ الظواهر الأسلوبية التي قد تخالف المعتاد، فرأيت نشرها، وتبيين موقفي منها، وهي على النحو التالي:

١ - زيادة الواو من غير مسوغ في قوله: « والضمير الذي يعود على المبتدأ، وهو ما نابت الألف واللام منابه على مذهب أهل الكوفة » .

فالواو في قوله: « وهو » حشو لا يقتضيها سياق معنّى، والكلام تام دونها .

٢ - استخدامه بعض الألفاظ في غير مناسبتها كقوله: « وذلك أنه بدأ بالبسملة، ثم ثنى بالتصلية » فقوله: « بالتصلية » غير وارد في هذا المعنى، وقد نبه الجوهري في الصحاح (صلا) على عدم إجازتها، قال: تقول: صليت صلاة، ولا تقل: تصلية .

٣ - تكريره لبعض حروف الجر في الجملة مرتين كقوله: « اعلم أن حرف الجر يدخل على مثله على وجهين » .

فقد كرر حرف « على » مرتين، وهذا منبوذ عند نقاد صنعة الكلام، إذ يتأتى حذف الأولى، وتعدية الفعل قبله بنفسه؛ ليسلم إلى إفصاح السياق .

٤ - حذفه ما يجب أن يثبت، من ذلك قوله: « والقراءة المسكوت عنها بالسكون الذي ضد للحركة » .

والسياق يقتضي إثبات كلمة « هو » بعد « الذي » لإيضاح المفاد .

٥ - عدم إضافته لما تحسن فيه الإضافة كقوله: « فيد ورجل محذوفان التنوين » .

والأجود أن يحذف النون ويضيف، وله أن يعطل حركة الفاء، أو نقول: يشبع ألف التثنية كما كان قبل الحذف؛ لأجل الإضافة، وعليه قولهم: (التقت حلقتنا البطان) .

٦ - نبا منه وهم عند شرحه لقول الشاطبي:

ومهما تصلها مع أواخر سورة

حيث قال: « فتعرض الناظم من الوجوه الأربعة للجائز، وسكت عن غير الجائز » .

والعكس هو الصواب، إذ الناظم - رحمه الله - تعرض من الوجوه الأربعة لغير الجائز، وسكت عن الجائز، فتأمل .

٧ - ومن تراكيبه التي تحتاج إلى إعادة نظر قوله على لسان سييويه: «وذلك أنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد، ثم يعاودوا له » .

كذا في النسخة بخطه رحمه الله، ولا معنى لقوله: « يعاودوا له » لأن

الفعل بهذا التركيب يتعدى بنفسه، فله أن يقول: يعاودوه، أو يقول: يعودوا له كما في الكتاب .

٨ - ومما سها عنه رحمه الله مقابلته (هبطا) بـ (وَطَيًا) ، ولا يتأتى في المقابلة، إذ هما من جنس واحد، قال: « فقابل إذا بان، وهبطا بوطيا وليست في البيت»، والأنسب أن تقابل (هبطا) بـ (علوا) .

٩ - ومن إعرابه قوله في بيت:

« وإدغام ذي التحريم طلقن قل أحق »

قال: « وارتفاع قوله: (وإدغام) بالابتداء، و(أحق) خبر الابتداء، و(قل) موسط بين المبتدأ والخبر . »

والأولى أن يكون قوله: « قل » هو الخبر، وعليه فـ « أحق » مقول القول، أو يجعل « أحق » خبراً لمبتدأ مقدر؛ أي: هو أحق، والله أعلم .

١٠ - يرى ابن آجروم أن أداة الشرط يعمل فيها ما قبلها، من ذلك قوله في إعراب قول الشَّاطِبي:

إذا لم ينون أو يكن تا مخاطب

والعامل في قوله: « إذا لم ينون » فـ « مُدْغِم » في البيت الأول، والمعروف أن إذا الشرطية لا يعمل فيها ما قبلها، وكذلك سائر أدوات الشرط، لا يجوز أن يعمل فيها ما قبلها إلا حرف الجر؛ لأنها تُثَبِتُ فيما بعدها معنى، فكان لها صدرُ الكلام، إلا أن نقول: خرجت هنا عن أصلها فهي لمطلق الحين . انظر المقتصد في شرح الإيضاح ١١٠٩/٢، واللباب ٥٦/٢، والمغني ٩٣/١، والمقتضب ٥٥/٢، وشرح المفصل ٩٦/٤، والأزهية ٢٠٢ .

١١ - إدغام الأخرج في الأدخل، من ذلك قوله:

« وأما الحاء فيدغمها - يعني أبا عمرو - في العين ... الخ » .

ويعني هذا أن حرف الحاء - وهو أخرج في الحلق من العين، إذ العين أدخل منه في الحلق - يدغم في العين، وهذا - كما هو مقعد عند علماء الأصوات - غير جائز .

وقد قرر سيبويه في الكتاب ٤/٤٤٩-٤٥١ هذا الملحظ في وصفه لإجراء الإدغام في حروف الحلق، قال: لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله، وهذا هو الذي عناه ابن عصفور في الممتع: ٦٨٥ بقوله: وحروف الحلق لا يجوز إدغام الأخرج منها في الأدخل .

فعلى هذا يحسن أن يقال: وخرّجت قراءة أبي عمرو بالإدغام هنا، على قلب الأدخل إلى الأخرج .

١٢ - تعبيره بالانسفال في وصف المخرج بدل الاستفال، الذي ورد في نصوص أمثال الداني والقيسي، من ذلك قول القيسي في الرعاية: سميت مستفلة؛ لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخرجه. الرعاية: ٩٩ بتصرف .

وأما الداني فيقول في التحديد ص: ٢٢٨، سميت مستفلة لأن اللسان لا يعلوبها إلى جهة الحنك، وهي ما عدا المستعلية .

المبحث الثالث:**شواهد التعليل والتوجيه**

أمّا عن شواهد التعليل والتوجيه فإنه يستشهد للظاهرة المرصودة،
باتخاذها ناموساً مسلوفاً، لدى نابتة العلم وجهابذته مألوفاً .
قسّمتُ الكلام عنها إلى شواهد أصلية وأخرى فرعية، ورتبتها حسب
أهميتها، فالأصلية تنتظم في:

١- الرواية والأثر :

أ - لما تحدث عن الخلف الوارد في ﴿عاداً لأولى﴾ عند قول الشاطبي :
وقل عاداً الأولى بإسكان لامة

وتنوينه بالكسر (ك)اسيه (ظ)للا

قال: وحجة قالون وأبي عمرو في نقلهما الحركة في هذا الموضع دون
سائر أمثلة ما فيه لام التعريف: الجمع بين اللغتين مع اتباع الأثر،
والاقتداء بالسلف...^(١)

ب - ولما تحدث عن النوع الرابع من الهمزتين في كلمة واحدة، وهو
أن تكون الهمزتان مفتوحتين بعدهما همزة ساكنة، وذلك لفظ «ءامنتم»
في ثلاثة مواضع في الأعراف، وطه، والشعراء .. عند قول الشاطبي :

(١) الفرائد: ٣١٥ .

وطه وفي الأعراف والشعرا بها
 أعمتم لكل ثالثاً أبدا
 وحقق ثان صحبة ولقنبل
 بإسقاطه الأولى بطه تقبلا
 وفي كلها حفص وأبدل قنبل
 في الأعراف منها الواو والملك موصلا
 وساق الحجج لكل مذهب مطرد، أما ما لم يطرد، فجعل مرده
 الرواية، وذلك حجة كافية، بل هي أول الحجج .
 قال: وحجة من قرأ بالإخبار في موضع، والاستفهام في موضع آخر:
 أنه جمع بين اللغتين مع اتباع الأثر، وأن الرواية سنة لا تؤخذ بالرأي، وإنما
 التعليل بعد السماع^(١).

٢- القرآن والقراءات :

نلمس ذلك عند كلامه عن كلمة « أرجئه » في قول الشاطبي:
 وعسى (نفر) أرجئه بالهمز ساكنا
 وفي الهاء ضم (ل) ف (د) عواه (ح) رملا
 عند تعليله للهمز وتركه استشهد بما قرئ به في آيات أخر، قال :
 وأما الهمز وتركه فهما لغتان، يقال : أرجأت الأمر وأرجيته: أخرته،

(١) الفرائد ورقة: ١٠٢ .

وقرئ قوله تعالى: ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ ﴾^(١) بالهمز وبغير الهمز . وكذلك ﴿ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾^(٢) قرئ ﴿ مُرْجُونَ ﴾، و﴿ مُرْجُونَ ﴾ . فمن قال : أرجأتُ، قال في الأمر: أرجئته بهمزة ساكنة ؛ لأنها لام الفعل، وتضم الهاء على هذا، ومن قال: أرجيت، قال في الأمر: أرجه بحذف الياء للأمر، وتكسر الهاء ؛ لأنَّ قبلها كسرة . انتهى .

٣ - رسم المصحف الإمام^(٣):

يرى المؤلف أن العلة في ترك البسمة في أول براءة سقوطها من المصحف الإمام، قال عند شرحه لقول الشاطبي :

ومهما تصلها أو بدأت براءةً لتنزيلها بالسيف لست مبسماً
من باب البسمة : والعلة في ترك البسمة في أول براءة سقوطها من المصحف^(٤) ..

٤ - اللغة :

وتنقسم إلى نحو وصرف ولهجات القبائل وشعر وأمثال العرب وأقوالها (الأساليب والنماذج النحوية) وما جاء على الأصل، والحمل على المعنى .

(١) سورة الأحزاب: آية: ٥١ .

(٢) سورة التوبة: آية: ١٠٦ .

(٣) الأمثلة كثيرة في باب الوقف على مرسوم الخط، فأجدني مضطراً لعدم التمثيل منه؛ لكونه خارجاً عما أحقق، إذ هو في السفر الثاني (يسر الله إتمامه) .

(٤) الفرائد: ورقة: ٥١ .

أ - النحو:

لا تكاد تخلو ظاهرة من الظواهر المعالجة في الكتاب من تعليقات نحوية، فهي المهيمنة على جميع الشرح، وأجتزئ بعرض نموذج للتمثيل: عند شرحه لقول الناظم:

ومالكٍ يوم الدين راويه ناصيرٌ

قال: وحنةٌ من قرأ: « مالك » بالألف: أن معناه عنده: مالكُ الحكم يوم الدين، ثم أضيف اسمُ الفاعل إلى الظرف حين حذف المفعول على حد قولهم:

ياسارقُ الليلةَ أهلَ [الدار]

بخفض الليلة ونصب أهل^(١) ...

ب - الصرف:

يمكننا أن نقول: إن أبواب الأصول عند القراء يقابلها أبواب التصريف عند النحاة، والكلام هنا كله على أبواب الأصول، لهذا أختار نموذجاً يُقاس عليه ما لم ينشر .

- في تناوله لتعليل استثناء ورش باب الإيواء عند قوله الشاطبي:

سوى جملة الإيواء والواو عنه إن

من باب الهمز المفرد: قال: فإن قيل: لِمَ اختصَّ ورش البدل في الهمزة

المفردة بالتي في موضع الفاء دون التي في موضع العين واللام؟

(١) الفرائد: ١٨٠ .

فالجوابُ: أن الهمزة الساكنة إذا كانت فاء يلزمها البدل في بعض التصارييف، وذلك في نحو : ءامن وأنا أوْمن، والأصل : أأمن وأوْمن، ولا يجوز أن تلتقي همزتان في كلمة واحدة عند العرب، فأبدلت بحسب الحركة التي قبلها، ولا يجوز أن يحققها أحد، فإذا لم تكن قبلها همزة أخرى، أبدلها ليحريَ البابُ كلُّه على طريقة واحدة، كما قالوا : يعد، والأصل: يُوعد، فحُذفت الواو؛ لوقوعها بين ياء وكسرة، ثم حملوا عليه تعد ونعد وأعد، والأصلُ فيهن : تَوعد ونَوعد وأوعد، ولم تقع الواوُ فيهن بين ياء وكسرة، فحذفوهن لتجريَ الواوُ التي هي فاءٌ في هذا الفعل الذي على فَعَلٍ مَجْرِيٍّ واحداً، وإن لم يكن فيهنَّ من العلة ما في يعد...

جـ - لهجات القبائل :

عند تناوله لتعليل مذهب تسهيل الهمزة الثانية من كلمة عند قول الناظم :

وتسهيلُ أخرى هَمَزَتَيْنِ بِكَلِمَةٍ سَمَا وَبذَاتِ الْفَتْحِ خَلْفٌ لِتَجْمَلَا
 وَقَلْ أَلْفًا عَنْ أَهْلِ مِصْرٍ تَبَدَّلَتْ لُورِشٍ وَفِي بَغْدَادٍ يُرَوَى مُسَهَّلَا
 قال: وَحِجَّةٌ مَنْ سَهَّلَ الهمزة الثانية في هذا الباب: أن الهمزة على انفرادها مستثقلَةٌ لُبْعِدِ مَخْرَجِهَا، ولذلك شُبِّهَتْ بِالتَّهْوِيعِ، فَلَمَّا لاصَقَتْهَا همزةٌ أخرى، تَأَكَّدَ الثَّقَلُ، فَسَهَّلَ الواحدة منهما لذلك، وَسَهَّلَهَا بَيْنَ بَيْنٍ، أَي: بَيْنَ الهمزة والحرفِ السَّاكِنِ الذي يَنَاسِبُ حَرَكَتِهَا؛ لِقُرْبِهَا مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى مِنْ إِبْدَالِهَا؛ لِأَنَّ فِيهِ إِبْقَاءَ بَعْضِ لَفْظِهَا .

قال أبو عمرو : وهذه القراءةُ لغةُ قريش، وسعد بن بكر، وكنانة،

وعامةً قيس، وهي الأكثرُ في كلام العرب^(١)...

د - الشعر :

جاء في باب الهمزتين من كلمة عند قول الناظم :

وحققها في فصلت صحبة ءأعُ جمي والأولى أسقطن لتسهلاً
قوله: وحجةٌ من قرأ بهمزة واحدة أحدٌ وجهين: إما أن يكون حذَفَ
همزة الاستفهام اتكالاً على قرينة الحال، كما قال :

فوالله ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان
يريد أبسبع، وكما قال الآخر:

تروح مع الحي أم تبتكر وماذا عليك بأن تنتظر
يريد : أتروح^(٢)...

هـ - الأمثال :

استشهد بها في أثناء شرحه لقول الشاطبي :

بنفسي من استهدي إلى الله وحده

قال: ومنها التحول من حال إلى حال، يقال: استنوق الجمل،

واستتيست الشاة، واستنسر البغاث^(٣) ..

(١) الفرائد: ٩٨ .

(٢) الفرائد: ٢٣٨ .

(٣) الفرائد: ٩٤ .

و - أقوال العرب: (الأساليب والنماذج النحوية)

استشهد بها للمعتدّ بالعارض في الابتداء بالمنقول إليه حركة همزة
الوصل عند قول الشاطبي .

وتبدا بهمز الوصل في النقل كلّهُ وإن كنت معتداً بعارضه فلا
قال: .. فالجوابُ: أنه اعتدّ بالحركة العارضة وجعلها في ذلك
كاللازمة، والعربُ تفعل ذلك، ألا تراهم قالوا: لَحْمَرُ جاء، فيبدءون
باللام المفتوحة وحركتها عارضة، إنما هي حركة همزة نقلت إلى
اللام^(١)...

ز - ما جاء على الأصل:

نجده علل بما جاء على الأصل في الخلف الجاري في كلمة (السرائط)
عند قول الشاطبي :

وعند سراط والسرائط لقبلا

وحجة من قرأ السراط بالسين: أنه الأصل، وما جاء على الأصل، فلا
سؤال فيه، والدليل على ذلك أنهم يقولون: سرطتُ الشيء أسرطه^(٢)،
إذا ابتلعتَه، والسرائط مأخوذٌ من ذلك؛ لأنه يتلغ سالكه، ولهذا يقال له :
لقيم^(٣) ..

(١) الفرائد: ٣١٦ .

(٢) بابه: فهم .

(٣) الفرائد: ١٣٧ .

ح - الحمل على المعنى:

نلمس ذلك عند تعليقه لقصر « مالك » من باب البسمة :
 قال: وحجةٌ مَنْ قرأ بغير ألف - يعني ملك - أن فَعَلًا أعمُّ من فاعل؛
 لأنه أحدُ أوزان المبالغة؛ لأنك تقول: مالك لمن ملكَ أدنى شيء، ولا
 تقول: ملك إلا لمن ملك أشياء كثيرة، ولأنَّ كل مَلِكٍ مالك، وليس كل
 مالك ملك^(١)...

والشواهد الفرعية تنتظم فيما يلي:

أ - الحديث^(٢):

احتج به للمبسمين بين السورتين وهم: قالون، والكسائي، وعاصم،
 وابن كثير: وذلك في قول الشاطبي :
 وبسمل بين السورتين (ب) سنة (ر) جال (ن) موها (د) رية وتحملا
 قال: وحجةٌ مَنْ أتى بالبسمة بين السورتين: السنة الواردة في ذلك
 عن النبي ﷺ؛ روى أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: أنزلت عليّ
 آنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثِرَ﴾، حتى
 ختمها^(٣).

(١) الفرائد: ١٣ .

(٢) الكلام على قصة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف أكثفي فيه بالإحالة على
 كتاب القياس للإمام العلامة الخضر حسين، فإنه سفر أغنى وأقنى، وانظر كذلك
 السير الحديث للاستشهاد بالحديث (للفعال) .

(٣) الفرائد: ٤٧ .

ب - أقوال الفقهاء ومذاهبهم :

احتج بها عند حديثه عن البسمة التي في أول أم القرآن من حيث كونها آية أم لا. قال: أما التي في أم القرآن، فمذهبُ مالك وأصحابه أنها ليست بآية، ومذهبُ الشافعي وأصحابه أنها آية^(١).

وقال في موضع آخر قال: ورؤي عن سعيد بن جبير أنه قال: كانوا في عهد النبي ﷺ لا يعرفون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم. يريد عند الشروع في أخرى^(٢)...

استنتاج :

نجد أن الاختلاف واردٌ بين منهجه في تناول أبيات المقدمة، ومنهجه في أبيات الأصول، لا أتكلم عن كيفية تناوله للمادة اللغوية أو العروضية، وإنما عن كيفية الاحتجاج وأدواته، وإعراب الأبيات .

- غلب عليه في الأول الاعتناء بالاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة، ومذاهب الفقهاء وأقوالهم، والاستئناس ببعض ما جاء في كتب التراجم والتفاسير، وكتب الأدب، يعقبُ هذا بإعراب وافٍ للبيت، لا يغادر فيه بيضاء ولا سوداء إلا أحصاها، كوجهته في قول الناظم : فأما أبو بكر ...^(٣)

- أما في أبواب الأصول:

(١) الفرائد: ٤٧ .

(٢) الفرائد ٤٧ .

(٣) الفرائد: ٢١ .

فمن الوجهة الإعرابية فإنه لم تطرّد عنده فيه سنة مؤكدة، ففي بعضها ما أعرب البيتَ ولا شامّةً، كما فعل عند قول الناظم^(١):

وفي خمسة وهي الأوائل ثاؤها وفي الصاد ثم السين ذالٌ تدخلها
وفي بعضها يعربُ إعراباً خفيفاً كفعله عند قول الناظم:

إذا ألف أو ياءها بعد كسرة أو الواو عن ضم لقي الهمزة طولا
وفي بعضها الآخر: يتعلل لعدم الإعراب بظهوره، كما فعل عند قول الشاطبي :

وعن حمزة في الوقف خلف وعنده

روى خلفٌ في الوصل سكتاً مُقللاً

الآبيات الثلاثة، قال : وإعراب الآبيات الثلاثة ظاهر^(٢).

ولا تكاد تطرّد عنده طرقُ الاحتجاج ولا التعبير عن كيفية تقديمه، فتارةً يقدّم قانوناً بين يدي الاحتجاج .
وتارةً يقول: « وحجةٌ مضيفاً إياها، وعلى هذا النمط سائرُ ظواهر الاحتجاج .

وتارةً يسميه توجيهاً كقوله : وإذا فرغنا من توجيه القراءات^(٣).

(١) الفرائد: ١٢٥ .

(٢) الفرائد: ١٢٥ .

(٣) الفرائد: ٨١ .

الفصل الثاني

موقفه القرائي

وتحتة مباحث:

- ١ - الانتصار للرواية .
- ٢ - استدراكه على بعض النحاة .
- ٣ - توفيقه بين مذاهب القراء والنحاة .
- ٤ - تنبيهه على بعض التناقضات .

المبحث الأول:**انتصاره للرواية وردةً علي من غلطها**

انتصر المصنف لقراءة ابن ذكوان ﴿أرجئه﴾ بالهمز وكسر الهاء بعد ما غلطها أبو علي الفارسي وابن مجاهد.

قال أبو علي : ... رواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلطٌ .

وقال ابن مجاهد بعد ما روى الكسرَ والهمز: هذا لا يجوز؛ لأن الهاء لا تُكسرُ إلا إذا وقع قبلها كسرةٌ أو ياء ساكنة ! .

قال : قلتُ: وجهُ قراءة ابن ذكوان أن نقول: كسرَ الهاء؛ لأنها بعد جيمٍ مكسورة، ولم يفصلُ بينهما إلا ساكنٌ، وهو غيرُ حصين، ألا تراهم قالوا: قنينة، والأصل: قنوة؛ لأنه من قنوت الشيء واقتنيتَه، فقلبوا الواو ياءً؛ للكسرة، وبينهما السَّاكن فلم يعتدوا به ...، قال: ونظائرُه كثيرة^(١).

(١) الفرائد: ٢٠٣ .

المبحث الثاني:**استدراكه على بعض النجاة**

وذلك في تعليلهم لبدل (ء الله)، قال عند شرحه لقول الشاطبي :
 وإن همز وصل بين لامٍ مسكّنٍ وهمزة الاستفهام فأمده مبدلاً
 فللكلّ ذا أولى ويقصره الذي يُسهلُ عن كل كالآن مثلاً
 قلتُ: زعم بعض النحويين أنّ قولهم: ء الله بالبدل أن همزة الوصل
 حُذفت منه، وأن هذه الألف الموجودة غير مبدلة من همزة الوصل، بل
 حُذفت همزة كما حذفت في قولك : (استكبرت) على القياس .
 ثم لما وقع التباسُ الاستفهام بالخبر، أدخلوا هذه الألف للفرق كما
 يدخلونها ليفصلوا بها بين الأمثال في نحو : اضربنان زيداً، أدخلوا
 لتفصلوا بها بين معنيين .

قال أبو الحسين ابن أبي الربيع: ويُطل هذا القول ما روي من
 تسهيلها بين بين .

قلت: يظهر أن اختلافهم في هذه المسألة مبنيٌّ على اختلافهم في همزة
 الوصل، هل اجْتُلبت متحركة، أم اجْتُلبت ساكنة، أم اجْتُلبت ألفاً؟
 وحين ابتدؤوا بها حرّكوها فانقلبت همزةً .

فمن قال: إنها اجْتُلبت متحركة، قال تُسهّل بين بين؛ لأنها لما تعذّر
 أن تحذف أثبتوها بما استحقتّه من الحركة، إذ لا توجد في الابتداء إلا
 متحركة تركوها في الوصل بحرّكتها .

ومن قال: إنما اجْتُلبت ساكنة، قال: تُبدل ألفاً؛ لأنها ساكنة بعد

فتحة نحو: رأس، وذلك أنها إنما تُحرك في الابتداء وليست هنا بالمبتدأة، وثبتت للفرق فأثبتوها كما جاؤوا بها .
ومن قال: اجْتُلبت ألفاً وحُرُكت حين الابتداء، يقول: ثبتت هنا ألف الوصل ساكنة غير متحركة؛ إذ لا ضرورة تدعو إلى تحريكها، فبقيت على حالها ألفاً .

المبحث الثالث:**توفيقيه بين مذاهب القراء ومذاهب النحاة**

قال في باب المد والقصر عند قول الشاطبي :

إذا ألف أو ياءها بعد كسرة أو الواو عن ضم لقي الهمز طولاً واختلفَ القراء والنحويون في علة زيادة التمكين لحروف العلة إذا كان بعدها همزة، فأما ابنُ مجاهد وابنُ كيسان فقالا: إنما وجب المدُّ لبيان الحرف الممدود؛ لأنه آتٍ بعد حركته فهو خفيٌّ، وقبل الهمزة وهي خفية لبعده مخرجها وصعوبة النطق بها، فلما لاصقت حرفاً خفياً، خيفَ أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاءً، فُبَيِّنَ بالمد ليظهر .

وقال القتيبي وأبو إسحاق الزجاج وجماعة: إنما وجب التمكين لبيان الهمزة، لا لبيان الحرف الممدود؛ لأنها لُبَّعد مخرجها يقوى الناطقُ عليها بزيادة المد قبلها، فكأن فيه ضرباً من الاستعداد لإخراجها .
قال أبو عمرو: والتعليلان على اختلافهما صحيحان .

قلت: وتظهر ثمرة الخلاف في نحو: ءامن؛ فمن يُعلل بالعلة الأولى، يمدُّ هذا لملاصقة الهمزة لحرف المد، ومن يُعلل بالثانية، لا يمدُّ؛ لأنَّ الهمزة قد نُطِقَ بها قبل الحرف الممدود، فلا يجري مده شيئاً فيها^(١) .

(١) الفرائد: ٢٠٣ .

المبحث الرابع:تنبيهة على بعض آراء القراء

(١) في أثناء شرحه لقول الشاطبي :
 خذ العفو وأمرُ ثم من بعد ظلمه وفي المهد ثم الخلد والعلم فاشملا
 قلتُ: يجب أن يكون الإخفاء الذي يحكيه القراء في باب الادغام غير
 الروم؛ لأنهم لا يرومون الفتحة، وقد ذكروا أن نحو: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ﴾
 ﴿وَبَعْدَ تَوَكُّدِهَا﴾ خَفِيَّانَ، وإن لم يكن كذلك، فهم متناقضون، والله
 أعلم^(١).

(٢) رده لرأي القائل بأن اشتقاق « ذئب » من ذاب يذوب، قال
 بعد أن احتج للاستثناء الوارد في « ذئب » : وليس ما يقوله القراء أنه
 مشتقٌ من ذاب يذوب بصحيح؛ لظهور الهمزة فيه في: ذئاب وأذؤب،
 وذؤبان^(٢).

(١) الفرائد: ٧٧ .

(٢) الفرائد: ٢٩٩ .

الفصل الثالث

موقفه اللغوي

وتحتة مباحث:

- ١ - رصد بعض المناحي العملية .
- ٢ - رده على آراء الكوفيين .
- ٣ - اعتماده على آراء البصريين .
- ٤ - السماع والقياس وموقفه منهما .

سأعرض في هذا الفصل لموقف الإمام ابن آجروم من اللغويات .

رصد مناهج عملية في الكتاب

أودُّ بادئُ بُدْءِ أن أنبه على ما وقع للإمام السيوطي (رحمه الله) في ترجمته لابن آجروم في « بغية الوعاة » إذ خلع عليه رداء مذهب الكوفة بأدنى ملابسة، من ذلك قوله :

استفدنا من مقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنه عبّر بالخفض وهو عبارتُهُمْ، وقال: والأمرُ مجزومٌ وهو ظاهرٌ في أنه معرَبٌ، وهو رأيُهُم، وذكرَ في الجوازِم كيفما، والجزمُ بها رأيُهُم، وأنكره البصريون ففتظُن .

قلتُ: إنَّ توظيف المصطلح واستعماله في بسط مادة اللغة، لا يعني التمدُّب ولا التحيز إلى فئة، لأن المصطلح لا يكونُ حِكراً على نخلة من النَّحْلِ، لأنه موروثٌ فكري حضاري يمثل موازين التأسيس والتقعيد لحقبة نشوئه، ونحن إذ نتبناه إنما نفعل لنبلوهُ ونعيِّرَ به استمرارَ ودوامَ صرح تلكمُ اللغة التي انمازَ بها من تعلق بأدق أسبابها .

لهذا فالعلامةُ ابنُ آجروم استعمل المصطلح الكوفي وغلب عليه، واستعمل في المقابل المصطلح البصري في غير المقدمة، من « الفرائد » و«البارع» ، ولديَّ منهُما المادة الصالحة للعرض^(١).

- أقول: وتفرّد الرأي الكوفي عنده بالذكر في غير ما محل، فمن الأمثلة

(١) سأتلو به هذا المبحث .

على ذلك: عند شرحه لقول الشاطبي :

وبالسوء إلا أبدلاً ثم أدغماً وفيه خلافٌ عنهما ليس مُقفلاً
بعد أن علّلَ مذهب الإبدال والإدغام في الهمزة الأولى من ﴿بالسوء
إلا﴾، ونقل الحركة والحذف، وهو وجهٌ لم يقرأ به إلا أبو جعفر، ذكرَ
مذهب التسهيل بين بين، وقال: ومَن سهَّلَهَا بين بين أجرى الواو مُجرى
الألف، وهذا مذهب الكوفيين يُجرون الواو والياء الواقعتين قبل الهمزة
مُجرى الألف فيسهلون الهمزة بعدهما بين بين، كما يسهلونها بعد
الألف؛ لاشتراك الألف معهما في أنهما ساكتان مثلها، وفي المد وأن
حركة ما قبلهن من جنسهن^(١) ..

- واستشهد بسماع الكوفيين من العرب بعد أن علقه بالصحة عند

قول الشاطبي :

وقل ألقاً عن أهل مصر تبدلت لورشٍ وفي بغداد يُروى مسهلاً
قال أبو عمرو: وحكى الكوفيون سماعاً عن العرب: التقت حلقنا
البطان، وله ثلثا المال، بإثبات الألف وبيانها في حال الوصل .
قلت: إذا صحت حكاية الكوفيين فقراءة ورشٍ أقرب؛ لأن الساكن
فيما حكوا من كلمتين .

قال أبو عمرو: ولم يقولوا ذلك ولم يُجيزوه إلا عن سماعٍ من

العرب....^(٢)

(١) الفرائد: ١٠٩ .

(٢) الفرائد: ٩٨ .

- وقال عند شرحه قول الناظم :
وقد أظهروا في الكاف يجرنك كُفْرُهُ
إذ النونُ تخفَى قبلها لتجَمَلًا
حيث تكلم عن علة عدم إدغام نحو : ﴿ أنا نذير مبين ﴾ .
ثم قال : ... وإذا قلنا: الهمزة والنون والألف ثلاثتها هي الضمير
على مذهب أهل الكوفة، فوجه الإظهار بين ...^(١)
- وقربَ بين مذهب الكوفة ومذهب البصرة من غير ما ترجيح بينهما،
واستدرك عليهما، ومن الأمثلة على ذلك :
قوله: وما تتعلق به الباء في قولك : بسم الله الرحمن الرحيم، لا يجوز
أن يقدرَ هنا بين الباءين إذ ليس المعنى عليه، ألا ترى أنك لو قدرته فعلاً
على مذهب الكوفيين لكان التقديرُ: بدأتُ ببدأتُ باسم الله، وإنما بدأ
باسم الله .
وكذلك لو قدرته على مذهب البصريين لكان التقديرُ: بدأتُ
بابتدائي باسم الله .
إنما المعنى: بدأتُ بهذا اللفظ الذي هو بسم الله، وقد زال ذلك
العاملُ وصارت الباءُ داخلة على بسم الله كدخولها على معمول مفرد
...^(٢)
- ووفقَ بين المذهبين وصحَّح طريقتهم في التعليل، وأضاف لهما

(١) الفرائد: ٦٢ .

(٢) الفرائد: ٦ .

مذهباً ثالثاً، وذلك في وزن كلمة «أول» حيث قال بعد أن أسهب في شرح كل مذهب^(١): فهذه المذاهب الثلاثة لكل واحد منها ما يشهد له بالصحة من كلام العرب .

فيشهد للمذهب الأول تركُّ عدم التغيير؛ لأن في المذهبين تغيير الفاء والعين، وفي المذهب الأول قلبُ الفاء في «أولى» أبداً، وقلبُ العين في قراءة ﴿عَاداً أُولَى﴾ .

ويشهد لصحة المذهب الثاني: قولهم أوائل وقراءة: ﴿عَاداً لُؤْلَى﴾ وفيه تغيرُ العين في «أول» لزوماً وتغيير الفاء في «أولى» أيضاً كذلك .
ويشهد لصحة المذهب الثالث: أولى، وفيه تغييرُ الفاء في «أول» والعين في ﴿عَاداً لُؤْلَى﴾ على قراءة من همز...^(٢)

(١) الفرائد: ٣١٤-٣١٩ .

(٢) الفرائد: ٣١٩ .

المبحث الثاني:

ردّه على آراء الكوفيين

- رده لرأي الكسائي القائل بأن (آل) أصله أول، تحركت الواو بعد فتحه فانقلبت ألفاً .

قال: وسيبويه لم يحك في تصغيره إلا الهاء، فلا بد أن يقال: إن آل أصله: أهل ولو كان الألف منقلباً عن واو لما رُدَّ في التصغير إلى الهاء، وما قاله الكسائي لا دليل فيه^(١).

(١) الفرائد: ١٥٩ .

(٢) الفرائد: ٢٩٩ .

المبحث الثالث:**اعتماده على آراء البصريين واستشهاده بها**

أ - اعتماده على أن « فَعَلَ » لم يُثبت سيويه في الصفات إلا في قولهم : قومٌ عِدَى، وذلك عند احتجاجه لنقل (رِدْءاً) عند قالون، في أثناء مناقشته لرأي أبي جعفر في ذلك، قال: وأما من طريق اللفظ، فلا يخلو من أن يكون اللفظ مقصوراً ك(مَعَى) أو منقوصاً ك(دم)، فلا يصحُّ أن يكون مقصوراً؛ إذ لم يثبت من كلام العرب: الرِّدَى كالمَعَى، ولا ورد قافيةً، ولا سُمِعَت إمالته، وأيضاً « فَعَلَ » لم يثبت سيويه في الصفات إلا في قولهم: قومٌ عِدَى، وزاد أبو علي: مكاناً سَوَى^(١).

- وكذلك فعل في أثناء احتجاجه لضم ميم الجميع مع كل متحرك، وأنها على الأصل في ذلك، قال: وذلك أنك إذا أردت اثنين زدت بعد الميم ألفاً، وإن أردت الجمع زدت واواً، قال سيويه: ولم يفرقوا بالحركة، وبالغوا في هذا. يريد: أنهم لو فرقوا بين المثني والمجموع بحركة الميم فيقولون مثلاً: أنتم وأنتم بفتح الميم في الثنية وضمها في المذكر، لكان فرقاً، لكنهم بالغوا في الفرق ففرقوا بالحركة، ثم أضاف إلى هذا التعليل تعليلَ أبي علي^(٢) ..

- وعضدَ تعليله لنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها بكلام سيويه

(١) الفرائد: ٣٢٤ .

(٢) الفرائد: ٥٥ .

قال: وهذا الذي قلناه يظهر من كلام سيبويه .

قال : واعلم أن كلَّ همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن، فأردتَ أن تخفف حذفها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، وذلك قولك: مَنْ بُوِك، وَمَنْ مٌك، وَكَمْ بِلِك، إذا أردت أن تخفف الهمزة في الأب والأم والإبل^(١).

- واعتمده في بيان وزن « جيد » أهو من فِعْل أو فُعْل، عند شرحه لقول امرئ القيس :

فأدبرت كالجزعِ المفصلِ بينه بجيدٍ مُعمٍ في العشيرةِ مخولٍ

قال : وجيدٌ يجوز أن يكون وزنه فُعْلاً وفِعْلاً ، فإن كان فُعْلاً فالضمة انقلبت كسرة لتصح الياء، وإن كان فِعْلاً فالكسرة أصلية . هذا على قول سيبويه، وهو عند الأخفش بالكسر لا غير^(٢).

قلتُ: فلم يخرج عن المدرسة في الاستشهاد .

- واعتمده في شرح كلمة (لَبَّيْكَ) وبيان حالها قال: ولَبَّيْكَ عند سيبويه مصدرٌ مثني لا يظهرُ معه فعلُهُ أبداً نحو : سبحان الله^(٣).

- وعضد به رأيه في الاحتجاج للبدل في « أَنْذَرْتَهُمْ » على أنه جاء على غير قياس، مع كونه صحيحَ النقل، وارداً عن العرب .

قال: قال سيبويه: وليس ذا بقياس مستتب، يريد البدل في نحو:

(١) الفرائد: ١٢٢ .

(٢) الفرائد: ١٣٣ .

(٣) الفرائد: ٣٣ .

أأنذرتهم .

قال : وإنما يُحفظ عن العرب كما يُحفظ الشيء الذي تُبدل التاء من واؤه نحو: أتَلجّت، فلا يُجعل قياساً في كل شيء من هذا الباب، وإنما هي بدلٌ من واو أو لجت ...^(١)

قلتُ: لم يكن هذا الحيز حيزاً إحصاءً إفادات المؤلف من معين البصرة أولهم وآخرهم، فقد تواترت نقولُه عن الخليل وسيبويه والأخفش وأبي علي وابن جني وغيرهم .

ولكني قبضتُ قبضة من أثر مسجّل رياتهم الإمام سيبويه نائباً عن الإسهاب .

وفي كل هذا لم أسجل في مقابل ردوده على آراء الكوفيين رداً لرأي البصريين، بل اعتمده وعضد، وزكى به مذهبه، مما يدلُّ على محاولة تمييز مذهبه النحوي، وتأطيره وإلحاقه بمذاهب البصرة، معتمداً في ذلك على ما سلف، ثم على ذهاب الرجل في التعليل والوصف مذهب السماع والقياس ؛ إذ هما أساسان للمدرسة البصرية .

(١) الفرائد: ٩٨ .

المبحث الرابع:

السمع والقياس وموقف المؤلف منهما

انتهاجاً لمهيع كلام النحاة عن أسس التقعيد في المدرسة البصرية، يتحتم الكلام عن أساسين من الأسس التي كانت دعامةً للتسطير والتنظيم للقاعدة النحوية نحواً وصرفاً ولغةً لدى هذه المدرسة هما: السماع والقياس بعد الوحيين .

إن من خصائص الأصول البصرية في جمهرة اللغة واستنباط القاعدة النحوية طرق تحملها: من شدة الاتكال على الموازنة، والاستقراء، والتحري، والتحفّظ في النقل، والرواية عمّن جُبلوا على الفصاحة وخصوا بها ولم يُصهروا في قوالب الحضارة، زيادةً على الثبوت من صحة النقل عن هؤلاء الفصحاء الموثوق بعريبتهم (ولو كانوا أطفالاً ومجانين أو فتاكاً وصعاليك، لأن الجرح والتعديل لا ينطبق على الفصيح الذي قال، وإنما على الراوي والرواية، كما كانت الحال بالنسبة للقراءات القرآنية والأحاديث)^(١).

(١) الأصول. حسان: ١٠٧ .

وإذا كانت طبيعة البحث عند النحاة الأوائل تستدعي جمهرة وحشد ما يمكن أن يُحشد من لهجات قبائل مترامية المعقل، مقسمة الأطراف، إذ لا يمكن التأسيس على سماع جهةٍ من الجهات وحدها، فإن الأمر أفضى إلى وضع ضوابط توهُلُ المسموع إلى أن يمثلَ قاعدة من القواعد، من ذلك الشيوعُ والاطراد، ونبذُ النادر والعزيز، وما عملُ سيويه في الكتاب على الباحث ببعيد، فهو أتمُّ بمنهج المدرسة من زجاجة، فبأدنى إدراك يرى الباحث تعامل سيويه مع سماعاته من الأعراب مباشرةً أو بوساطته شيوخه، وكيفية اختياره لما تظافرت فيه مدارجُ الفصاحة وصحة الثبوت.

و ... عندما^(١) رأى النحاة كل هذا أو مثله كثيراً أجزوا استقراءهم على أشكالٍ لغوية مختلفة باختلاف لهجات قيسٍ وتميمٍ وأسدٍ وطبيئٍ وهذيلٍ وكنانة، واستخرجوا معظمَ قواعدهم النحوية من هذه الأمشاج.

- نرجع إلى القياس ودوره في التغني به عن الاستقراء الكامل لمفردات اللغة وأنماط لهجاتها .

إذا عرفنا أن القياس هو حملٌ مجهول على معلوم، علمنا بعد ذلك

(١) أصول مدرسة البصرة: ٢٥٧ .

إمكانَ تميم وتنمية المشروع النحوي وتوسيعه حتى يشمل أكبر عدد من أشكالٍ تركيبية ليست مما قالته العرب، ودائرةُ الحاجة والافتقار إلى استعمال أنماط كثيرة، مما تستدعيه سنة هذا الكائن الحي، أوسع من القصور عند ما قيل أو ما لم يُقَل .

قال ابن جني^(١) في معرض حديثه عن القياس:

« ... ألا ترى أنهم يقولون في وصايا الجمع: إن ما كان من الكلام على فَعَل فتكسیره على أفْعَل، ككَلْب وأَكْلَب ...، وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثي فتكسیره في القلة على أفعال نحو: جَبَل وأَجبال، وعُنُق وأَعناق ... قال: فليت شعري هل قالوا هذا لِيُعرَف وحده، أو لِيُعرف هو ويُقاسَ عليه غيره .

قلتُ: فبالقياس يُصاغُ المضارعُ والمصادرُ وأسماءُ الفاعلين وغيرُ ذلك بالحمل على النظر .

قال ابن جني^(٢): وكذلك قولهم: إن كان الماضي على فَعَل فالمضارع منه على يَفْعَل، فلو أنك على هذا سمعتَ ماضياً على فَعَل، لقلتَ في مضارعه: يَفْعَل، وإن لم تسمع ذلك، كأن يسمعَ سامعٌ ضؤل، ولا يسمع

(١) الخصائص ٣/٤٠-٤١ .

(٢) المرجع السابق .

مضارعه، فإنه يقول فيه: يَضُولُ وإن لم يسمع ذلك، ولا يحتاج أن يتوقف إلى أن يسمعه... الخ

والذي أوثره بالحديث هنا هو أثرُ البصريين في صنعة ابن آجروم والأخذِ بمهايع كلامهم في استعمال السماع والقياس وريادة السماع عند التقابل، عملاً برأي ابن جني وشيخه أبي علي .

ففي المنصف^(١) قوله : ... إلا أن الاستعمال إذا وردَ بشيء، أخذَ به وتركَ القياس؛ لأنَّ السماعَ يُطلُّ القياس .

قال أبو علي: لأن الغرض فيما ندوُّنه من هذه الدوواين، ونُتِبتهُ من هذه القوانين، إنما هو ليلحقَ مَنْ ليس من أهل اللغة بأهلها، ويستوي من ليس بفصيح ومَنْ هو فصيح، فإذا ورد السماعُ بشيء، لم يبقَ غرضٌ مطلوبٌ، وعُدِلَ عن القياس إلى السماع .

قلتُ: سرى ابن آجروم على هذا المسرى في تعليقه لـ ﴿مَالِيَه هَلْكَ﴾ وما جرى فيها من خلافٍ حول إدغامها وإظهارها، حيث يرى أن إدغامها قياسٌ عضده بمقتضى أصول كلام العرب الذي أنزل القرآن بها، وفزعَ إلى تشنيع القول بالإظهار، وعلَّله بكونه لم يثبت عن العرب مثله .

(١) المنصف ١/٢٧٩ .

قال: الذي يقتضيه القياسُ في ﴿ مَا لِيَه هَلْكَ ﴾ الإدغامُ لكل مَنْ أثبت الهاء في الوصل، وهو الذي تقتضيه أصولُ كلام العرب الذي أنزل القرآن بها .

وأما الإظهارُ فشيءٌ لم يثبت من كلام العرب، وكلامُ المقرئين يقتضي أن الإظهارَ عندهم غيرُ مأثور عن النبي ﷺ ، وإنما هو نظرٌ منهم، فلا يُرجعُ إليه؛ لمخالفته كلامَ العرب وأسلوبَ فصاحتها، والله أعلم .

آثرتُ هذا المثال، والمتبعُ لعمل المؤلف يرى أنه على هذه النحلة من

الرأي والقول .

الفصل الرابع

المصطلح النحوي في عمل المؤلف

وينقسم إلى:

- ١ - مصطلحات بصرية .
- ٢ - مصطلحات كرفية .
- ٣ - مصطلحات ترفيقة .

من البدهي المسلّم أن لكل حقلٍ معرفيٍّ مصطلحات تُعتمَدُ للتواصل في النقل والمناظرة، وكان نصابُ الحقل اللغوي من أوفى الأنصبة متمثلاً في نتاج مدرسة البصرة ثم مدرسة الكوفة على التوالي، معتمدتين في ذلك زعامة المؤسس الأول الخليل بن أحمد، وسننه ومنهاجه يخص ذلك بشكل عام: اللغة في ضبط مادتها، والنحو في أشكال دلالاته وتراكيبه، والصرف في تقاليب أوزانه وتعليقاته، ووصف ورصد أصواته .

استمدت مدرسة البصرة كمال وإحاطة حدودها وتعريفاتها التي تَوَلَّفُ مقاصدها اللغوية من معادن الخليل، وكذلك فعلت مدرسة الكوفة، أفادت ثم أبدعت، فجاءت المصطلحات على ثلاثة أنماط :

١- مصطلحات بصرية خاصة .

٢- مصطلحات كوفية خاصة .

٣- مصطلحات بصرية كوفية مقسمة التعبير، موحدة المقصد^(١).

والمؤلف (رحمه الله) كان من رواد الأنماط الثلاثة، وهذه نماذج من استعمالاته .

١ - عبر بالعطف^(٢) وهو مصطلحٌ بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (النسق) .

(١) لست الآن بصدد ذكر التفصيلات ولتنظر في الإنصاف وائتلاف النصره ومدرسة الكوفة .

(٢) الفرائد ٣٨ .

- ٢ - عبر بالتمييز^(١) وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (التفسير) .
- ٣ - عبر بالحال^(٢) وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (القطع) .
- ٤ - عبر بالضمير^(٣) وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (الكناية) .
- ٥ - عبر بالصفة^(٤) وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (النعته) .
- ٦ - عبر بالنعته^(٥) وهو مصطلحٌ كوفيٌّ، يقابله عند البصريين (الصفة) .
- ٧ - عبر بالكناية^(٦) وهو مصطلحٌ كوفيٌّ، يقابله عند البصريين (الضمير) .
- ٨ - عبر بالنصب^(٧) وهو مصطلحٌ مشتركٌ، وهو عند الكوفيين للمعرّب والمبني، أما عند البصريين فهو للمعرّب فقط .
- ٩ - عبر بالخفض^(٨) وهو مصطلحٌ كوفيٌّ، يقابله عند البصريين (الجر) .

(١) الفرائد: ١٤١ .

(٢) الفرائد: ١٤ .

(٣) الفرائد: ٦٢ .

(٤) الفرائد: ٢ .

(٥) الفرائد: ٢ .

(٦) الفرائد: ٧٨ .

(٧) الفرائد: ٨٠ .

(٨) الفرائد: ٨٠ .

- ١٠ - عبر بالجزم^(١) وهو مصطلح مشترك، فهو عند الكوفيين للمعرب والمبني، وعند البصريين للمعرب فقط .
- هذا العرض الموجز لاستعماله للمصطلحين، قد يُضيفُ لُحْمَةً في طريقي إلى بصرية المؤلف، وعلى الله قصد السبيل .

(١) الفرائد: ١١٩ .

الباب الثالث

وتحته فصلان:

- ١ - الشاطبية: شروحها، وطرقها .
- ٢ - موقف المصنف من القصيد .

الفصل الأول

الشاطبية

طرقها، وشروحها

طرق الشاطبية وشروحها

لما كان مدارُ هذا التأليف على فكِّ غوامض الشَّاطبية، وَجَبَ أَنْ أُلْحَقَ بشيء من مقاصدها:

لقد رام النَّاطِمُ رحمه الله اختصار كتاب « التيسير » لأبي عمر الداني (ت ٤٤٤ هـ) الذي كان منارَ الاهتداء، لمراكب القراء في عدوة الأندلس، فنظّم فيه ما اختصره، ونشرَ في ألفافه ما اعتبره، فجاء على ما قال:

وفي يُسرِها التيسيرُ رُمْتُ اختصارَها

فَأَجْنَتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلًا

وقال:

وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ فَلَفَّتْ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تَفْضَلَا

قلتُ: نشرَ فيها الخلف القرائي أصولاً وفرشاً بين الأئمة السبعة ورواتهم، على ما سنرى في الشرح، ولكن الذي يهمني هو التنبية على طرق هؤلاء الرواة الذين لم يُعْرَجْ عليهم النَّاطِمُ اتكالاً على ما في أصله الذي هو « التيسير »، وكان لا بد من الإشارة إليهم، إذ يتحتم على كل آخذٍ روايةً من الروايات جمعاً أو إفراداً أن يعرفَ المتن أو الكتاب الذي قرأ بمضمّنه، وأن يعرفَ طُرُقَه ليسلمَ من التركيب والخلط، وروماً للاختصار فإنني أسوقها منظومةً فريده، نظّمها الأفراني في مقصورته قال:

دونكها عيسى له أبو نشيطُ
 لأحمدَ البزِّي أبو ربيعة
 روى أبو الزعراء عن دُورِيَّهم
 فعن هشامٍ قد روى حُلوانهم
 يحيى بن آدم طريقُ شُعبة
 عن خلفٍ إدريسُ قُلُ خلائهم
 محمدٌ عن ليثهم وجعفرِ
 أرزقُ لورشِهم قد انتَمَى
 لقنبلِ ابنِ مجاهدٍ قَفَى
 عن صالحِ ابنِ جريرٍ يُجْتَلَى
 وأخفش لنجلِ ذكوانِ رَوَى
 حفصُهم عُبيدُ صَبَّاحِ لَقَى
 عنه ابنِ شاذانِ إمامُ العُلَمَا
 أعني النَّصِيبِي لدورٍ قد مَضَى^(١)

(١) وللتوسع ينظر التيسير - والغيث: ١٦ .

شروح الشاطبية:

تواضع الأئمة القراء على اصطلاح ذي ثلاث شعب (القراءة - الرواية - الطريق) أنيط على الترتيب بأحيازها لتتماز به سبل الأسانيد في مهيع رسوم المروي المتصل .

فجعلوا القراءة للإمام (البدر) .

والرواية للقارئ (الشهاب) .

والطريق للآخذ عن القاري .

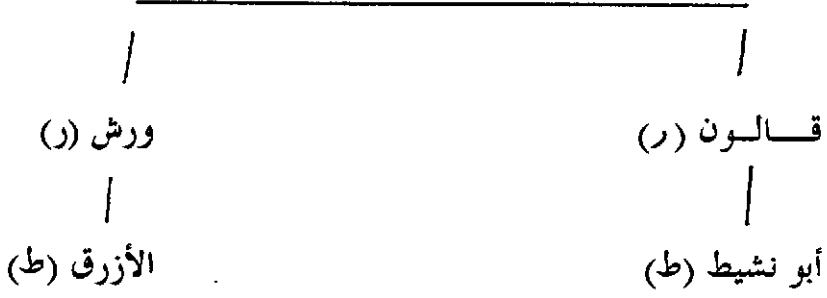
فنقول مثلاً: قراءة نافع، ورواية ورش، وطريق الأزرق .

أو نقول تصعداً: الأزرق عن ورش عن نافع، وهذا تمثيل بالجزء على الكل.

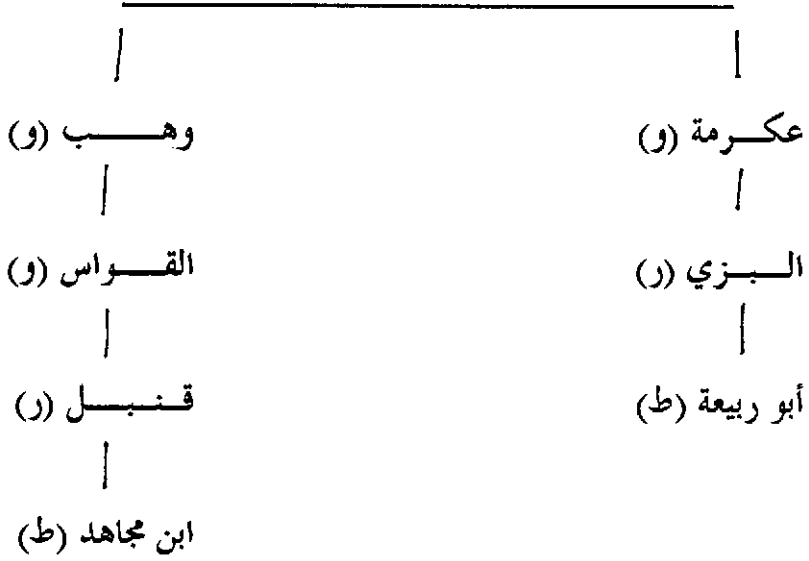
وهذا رسم بياني يُجلي وضع أصحاب القراءة وأصحاب الرواية وأصحاب الطريق، وقد اخترت حرف (ق) ليدل على صاحب القراءة، وحرف (راء) ليدل على صاحب الرواية، وحرف (طاء) ليدل على صاحب الطريق، وعلى العلم بأن هذه الأسانيد فيها المباشر وغير المباشر، فما كان منها مباشراً، تركته على أصله، وما كان منها غير مباشر، بينت موسّطه في الإسناد، واخترت له حرف (واو) ليدل عليه :

نافع (ق)

|

**ابن كثير (ق)**

|



أبو عمرو (ق)

|

يحيى اليزيدي (و)

|

|

السوسي (ر)

|

(ابن جريو (ط)

|

السدوري (ر)

|

أبو الزعراء (ط)

ابن عامر (ق)

|

يحيى الذماري (و)

|

|

أيوب التميمي (و)

|

ابن ذكوان (ر)

|

الأخفش (ط)

|

عراك (و)

|

هشام (ر)

|

الحلواني (ط)

عاصم (ق)

|

|

حفص (ر)

|

عبيد بن الصباح (ط)

|

شعبة (ر)

|

يحيى بن آدم (ط)

حمزة (ق)

|

سليم (ر)

|

|

خلاد (ر)

|

ابن شاذان (ط)

|

خلف (ر)

|

إدريس (ط)

الكسائي

|

|

السدوري (ر)

|

جعفر النصيبي (ط)

|

أبو الخارث (ر)

|

محمد بن يحيى (ط)

شروح الشاطبية:

وهذا عرضٌ لشُروح الشَّاطبية مرَّتبٌ حسب الوفيات إن أمكنني،
تُحاشيتُ فيه ذكر الحواشي والتعليقات والشروح التي لم تتم.

١ - علي بن محمد، أبو الحسن السخاوي فتى الشاطبي وهو أول من
شرحها^(١)، وفتح وصيدها، عنوان شرحه: (فتح الوصيد في شرح
القصيد). توفي السخاوي (سنة ٦٤٣ هـ).

٢ - عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو القاسم المعروف بابن الحداد (ت في
حدود ٦٢٥). بمراكش قرأ على الشاطبي، قال ابن الجزري: ويحتمل أن
يكون هو أول من شرحها^(٢).

٣ - محمد بن محمود شمس الدين السمرقندي (ت في القرن ٧ هـ)^(٣).

٤ - أحمد بن علي بن محمد، أبو العباس (ت في نحو ٦٤٠ هـ)^(٤).

٥ - منتجب الدين حسين بن أبي العز الهمداني (ت ٦٤٣ هـ) اسم
شرح: «الدرة الفريدة في شرح القصيدة».

٦ - محمد بن الحسن بن محمد، أبو عبد الله الفاسي (ت ٦٥٦ هـ)

واسم شرحه: «اللاي الفريدة في شرح القصيدة»^(٥).

(١) انظر كلام ابن الجزري في الغاية ١/٣٦٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ٢/٢٦٠ .

(٤) التكملة ١/١٢٢ .

(٥) الغاية ٢/١٢٣ .

- ٧ - محمد بن أحمد بن محمد الموصلي (شعلة) (ت ٦٥٦ هـ) شرحه «كنز المعاني»^(١).
- ٨ - محمد بن علي بن موسى أبو الفتح الأنصاري الدمشقي (ت ٦٥٧ هـ)^(٢).
- ٩ - علم الدين القاسم بن أحمد اللورقي، أبو محمد الأندلسي (ت ٦٦١ هـ) وشرحه: «المفيد في شرح القصيد»^(٣).
- ١٠ - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ) وشرحه «إبراز المعاني»^(٤).
- ١١ - علي بن يعقوب بن شجاع أبو الحسن الموصلي المعروف بالعماد (ت ٦٨٢ هـ)^(٥).
- ١٢ - علاء الدين بن أحمد (ت ٧٠٦ هـ)^(٦).
- ١٣ - جعفر بن مكي أبو موسى الموصلي (ت ٧١٣ هـ)^(٧).
- ١٤ - علي بن يوسف بن حريز أبو الحسن اللخمي (ت ٧١٣ هـ)^(٨).
- ١٥ - علي بن محمد عبد الحق أبو الحسن الزرويلي المعروف

(١) الغاية ٨١/٢ .

(٢) معرفة القراكار ٥٣٤/٢-٥٣٥ .

(٣) الغاية ١٥٦/٢ .

(٤) معرفة القراء الكبار ٥٣٧/٢-٥٣٩ .

(٥) الغاية ٥٨٤/١-٥٨٥ .

(٦) كشف الظنون ٦٤٨/١ .

(٧) الغاية ١٩٨/١ .

(٨) الغاية ٥٨٥/١ .

- (بالصغير) (ت ٧١٩هـ) ^(١).
- ١٦ - محمد بن محمد بن داود الصنهاجي أبو عبد الله المعروف بابن آجروم (ت ٧٢٣هـ) شرحه: «فرائد المعاني» ^(٢).
- ١٧ - يوسف بن أبي بكر بن خطيب (ت ٧٢٥هـ) ^(٣).
- ١٨ - أحمد بن محمد بن عابد الولي بن جبارة المقدسي، أبو العباس (ت ٧٢٨هـ) شرحه: «المفيد في شرح القصيد» ^(٤).
- ١٩ - أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن عبد الملك القيرواني (ت في حدود سنة ٧٣٠هـ) شرحه: «تذهيب الأمنية في تهذيب الشاطبية» ^(٥).
- ٢٠ - إبراهيم بن عمر بن إبراهيم أبو إسحاق الجعبري، برهان الدين (ت ٧٣٢هـ) شرحه: «كنز المعاني» ^(٦).
- ٢١ - محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن عبد الخالق أبو عبد الله المقدسي (ت ٧٤٩هـ) ^(٧).
- ٢٢ - أبو بكر الشمسي المعروف بابن الجندي (ت ٧٦٩هـ) شرحه: «الجواهر النضيد» ^(٨).
- ٢٣ - عباد بن أحمد أبو الفضل الحسيني كان حياً في (٧٠٤هـ)

(١) الاستقصا ١٧٨/٣، وقد ضبطها الناصري بالتصغير.

(٢) المؤلف صاحبنا.

(٣) فهرس الخزانة الحنفية ١٤٠/٦.

(٤) الغاية ١٢٢/١.

(٥) هدية العارفين ١٠٧٣/١.

(٦) معرفة القراء الكبار ٥٩١/٢.

(٧) الغاية ٢٨٢/٢-٢٨٣ وقد فات د. حميتو.

(٨) الغاية ١٨٠/١.

شرحه: «كاشف المعاني»^(١).

٢٤ - عبد الرحمن بن السيد عبد المحسن الأنصاري الواسطي أبو الفرج المقرئ (ت ٧٣٤ هـ)^(٢).

٢٥ - عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الدقوفي (ت ٧٣٥ هـ)^(٣).

٢٦ - هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم البارزي

الحموي (ت ٧٣٨ هـ) شرحه: «الفريدة البارزية في حل الشاطبية»^(٤).

٢٧ - الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (ابن أم قاسم)

(ت ٧٤٩ هـ)^(٥).

٢٨ - عمر بن عثمان كان حياً سنة (٧٢٣)^(٦).

٢٩ - أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود أبو العباس المعروف

بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) شرحه: «العقد النضيد في شرح القصيد»^(٧).

٣٠ - محمد بن عمرو بن علي العمادي فرغ من تأليفه (٧٦٢)

شرحه: «مبرز المعاني»^(٨).

٣١ - حمزة بن عبد الله (ت ٧٦٧ هـ) شرحه: «جامع القواعد»^(٩).

(١) الفهرس الشامل ٢٣٩/١ .

(٢) هدية العارفين ٥٢٦/١ .

(٣) الغاية ٣٦٣/١ .

(٤) الغاية ٣٥١/٢ .

(٥) الغاية ٢٢٧/١ .

(٦) الفهرس الشامل ١٧٤/١ .

(٧) الغاية ٣١٠/٢ ، يحققه الآن الزميل أيمن سويد بإشراف الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم، بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى .

(٨) إيضاح المكنون ٤٢٤/٣ .

(٩) الفهرس الشامل ٢٨٧/١ .

- ٣٢ - محمد بن جمال الدين بن أحمد الدياجي أبو عبد الله
(ت ٧٧٤هـ)^(١).
- ٣٣ - عبد الرحمن بن أحمد بن علي البغدادي يقال له الواسطي
(ت ٧٨١هـ)^(٢).
- ٣٤ - أحمد بن ربيعة بن علوان دمشقي: (ولد سنة ٧٣٥
تقريباً)^(٣).
- ٣٥ - علي بن عثمان بن محمد ابن القاصح (ت ٨٠١ هـ) شرحه:
«سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي»^(٤).
- ٣٦ - شرف الدين صدقة بن سلامة بن الحسين، تاريخ كتابته
(٨٣٠هـ)^(٥).
- ٣٧ - محب الدين محمد بن محمود بن النجار أبو عبد الله البغدادي
(المتوفى سنة ٨٤٣ هـ)^(٦).
- ٣٨ - شهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد أبو العباس
المعروف بابن أسد (المتوفى سنة ٨٧٢هـ)^(٧).
- ٣٩ - شمس الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (المتوفى سنة

(١) هدية العارفين ١٦٦/٢ .

(٢) له شرحان على الشَّاطِيبِيَّة. الغاية ٣٦٤/١ .

(٣) الغاية ٥٣/١ .

(٤) مطبوع متداول بهامشه (غيث النفع للسفاقي).

(٥) إيضاح المكنون ٤٠٠/١ .

(٦) كشف الظنون ٦٤٨/١ .

(٧) هدية العارفين ١٣٣/١ .

(١٩٣)^(١).

٤٠ - زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر العيني (ت ١٨٩٣) شرحه:
« حل الشاطبية »^(٢).

٤١ - أحمد بن يوسف بن محمد شهاب الدين المصطفي الحصكفي
الجلي المتوفى (ت ١٨٩٥)^(٣).

٤٢ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى (ت ٩١١ هـ)^(٤).
٤٣ - علي بن ناصر الحجازي المكي (كان حياً في سنة ٩١٦ هـ)
شرح: « الدررة المضيئة »^(٥).

٤٤ - أحمد بن محمد بن أبي بكر شهاب الدين أبو العباس (ت
٩٢٣ هـ) شرحه: « الفتح الداني »^(٦).

٤٥ - عبد الله بن محمد الحسيني (ت ٧٧٦ هـ)^(٧).

٤٦ - الشيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى (ت ٩٥١ هـ)^(٨).

٤٧ - جمال الدين حسين بن علي الحصني (ت بعد ٩٦٠ هـ)

(١) كشف الظنون ١/٦٤٦ .

(٢) الفهر الشامل ١/٤٤٠ .

(٣) هدية العارفين ١/١٣٦ .

(٤) كشف الظنون ١/٦٤٨ .

(٥) الفهرس الشامل ٢/٤٥٥ .

(٦) قال القسطلاني في الفتح المواهبي: ٨٤: وقد كتبت عليها توضيحاً مسائراً لها مبيناً لبعض ما فيها من معاني المباني، كافلاً من أعاريب قراءاتها بفرر وجوه التهاني، وسميته بـ(الفتح الداني من كنز حرز الأمان) نفع الله به كما نفع بأصله .

(٧) كشف الظنون ١/٦٤٩ .

(٨) الفهرس الشامل ٢/٤٨٤ .

شرحه: «الغايمة»^(١).

٤٨ - محمد بن حسام دده الحنفي (ت بعد ٩٨٦ هـ) شرحه: «

المعين»^(٢).

٤٩ - أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي (ت ٩٩٨ هـ)^(٣).

٥٠ - شمس الدين حمد بن أحمد الغساني أبو عبد الله (من القرن

العاشر الهجري) شرحه: «العقد النضيد»^(٤).

٥١ - الملاء علي بن سلطان بن محمد القاري (ت ١٠١٤ هـ)^(٥).

٥٢ - محمد السوسي أبو القاسم المغربي (ت ١٠٣٨ هـ)^(٦).

٥٣ - علي بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الجمال (ت ١٠٤٤ هـ)

شرحه: «الدر النضيد في مأخذ القراءات من القصيد»^(٧).

٥٤ - عبد الرحمن بن القاضي أبو زيد المكناسي (ت ١٠٨٢ هـ)^(٨).

٥٥ - أحمد المغنيساوي. ت في حدود ١٠٩٠ هـ) شرحه: «إظهار

المعاني»^(٩).

(١) كشف الظنون ٦٤٧/١ .

(٢) الفهرس الشامل ٤٨٩/٢ .

(٣) الفهرس الشامل ٤٩٣/٢، وقد نقل عنه الجمزوري في الفتح الرحماني. انظر ص: ٤٠ .

(٤) الفهرس الشامل ٤٩٤/٢ .

(٥) الفهرس الشامل ٥٠٢/٢-٥٠٤، وذكر له ناصر الدين الأسد شرحاً لعله غير هذا انظر ٥٠١/٢ .

(٦) شجرة النور الزكية: ٢٩١ .

(٧) إيضاح المكنون ٤٥٣/١ .

(٨) الفهرس الشامل ٥٢٥/٢ .

(٩) القراءات القرآنية ص: ٤٤ .

- ٥٦ - محمد بن داود بن سليمان (ت ١٠٩٨ هـ) شرحه: «الدرة الفريدة»^(١).
- ٥٧ - عمر بن عبد القادر الأرمناسي (ت ١١٤٨ هـ) شرحه: «الإشارات العمريّة»^(٢).
- ٥٨ - الشاوي أبو القاسم المعروف بابن درى (ت ١١٥٠ هـ)^(٣).
- ٥٩ - جلي الطنتدائي شرحه: «الفيض الرباني»^(٤).
- ٦٠ - محمد بن علي بن علون الدمشقي (كان حياً في سنة ١١٧٢ هـ) شرحه: «الفوائد السنية»^(٥).
- ٦١ - سليمان بن حسين الجمزوري أنهاه في سنة (١١٩٨ هـ) شرحه: «كنز المعاني»^(٦).
- ٦٢ - عبد الله بن أبيه الديماني الشنقيطي (ت ١٣٢٨ هـ)^(٧).
- ٦٣ - أحمد بن محمد الحاجي الشنقيطي (ت ١٣٥١ هـ)^(٨).
- ٦٤ - علي بن محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ) شرحه: «إرشاد المريلم»^(٩)، وله: «الشرح الكبير»^(١٠).

(١) لفهرس الشامل ٥٣٠/٢ .

(٢) الفهرس الشامل ٥٨٣/٢ .

(٣) إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ٥٣٦/٥ .

(٤) أعلام الدراسات القرآنية د. مصطفى الصاوي: ٣٣٨ .

(٥) قراءة الإمام نافع ص: ١٢٠٨ . رسالة غير مطبوعة .

(٦) الفهرس الشامل ٦١٨/٢ - ٦٢٠ .

(٧) قراءة الإمام نافع ص: ١٢٠٩ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) الشرح نفسه، وانظر ترجمته عند الزركلي في الأعلام ٢٠/٥، وقد وهم وسماه الصباغ .

٦٥ - عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ت ١٤٠٣ هـ) شرحه:
«الوافي»^(١).

٦٦ - إبراهيم المغربي^(٢).

٦٧ - محمود بن صبغة الله^(٣).

وهذه شروح لم تعرف أصحابها:

٦٨ - الوجيز^(٤).

٦٩ - جامع الفوائد^(٥).

٧٠ - تبصرة المستفيد^(٦).

٧١ - اللآلئ الجليلة^(٧).

٧٢ - المحصي^(٨).

٧٣ - الصيرفي^(٩).

٧٤ - النكت المفيدة^(١٠).

٧٥ - عرض الأمانى^(١١).

(١٠) انظر هداية القاري لشيخنا المرصفي رحمه الله ص: ٢٩٠.

(١) الشرح نفسه .

(٢) الفهرس الشامل ٦٩٢/٢ .

(٣) الفهرس الشامل ٦٧٥/٢ .

(٤) كشف الظنون ٦٤٩/١ .

(٥) كشف الظنون ٦٤٩/١ .

(٦) كشف الظنون ٦٤٩/١ .

(٧) كشف الظنون ١٣٣١/٢ .

(٨) كشف الظنون ٦٤٩/١ .

(٩) كشف الظنون ١٣٢٠/٢ .

(١٠) الفهرس الشامل ٧٨٧/٢ .

(١١) الفهرس الشامل ٧٥٢/٢ .

الفصل الثاني

موقف المصنف من القصيد

وتحتة مباحث:

- ١ - إعادة الترتيب .
- ٢ - ما يمكن التغي عنه .
- ٣ - الاستدراك والاقتراح .
- ٤ - المناصرة والمعاضة .

تمهيد:

تغور طبيعة الأناسي دون الكمال فيما قارفته من أعمال ثقيلة كانت
أو عقلية، وإن ناشدته، ويدركها الخطأ والخطل، وإن بَعَدته، لهذا وذاك
آن لنا أن نقول: كم ترك الأول للآخر، ومن ثم فإن هذا الناموس
الفطري حل من الناظم محل الرضى إذ يقول:
وإن كسان خرق فادر كهُ بفضلة

من الحلم وليُصلِحُهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَا

لذا يتعين على القارئ في النصوص قديمها وحديثها أن يقدموها
فقاعاً يروي الواردين .

فما كان من المؤلف (رحمه الله) إلا أن نصح لما بين يديه من عمل،
فتراه في مدارج التنظيم بين الرفض والفرض، والفتق والرتق، استخرجت
من ذلك كله مباحث أربعة، يدور حولها صنيعه بالقصيد:

أولاً: إعادة الترتيب.

ثانياً: ما يمكن الاستغناء عنه.

ثالثاً: الاستدراك والاقتراح.

رابعاً: المناصرة والمعاوضة للناظم ضد المخالف.

ولنضرب مثلاً لكل مبحث قصد التوضيح:

مثال المبحث الأول:

عند حديثه عن قول الناظم رحمه الله:
 وقبل وبعد الحرف أتى بكل ما رمزتُ به في الجمع إذ ليس مُشكِلا
 يقول: إنَّ الرموز الموضوعه لاجتماع القراء، وهي الكلم الثماني،
 يأتي بهن قبل الحرف المختلف فيه وبعده، لأنه غير مشكل، ألا تراه لا
 يبدل صحبة ولا صحاب، هذا اللفظ ملتزمٌ أبداً، فبذلك لا يلتبس، وقد
 تقدّم بيانه قبل.

وكان حق هذا البيت أن يذكره إثر قوله:

وحصنٌ عن الكوفي ونافعهم علا

يرى المؤلف أن هذا البيت:

وقبل وبعد الحرف... الخ

إنما هو لبيان كيفية التعامل مع الرمز الحرفي والكلمي تقديماً وتأخيراً،
 عند الإدلاء به إلى الخلف القرائي أصولاً وفرشاً، لهذا يقترح أن تُذيلَ به
 الأبيات التي تحدّثت عن الرمزين التي بدأها بقوله:
 ومنهنَّ للكوفي ثاء مثلث....

وأنهاها بقوله:

وحصنٌ عن الكوفي ونافعهم علا

قلتُ في غير افتتات على المؤلف:

إنَّ الناظم رحمه الله لما ذكرَ الأبيات التي تُعنى بالرموز الدالة على
 القراء والرواة، أردفها بما يُسِين شرطه في التعامل مع الخلف القرائي
 الوارد في القصيد، ثم ذلّلَ بالبيت المذكور، لأنه من كمال فهم شرطه،
 إذ بيان وضع الرمز بين أوجه الخلف، إداركٌ لتمييز الخلف والمنوط به،
 لذا أُنحر بالوضع لأنه مؤخر بالطبع. والله أعلم.

مثال المبحث الثاني:

عند قول الناظم من باب الإدغام الكبير:

ويا قومٍ مالي ثمَّ يا قومٍ من بلا

خلافٍ على الإدغام لا شكُّ أرسبلا

قال: لما قال قبل هذا:

وعندهم الوجهان في كلِّ موضعٍ تسمى

فأخبر أنَّ كل ما التقى فيه مثلان بسبب الحذف، فيه الوجهان:

الإظهار والإدغام، دخل عليه نحو قوله تعالى: ﴿ويا قومٍ مالي أدعوكم﴾

(الآية ٤١ من غافر)، و﴿يا قومٍ من ينصُرني﴾ (الآية ٣٠ هود)، فإن

الأصل إثبات الياء، والأصل: ويا قومي، ولا شك أن الياء لو أظهرت لم

يكن إدغام؛ لعدم التقاء الأمثال، ثم لما حذفت الياء، التقى المثالان، فكان

يجب أن يكون فيهما الوجهان في: يتغ وأخويه.

والفرق بينهما: أن المحذوف هنا غير أصل، بل هو زائد، فإذا

أدغمت بعد الحذف لم يلتق على الكلمات إعلالان، بخلاف الكلم

المتقدمة .

قلت: لو قال الناظم في البيت الذي قبله:

وعندهم الوجهان في كل موضع تسمى لحذف الأصل منه معللا

لم يحتج إلى هذا البيت، وأظنه إنما أراد أن يذكر ما ذكره صاحب

«التيسير»، والله أعلم.

- قلت: قد يخفى على بعض القراء الفرق بين الملحظين، لذا رأى

التنبية على ذلك.

أما أنه أراد أن يذكر ما جاء في التيسير، فالجواب عنه أنه جعل

قصيدته اختصاراً لما في التيسير، بدليل قوله:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره فأجنت بعون الله منه مؤملاً

والله تعالى أعلم.

مثال المبحث الثالث:

ناقش الناظم في قوله:

وقبل يئسن الياء في اللاء عارضٌ سكوناً أو أصلاً فهو يظهرُ مُسهلاً
الذي يظهر منه أن أبا عمرو لم يدغم هذا الحرف من المثليين في قوله
تعالى: ﴿يئسن﴾ الآية، لأنه يقرؤه بياء ساكنة من غير همز^(١)، وعلل
بعلتين:

أولاهما: سكونُ الياء عارض.

أخرهما: عروضُها، إذ أصل اللائي بهمزة مكسورة بعدها ياء
ساكنة، حذفت تخفيفاً لتطرفها، ووقوعها بعد كسرة، فتطرفت الهمزة
الآن فأبدلت على حركتها ياءً مكسورة على غير قياس؛ لأن قياسها أن
تسهل بين بين، ثم أسكنت الياء طلباً للتخفيف، أو على نية الوقف،
فعلى هذا أظهر لأن أصل الياء همز، والهمز لا يدغم.

قال: ولو قال الناظم عوض هذا البيت:

وأظهروا اللائي إذ الياء عارضٌ أو إسكانها والنحو الإدغام عدلاً
وساق لذلك أدلة وناقشها بتمكن واقتدار .

- عند إعرابه لقول الناظم:

وإدغامُ ذي التحريم طَلَّقَنَّ قُلُّ أَحَقُّ وبالتأنيث والجمع أثقلا
قال: وارتفاع قوله: « وإدغام » بالابتداء، و « أحق » : خبر الابتداء،
و « قل » : موسَّطٌ بين المبتدأ والخبر، التقدير: قل إدغامُ ذي التحريم طَلَّقَنَّ
أحق. و « طَلَّقَنَّ » : بدل من ذي التحريم، ولو قال:

(١) والوجه الأول له وللبزي تسهيلها بين بين، وهذا لا خلاف فيه لأنه قياسها .

وإدغامُ ذي التحريم طلقكُنَّ إن

لكان أولى وأحسنَ حشواً .

- عند إعرابه لقول الناظم:

إذا لم يُنَوَّنْ أو يَكُنْ تَا مَخَاطَبِ وما ليس مجزوماً ولا مُسْتَقْلَلاً

قال: و « ما » في قوله: « وما ليس » بمعنى الذي، وليس واسمها

وخبرها صلة لها، ومحلها نصب على أنها مفعولة بفعل محذوف، كأنه

قال: ويدغم الذي ليس مجزوماً ولا متثقلاً، ولو قال:

إذا لم ينون أو يَكُنْ تَا مَخَاطَبِ ولم يكن مجزوماً ولا متثقلاً

لم نحتاج إلى هذا الإضمار.

ولا يجوز أن تكون « ما » معطوفة على « تَا مَخَاطَبِ » الذي هو خبر «

يكن » لفساد المعنى، لأن خبر « يكن » منفيٌ بعطفه على المنفي، فيكون

التقدير: يدغم الحرف المقارب إذا لم يكن الذي ليس مجزوماً، فيؤول

المعنى إلى أنه يدغم المجزوم وليس كذلك.

- يتجلى من خلال المعروض أن المؤلف اقترح تعديلاً في نسق البيت،

وهو إبدالُ قول الناظم: « ما ليس »، بقوله: « لم يكن »؛ تحرزاً من

الإضمار، واستيحاشاً من فساد المعنى، المطروحين آنفاً.

- عند قول الناظم:

وعنهم وعن حفصٍ فألقه ويتقه

حَمَى صَفْوَه قَوْمٌ بِخُلْفٍ وَأَنْهَلَ

وَقُلُّ بِسَكُونِ الْقَافِ وَالْقَصْرِ حَفْصُهُمْ

.....

قال: والباقون يجركون الهاء، إلا أنهم يختلفون في القاف، فمنهم من سکنها ويقصر الهاء؛ لأنها بعد ساكن، وهو حفص المنصوص عليه في قوله:

وقل بسكون القاف والقصر حفصهم

يريد في: « يتقه » ، والباقون يجركون القاف بالكسر.

وتسامح فيه أيضاً الناظم، وكأنه هنا بين إما من جهة اللغة، وإما من جهة نطقه به محرراً قبل في قوله:

..... ويتقه حمى صفوه.....

وكان حقُّه أن يتعرض لذكر حكم الهاء في قراءة حفص، وأنها مكسورة، لأنَّ السُّكُونُ قبل الهاء لا يتضمن كسر الهاء.

قلتُ: نلاحظُ في هذا الاستدراك أنَّ المؤلف رحمه الله استدرَكَ على الناظم، ووجَّه تسامُحه، ولكنه لم يقترح تعديلاً منظوماً في أبيات المشكل على عادته، كما مرَّ بنا في الأمثلة السالفة، وربما اجترأ باقتراح التعديل المنظوم عند الفاسي، إذ أورده في التعليق نفسه، وسأبسطُ القول في تعديل الفاسي هذا في حيزه.

- عند قول الناظم:

كجِيءَ وعن سُوءِ وِشاءِ اتِصالُهُ

ومفصولُهُ في أمِّها أمرُهُ إلى

قال مستدرِكاً على الفاسي استدراكه على الناظم:

وأحسنُ من ذلك إصلاحاً أن لو قال:

ومفصولُهُ ما إنْ بهِ إنْ لهُ إلى

فإنه يستوفي جميع الأمثلة والصناعة الشعرية. والله أعلم. والمثلُ كلها من كتاب الله: ﴿فِيمَا إِنْ مَكْنَاكُمْ﴾ الآية: ٢٦ الأحقاف، ﴿بِهِ إِنْ كُنْتُمْ﴾^(١) الآية، و﴿يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآية: ٥ الأحقاف.

قلتُ: لم يشترط الناظمُ رحمه الله أن يمثَّلَ بالقرآن على وجه اللزوم،

إذ نجده مثل بغير القرآن في آخر باب الهمز المفرد عند قوله:

إِذَا سَكَنْتَ عَزَمَ كَأَدَمَ أُوهِلا

فلفظ «آدم» من القرآن، ولفظ «أوهلا» ليس من القرآن.

ويجمل بنا أن نقول: إنها حاصلة في قوله: «في أمها أمره إلى» والله

أعلم.

(١) ﴿بِهِ إِيمَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هذا صوابها، وقد صححت في محلها من التحقيق.

مثال المبحث الرابع:

في مقابل ما أرينا آنفاً من اعتراضاتٍ للمؤلف على الناظم، نجده يوم
وجهةً أخرى هو مولأها مستويأ على سؤقه، يُعجبُ القراءَ ليغيظ بهم
النقاد .

وإلى القراء الكرام جزءاً مما أئنع ثمره من أمثلةٍ تناثرت بين ثنايا
الأبواب.

أولاً: في سورة أم القرآن عند قول الناظم:

وَمَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ رَوَايَهُ نَاصِرٌ وَعِنْدَ سِرَاطٍ وَالسِّرَاطِ لِقُنْبُلًا
أورد المؤلف في شرحه لهذا البيت توجيهاً واعتراضاً للفاسي على
البيت المذكور، قال: قال الفاسي: واعتمد في فهم مراده من إثبات
الألف لهما، وحذفها عن سواهما، على اشتهاار القراءتين وانتشارهما،
قال الفاسي: ولو قال:

ومالك يوم الدين مُرَّ نَمَى رَضِيٌّ

ونحوه لكان أوضح للقصد.

فتعقبه المؤلف منتصراً لمقول الناظم، بقوله: قلت: ما ذكرته أولاً^(١)،

لا يحتاج معه إلى ما قال:

لأنه قال أولاً:

(١) قال: وفهم أن مراده إثبات الألف من اللفظ بذلك؛ لأن الوزن لا يتم إلا بالألف؛ لأنها في مقابلة الواو من فعولن التي هي آخر الوتد المجموع، وهو محاشي من الحذف إلا في الضرب والعروض. وخذ إثبات الألف حذفها، فكأنه يقول: (ملك يوم الدين) بإثبات الألف رواية ناصر، وبحذفها للباقيين .

وباللفظ أستغني عن القيد إن جلا

ثانياً: عند قول الناظم:

عليهم إليهم حمزةٌ ولديهمو جميعاً بضم الهاء وقفاً وموصيلاً
قال: وقوله: - الناظم - « بضم الهاء » يفهم منه على اصطلاحه فتح
الهاء للباقيين.

قال الفاسي: واعتذر عنه بأنه اعتمد على ما استقر وثبت، من أن
هذه الهاء لا تفتح لغة. قال: - الفاسي - وليس بذلك؛ لأنه احترز فيما
هذا سبيله، ألا تراه قال:

وكسرُ يُّوتِ والبيوتُ يُضَمُّ...^(١)

ولم يقل: وبأ يُّوتِ والبيوتُ يضم .

قلت: - أي المؤلف -: ومثله قوله:

وها هو بعدَ الواوِ والفاَ ولا مِهاَ وها هي... ..^(٢)

ثم قال في البيت بعده:

... .. والضمُّ غيرُهُم وكسر... ..^(٣)

ومعلوم أنه لا يقال في هُوَ وهِي: هُوَ، وهِي بالفتح، ومثله كثير في

القصيد.

(١) فرش سورة البقرة، وتمتمته:

... .. عن حمى جلةً وجهاً على الأصل أقبلا

(٢) فرش سورة البقرة، وتمتمته:

أسكن راضياً بارداً أخلا

(٣) فرش سورة البقرة وتمتمته:

وثم هو رفقا بان والضم غيرهم وكسر وعن كل يُمل هو انخلا

قال الفاسي: ولو قال ما هنا: بضم الكسر. لم يلزمه شيء، ولو جاء رواية بالكسر ملفوظاً بها لم يلزمه شيء أيضاً.

قلت: ما قاله من الاعتراض صحيح، والجواب عن ذلك: أنه إنما يجب عليه أن يلتزم الاصطلاح الذي قدمه حيث يكون في مخالفته كبس، نحو قوله:

... على فتح ضم الراء نُبّهتُ كَفلاً

لو لم يقل: ضمّ الراء، وأطلق الفتح لفهم منه للباقيين الكسر، وذلك ممكن لغة، إذ يقال: رُبوة، ورُبوة، وربوة...

فأما حيث لا كبس فيجوز أن يأتي بالاصطلاح طرداً لمذهبه، ويجوز أن لا يأتي به اتكالا على التعارف اللغوي.

وأما قول الفاسي: «لو جاءت رواية بالكسر ملفوظاً بها لم يلزمه شيء» فغير صحيح؛ لأنه إنما يتكل على اللفظ حيث ينجلي ولا كبس له في ذلك، بأن يقتضيه الوزن والخط، فأما حيث لا بيان لا بالوزن ولا بالخط، فلا يتكل على اللفظ.

قلت: يتضح له من هذه المسألة موقفان:

(١) تصحيحه للاعتراض أولاً، ومعاضدته له بالأمثلة.

(٢) دحضه للاستدراك، ودمغه بما يُعفي أثره.

ثالثاً: عند قول الناظم:

كبيغ مجزوماً وإن يك كاذباً ويخل لكم عن عالم طيب الخلاً

أورد قول السخاوي في توجيه البيت، قال: قال أبو الحسن

السخاوي: ويجوز أن يريد الناظم بذلك نفسه، معناه: أنقله عن عالم

طيب الخلاً.

قلتُ: - أي: المؤلف - في هذا بعدد؛ لأنه لا يخلو من تعظيم النفس.
قلتُ: أوردتُ هذا الرد هنا في حيز المناصرة، لأنه إنصافٌ للناظم
رحمه الله، والإنصافُ مناصرةٌ، والله أعلم.
جاء عند الناظم:

وَإِظْهَارُ قَوْمِ آلِ لَوْطٍ لِكَوْنِهِ قَلِيلَ حُرُوفٍ رَدَّهُ مَن تَبَيَّلَا

قوله: قال الفاسي: والذي ذكره من الاعتلال - يعني الناظم -
موجودٌ في قوله: ﴿جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً﴾ (الآية: ٢٥ الحج) مع الاتفاق
على إدغامه، ألا ترى أنَّ النَّاسَ أَصْلُهُ: أَنَسٌ، فَحُذِفَتْ هَمْزَتُهُ، أَوْ نَوَسٌ،
فَقُلِبَتْ وَاوَهُ أَلْفَاءً، أَوْ نَسِيَّ فَقُدِّمَتْ لَامُهُ إِلَى مَوْضِعِ الْعَيْنِ، ثُمَّ قُلِبَتْ أَلْفَاءً،
فالإعلالُ فيه موجودٌ على كل هذه الأقوال.

قلتُ: ما أورده غيرُ وارد، والفرق بين (آل) وبين (الناس): أن آل
أُبدِلَ لضرب من الاختصاص كما قلناه، والناسُ غيرٌ، كما قال على تلك
الأقوال لكثرتُه في كلامهم، ولكثرتُه لا يُحَاشَى عن تغير الإدغام،
فافترقا...

في المثال الآن نجد المؤلف يرُدُّ على شيخه محمد بن القصاب الذي
تلقى عنه النظمَ وشرحه مشافهةً، فلم يضره أن يرُدَّ عليه منتصراً بذلك
للناظم، إذ كان ذلك من النزاهة العلمية، قال عند شرحه للبيت:

وَفِي عَشْرِهَا وَالطَّاءِ تُدْغَمُ تَأْوُهَا وَفِي أَحْرَفٍ وَجِهَانٍ عَنْهُ تَهْلَلَا

... قال شيخنا محمد بن القصاب (رحمه الله): خَلَطَ^(١) فِي هَذَا

البيت بأن جمع فيه إدغام المثلين وإدغام المتقاربين، لأن العشرة التي تدغم

(١) يعني الناظم .

فيها الدال، من بعضها التاء، ولما قال: إنَّ التاء تُدغم في العشرة وفي الطاء، أعطى بذلك أن التاء تدغم في مثلها وفي مقاربيها، والبابُ بابُ المتقاربين .

قال: فالأولى أن يقول:

وفي تَسْعِهَا والطاءُ تُدغمُ تاؤها

ولا يذكرُ التاء .

قال بعضُ الطلبة: هو على حذف مضافٍ، كأنه قال: وفي بعضِ عَشْرِهَا.

قلتُ: ما ذكره الناظمُ هو الصوابُ، ولا يصحُّ غيره، وذلك أنه حين أراد أن يذكرَ الحروفَ التي تُدغم فيها التاءُ وهي العَشْرَةُ التي مثلناها، كان بين أمرين: إما أن ينظّمَ بيتاً يجمعُها فيه، كما فعل في الدال، وإما أن يحيل على حروف الدال، ويزيدَ الطاء، وإذا أحال إما أن يحيل على جميعها، أو يقول: إلا التاء فيستثنيها.

فإن نظّمَ بيتاً كان فيه تكرار الحروف لتقدمها في فصل الدال، وإن أحالَ عليها، كان فيه إدخالُ بابِ المثليين على بابِ المتقاربين، وإن أحال على بعضها فيقول مثلاً: وفي بعضها، كما تأوله، أو في تَسْعِهَا، كان فيه إبهامٌ؛ لأن البعضَ غيرُ مُعَيَّن، وكذلك التسعةُ، وإن قال: إلا التاء فيستثنيها، كان فيه إبهام أنه يظهرها عند التاء مثلها .

إذ كذلك مقتضى الاستثناء فالأحسنُ من هذا كله ما قال، ويكون فيه الجمعُ بين إدغام المتقاربين والمثليين، وهو أولى من تكرار الحروف كلها، ومن الإبهام والإيهام. والله أعلم.

عند قول الناظم:

وَسَكَّنُ يُوَدُّهُ مَعَ نُوْلِهِ وَنُصِّلِهِ وَنُوتِهِ مِنْهَا فَاعْتَبِرْ صَافِيًا حَلَاً
قال: قال الفاسي: ويلزم على ما أصَّله أن تكون قراءة الباقي
بالفتح؛ لأنه ضد الإسكان، وليس كذلك، غير أنه اعتمد على معرفة
قاعدة هاء الضمير، وأنها إذا كانت لمذكَّر وكان قبلها كسرةً، فإنها
تكون مكسورةً، فلم يضر الإخلال بما أصَّله لعدم الإلباس.

قال^(١): ولو قال عوض ذلك:

وَكَسْرُ يُوَدُّهُ مَعَ نُوْلِهِ وَنُصِّلِهِ وَنُوتِهِ مِنْهَا فَاعْتَبِرْ صَافِيًا حَلَاً
لم يلزمه شيء.

قلت: ما قاله الفاسي صحيح، إلا أن الناظم رحمه الله لم يلتفت إلى
هذا. والدليل على ذلك أنه لم يذكر في هذا الباب حكماً للهاء باعتبار
كونها تكسر أو تضم، اتكالاً على أن ذلك مقدرٌ من اللغة، فلم يحفل^(٢)
بذكره، والله أعلم.

قلت: نَبَّه الجعبري على أن ضدَّ الإسكان هنا الكسرُ، قال: وقيده^(٣)

بالمقدم، ولم يتنبَّه له مَنْ قال: خَرَجَ الناظم عن قاعدته. نَعَمْ لو قال:
وَكَسْرُ يُوَدُّهُ مَعَ نُوْلِهِ وَنُصِّلِهِ وَنُوتِهِ مِنْهَا فَاعْتَبِرْ صَافِيًا حَلَاً
لَدَفَعَ وَهْمَهُ^(٤).

يظهر من كلام الجعبري أنه استدرك على الفاسي، ثم اعتمد عليه في

(١) أي الفاسي .

(٢) من باب ضرب .

(٣) الناظم .

(٤) كنز المعاني خ : ١٠٤-١٠٥ .

اقترح التعديل، لكنه لم ينسب شيئاً إلى صاحبه.
والأحسن مما قاله^(١) في الاعتذار عن الناظم توجيهه وفهم المؤلف
(رحمه الله) لقول الناظم في مطلع الكلام عنه إذ قال: والباقون لا
يُسكنونها بل يحركونها بما تحركُ به هاءُ الإضمار من الضم والكسر...
عند حديثه عن قول الناظم:

كجِيءَ وعن سوءٍ وشَاءَ اتَّصَلَهُ ومفصولُهُ في أمها أمرُهُ إلى^(٢)
قال: ... قال الفاسي: ولو قال:

والآخِرُ قالُوا أَنِّ بِهِ إِنْ وَلَا إِلَى

لأتى بالجميع .

قلت: يمكن أن يقال: قد أتى الناظم في المنفصل بمثال الألف مع
توفية الصناعة الشعرية، وذلك بائتلاف أمها وأمره .
نعم تكونُ بعضُ الأمثلة من القرآن وبعضُها ليس منه، ولا يضرنا
ذلك. وأما الصناعة الشعرية ففيه نوعٌ من البديع يُسمى الطباق؛ وهو
ذكرُ الاتصال والانفصال كما قال الشاعر^(٣):

رَمَى الحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ عَمْرٍو بمقدَارِ سَمَدَنْ لَهُ سُمُودَا
فَرَدَّ شعورَهِنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهُهِنَّ البِيضَ سُودَا

ثم أتى باقتراحه: وفي معرض تعليقه على قول الناظم:

(١) الفاسي والجبيري .

(٢) تكلمت عن هذا البيت في اعتراضاته، وذلك لأن الكلام عن هذا البيت يتفرع إلى
اعتراض على الفاسي مع الانتصار للناظم، وهو ما نشرته هنا، وإلى اعتراض على
الناظم وإعطاء بديل على المنظوم، وهو ما نشرته هناك، فافترقا .

(٣) مخرج في التحقيق .

ولا مدًّا بين الهمزتين هُنَا ولا بِحَيْثُ ثَلَاثٌ يَتَّفِقْنَ تَنْزِلًا

أورد اعتراضَ شيخه ابنِ القصابِ على قول الناظم هذا، قال: وكان شيخنا أبو عبد الله محمد بن القصاب (رحمه الله) يعترض من قول الناظم: «يتفقن تنزلاً»، ويقول: ليست الهمزات في أنتم وبابه متفقات، قال: والصواب أن يقول: بحيث ثلاثٌ يلتقين تنزلاً .

قلتُ: هذا الاعتراض لا يلزم، وما قاله الناظم حسنٌ جداً، والاتفاق الذي أراده: اتفاقُ نزوهُن في الخط، وذلك أن هذه الكلمة لو رُسمت على ما يقتضيه القياس واللفظُ كُرمِست بثلاثِ ألفات: الأولى استفهامٌ وهي مبتدأة فترسمُ ألفاً، والثانيةُ ألفُ القطع تُرسمُ ألفاً؛ لأنها كانت مبتدأةً قبل همزة الاستفهام، والثالثةُ ألفُ الوصل تُرسمُ ألفاً؛ لسكونها وانفتاح ما قبلها، فقد اتفقت نزولاً.

هذا مجملٌ ما انتصرَ به المؤلف (رحمه الله) للناظم (رحمه الله)، واعتذر عنه به، مما صُوِّبَ نحو قصيده من سهام النقد، من قبل الشراح والمشتغلين بهذا التنظيم .

الباب الرابع

ويتضمن فصلين:

الأول: مصادر الكتاب .

الثاني: قيمة الكتاب العلمية .

الفصل الأول

مصادر الكتاب

وتحتته مباحث:

- ١ - مصادر القراءات وحججها .
- ٢ - مصادر النحو والصرف .
- ٣ - مصادر فقه اللغة .
- ٤ - مصادر التفسير .
- ٥ - مصادر اللغة (المعاجم) .

القول في مصادر الكتاب^(١):

لا ريب أن العلم يزكو بموضوعه، والموضوع يشذو بعرف أقباسه، وما الأقباس إلا شهب استنارت بعلم القروم السابقين، فنورت سواد دجى اللاحقين، إذ على دركهم التعويل، وإلى رسمهم يؤول التأويل، لهذا وذاك رصع المؤلف (رحمه الله) دركاً منه لخطورة الموضوع عقد تأليفه، بعقيق المنقول ودرره، وإليه أشار في ديباجته إذ يقول:

«وكل ذلك^(٢) من كتب العلماء نقلته، وعلى ما تقتضيه مذاهبهم أوردتهم».

لما دعت سنن الرسائل رصداً أشباه هذه الخصائص بلم شتاتها، ونظمها في سمط السبك العجيب، بضرب من التوضيح والتقريب، والإرباء بها عن الإملال والتعيب، جنحت إلى القول على تعداد مصادره وموارده، فاستقريتها فألفيتها مصادر تضرب في فنون شتى، فرتبتها على مقاصدها معالجاً ظواهرها، بغية الارتقاء عن حضيض التقليد، إلى يفاع الاطلاع على الدليل السديد .

(١) للكتاب مصادر أخرى فقهية حديثة أصولية، رأيت أن لا أثقل بحشدها كاهل الدراسة؛ لاعتقادي أنها مصادر ثانوية بالنسبة لموضوع الكتاب، لهذا اقتصر على الأهم مخافة السامة .

(٢) عمله في التأليف الذي رسمه، وكان هذا القول على أثره. انظر ص: ٣ .

المبحث الأول:

ذكر مصادر القراءات وحججها وعلماها

قبل الحديث عن هذه المصادر أُعْلِمُ أن النقل عنها ينقسم قسمين:

١ - نقل سطر^(١).

٢ - نقل صدر^(٢) (المشافهة).

نقل السطر:

تطالع الباحث في هذا النوع ثلثة من تواليف السابقين التي أفاد منها المؤلف، رتبها على حسب الوفيات ذاكراً أهمية كل منها، مع تبين التي أكثر المؤلف النهل منها:

١ - ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) في كتاب «السبعة»، كتاب أشهر من أن يُورَى له زند التعريف، فهو الكتاب الذي يعد كتاب القرن الرابع، حسم الخلاف، وحصر الائتناف، بطرد المؤتلف، وإنكار المختلف، من قراءات وروايات، وطرق ووجوه، عُزيت إلى عدد كثير من حاملي هذا العلم، اختلفت مذاهبهم، وطرق تحملهم، ما يُنذر بالخلل والوهم والإيهام، في المروي والمختار من مقروء الإمام، فأدلى ابن مجاهد (رحمه الله) بتأليفه هذا في الأسحار، لتبزيغ حخته شمساً في واضحة النهار، فكان له من الله كالإلهام، لِيُؤَمَّ عند أهل الإتمام. ففي تعليقه لصنيعه هذا يقول:

(١) وهو ما نقله المؤلف من صحيفة أو سفر .

(٢) وهو ما نقله المؤلف عن شوخه .

« فمن حملة القرآن المعربُ العالمُ بوجوه الإعراب والقراءات، العارفُ باللغات ومعاني الكلمات، البصيرُ بعيب القراءات، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يَفزعُ إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين.

ومنهم مَنْ يعرب ولا يلحن، ولا علم له بغير ذلك، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته، ولا يقدر على تحويل لسانه، فهو مطبوع على كلامه.

ومنهم مَنْ يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداء لما تعلم، لا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظ، فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده، فيُضيع الإعراب لشدة تشابهه، وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية، ولا بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه.. الخ»^(١).

٢- الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) في كتاب: «الحجة للقراء السبعة» يُعد كتاب «الحجة للقراء السبعة»، من الكتب المتقدمة في التعليل للقراءات والاحتجاج لها، في نفس طويل يكاد به يقارن يقارن الإملا. يقول ابن جني في وصفه^(٢): «فإن أبا عليٍّ رحمه الله عملَ كتاب الحجة في القراءات، فتجاوزَ فيه قدر حاجة القراء إلى ما يحفو عنه كثير من العلماء.

وكتاب الحجة هذا يعتبر امتداداً لعمل ابن مجاهد في كتابه «السبعة». فهو ممن تلمذ لابن مجاهد، وروى عنه القراءة عرضاً وتعليلاً

(١) السبعة (المقدمة) ص: ٤٥-٤٦.

(٢) المحتسب ٣٤/١.

واحتجاجاً لما تضمنه من القراءات والروايات والطرق^(١).
قال في مقدمته للحجة: .. « فإن هذا الكتاب نذكر فيه وجوه قراءات
القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس
ابن مجاهد رحمه الله، المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز
والعراق والشام، بعد أن تقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما
رواه، وأخذنا عنه^(٢) .

استدل ابن آجروم بالحجة في بعض ما ذهب إليه، واستأنس به
أخرى، وعارضه فيما لم يوافق فيه.

٣ - ابن غلبون أبو الطيب عبد المنعم (الأب) (ت ٣٨٩ هـ). في
كتاب «الإرشاد»^(٣) كتاب لا يُعرف عنه اليوم شيء إلا ما ذكر به ومنه
في كتب التراجم، ونقول المتأخرين عنه، وهو من أصول النشر^(٤)، إذ قرأ
به صاحب النشر القرآن كله بسنده إلى مؤلفه، ذكره المؤلف باسمه ولم
يتعامل معه كثيراً.

٤ - القيسي: أبو محمد مكي بن أبي طالب. (ت ٤٣٧ هـ) في
كتابين: «التبصرة» و«الكشف» .

أ - «التبصرة»: كتاب فيه أصول القراءات السبع مجردة من غير

(١) الغاية ٢٠٧/١ .

(٢) الحجة ٥/١-٦، والكتاب طبع كاملاً بتحقيق بدر الدين قهوجي وزملائه، ويعتبر
أغنى وأكبر موسوعة وصلتنا في حجية القراءات .

(٣) اسمه: الإرشاد في معرفة مذاهب القراء السبعة وشرح أصولهم. وانظر الغاية
٤٧٠/١ .

(٤) الأصل الثاني والعشرون. النشر ٧٩/١-٨٠ .

تعليل ولا توجيه، تبعاً لعمل شيخه عبد المنعم بن غلبون في كتاب: «الإرشاد» .

وذلك ما عبّر عنه في تقدّمته للكتاب قائلاً:

« وقد رغبَ إليّ راغبون في جمع كتاب في أصول القراءات، وذكر ما اختلف فيه المشهورون من القراء، فخرّجتُ في هذا الكتاب أربع عشرة رواية عن السبعة المشهورين، واعتمدت في أكثره مما قرأت به على شيخنا أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون... فجمعتُ في هذا الكتاب من الأصول ما فرّق في الكتب... ليكون تبصرةً للطالب، وتذكراً للعالم، سمّيته «كتاب التبصرة»^(١).

وفي مقدمته للكشف يقول^(٢): وسمّيته كتاب التبصرة، وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلباً للتسهيل، وحرصاً على التخفيف.

ب - «الكشف»: وهو كتابٌ فيه الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ألفه محاكياً فيه كتاب الحجة للفراسي، مع تفادي مرهقات الأول، بعد ما أُلّف مختصراً للحجة مسماه «المنتخب»، وهو آخِرُ ما أُلّف، ومن مصادره فيه كتابُ التبصرة الذي وعد في صدره أنه سيؤلّف كتاباً في علل القراءات التي ذكرها في التبصرة^(٣) قال: أذكرُ

(١) عن التبصرة: ١٧٢-١٧٣ طبع بتحقيق د. محيي الدين رمضان، وغوث الندوي، وهو الأصل التاسع من أصول النشر ٧٠/١ .

(٢) الكشف ٣/١ .

(٣) قال: أذكر فيه وجوه القراءات واختيار العلماء في ذلك، ومن قرأ بكل حرف من

فيه حجج القراءات ووجوهها واسمه: كتاب «الكشف عن وجوه القراءات»^(١).

والكتاب يُستدلُّ به في بابه، إلا أنه وقع في الطعن على بعض الوجوه القرائية المجمع على صحتها.

وابن آجرُوم يستدلُّ ببعض آرائه أحياناً، وله عليه استدراكات .

٥ - المهدي (ت ٤٤٠ هـ) أبو العباس أحمد بن عمار في كتاب: «

شرح الهداية» .

يعتبر الكتابُ شرحاً وتوجيهاً لما أورده من أحرفِ الخلاف عند

القراء السبعة في كتابه «الموسوم بـ» الهداية»^(٢) .

ففي مقدمته له يقول^(٣):

« وقد سألتني سائلون أن أملي عليهم كتاباً مختصراً في شرح وجوه

القراءات، والاعتلال على الروايات، بغاية الاختصار، وحذف التطويل

والتكرار، وأن أجعل ذلك شرحاً للكتاب المختصر في القراءات السبع

الذي كنتُ ألفتُهُ وسميته بكتاب «الهداية» ، فأجبتهم إلى ذلك، وجعلتُ

هذا الكتاب إملأً على حسب الإمكان...

الصدر الأول، وأقارب النحويين وأهل اللغة، لا أخرج فيه عن شرح ما ذكرته في

هذا الكتاب من الاختلاف، أسميته: كتاب الكشف عن وجوه القراءات. التبصرة:

. ١٧٣

(١) الكشف ١/٣-٤ .

(٢) الأصل الثامن من أصول النشر ١/٦٩ .

(٣) شرح الهداية ورقة: ١، وقد حققه الزميل حازم حيدر (رسالة علمية في الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة) .

والكتاب ثالثُ ثلاثة^(١) من مدّخر القول على الاحتجاج، حتى إننا نجد مَنْ يُفضّله على الحجّة، من ذلك ما ذكره القفطي^(٢) عن بعض مَنْ ذاكرهم فيه قال: «وهو عندي أنفعُ من الحجّة للفارسي»، فقلت له: «وهو صغيرُ الحجم!» فقال: «إلا أنه كثيرُ الفوائد، حسنُ الاختصار، يصلحُ للمبتدي والمنتهي...» .

وفي المقابل نجد اليميني^(٣) لا يعتبر هذا التفضيل .

لكننا نرجع إلى قول الزركشي^(٤) معترفاً بفضل السابق واللاحق إذ يقول: «وكلُّ منها قد اشتملَ على فوائد» .

وقد أفاد منه المؤلف وله عليه اعتراضات^(٥).

٦ - الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ). في خمسة

كتب هي:

«جامع البيان»، «الاقتصاد»، «التيسير»، «الإيضاح»، «الإدغام الكبير»^(٦).

أ - «جامع البيان»: كتابٌ جمع فيه كلُّ ما وصله عن علم القراءات، وهو أحسنُ ما صنّفَ فيه وأجوده، وقد أطلّ فيه وأجاد، قال

(١) الحجّة للفارسي، والكشف لمكي، وشرح الهداية نفسه .

(٢) الإنباه ٩٢/١ .

(٣) إشارة التعيين: ٤٢ .

(٤) البرهان ٣٣٩/١ .

(٥) وذكر له المؤلف «التحصيل والتفصيل» من غير إفادة .

(٦) الترتيب على حسب ما اقتضته فهرست تصانيف الداني ص: ١٦-١٧-١٩ .

عنه ابنُ الجزري^(١): «في القراءات السبع، يشتمل على نيف وخمسمائة روايةٍ وطريق عن الأئمة السبعة^(٢)، وهو كتابٌ جليل في هذا العلم لم يؤلَّف مثله»^(٣)

أفاد منه المؤلف ولم يذكر اسمه .

ب - «الاقتصاد» : كتابٌ في القراءات السبع كذلك، وليس في علم المرسوم^(٤)، وذكر ابن الجزري أنه منظومةٌ قال: ومنظومتهُ الاقتصاد أرجوزةٌ مجلد^(٥).

أفاد منه المؤلف وذكره باسمه.

ج - «التيشير» : كتابٌ في القراءات السبع^(٦)، غني عن الإيماء إليه، فهو أصلُ نظم الشاطبي في الحِرز، وعليه مدارةُ عدا الألفاف، وهو أعرفُ مصنفات أبي عمرو في فنون القراءات^(٧).
اعتمد عليه المؤلف كثيراً ويذكره باسمه في تصنيفه كما سيأتي.

(١) وهو الأصل الثالث من أصول النشر ٦١/١ .

(٢) لعل كتاب الهذلي أوفر منه على العدد .

(٣) حقق منه د. عبد المهيمن الطحان (الأصول) بجامعة أم القرى .

(٤) كما وهم فيه د. التهامي الراجحي في تحقيقه للتعريف ص: ٥٤، وجايد زيدان في تحقيقه للمكتفى ص: ٣٦، و. عزة حسن في تحقيقه للمحكم ص: ١٥، تبعاً للكشف ١٣٥/١، وهديّة العارفين ٢٥٣/١ .

(٥) الغاية ٥٠٥/١ .

(٦) وهو الأصل الأول من أصول النشر ٥٨/١ .

(٧) والكتاب على أهميته في الباب، اقتصر في تحقيقه وطبعه على عمل المستشرق الألماني أوتوبرتزل منذ ١٩٣٠م، وهو كتاب يجدر بأهل القرآن أن يتعالوا به عن أيدي أمثال هؤلاء الجهلة، إذ النص المحقق يخل بالاضطراب والتحريف والبتز والوهم والسقط، وقد عانيت منه وعالجت فيه ما وصلت إليه يدي .

د- «الإيضاح»: وهو كتابٌ في بيان مذاهب القراء في الهمزتين^(١)، وما يجري عليها من تغييرٍ وأحوال من تحقيق وتسهيل، وإسقاط وتبديل، وردَّ باسم: الإيضاح في الهمزتين في فهرست ابن خير^(٢).
وقد أفاد منه المؤلف في بابه^(٣).

- «الإدغام الكبير في القرآن»^(٤): هو كتابٌ أفرد فيه أبو عمرو باب الإدغام الكبير بالتأليف؛ لأهميته القصوى، وحاجة القارئ والنحوي إليه، ومعلومٌ أن الإدغام الكبير إذا أُطلق ينصرفُ إلى رواية السوسي عن أبي عمرو، فهو الذي نقله عنه، ولا يضرُّ ما جاء في الحرز من عزوه إلى أبي عمرو بقوله:

أبو عمرو البصري فيه تحفلا

لأنه يعلم بطريق الرواية والنقل الشفاهي، وهو مثل قوله:

وخلفهم في الناس في الجر حصلا

فذكر أبا عمرو في رمز الحاء، والمقروء به في إمالة الناس المجرور للدوري عنه.

ذكر الداني في مقدمته لهذا الكتاب علة تأليفه له بقوله:

«... فإن جماعة من أصحابنا (حرسهم الله) تكررت مسألتهم

وتأكدت رغبتهم في تصنيف كتاب خفيف في شرح مذهب أبي عمرو

(١) معرفة القراء الكبار ٣٢٨/١، والغاية ٥٠٥/١.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) والكتاب لم يطبع إلى الآن.

(٤) ورد بعنوان (التفصيل لمذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير) في فهرست مصنفات

الداني ص: ١٩.

بن العلاء (رحمه الله). في الإدغام الكبير وتفصيل ذلك بعلمه ووجوهه، وتبينه بأصوله وفروعه، وإفراده برواية أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عنه دون رواية غيره، فأجبتهم^(١).
أفاد منه المؤلف في بابه^(٢).

وإجمالاً أقول: هذه المصادر من بين تأليف أبي عمرو، تعد قطرة من بحر، فهو أستاذ الأستاذين، ومن نظر في كتبه عِلِمَ مقدار الرجل، وما وهبه الله تعالى فيها، فسبحان الفتاح العليم^(٣).

٧ - الحصري: أبو الحسن عل بن عبد الغني الحصري القيرواني

(ت ٤٨٨ هـ) في منظومته الرائية: (الموسومة بالحصرية).

منظومة رائية اشتهرت باسم صاحبها، نظم فيها قراءة نافع من روايتي ورش وقالون عنه، مجلياً الخلافَ الدائرَ بينهما أصولاً وفرشاً، مقسماً ذلك إلى أبوابٍ يقتضيها الغرض، مقدماً لورش على قالون، بخلاف الشاطبية واليسير، حاكي^(٤) فيها منظومة الخاقاني (الرائية)^(٥) الموسومة بـ «باكورة علم التجويد» أولها:

(١) مقدمة كتاب الإدغام ص: ٢٩ .

(٢) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور زهير غازي زاهد .

(٣) عن الغاية ١/٥٠٤-٥٠٥ .

(٤) قال:

فجئت بها فهرية حصرية على كل خاقانية قبلها تزري

(٥) مطلعها:

أقول مقالاً معجباً لأولي النهيتر ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر

[إِذَا قُلْتُ أَيْبَاتًا حِسَانًا مِنَ الشُّعْرِ
فَلَا قُلْتُهَا فِي وَصْفٍ وَصَلٍ وَلَا هَجْرٍ]

- وقال في غرضها:

[أَعْلَمُ فِي شِعْرِي قِرَاءَةً نَافِعَةً رَوَايَةً وَرَشٍّ ثُمَّ قَالُونَ فِي الْإِثْرِ]
وقد اعتمدها الشاطبي في الحرز، وأفاد منها كثيراً، من ذلك:
قوله في باب المد:

[إِذَا أَلْفٌ أَوْ يَأُوهَا بَعْدَ كَسْرَةٍ
أَوْ الْوَاوُ عَنْ ضَمِّ لَقِي الْكَسْرَ طُولًا]
حاكى في ذلك قول الحصري في الباب نفسه:
[إِذَا الْأَلْفُ الْمَفْتُوحُ مَا قَبْلَهَا أَتَتْ]

أَوْ الْوَاوُ عَنْ ضَمِّ أَوْ الْيَاءِ عَنْ كَسْرِ]
ومن ذلك ما ألح به إليه في باب الروايات بقوله:
مذاهبُ شذت في الأداء توقلا
ولم يستشهد بها المؤلف إلا إماماً يسيراً^(١).

٨ - ابن الباذش: أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري (ت ٥٤٠ هـ)

في كتابه: «الإقناع» .

وهو كتابٌ في القراءات السبع^(٢)، صنفه أبو جعفر مرتباً به كتابي
«التبصرة» و«التيسير» لمكي والداني، معتمداً في تأليفه وحسن تصنيفه

(١) وهي الأصل الثالث والخمسون من أصول النشر ٩٦/١، حققها الزميل توفيق

العبقري مع شرح لها (رسالة علمية بجامعة فاس) .

(٢) وهو الأصل التاسع والثلاثون من أصول النشر ٨٨/١ .

على والده أبي الحسن علي بن أحمد، وبهذا أشار في مقدمته إياه بقوله:
 « وإنني تأملت كتابي الشيخين الإمامين أبي محمد مكّي بن أبي
 طالب القيسي، وأبي عمرو عثمان بن سعيد القرشي رضي الله عنهما:
 التبصرة واليسير^(١)، فألفيت معاهما للاسمية موافقاً، وباطنها للعنوان
 مصاحباً مرافقاً، لأنهما قرياهما للمبتدئ الصغير، وقصدا قصد التبصير
 واليسير.. ولا درك عليهما، بل لهما الدرك... »
 لكن في كتابيهما مجال للتهذيب، ومكان للترتيب، فكم هناك من
 منفرد حيل بينه وبين أخيه، ونازح عن أمه وأبيه، ومنفصل عن فصيلته
 التي تؤويه.... وطالعت أبي، أيده الله، في مشكله وعويصه...^(٢)
 والكتاب معتمد المؤلف لاسيما في التراجم^(٣).

٩ - الشاطبي: أبو القاسم بن فيره الرعيبي الأندلسي (ت ٥٩٠ هـ)
 في منظومته الموسومة بـ « حرز الأمانى ووجه التهاني » .
 قصيدة لامية من البحر الطويل، تضمنت الخلاف الدائر بين القراء
 السبعة أصولاً وفرشاً، قال عنها ابن الجزري: « ومن وقف على قصيدته،
 عليم مقدار ما آتاه الله في ذلك، خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من
 بعده عن معارضتها، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها، أو
 قابل بينها وبين ما نظم على طريقها، ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة

(١) ينظر في التقديم للزمن لا للرتبة .

(٢) مقدمة الإقناع ٤٨/١-٤٩، ٥١ .

(٣) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش، ويحسن إعادة تحقيقه؛ لما فيه من
 الوهم، وعدم التنسيق بين النسخ المعتمدة في تحقيقه .

والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن...»
قلتُ: وهي الركن الأقوم، والصدر الأعظم، وعليها مدار هذا
التأليف المبارك^(١).

١٠ - السخاوي: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
(ت ٦٤٣هـ) في كتابه الموسوم بـ «فتح الوصيد في شرح القصيد» .
صاحب الكتاب، أجلُّ أصحاب الناظم، وإليه يُشير بقوله:
« يقيض الله لها من يشرحها^(٢)، فقد كان شغوفاً بها معنياً
بشهرتها^(٣) ».

قال ابن الجزري^(٤): « وألف من الكتب شرح الشاطبية، وسماه « فتح
الوصيد » ، فهو أول من شرحها.. »^(٥).

قال أبو شامة^(٦): « وإنما شهَّرها بين الناس، وشرَّحها، وبيَّن معانيها،
وأوضحها، ونَبَّه على قدر ناظمها، وعَرَّف بحال عالمها شيخنا الإمام
العلامة علمُ الدين.. أبو الحسن عليُّ بنُ محمد » .

وقال الجعبري^(٧): « وكلُّ كلُّ على فاتح وصيدها، ومانح نضيدها
الشيخُ العلامة تاجُ القراء علمُ الدين السخاوي، جزاه الله عنا خير الجزاء ».

(١) تحدثت عنها في مبحث خصصته لها .

(٢) الغاية ٥٧٠/١ .

(٣) منجد المقرئين ص: ٥٣ .

(٤) الغاية ٥٧٠/١، وهي من مرويات صاحب النشر ٦٣/١ .

(٥) فيه نظر، وقد تقدم التحقيق في هذه المسألة في مبحث شراح القصيد .

(٦) الإبراز .

(٧) كنز المعاني (شرح الشاطبية) المقدمة .

قد أفاد المؤلف من هذا الشرح كثيراً، ويُعدُّ من أهم معتمداته في الفرائد، وله معه وقفات^(١).

١١ - الفاسي: أبو عبد الله محمد بن الحسن: (ت ٦٥٦ هـ). في كتابه الموسوم بـ «الآلئ الفريدة في شرح القصيدة». .
كتابٌ عُني فيه صاحبه بفسر أبيات القصيد، نَحَى فيه منحى ذوي السبق حاملي علم هذا الفن، فأفاد فيه وأجاد، واعتنى بالتوضيح والاعتراض، لا جرمَ فهو من الأساتذة الأفاضل .

قال ابن الجزري^(٢): « وشرحه للشاطبية في غاية الحسن ». .
قال مؤلفها في تسميتها وسبب تأليفها: « ... ثم استخرت الله تعالى في جمع شرح وسط، لا أميل فيه إلى الاستكثار، ولا أحل فيه بالمقصود بقصد الاختصار، فجمعتُه على ما رأيت من الترتيب، وآثرت من التلخيص والتقريب، وسميته بـ «الآلئ الفريدة في شرح القصيدة..»^(٣) وهو من أكبر معتمدات المؤلف في الفرائد، وله عليه اعتراضات سنذكرها في محلها^(٤).

(١) يعمل فيه بعض الطلبة بجامعة القرآن الكريم بأم درمان .

(٢) الغاية ١٢٢/٢-١٢٣، وهي من مرويات ابن الجزري. انظر النشر ٦٤/١ .

(٣) مقدمة الآلي .

(٤) يعمل عليها بعض الطلبة في المغرب، وقد ذكر لي د. عبد العزيز عبد الفتاح قاري أنه

يعمل عليها منذ سنة ١٩٨٩م بالمدينة المنورة، وفقه الله لإكماله .

المبحث الثاني:**كتب معاني القرآن**

الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد. (ت ٢٠٧ هـ) في كتاب «معاني القرآن».

هو أول كتاب في معاني القرآن بعد كتاب الكسائي عند الكوفيين، وهو عبارة عن آمالي أملاها على أصحابه كما جاء في الفهرست^(١): ... فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أمِلَّ عليكم كتاباً في القرآن. قال السمرري^(٢) في بُدوءِ الكتاب: هذا كتابٌ فيه معاني القرآن، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء يرحمه الله عن حفظه من غير نسخة، في مجالسه أول النهار...^(٣)

وقد أفاد منه المؤلف، وله معه وقفات.

الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة (الأوسط) (ت في حدود ٢١٥ هـ) في كتاب: «معاني القرآن» .

يُعتبر الكتاب ثالثَ ثلاثة أُلُفت في هذا الغرض لدى مدرسة البصرة، يُقدِّمها أبو عبيدة، ثم قطرب، ثم الأخفش . إذا لم يكن الكتاب بدعاً من سالفه، فإن له النصيبَ الأوفى في

(١) الفهرست

(٢) محمد بن الجهم السمرري ، راوية الكتاب .

(٣) المعاني ١/١، وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد علي النجار وصاحبيه .

الإطلاع والإفادة من كتاب سيبويه^(١) فقد أربت إفاداته منه على مئتي
إفادة وإنشادة.

كان ثعلب يُفضلُ الأخفش ويقول: كان أوسعَ الناسَ علماً .
وقد أفاد منه المؤلف كثيراً^(٢).

الزَّجَّاجُ: أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) في كتاب:
«معاني القرآن وإعرابه» .

وهو كتابٌ أمّ فيه مؤلفه البيان بالإعراب، وجعله سابقاً للمعنى، قال
عند شرحه لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾: وإنما نذكر مع الإعراب المعنى
والتفسير، لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين، ألا ترى أن الله يقول: ﴿أَفَلَا
يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء/٤)، فحُضِرْنَا على التدبر والنظر، ولكن لا
ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقلة أهل
العلم^(٣).

وقال في مقدمته^(٤): هذا كتابٌ مختصر في إعراب القرآن ومعانيه.
وقد أفاد منه المؤلف في مواضع معدودة^(٥).

(١) فهو أحدق أصحابه والطريق إلى كتابه. أخبار النحويين البصريين: ٦٦ .

(٢) طبع الكتاب بتحقيق د. الورد ١٩٨٥ .

(٣) ١٨٥/١ من المصدر نفسه .

(٤) ٣٩/١ من المصدر .

(٥) طبع بتحقيق شلي في خمسة مجلدات .

* نقل الصدر (المشافهة) :

ليس ثمة إلا مصادرُ ثلاثة، وهم شيوخُه الذين تلقى عنهم بعض أصول هذا النظم وشرحه مشافهةً، جرياً على العادة في الحلق .

١ - محمد بن علي بن عبد الحق أبو عبد الله الأنصاري الفاسي المعروف بابن القصَّاب (في حدود ٦٩٠ هـ) أفاد منه المؤلف فيما تلقاه عنه من شرح للقصيدة مشافهة.

٢ - أبو القاسم الضرير: أفاد منه كذلك في شرحه للشاطبية مشافهة.

٣ - أبو مروان عبد الملك بن موسى: أفاد منه في شرحه لأصول الشاطبية (التيسير) .

المبحث الثالث:**مصادر النحو والصرف****١ - سيويه :**

سيويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) في: « الكتاب ».

قال يونس بن حبيب بعد ما نظر في الكتاب: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكى عني^(١).
وقال أبو سعيد السيرافي: وعَمِلَ كتابه - سيويه - الذي لم يسبقه إلى مثله أحد، ولم يلحق به من بعده^(٢).

ليس من الإغراب: أن يقارَف الكمالَ ذلك الكتاب، وقد اجتمعت لصاحبه من الشَّيخة مقرئين ونحاة، ما يؤهله لإحكام الكلام في النحو والقراءات، من أمثال يونس، والخليل، ويعقوب الحضرمي، وأبي عمرو ابن العلاء.

قال ابن النديم^(٣): قرأت بخط أبي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيويه اثنان وأربعون إنساناً منهم سيويه، والأصول والمسائل للخليل.

يُعتبر الكتاب من أهم موارد ابن آجروم في تعليل الظواهر القرائية والنحوية والصرفية، ولولا أنه كتابٌ وُسِمَ بالنحو لجعته في بُدءة مصادر القراءات.

(١) شرح السيرافي .

(٢) أخبار النحويين البصريين: ٦٤ .

(٣) في الفهرست: ٨٦ .

٢ - أبو زيد الأنصاري: سعيد بن أوس الخزرجي (ت ٢١٥ هـ) في كتاب «الهمز» .

نقل عنه ابن جني في المنصف ٥٧/٢ . وذكره، قال: إن أبا زيد ذكر ذلك في كتاب همزه المقيس.

ونسبه إليه ابن النديم، وابن خير، والقفطي، وخليفة، نشر باعتناء لويس شيخو بمجلة المشرق سنة ١٩١٠م^(١).

٣ - السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ هـ) في كتاب: «شرح كتاب سيويه» .

ذكر الدكتور البنا: أنه أجلُّ كتبه^(٢)، ووصفه ياقوت في معجم الأدباء^(٣) بقوله: وشرح كتاب سيويه في ثلاث آلاف ورقة، فما جراه فيه أحدٌ، ولا سبقه إلى تمامه إنسان^(٤).

والحق أنه كتابٌ أحاط بما في الكتاب خيراً، فقد فسر وعلّل واستدرك أيضاً، فلم يغادر ظاهرة إلا أحصاها.

وعلى هذا طاوله أبو علي وأصحابه مترقبين عثراته، فأفادوا بعد ذلك منه ولم يُحرزوا طلبتهم. وقد أفاد منه المؤلف .

(١) معجم المعاجم ص: ١٦٦ بتصرف .

(٢) مقدمته لأخبار النحويين البصريين: ١٨ .

(٣) معجم الأدباء ١٥٠/٨-١٥١ .

(٤) على ما في هذا الكتاب من ذخائر فكرية ناضجة، لم يعتن فيه من قبل الباحثين بالعناية اللائقة به إلا ما جاء من تحقيق رمضان عبد التواب وصاحبيه، وعبد المنعم فائر من أول الجزء الرابع إلى باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل من ط هارون .

المبحث الرابع:**مصادر فقه اللغة**

١ - ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) في كتاب: «أدب الكاتب» . جاء في اليتيمة^(١):

أدبُ الكاتب عندي ماله في الكُتب نِدُّ
ليس للكاتب منه إن أراد العلم بُدُّ

وروى ابن خلدون^(٢): أن «أدب الكاتب» أولُ أصول وأركان الفن (يعني الأدب)

وهو أول مؤلفٍ في فقه اللغة وأسرارها في سننها وسياقاتها ونظمها، وإن كان العنوانُ ينصرف إلى غرض محدود، وهو ما يتعلق بأدوات محترف الكتابة واحتياجاته في تنميق النظم وترصيعه.

قال الدكتور محمد محمد حسين^(٣): عالج سلفنا مواضع فقه اللغة تحت هذا الاسم الصريح، كما فعل ابن فارس والثعالبي، وعالجوها تحت غير هذا الاسم كما فعل ابن قتيبة في أدب الكاتب... وبدأ هذا العلم في خطواته الأولى غيرَ محدد الدلالة، يضم أشتاتاً من المعارف...^(٤)

فكان هذا الكتاب أولَ كتاب عالج هذه الظاهرة تحت غير عنوانها، إذ أراد به تقديم الثقافة اللغوية الجامعة، التي يحتاج إليها كتاب الدواوين،

(١) لأبي منصور العبدوني ٧٧/٤ من اليتيمة .

(٢) المقدمة: ٥٥١ .

(٣) مقالات في اللغة والأدب: ١١٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٥٧ .

وتضمن كثيراً من الفصول التي تتجاوز السرد اللغوي إلى استنباط خصائص اللغة في صياغة الألفاظ، ونظم الكلام، ودلالات الأوزان، والفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة المعاني، والمتشابهة الرسم...^(١)

٢ - ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) في كتاب «الخصائص».

يقول الدكتور محمد محمد حسين^(٢): وكان أعظم ما ألف في موضوع فقه اللغة وأوفاه شمولاً ودقة كتاب «الخصائص» لابن جني. وقال في مكان آخر: وعالجوه (فقه اللغة) تحت غير هذا الاسم كما فعل...، وابن جني في الخصائص^(٣).

يتبين لمتتبع هذا الفن أن التأليف فيه يحصره عدد قليل، وذلك لخطورة موضوعه، وحلوة ليله، لاستنباطه أسرار اللغة وكنهها، وما ووري عن قارئها، وعمي عن ناظرها، وجاء هذا الكتاب قبضةً من أثر أبي علي، نبذها أبو الفتح فأصبحت متعاليه عن الأنداد، في عمق وسداد.

قال في مقدمته: هذا... كتاب لم أزل على فارط الحال، وتقادم الوقت، ملاحظاً له، عاكفَ الفكر عليه... ثم إن بعض من يعتادني.. سأل فأطال المسألة.. أن أمضي الرأي في إنشاء هذا الكتاب...^(٤)

وللمؤلف معه وقفات في أثناء رده لبعض القراءات.

ابن أبي الربيع: الحسين عبيد الله بن أحمد الإشبيلي السبتي (ت ٦٨٨ هـ).

(١) المصدر نفسه .

(٢) مقالات في الأدب واللغة: ٥٧ .

(٣) المصدر نفسه: ١١٢ .

(٤) مقدمة الخصائص ١/١-٣ .

المبحث الخامس:**مصادر التفسير**

١ - الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ). في كتاب: «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل».

كتاب في تفسير القرآن الكريم، معتمد في المسائل اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، لا يؤبه له في مسائل أخرى^(١)، تصدى له بالنقد أبو حيان الجياني في البحر، وابن المنير في الانتصاف، والصفاقسي في الغيث، وانتصر له السمين الحلبي في الدر المصون.

وبالجملة فهو كتاب ينتفع به في بابه. أفاد منه المؤلف في اللغة.

٢ - ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) في كتاب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» .

مؤلف فيه تفسير القرآن العظيم، أهم مميزاته ذكر القراءات داخل النسق المبين، وتوجيهها، والاحتجاج والانتصار لها، مع التعرض للظواهر النحوية والصرفية واللغوية، لا جرم أنها عمدة المفسر وعدة المتدبر، فقد قال الإمام مالك بن أنس: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا^(٢).

(١) منها رده لبعض القراءات التي خالفها القياس النحوي، وقد صح سندها، واستشهاده بشعر أبي تمام، إذ قال محتجاً: «أجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه»، ومعتقده في الصفات، ولهذا مجاله .

(٢) البرهان ١/٢٩٢ .

وقال مجاهد بن جبر: لا يجلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب^(١).
وقد أفاد منه المؤلف^(٢).

(١) المصدر نفسه .

(٢) طبع الكتاب ثلاث مرات، وللدكتور عبد الوهاب فايد دراسة حوله سماها (منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم) .

المبحث السادس:**المصادر اللغوية**

يُلاقى المتكلم بالعربية عنناً كبيراً من أفعالها، وهو يكون عرضة لأن يخطئ فيها بالتحريف في حركاتها، أو بتبديل بناء منها بآخر، وذلك ما استنهض اللغويين العرب لتأليف معاجم في الأفعال كان منها الخاصُّ ببعض صيغها، والعامُّ في جميعها لغرض العلاج أو الوقاية من تلك الأخطاء التي يقع فيها المتكلمون عند النطق بالأفعال.

ذلكم الكلم الذي دَبَّج به العلامة اللغوي محمد الشرقاوي إقبال حديثه وفهرسته لمعاجم الأفعال^(١)، وصدرَ فهرسته بكتاب الأفعال لابن القوطية إذ هو مستهلُّ الباب.

١ - ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧ هـ) في كتاب «الأفعال» .

من أوائل الكتب المؤلفة في هذا الغرض بهذا الاسم، قال ابن خلكان^(٢): وصنف ابن القوطية الكتب المفيدة^(٣) في اللغة منها كتاب: تصاريح الأفعال، وهو الذي فتح هذا الباب، فجاء من بعده ابن القطاع وتبعه...^(٤)

(١) معجم المعاجم: ٢٥٧ .

(٢) وفيات الأعيان ٤/٣٦٨-٣٦٩ .

(٣) منها المقصور والمدود. الوفيات ٤/٣٦٩، ومعجم المعاجم: ٢٧٦ .

(٤) قلت: تبعه ابن طريف الأندلسي (أبو مروان عبد الملك ت ٤٠٠ هـ) قال القفطي،

وله كتاب حسن في الأفعال، ثم السرقسطي (أبو عثمان المعافري) قال ابن خبير في

صدر كتابه بمقدمة عن الفعل وأحواله وأهميته، قال: «اعلم أن الأفعال أصولُ مباني أكثر الكلام، وبذلك سمَّتها العلماء الأبنية، وبعلمها يُستدلُّ على أكثر علم القرآن والسنة، وهي حركات متقضيَّات^(١)، ثم تكلم عن الأفعال الثلاثية^(٢)، أعقبها بالحديث عن مصادر الثلاثي^(٣)، فمصادر الرباعي^(٤)، فالصفات في الألوان^(٥)، فالصفات بالجمال والقبح والعلل والأعراض^(٦)، فأقل الأبنية^(٧)، وبها ختم الديباجة، ثم بدأ بحرف الهمزة^(٨)، وهكذا إلى الياء^(٩).

وقد اعتمده المؤلف فيما اكتبه من الأبنية.

٢ - ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني (ت ٢٩١هـ) في كتاب «الفصيح»، أو اختيار فصيح الكلام. جاء في مقدمته: هذا كتابُ اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس

كتاب الأفعال لأبي عثمان سعيد، طبع بتحقيق محمد محمد شرف، ثم ابن القطاع (أبو القاسم على الصقلي ت ٥١٥ هـ) قال ابن خلكان: كتاب الأفعال أحسن فيه كل الإحسان، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية، وإن كان ذلك قد سبقه إليه. معجم البلدان: ٢٥٦.

- (١) المقدمة من كتاب الأفعال لابن القوطية: ١.
- (٢) نفسه: ٣-١.
- (٣) نفسه: ٥-٣.
- (٤) نفسه: ٧-٥.
- (٥) نفسه: ٧.
- (٦) نفسه: ٨-٧.
- (٧) نفسه: ٩-٨.
- (٨) نفسه: ٩.
- (٩) نفسه: ٣٠٤.

وكتبهم، فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك .

ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فأخبرنا أفصحهن .
ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهن بأكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما، وألفناه أبواباً، فمن ذلك باب فَعَلْتُ بفتح العين...

قال القنوجي^(١): وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة، اعتنى به الأئمة، ثم ذكر شراحه ونظامه.

وقال الشرقاوي إقبال^(٢): والفصيح هذا مما يدخل في عداد الكتب التي ألفت في التصويب اللغوي، وهو كان من أسير المعاجم ذكراً، وأكثرها تداولاً بين المؤدبين والمتأدبين...

اعتمده المؤلف كما اعتمد بعض إنشادات صاحبه.

٣ - الجوهري: أبو النصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣ هـ)

في كتاب «الصحاح»^(٣)، تاج اللغة وصحاح العربية.

(١) البلغة: ٤٣٦ .

(٢) معجم المعاجم: ٧٠ .

(٣) اختلف الباحثون في كيفية ضبط صاده فتحاً أو كسراً، والصواب تصويبهما، فقد جاء عن التبريزي أنه قال: كتاب الصَّحاح بالكسر، وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال: الصَّحاح بالفتح، وهو مفرد نعت كصحيح، وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة في فعيل كصحيح وصحاح، وشحيح وشحاح، وبريء وبراء . ذكره في الزهر، وقال ابن الطيب الشرقي: حيث لم يرد عن المؤلف في تخصيص أحدهما بالسند الصحيح ما يصار إليه، ولا يعدل عنه، فكلا الضبطين صحيح، خلافاً لمن أنكر الفتح ولمن رجحه على الكسر .

تقسّم الدراسة المعجمة العملَ في إطارها إلى أربع مدارس^(١):

المدرسة الأولى: مدرسة الخليل.

المدرسة الثانية: مدرسة أبي عبيد.

المدرسة الثالثة: مدرسة الجوهري.

المدرسة الرابعة: مدرسة البرمكي.

ولكل هذه المدارس توابع لها وعيّلٌ عليها، والمهم من هذا المدرسة الثالثة وهي مدرسة الجوهري في الصحاح.

قال الثعالبي^(٢): وله كتاب الصحاح في اللغة، وهو أحسنُ من

الجمهرة، وأوقعُ من تهذيب اللغة، وأقربُ متناولاً من مجمل اللغة.

وقال عنه ابن منظور^(٣): ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،

قد أحسنَ ترتيبَ مختصره، وشهّرَ بسهولة وضعه، فخف على الناس أمره

فتناولوه، وقربَ عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه.

وقد سار الجوهري في صحاحه على نظام التقفية ملتزماً بالصحة في

المروي، متحاشياً غير الصحيح.

قال القنوجي: وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو نصر

إسماعيل بن حماد الجوهري. ولهذا سُمي كتابه «بالصاح»... فهو في

كتب اللغة نظير صحيح البخاري في كتب الحديث، وليس المدار في

الاعتماد على كثرة الجمع، بل على شرط الصحة^(٤).

(١) أول من قال بهذا العطار محقق الكتاب .

(٢) اليتيمة ٢٨٩/٤ .

(٣) مقدمة اللسان .

(٤) البلغة: ١٢٢، ١٢٤ .

وقد أحسن صنعا العطار إذ جعله صاحب مدرسة التفقيه ورائدها
 إذ لم يأبه لزعم^(١) من يرى أنه اختلسها من خاله الفارابي صاحب «ديوان
 الأدب»، والبندنجي صاحب كتاب «التفقيه». قال: ونحن ومعنا الحق
 والعلم والتاريخ والواقع نؤكد أن الجوهرى قد انتهى إلى منهجه دون أن
 يكون بين يديه مثال سبقه فتأساه... وكلمة الجوهرى: «على ترتيب لم
 أسبق إليه» تدل على أنه لم يطلع على كتاب التفقيه للبندنجي المغمور
 هو وكتابه^(٢).

واعتمده المؤلف في بيان بعض الملتبس.

(١) دكتور العطية في مقدمة تحقيقه كتاب التفقيه، والشيخ الجاسر في مجلة العرب ج ٧

سنة ٧١ محرم ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م.

(٢) مقدمة تحقيق الصحاح ٨/١.

الفصل الثاني

قيمة الكتاب العلمية

وفيه خمسة مباحث:

- ١ - الموازنة بينه وبين أوجه الشروح .
- ٢ - ترصيعه للعمل بثلة من القواعد اللغوية .
- ٣ - تحكيمه لبعض المقولات المعتبرة .
- ٤ - آثاره في اللاحقين .
- ٥ - الكتاب في نظر بعض المحدثين .

المبحث الأول:**الموازنة بينه وبين من خلفهم في العمل (أوجه الشروح)**

تباين منظومة شراح القصيد، تبايناً ينبئ عن مقصدهم، فمنهم من يختصر اختصاراً مخلاً لا يكاد يفني بغرض الشرح، ومنهم من يتسع ويُسهب بالتعلات والإيضاح، ومنهم من يتوسط فيقتصر على ما يرى له داعياً قوياً.

وإخال صنعة شيخنا في سفره هذا في ثاني المدارج المتلوة آنفاً، وما قلت هذا تعصباً مني، ولكن عن مكابدة ومجاهدة، ضارعتهما لدرك ما نثر من درر الرسم وشريف الوسم، ولست بمدع في مقولتي هذه أنني أحطت بما لم يحط به سواي، وجئت من سبأ الفرائد بنبأ يقين، ولكن عنِّي أن أقول بما فيه أجول فقلت، وورِّي لي زند الإعجاب بما حوله أدور فحَمَلت .

أسست الموازنة على أجود الشُّروح وأشهرها، وأذهبها في مجال التعليل والرصد، والافتراض والفرض، متحاشياً ما غث من سائرهما، أو اعتدل في مقصدها.

أولاً: شرح الإمام السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) الموسوم بـ «فتح الوصيد في شرح القصيد»، وهو شرح نفيسٌ به عُرفت القصيدة، وبه عرَّفَ كلُّ شارحٍ طريقه إليها.

قال برهان الدين الجعبري^(١): «كُلُّ كَلِّ على فاتح وصيدها، وماتح

(١) الكنز، المقدمة .

نصيدها، الشيخ العلامة تاج القراء، سراج الأدباء، علم الدين أبي الحسن السخاوي جزاه الله عنا خير الجزاء.

وقال أبو شامة^(١): وإنما شهَّرها بين الناس وشرَّحها، وبَيَّنَ معانيها وأوضحها، ونَبَّهَ على قدر ناظمها وعرَّفَ بحال عالمها شيخنا الإمام العلامة علم الدين، بقية مشايخ المسلمين، أبو الحسن علي بن محمد.

وقال ابن الجزري^(٢): وإليه أشار الشاطبي بقوله:

يقيضُ اللهُ لها فتىً يشرُّحُها

وفي المنجد قال: كان مشغوفاً بالشَّاطبية، معنياً بشهرتها، معتقداً في شأن مؤلفها وناظمها رحمه الله تعالى، ولهذا اعتنى بشرحها، فكان أول من شرحها^(٣)، وهو الذي قام بشرحها بدمشق، وطال عمره، واشتهرت فضائله، فقصدَه الناس من الأقطار، فاشتهرت الشَّاطبية بسببه، وإلا فما كان قبله تُعرف الشاطبية ولا تُحفظُ، وكان أهل مصر كثيراً ما يحفظون «العنوان» لأبي طاهر...^(٤)

ثانياً: شرح أبي عبد الله الفاسي (ت ٦٥٦) الموسوم بـ «الآلئ الفريدة في شرح القصيدة» .

قال عنه الحافظ الذهبي^(٥): وشرحه للشَّاطبية في غاية الحسن، وكان

(١) الإبراز: المقدمة .

(٢) الغاية ١/٥٧٠ .

(٣) انظر قوله في الغاية في ترجمة ابن الحداد (ت ٦٢٥هـ)، ويحتمل أن يكون أول من شرحها ١/٣٦٦ .

(٤) منجد المقرئين: ٥٣ .

(٥) معرفة القراء الكبار ٢/٥٣٤ .

إماماً... بصيراً بالقراءات وعللها... خبيراً باللغة مليح الكتابة... انتهت إليه رياسة الإقراء بحلب .

- النتاج:

ظهر من خلال الإطلاع والموازنة بين الشروح الثلاثة: أن ابن آجروم قرأ «الفتح» و«اللائي»، قراءة المتمكن، وحفظَ خطتهما، واعتنى بها، فتمقها وأنقها، وزاد عليها ونقص منها، وثارَ عليها أحياناً وعالجها، وأفاد منها في شرحه هذا، شأن أساطين العلم الأوائل، الذين يحفظون ليضيفوا، فجاء شرحه جامعاً للشرحين، محاسنهما وتجويدهما، فالناظرُ فيه كالناظرِ فيهما، مع تأنقٍ في العبارة، وإحكامٍ في المطالب، وإسهابٍ في التعليل غير مملٍّ، وإبرامٍ في المسائل غير مخلٍّ، وتجويدٍ رتلٍ فيه المآتي من غير تراكب ولا تراكم، إلا في مسائل التراجم، فقد حفظها بحرفها، واعتمدها بنصها، وتلك مزية لا رزية.

المبحث الثاني:**ترصيعه الكتاب بثلاثة من قواعد اللغة والنحو والصرف**

- أجتزئ بذكر بعضها مخافة الإملال:
- (١) ليس في الصفات فِعْلٌ إلا «عداً» .
 - (٢) الهمزة بين بين في زنة المتحركة وإن خف النطق بها.
 - (٣) لام المعرفة لا تكون في الكلام إلا ساكنة، ولا تسكن مبتدأة إلا في صيغة الأمر خاصة، على لغة الحمل على النظير من المسموع.
 - (٤) الإبدال أقربُ إعلالاً من الحذف ؛ لأنه إعدام.
 - (٥) أسماء الأعداد قبل وقوعها على معدود موقوفات.
 - (٦) لم تجئ «وَعَوْتُ» .
 - (٧) ما كان على «فُعْلٌ» يجوز فيه أربع لغات.
 - (٨) الإدغام الصغير لا يكون فيه إسكانٌ.
 - (٩) لا يرد عاملٌ على عامل.
 - (١٠) لا يُدغم أحد المثلين في صاحبه.
 - (١١) العرب تستفهم في التوبيخ ولا تستفهم.
 - (١٢) حرف اللين أضعف من حروف المد.
 - (١٣) لم يُدغموا «بكر راشد» .
 - (١٤) الأصل في التقاء الساكنين التحريكُ ثم الحذف.
 - (١٥) الإشمام لا يؤتى به إلا بعد السكون الخالص لا غير، ورومُ الحركة حركةٌ وإن ضعفت بذهاب معظمها.
 - (١٦) العرب لا تستثقل في العارض.

- (١٧) ليس في الأفعال: افعلّ، وافعلّلوا.
- (١٨) شذ قوهم: ودّ: في وتد.
- (١٩) الضمير المرفوع يُنزل من الكلمة منزلة الجزء منها.
- (٢٠) العرب تفتح: هذا ماش.
- (٢١) العرب تفعل ذلك يقولون: لَحْمَرُ جَاءَ، وَالْحَمَر.
- (٢٢) أل في الأسماء بمنزلة قد في الأفعال.
- (٢٣) السكت بعض الوقف.
- (٢٤) الوقف لا يكون على بعض الحركة.

المبحث الثالث:

تحكيمة لمقولات

تُعْتَبَرُ جَوَامِعُ كَلِمٍ لِّلْمَسْنُونِ الْمُتَّبِعِ عِنْدَ مُلْتَزِمِي الْمَنْهَجِ الْأَقْوَمِ
لِرُصْدِ وَتَأْسِيسِ الْقَاعِدَةِ اللَّغْوِيَّةِ

وَأُمَثِّلُ هَذَا بِمَا يَلِي:

- (١) مَا كَانَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، فَسَبِيلُهُ أَنْ يُقَعَّدَ حَيْثُ وَرَدَ.
- (٢) لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا.
- (٣) قَدْ يَحْكُمُ لِشَيْءٍ بِحُكْمَيْنِ.
- (٤) مَا مَنَعْتَهُ عِلَّةٌ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَصْلِهِ فَلَيْسَ بِمُخَالَفَةٍ لِلْأَصْلِ.

المبحث الرابع:**أثارة من أثاره في اللاحقين****(نماذج من إفاذاته في أعمال خالفة)**

لقد بزغ بدر هذا العمل إبان الحاجة إلى شرح يفك غوامض القصيدة، ويقربها من روادها؛ لأن شروحا لم تتداول بالقدر المطلوب حينئذ، فجاء الكتاب مدرسة متكاملة شع نورها لمن اقتفى أثرها من شراح للقصيد، أو مفردين لباب من أبوابه أصوله أو فرشه، أو متفردين بتأليف في الباب في غير محاذاة للقصيد، كشراح البرية، وغيرهم ممن ألف في المفردات .

١ - نجد في طليعة من تأثر به ونقل عنه الإمام محمد بن إبراهيم الشريشي الشهير بالخرّاز^(١) في كتابه الموسوم بـ: «القصيدة النافعة لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع» .
قال في أول كتابه هذا: ... نقلتها من كتب الأكابر العلماء المشاهير...

فقد وصف ابن آجروم بما ذكر، إذ هو داخلٌ تحت الذين نقل عنهم في كتابه.
وفي أثناء نقله عنه يصفه بالأستاذية، من ذلك قوله عند تعليقه لعدم مدىاء إسرائيل:

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي المعروف بالخرّاز، أخذ عن محمد بن القصاب ومحمد بن آجروم - المؤلف -، إمام في قراءة نافع، مقدم فيه، بارع في الرسم والضبط، قال ابن الجزري: إمام كامل، أخذ عنه أبو محمد ابن أخطا. انظر الغاية ٣٧/٢ .

- لذلك قال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أحرّوم (رحمه الله تعالى) مع كونه اسماً أعجمياً؛ لأنه كثيراً ما يخالف أحكام الأسماء العربية مع كونه بلغ غاية عدة حروف الأسماء (وغاية عدد حروف الأسماء)^(١) سبعة أحرف، فمد الألف وترك الياء؛ لأن الياء أضعف لأن الهمزة قبلها، فالضعف فيها من وجهين^(٢).

- ومنه قوله: عند شرحه لقول ابن بري:

ومد قالون لما تسهّلاً بالخلف في أو شهدوا ليفصلاً
وقد ذكر صاحبنا الأستاذ (رحمه الله) في مصنفه على القصيد، ومنه نقلت ما أورده عنه، وشافهني مع ذلك في بعضه فقال: لأنها سهّلت لثقلها في نفسها لا لاجتماع همزتين..

قال: فإن قلت: يجوز أن يُوقَف على هاء التنبيه قبل الهمزة، وتنفصل الهمزة منها فتحقق إذ ذاك وليس التسهيل لازماً لها؟
فالجواب: أن الألف الذي يراد مدّها مفقودة حالة التحقيق، ولا تجتمع هي والهمزة المحققة عنده أبداً، لأنه إنما سهلها لثقلها في نفسها، والله أعلم^(٣).

- ومنه قوله عند شرح قول ابن بري:

وحيث تلتقي ثلاث تركه وفي أئمة لنقل الحركة
وذكر صاحبنا الأستاذ (رحمه الله)، أن من لم يفصل فيه أتى به على

(١) ليست في أصل النص .

(٢) القصد النافع: ١٣٦ .

(٣) القصد النافع: ١٦٢ .

لغة الذين يقولون: (خطاءء)، فيجمعون بين الهمزتين، واكتفى بالتسهيل عن الفصل لأنه لا يستقل همزين كل الاستثقال، لأن مذهبه استخفاف اجتماع همزتين بخلاف ما فعل في أنذا وبابه، لأنه أتى به على لغة الذين لا يجمعون بين الهمزتين، فلم يكفه في زوال اجتماعهما التسهيل، بل سهل وفصل، والله أعلم^(١).

ومنه قوله عند شرح قول الناظم:

وإن أتت مفتوحة أبدلها واواً إذا ما الضمُّ جاء قبلها

وقال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله (رحمه الله):

فإن قيل: لِمَ أبدلت الهمزة في (أُألف) و(أُوذن) حين اجتماعها، ولم تُحذف كما حذفت في (أنا أكرم) والأصل (أأكرم)؟
فالجواب: أن همزة «أأكرم» زائدة على فاء الفعل، وهمزة «أولف» أصلية، لأنه فاء من الفعل، فخصوا الزائد بالحذف، وما هو أصل بالبقاء والإبدال^(٢).

- ومنه قوله عند شرحه لقول ابن بري:

والعين واللام فلا تبدلها لنافع إلا لداً بيس بما

وأبدل الذيب وبير بيس ورش ورثياً يادغام عيسى

وقد ذكر صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله (رحمه الله) في ذلك وجهاً، وهو: ... ثم ذكّره، وعلق عليه بقوله: وهذا الذي ذكّر الأستاذ (رحمه

(١) القصد النافع ص: ١٦٦ .

(٢) القصد النافع ص: ١٩٢ .

الله) ظاهرًا، إذ لم توجد هذه التغييرات في غيره من نظائره^(١).

- ومنه قوله عند شرحه لباب ياءات الإضافة:

قال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله (رحمه الله):

فإن قيل: الفتحة في الياء مستخفة، ألا تراهم يقولون: هذا قاض،
ومررت بقاض، ورأيت قاضياً، فيقدرون الضمة والكسرة ويظهرون
الفتحة، وذلك لخفتها؟

فالجواب: ... ثم ذكره^(٢).

هذه جملة ما أفاد منه العلامة الخراز في شرحه على البرية.

٢ - نقل عنه العلامة ابن المجراد^(٣) في شرحه للدرر المعلون بـ «إيضاح
الأسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع في شرح الدرر اللوامع في أصل
مقرأ نافع» في عدة أبواب مثل: ذكر ميم الجمع، والهمز والنقل. أجتزئ
بنقله عنه عند شرحه لقول ابن بري من باب المد:

وياء إسرائيل ذات قصر هذا الصحيح عند أهل مصر

... وأما في الوقف فقال ابن آجروم في «فرائد المعاني»: :

فلا يجوز فيه إلا الطبيعي كما في الوصل؛ لأنه إنما ترك مد الياء في
الوصل خوفاً من أن يجمع في كلمة واحدة بين مدتين مع كونه أعجمياً،
وهذا بعينه موجود في الوقف، وقد سألت عن ذلك شيخنا أبا القاسم بن

(١) القصد النافع ص: ١٩٦ .

(٢) القصد النافع ص: ٣٢٠ .

(٣) محمد بن محمد بن عمران السلوي، يعرف بابن المجراد، وتوفي سنة ٧٧٨ هـ ،

والكتاب مخطوط لم يطبع .

الطيب الضرير فقال ما هذا نصه: « وأما مدُّ القرآن في الوقف وما شاكلة مما يتركُ ورشٌ مدّه في الوصل، فإنه يجري فيه ما يجري في غيره من حروف المد في الوقف؛ لأن خلافهم في مده مبني على الاعتداد بما يسكنه الوقف؛ هل يجري السكون العارض يجري مَجْرَى الأَصْلِي أم لا؟ » انتهى كلامه.

- قال: - يعني ابن آجروم - فانظر كيف ساوى بين القرآن والظمان وإسرائيل، والقياس يوجب ما تقدم من التفصيل، والله أعلم. ^(١)

٣ - نقل عنه العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي في كتابه الموسوم بـ: « مقالة الأئمة الأعلام في تخفيف الهمز لحمزة وهشام » عند حديثه عن مذهب حمزة في لام التعريف قال:

« قال ابن آجروم: فإن قيل هل يجوز النقل؟ فالجواب أن النقل جائز وإن لم يقرأ به ^(٢). »

- ونقل عنه في مسألة: «أنذرتهم؛ قال: « وقال ابن آجروم: الذي يظهر لي أنه يمد لا غير ^(٣). »

- ونقل عنه في مسألة مد ياء «إسرائيل» حال الوقف وعدم مدها. قال: «وخالف ابن آجروم فقال: لا يجوز إلا الطبيعي كالوصل لاتحاد العلة ^(٤). »

(١) إيضاح الأسرار والبدائع، باب المد . وهو مخطوط .

(٢) مقالة الأئمة الأعلام ورقة: ١٥ نسخة خاصة .

(٣) المصدر السابق ورقة: ٣٢ .

(٤) المصدر السابق ورقة: ٣٧ .

هذه طائفة من نقول اقتبست من أصل الكتاب « الفرائد » تنبئ عن قوة اعتماد أكابر هذا الفن على كتاب « الفرائد » في الاحتجاج والتعليل عند المدرسة المغربية، المتمثلة في ذلكم الشرح الذي لا ضمير إن قلت: إنه جمع علم سابقه فأوعى، وأغنى اللاحقين عن لاحقيه فرضى.

المبحث الخامس:**الكتاب في نظر بعض المحدثين**

قلتُ: وقد أشار بعضُ المتأخرين إلى عظمة هذا الكتاب وقدرِ صاحبه أمثال العلامة الإمام سيدي عبد الله كنون حيث قال:
وللمترجم (رحمه الله)... شرحٌ على (حز الأمانى) المنظومة
المعروفة بالشاطبية في القراءات ؛ لأنه كان ذا قدم راسخة في هذا العلم،
أخذه الناس عنه وانتفعوا به فيه، وقد رأيت في بعض شروح الخراز أنه
ممن أخذ عن المترجم^(١).

- والدكتور الباحثة عبد الهادي حميتو حيث يقول عن الكتاب:
وهو من الشروح المغربية النفيسة على الشاطبية، ومن مفاخر المكتبة
المغربية. قال: وقد وجدتُ طلبة الدراسات الإسلامية يتهيئون الإقدام
على تحقيقه حتى الآن^(٢).

(١) انظر ذكريات مشاهير رجال المغرب ع/٢٠ ص: ٢٤ .

(٢) قراءة الإمام نافع: ١٢٧٧ .

القسم الثاني

النص المحقق

ويسبقه:

- ١ - تحقيق النسبة والتسمية .
- ٢ - وصف النسختين المعتمدتين .
- ٣ - عملي في التقويم .
- ٤ - المصطلحات والرموز .
- ٥ - نماذج مصورة من النسختين .

تحقيق النسبة والتسمية

أولاً:

أدل دلائل تحقيق النسبة والتسمية المؤلف نفسه، فقد أورد المؤلف في تقدمته للكتاب الاسم الذي ارتضاه علواناً لمؤلفه، قال في صفحة (٣): وسميته «فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني». .
ومما يزيد الحجة رسوخاً أن النسخة بخط المؤلف نفسه، وهذا يوافق ما على أول صفحة من النسخة.

ثانياً:

تصحيح نسبته له من نصوص المترجمين له، منهم:
١ - الكتاني في سلوة الأنفاس، انظر ٣/٢^(١)، قال: وإن من تأليفه أيضاً شرح حرز الأمانى في القراءات .
٢ - مخلوف في شجرة النور الزكية، انظر الصفحة: ٢١٧. ولم يذكر الاسم، بل قال: شرح حرز الأمانى في القراءات.
٣ - جاء في دائرة المعارف الإسلامية ١/٨٤ أنه كتب شرحاً لمنظومة الشاطبي.

٤ - أثبت نسبته له الزركلي في الأعلام ٣٣/٧ قال:
وله فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى خ مجلدان منه، وأورد صورة الصفحة الأولى من النسخة التي بخط المؤلف، وهي النسخة نفسها التي

(١) جاء في السلوة ١/١١٣:

ألفَ ذي مع شرحه حرز الأمانِ وشيخُه بدرُ الدُّجا أبو حيان
يشير ب(ذي) إلى المقدمة .

اعتمدها في التحقيق.

٥ - نسبه له العلامة سيدي عبد الله كنون في ذكريات مشاهير رجال المغرب (العدد الخاص بابن آجرور ص: ٢٤) قال:

وللمترجم رحمه الله من غير المقدمة شرح على (حزر الأمانى) المنظومة المعروفة بالشاطبية في القراءات.

٦ - نسبه له الدكتور عبد الله العمراني في ترجمته له في معلمة المغرب. انظر ص: ١٤٣، وانظر هامش (٢) ص: ١٩٩ من ثبت الوادى آشى.

٧ - نسبه له ناصر الدين الأسد في الفهرست الشامل. انظر ٢٠١٣/١، قائمة النوادر ص: ٧.

٨ - كما أثبت له الأستاذ سعيد أعراب في كتابه القراء والقراءات في المغرب ص: ٦١، قال:

ومن مؤلفاته: فرائد المعاني في شرح حزر الأمانى، وهو من أنفس شروح الشاطبية، له فيه تحقيقات بعد العهد بمثلها.

٩ - نسبه له الدكتور عبد الهادي حميتو في رسالته (قراءة الإمام نافع عند المغاربة) ١١٩٨/٤، ١٢٧٧.

١٠ - أثبت له أيضاً مُقرئ الديار المغربية، أستاذي العلامة مولاي مصطفى البحياوي (حفظه الله) في كتابه الموسوم بـ(إتحاف القارئ والسامع) ص: ٣.

ثالثاً:

وقفت على نصوص عديدة تدل على صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه، بعض هذه النصوص يذكر المؤلف والمؤلف في أثناء النقل عنه،

وبعضها لا يذكر إلا المؤلف فقط. وقد وفيت الحديث عن الكتب التي أفادت من « الفرائد » وأصحابها في: (قيمة الكتاب العلمية)، وأجتزئ هنا بذكر من ذكره من أصحاب تلك النصوص.

١- ابن بري في القصد النافع^(١):

أ - ذكر اسم المؤلف فقط عند نقله عنه في تعليقه لامتناع مد ياء إسرائيل، قال: قال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن آجروم رحمه الله تعالى^(٢):

ب - لم يذكر اسمه وإنما صرح بتصنيفه على القصيد عند شرحه لقول ابن بري:

ومد قالون لما تسهَّلاً بالخلف في أو شهدوا ليفصلاً
كما صرح بالنقل عن المصنف ومشافهة المصنف له ببعض ما نقل
عنه وقال: وقد ذكر صاحبنا الأستاذ (رحمه الله) في مصنفه على
القصيد.. ومنه نقلت ما أوردته عنه، وشافهني مع ذلك في بعضه...^(٣)
ج - لم يذكر اسم المؤلف ولا المؤلف وإنما وصف المؤلف بالأستاذ،
حيث قال عند شرح قول ابن بري:

وحيث تلتقي ثلاث تركه وفي أئمة لنقل الحركة
قال: وذكر صاحبنا الأستاذ (رحمه الله).. وذكر النص بكامله
عنه..^(٤)

(١) عرفت بالكتاب في قيمة الكتاب .

(٢) القصد النافع: ١٣ .

(٣) القصد النافع: ١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه: ١٦٦ .

د - ذكره بكنيته فقط عند شرح قول ابن بري:

وإن أتت مفتوحة أبدلها واواً إذا ما الضم جاء قبها

قال: قال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله (رحمه الله)، ثم ذكر النص كاملاً^(١).

٢- ابن الجراد في: إيضاح الأسرار والبدائع^(٢):

أ- ذكره باسمه وصرح باسم المؤلف وذلك في أثناء شرحه لقول ابن بري:

وياء إسرائيل ذات قصر هذا الصحيح عند أهل مصر

قال: ... وأما في الوقف فقال ابن آجروم في: فرائد المعاني... ثم ذكر النص كاملاً^(٣).

٣- ابن القاضي في كتابيه «مقالة الأئمة الأعلام»، و«بيان الخلاف والتشهير»^(٤):

أ- ذكر اسم المؤلف فقط عند حديثه عن مذهب حمزة في لام التعريف قال: قال ابن آجروم... ثم أورد النص^(٥).

ب- وذكر اسم المؤلف كذلك في أثناء حديثه عن ياء إسرائيل، قال: وخالف ابن آجروم.. ثم ذكر النص كاملاً^(٦).

(١) المصدر نفسه! ٩٢، وكذلك صفحة: ١٩٦، ٣٢٠.

(٢) تحدثت عنه في قيمة الكتاب.

(٣) إيضاح الأسرار والبدائع، باب المد.

(٤) انظرهما في قيمة الكتاب.

(٥) مقالة الأئمة الأعلام ورقة: ١٥، ورقة: ٣٢.

(٦) مقالة الأئمة الأعلام ورقة: ٣٧، وبيان الخلاف والتشهير ورقة: ١٠.

- وكذلك فعل كل من عُني بترجمته: فمنهم من أشار إلى تصنيفه في القراءات، ومنهم مَنْ عَيَّنَ تصنيفه على « حرز الأمانى » ، ومنهم مَنْ ذكر اسم التصنيف .

ولم يختلف أحدٌ منهم في تسمية المصنّف، إلا ما وجدتُ بأخره وهو كالتالي:

١ - كُتِبَ على علبة المكروفيلم الذي أمدّني به الدكتور الفاضل عياد الثبيتي: « قرائحُ المعاني » ، ولا وجه لهذه التسمية، إذ لم أُلْفِها بين المصادر المعتمدة.

٢- ذكر الدكتور حميتو عبد الهادي: أن بعضهم يُسميه: (فوائد) بالواو، والصواب الأول^(١)، يعني تسميته (الفرائد) .

قلت: ولا وجه لهذا كله للعللة التي أسلفت، ولكون النسخة رقم ١٤٦ ق بالخزانة العامة بقسم الوثائق، التي هي بخط المؤلف، صرّح فيها باسم مصنّفه هذا حيث قال: وسميته: « فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني »^(٢).

وعلى هذا النسخة (ب) .

(١) انظر قراءة الإمام نافع: ١٢٧٧ .

(٢) من النسخة أ ص: ٣ .

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا النص وتقويمه على نسختين لا أعلم لهما
ثالثة.

أولاً: النسخة الأولى:

يحفظها قسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٤٦ ق.
عليها ختمان الأول: يحمل اسم الخزانة العامة بالرباط ورقم ١٤٦ ق.
والثاني: يحمل اسم مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت ورقم ٩٧ ص
والظاهر أنها كانت بتمكروت ثم نقلت ضمن ما نقل من مخطوط إلى
الخزانة العامة بالرباط للصيانة.

والنسخة في مجلدين كبيرين: الأول يبدأ بأول النظم بعد المقدمة
وترجمة الشاطبي، وينتهي عند آخر باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن
قبلها. ويبدأ المجلد الثاني بأول باب: وقف حمزة وهشام على الهمز..
وينتهي بآخر باب الزوائد وهو آخر باب في الأصول .

جاء في أول ورقة من هذه النسخة ما يلي:

كتاب فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني، مما عني
بتصنيفه الشيخ الفقيه الإمام الأستاذ، المقرئ، المحقق، النحوي، اللغوي،
الفرضي، المشارك في العلوم، التحرير، العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد
ابن الشيخ الصالح الناسك الورع أبي سلمى داود الصنهاجي الشهير بابن
آجروم (رحمة الله تعالى عليه)، وهو بخط يده المباركة، إلا ما جُدد لمحو

أو سقط من بعض الورقات، فإنه بخط يد ولده عبد الله محمد^(١) المدعو منديل (رحمه الله تعالى) ونفع بهما معاً آمين.

فهي على ما يظهر من هذا التعريف بخط المؤلف نفسه^(٢)، فهي لهذا نسخة فريدة نادرة طُبِعَ خطها بطابع علمي متفرد، يظهر من رسمه التمكن من كيفية رسم الهمزات وإخلاء الحروف التي لا تنقط - إذا تطرفت - من النقط مثل النون والفاء والقاف والياء، والتبريز في استعمال إشارات «اللق» وتسويته مع الكتبة التي يومئ إليها، مع العناية بالتصحيح الذي يعبر عنه بكلمة (صح) عند آخر اللحق، والتضييب إلى غير ذلك من الضوابط المعروفة عند علماء الرسم من الحذف الإشاري والنقل وغيره، على طريق المقاربة في ضبط النص القرآني.

- كُتِبَت هذه النسخة بمداد خافت يضرب إلى الاحمرار منه إلى السواد، عدد أوراق الجزء الأول منها (٣٢٧) صفحة، كل صفحة بين (٢٧ و ٣٠) سطراً، في كل سطر ما بين (١٥ و ١٧) كلمة، يظهر من هذه النسخة - يقيناً أنها مسوَّدةٌ لأمر:

١ - كثرة اللحق.

٢ - كثرة التضييب، والشق.

٣ - وهو أقوى الشواهد: جاء في صفحة رقم ٤٨ في هامشها من جهة اليمين إلى أسفل عند بياض في صلب النص، قال في الهامش: (في

(١) الصحيح: أبو عبد الله محمد، وهو المدعو منديل كما تقدم في ترجمته .

(٢) خلافاً لتشكيك الزركلي في صحة نسبة الخط للمؤلف. انظر الأعلام ٣٣/٧.

قلت: وقد نشر في المصدر نفسه صورة الصفحة الأولى التي فيها ذكر النبي ﷺ من

النسخة المذكورة، التي رمزت لها ب(أ) .

المبيضة بخطه: قلت: حُقَّ لأبي إسحاق أن يقول ما قال).

وهذا يدل على صحة وجود نسخة أخرى بخط المؤلف بيضاء من بعد هذه، ولكن وللأسف لا تُراح رايحتها من قريب ولا من بعيد.

وقد علقْتُ الأمل على كلام ناصر الدين الأسد في الفهرس الشامل^(١)، حيث ذكر في قائمة النوادر أن في خزانة القرويين بفاس نسخة في جزئين بخط المؤلف تحمل رقم (١٤٦ ق). فسافرتُ من أجل ذلك إليها، فلم أعثر لها على أثر لا في الفهرس العام ولا الخاص، فرجحت أنها بعينها التي في الخزانة العامة بالرباط والله المستعان.

- كما أن هذه النسخة عليها قراءاتٌ متعددة وتعليقات من كنز المعاني للجعبري، واللالئ الفريدة للفاسي، والنشر لابن الجزري، والإقناع لابن الباذش، والإيضاح للأهوازي، واستدراكات من بعض من قرأها وغير ذلك مما يجعل النسخة غنيةً بهوامشها، إلا أن غالب هذه الهوامش مبتورة، أو غير مقروءة لضيق الطُّرر، وتراكم الحروف، وزين المداد، ومشق الكتابة، وتعليقها.. كما أُلصقت في أثناءها بعض الملحقات.

ولم يكتب عليها تاريخ نسخها، وعلى العموم فهي نسخة صعبة المنال، تحملُ القارئ فيها على الإملا، ولكن الله ذلها لي فمشيت في مناكبها، وغذيت بدرها، والله الحمد.

رمزت لها برمز (أ) وجعلتها عمدة الاستنساخ.

(١) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، المجمع الملكي لبحوث الحضارة

الإسلامية ٢٠١٣/١، قائمة النوادر: ٧.

ثانياً: النسخة الثانية:

يحفظها كذلك قسمُ الوثائق بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (ق ٦٦٤)، تحملُ ختمين: (الأول) يحملُ اسم الخزانة العامة بالرباط ورقمها: ق ٦٦٤ كما تقدم. الثاني: يحمل اسم مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت تحت رقم (٦٦١ ص)، والظاهرُ كما تقدم أنها مما نُقل إلى الرباط للصيانة.

كُتب في أول ورقة عليه ما يلي: « السفرُ الأول من كتاب فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني ، مما عني بتصنيفه العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي ، » .

عليها بعض البيانات بالتمليك، وبعض التنويه بالشرح والحكم بأفضليته وتقدمه وتبريزه على شرح الفاسي وأبي شامة والجعبري والشعلة وغيرهم، وقال صاحبه بعد هذا: وليس الخبر كالمعانية.

والنسخة في مجلد كبير يجمعُ الجزئين معاً، يبدأ الجزء الأول من بدء النظم وينتهي بآخر باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، كُتب على آخر ورقة منه: تم السفر الأول بحمد الله وحسن عونه يتلوه في أول الثاني: باب وقف حمزة وهشام على الهمز. ويبدأ الجزء الثاني ببيتٍ في أول باب وقف حمزة وهشام على الهمز، وينتهي بآخر باب الزوائد، آخر باب في الأصول.

عدد ورقات الجزء الأول منها: (١٣٠) ورقة أي (٢٦٠) صفحة، في كل صفحة ما بين (٢٩ و ٣٠) سطراً، في كل سطر ما بين (٢٠ و ٢٥) كلمة قد تزيد أو تنقص. يكاد ينعدم منها اللحق والتضييب، وقد استعنت بها كثيراً على تتبع ما رسم في النسخة الأولى، إلا أنها نسخة

فقيرة من حيث ضوابط الكتابة، فالظاهر أن الناسخ لا مساس له بالعلم ألبتة، فقد كان يرسم الكلمات فقط دون فقه لمعناها، وقد يُصحف الفاء قافاً والنون باء، وعنه منه، وبه له، أما الكلمات التي لها رسم الكلمة وليس لها مدلولها، فحدّث عنها ولا حرج، ناهيك عن تصحيف أسماء الأعلام والحذف والزيادة، وانتقال النظر، مما يجعل النص مبتوراً تلسع المحقق قراءته.

وعلى العموم فهي نسخة رديئة ليس فيها نفع إلا في جملتها، وليس عليها اسمُ ناسخها، ولا تاريخُ نسخها، وقد رمزت لها برمز ب(ب).

عملي في التحقيق

قوّمتُ النص من خلال المقابلة بين النسختين أ وب، وجعلتُ العهدة على (أ) فإن طراً ما بجانب المؤلف، فإني أجنح إلى تعديله في صلب النص مستنداً إلى ب، فإن لم أجد فإني أركن إلى تركه كما هو، ويكون التعليق على الهامش لتوضيح العلة.

- ترصيعُ النص بتقسيمه إلى مفردات وجمل متكاملة الدلالة، مما يُعين على توضيح مفاده، مستعيناً باستخدام العلامات المعروفة عند نابتة المحققين وجهابذتهم، كالفواصل، والنقط، وعلامات التعجب، والاستفهام، وغير ذلك.

- إلحاق اللحق بمنزله من النص.

- إخراج ما ضُيِّبَ أو شُقَّ من النص.

- إبراز الفرش المختلف فيه بين قوسين مع ترقيمه وإحالاته.

- التزقيم إتباعاً للعد الكوفي، والتقييد بالحركات، نظراً لاختلاف

وجوه النحو والقراءات.

- ضبطُ ما يلتبس رسمه من أسماء الأعلام، لأنها لا تُدرك بالمعنى، ولا

يستدل عليها بما قبل وبعد.

- البعدُ عن التعني بتقييد الواضح الذي لا يلتبس.

- التعليق على النص بما يزيل اللبس، ويُناقش الرأي، وينأى بالإيهام.

- تخريجُ وعزُ الآيات والأحاديث والنقول، والآثار، والأشعار إلى

مظانها ومصادرها.

- الاعتناء بتراجم المغمورين الذين لم يشتهروا.
- تجلية نسق التراكيب غير الواضحة بشرح الموهم، وتقويم الفاسد رسماً منها.
- ترصيع العمل بثلة من الفهارس لتعين على درك المقصود.

المصطلحات والرموز المستعملة في التحقيق

الكوفيون	=	عاصم وحمزة والكسائي
الحرميان	=	نافع وابن كثير
النحويان	=	أبو عمرو والكسائي
الابناب	=	ابن كثير وابن عامر
[]	=	لما زيد على النسخة الأم
()	=	رتق الخرق المحتمل
أ	=	النسخة الأم رقم ١٤٦ ق
ب	=	النسخة المساعدة رقم ٦٦٤ ق
خ	=	مخطوط
ل	=	لوحة
ق	=	ورقة
و	=	وجه
م	=	مجلد، أو تاريخ ميلادي .
ط	=	طبعة أو مطبوع
ص	=	صفحة
ج	=	جزء
هـ	=	تاريخ هجري
ت	=	تاريخ الوفاة
١/أ و ١/ب	=	إنهاء الوجه أو الصفحة

كتاب فرائد الأمان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والذي هدانا الله لنكونن من
المتقين
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والذي هدانا الله لنكونن من
المتقين
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والذي هدانا الله لنكونن من
المتقين

مطبوعات
146
الطبعة العامة

مكتبة
197
مكتبة

مكتبة
مكتبة

الصفحة الأولى من السورة : 9

الكتاب في معرفة
الاصناف والاصناف



كتاب في معرفة
الاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف

كتاب في معرفة
الاصناف والاصناف

كتاب في معرفة
الاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف

كتاب في معرفة
الاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف

كتاب في معرفة
الاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف
والاصناف والاصناف

كتابيه اذ اعني ان من حق كتابيه ان الكفر ماله هلاك ومن نقل اعني ان من نقل
 ماله هلاك الا دعاء ليس الا ان حق كتابيه ان والحق في بينهما ان النقل اليها من ان
 لما سفت من اجله وهو الوفوف عليها والموفوف عليه ما سفت في الوفوف ولا دعاء
 اليها الا ينافي ما سفت له لان الدعاء لا يكون الا في ما كثر وبما كثر وان اعني
 وقد حكي مسيوه ان مثل هذا لا يتصور فيه الا الدعاء وقد نقلنا كلام مسيوه في هذا
 في باب الدعاء الكبير حيث تكلمنا على قوله وقبله في باب الدعاء في الكلام عارضا ليس
 هناك قال ابو جعفر ما ماله هلاك لم اثبت لها الدعاء وصلا فلا اخذ لهم
 بل الاكثار والادوية فلا اخذ له بالوجهين من الاكثار والدعاء كانه قد روي عنه نصا نقل
 الحركة في كتابيه ان على التشبيه في الاصل الثابت في جميع احواله وفيه لانه
 ومن اخذ له في ذلك بغير نقل اخذ له في هذا الاكثار وهو الوجه وكلامه معمول في
 ما خول الفريسيه قال في ارضي الله عنه وجه الدعاء في ماله هلاك انه فصول عمل الوصل
 على الوفوف في اعترض به التعليل المثبتين في الدعاء بما من الكفر بل انه وافق
 لا محالة وان لم يفتح صوته **قلت** الذي يقتضيه الفياض في ماله هلاك
 الدعاء لكل من اثبت الله في الوصل وهو الذي تقتضيه اصول كلام العرب
 الذي انزل القرآن بها واما الاكثار فليس له يثبت من كلام العرب وكلام الفريسيين
 يقتضيه ان الاكثار عطف مع غيره ما ثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واما هو فليس
 من كلام العرب بل هو لغة كمال العرب واسلوب بصاحتها وانه اعلم ان ابو اليب
 من حروف الامم الصيغ التي لا بد منه ان يلفظ في كل ما من الصيغ في كل ما من
 في الدعاء فلا يكون حبيبه في الدعاء متصليين جانا ومن متصلين بالمتصلين نحو
 فولاك شئ وصناء حل في الدعاء واجب لا محالة ولا يوجد في الدعاء صوامه والنظم
 نحو فولاك خردا يتلج ودمع عاير **ان فان قلت** وقد اذم في الدعاء
 فداد وحلل في الدعاء فيل متي في شئت ذلك ونفت على العرب في الدعاء وفيه ما وكلام
 اليها هو على الوصل بما قرأه عاصم وفيل من او بينان النون من في معيه وذلك ان النون
 اليها كنه لا يوفوف في وجوب الدعاء في الالحوزايت ومن رايه بانها روي عن عبيد
 في الدعاء من رايه وليس مثلين ويؤخذ من قول الشاعر **ان قيل** **الشوفين**
 في الصفة وهو فعل الحركة ما علم ذلك **وبالذم الشوفين**

ثم السفر الاول في الدعاء وحسن كونه يتلوه في اول
الثاني باب وفب حمزه وفشام على الهمز

الحق الأخرى من الشيا...

النص المحقق

فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني

لابن آجروم

السفر الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليمًا

يقول محمّد بن محمّد بن داود الصنّاجي عفا الله عنه:

الحمد لله المبتدئ بالإحسان، المتفضّل بنعمتي الإسلام والإيمان، المفضّل
نوع الإنسان على سائر^(١) الحيوان، مُطلق الألسنة بذكره، ومُرشدّها مهيع^(٢)

(١) قال الجوهري في الصحاح (سير): وسائر الناس: جميعهم، وخطأه الحريري في درة
الغواص: ٣، وتبعه ابن هشام في شرح بانت سعاد، قال: وسائر بمعنى الباقي، ولا نعلم أحداً
من أهل اللغة ذكر أنها بمعنى الجميع إلا صاحب الصحاح، وهو وهم. قال البغدادي في
حاشية شرح بانت سعاد لابن هشام ٧٣٥/١-٧٣٨: هو تابع - يعني ابن هشام - في هذا
للحريري في درة الغواص، وهو أول مسائلها، قال: يستعملون سائر بمعنى الجميع، وهو في
كلام العرب بمعنى الباقي، ومنه قيل لما يبقى في الإناء: سؤر، والدليل على صحة ذلك: أن
النبي ﷺ قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة: اختر أربعاً منهن، وفارق سائرهن؛ أي:
من بقي بعد الأربع اللاتي تختارهن. الحديث في الموطأ ١٠٢/٢ .
قال العسكري في المعجم في بقية الأشياء: ٩٦: السؤر: ما يبقى في الإناء من الشراب بعد ما
يشرب.

وقال ابن الجوزي في تقويم اللسان: ١٢٢: وتقول: لا أكلمك سائر اليوم؛ أي: ما بقي منه،
مأخوذ من سؤر الإناء، وهو بقية ما فيه، والعامة تشير بسائره إلى جميعه، وذلك غلط .
وقال الصفدي في تصحيح التصحيف: ٣٠٢-٣٠٣: يقولون: قدم سائر الحاج، واستوفي
سائر الخراج، فيستعملون سائراً بمعنى الجميع، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي... قال:
والصحيح استعماله فيما كثر أو قل؛ لأن الحديث: إذا شربتم فأستروا؛ أي: أبقوا في الإناء
بقية ما .

وأنشد سيبويه:

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ

البيت في الكتاب ١/١٨١، ودرة الغواص: ٥، وأمالي المرتضي ١/٢١٦ .
قال ابن الأثير في النهاية ٢/٣٢٧: (سأر): والسائر مهموز: الباقي، والناس يستعملونه بمعنى الجميع، وليس بصحيح .

قال ابن بابي في خير الكلام: ٣٠: نقل المولى حسن جليبي عن بعض أئمة اللغة في حاشية التلويح: أنه بمعنى الجميع، ثم قال: والحق أن كلا المعنيين ثابت لغة .

وقال البغدادي في حاشية شرح بانث سعاد ١/٧٣٦: إن أبا علي الفارسي - وهو شيخ الجوهري - قال: إن سائراً يأتي بمعنى الجميع، وتبعهما ابن بري والنوي في تهذيب الأسماء واللغات... قال معلقاً على قول الفيروز أبادي: وأما قول صاحب القاموس: والسائر بمعنى الباقي لا الجميع كما توهم جماعة، أو قد يستعمل له، ومنه قول الأحوص:

فَجَلَبْتَهَا لَنَا لُبَابَةً لَمَّا وَقَدَ النَّوْمُ سَائِرَ الْحَرَّاسِ

فإشارة إلى أن فيه خلافاً؛ فمنهم من قال: إنه الباقي لا الجميع، ومنهم من قال: إنه قليلاً ما يستعمل له، وأنت تعلم أن مثبت القولين خير من نافيهما .

أما عن إبدال الهمزة ياء في سائر - كما فعل المؤلف - فلأن الهمزة تبدل من الياء إذا وقعت عين (فاعل) نحو: سائر وبائع. انظر الباب ٢/٢٩٦ .

والمعروف أن علماء القراءات والنحو لا يميزون البديل في ما اندرج في هذه البابة مثل: بائع وقائل وسائر وغيرها من الأوصاف، ويعدونه من لحن الفقهاء - أعني مثل بايع -؛ لأن تخفيف الهمز هنا عندهم إنما يكون بالتسهيل بين بين لا بالإبدال ياء خالصة، قال ابن الجزري في النشر ١/٤٦٢ في باب الوقف على الهمز: فأما إبدال الهمزة ياء في نحو: (خائفين وجائر وأولئك) وواو في نحو: (أبناؤكم وأحباؤهم) فإنني تتبعته من كتب القراءات ونصوص الأئمة ومن يعتبر قولهم، فلم أر أحداً ذكره ولا نص عليه، ولا صرح به، ولا أفهمه من كلامه، ولا دلت عليه إشارته سوى أبي بكر بن مهران... والأهوازي في الإيضاح.

والقصد أن إبدال الياء والواو محضتين في ذلك إنما هو مما لم تجزه العربية، بل نص أئمتها على أنه من اللحن الذي لم يأت في لغة العرب، وإن تكلمت به النبط، وإنما الجائز من ذلك هو بين بين، وهو الموافق للرسم أيضاً... فهو من الشاذ المتروك الذي لا يعمل به، ولا يعتمد عليه، والله أعلم .

وقال الأشموني في شرح الخلاصة: وأما إبدال الهمزة في ذلك... ياء محضة فنصوا على أنه

حمديه وشكره^(١)، نورَ البصائر بنور الإفهام، وكحلَّ يأمُد الحكمة آماق^(٢) الأفهام، فغرقت في بحار جلاله العقول، وأعجزها عن الإدراك ذلك المعقول، فانقلبت وأبصارها حسيرة^(٣)، وألسنُ بيانها حصرة^(٤)، الذي جعل كتابه العزيز علماً لائحاً للاهتداء، وطريقاً واضحاً للاقتداء، وسلّم نجاة أبدية، وحياة سرمدية، كلاءة ولم يكبله إلى كلاءة المخلوقين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

لحن، ولو جاز تصحيح الياء في بائع، لجاز تصحيح الواو في قائل . وفي ب: (على جميع سائر) .

(٢) « طريق مهيع: واضح واسع، وجمعه مهايغ، أنشد ابن بري:

إن الضيعة لا تكون ضيعة حتى يقام بها طريق مهيع

وفي حديث علي: اتقوا البدع والزموا المهيع. هو الطريق الواسع المنبسط، قال الأصمعي: الميم زائدة، وهو مفعّل من التهييع وهو الانبساط .

قال الأزهري: ومن قال: مهيع فعيّل فقد أخطأ؛ لأنه لا فَعِيلٌ في كلامهم بفتح أوله، والمراد هنا على سنن العرب في خطابها .

(١) لتمام الفائدة انظر (الحمد والمدح والشكر والثناء والرضا) وفروقها في اللغة والتراث، مقالة اكتبها الدكتور عبد الكريم الباقي بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، (مجلد ٥٧ جزء: ٤، صفحة: ٥٨٥) جودها وزانها بنصوص الأوائل .

(٢) جمع مُوقٍ ومُوقٍ ومَأَقٍ، قال ابن الهيثم في اللسان (مَأَق): في حرف العين الذي يلي الأنف لغات خمس: مُوقٌ ومَأَقٌ مهموزان، ويجمعان أمأقاً... وقد يترك همزها فيقال: موق وماق، ويجمعان: أمواق إلا في لغة من قلب فقال: آماق، وأنشد ابن بري للخنساء:

تَرَى آمَاقَهَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

والموق: مؤخر العين، قال امرؤ القيس في ديوانه: ٨٢:

وعينٌ لها حذرةٌ بَدْرَةٌ شَقَّتْ مَاقِيَهُمَا مِنْ أُخْرٍ

والمؤلف أراد المجاز لا الحقيقة، وأضاف الموق إلى الفهم لجامع النظر في كل .

(٣) قال في الغرر المثلثة: ٤٠٢ (حس): وحسّرَ البصرُ - ككَّرَمَ وضَرَبَ - : حسوراً: كلٌّ وانقطع من طول مدى .

(٤) ممتعة من العجز، وانظر (حصر) في الغرر المثلثة: ٤٠٢ .

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ .

نحمده حمدًا متوكِّلٍ عليه، مُدْعِنٍ مُسْتَسْلِمٍ إِلَيْهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَدَّخَرَهَا لِلْقَائِمِ، وَنَعْتَدُهَا يَوْمَ ثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ .

وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرَ أَصْفِيَاءِهِ، وَخَاتِمَةِ أَنْبِيَائِهِ، وَمُبْلَغِ أَنْبَاءِهِ، وَمُبَيِّنِ إِنْبَاءِهِ، الْمُنْتَخَبِ لِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَإِضْاحِ الدَّلَالَةِ، الْمُنْتَقَى مِنْ أَكْرَمِ الْأَنْسَابِ، وَأَطْهَرِ الْبَطُونِ وَالْأَصْلَابِ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، ابْتَعَثَهُ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَدَثُورٍ مِنَ السُّبُلِ، فَهَدَى وَأَرْشَدَ، وَأَوْضَحَ وَمَهَّدَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَصَرَّاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، بَيَّنَّ فِيهِ حَلَالًَا وَحَرَامًا، وَشَرَائِعَ وَأَحْكَامًا، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

وَالرِّضَا عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا بِيَدِ الدِّينِ حُسَامًا، وَعَلَى لَبَتِهِ^(٢) نِظَامًا، وَبِأَفْقِهِ نَجُومًا، وَعَلَى بُرْدَتِهِ رُقُومًا، فَلَمْ يَأْلُوا نَصْحًا فِي ذَاتِهِ، وَلَا بَدَلًا فِي مَرْضَاتِهِ، بَلْ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَأَذَعَتُوا لِرَأْسِ أَمْرِهِ وَمُرَادِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلَاةً تُورِدُنَا حَوْضَهُ الْأَصْفَى، وَتُلْحِفُنَا بُرْدَ شِفَاعَتِهِ الْأَصْفَى، وَتَبْوِئُنَا لَدَيْهِ مَقَامَ الزُّلْفَى، وَتُنِيلُنَا الْجِزَاءَ الْأَوْفَى، وَسَلِّمَ كَثِيرًا أَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ^(٣) أَرْفَعُ الْمَطَالِبِ، وَأَنْفَعُ الْمَكَاسِبِ، وَأَغْنَى مَدَّخِرٍ، وَأَقْنَى مَتَّجِرٍ، هُوَ الْمَلَاذُ الْأَوْقَى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَالضِّيَاءُ وَالنُّورُ، وَالشُّفَاءُ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَإِنَّ أَرْفَعَ الْعُلُومِ قَدْرًا، / وَأَسْنَاهَا خَطْرًا، وَأَهْدَاهَا سَبِيلًا، وَأَوْضَحَهَا دَلِيلًا، كِتَابُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ مِنْهَاجَةُ الْقَوِيمِ، وَالْحِجَّةُ الدَّامِغَةُ، وَالْحِجَّةُ^(٤)

(١) سورة الحجر: ٩ .

(٢) أي: على طاعته .

(٣) في ب: فإن الكلم .

(٤) في ب: الحججة .

البالغة، مَنْ تَرَكَه^(١) مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ .
 وَإِنَّ مِنْ أَحْسَنِ مَا فِيهِ صُنْفٌ، وَفِي طُرُقِ قِرَاءَاتِهِ^(٢) أَلْفٌ: قَصِيدَةُ أَبِي الْقَاسِمِ
 الشَّاطِطِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - وَهِيَ الْمَسْمَاةُ: بـ (حِرْزِ الْأَمَانِيِّ وَوَجْهِ التَّهَانِيِّ)، هَذَبَ فِيهَا
 الْعِبَارَاتِ، وَأَوْضَحَ الْإِشَارَاتِ^(٣)، وَأَبَانَ مَشْكَلاتِ الْمَسَائِلِ، وَبَرَّرَ عَلَى الْأَوَاخِرِ
 وَالْأَوَائِلِ، وَلَمْ أَزَلْ مِنْذُ حِفْظِي لَهَا مُوَلَعاً بِالنَّظَرِ فِي مَعَانِيهَا، مُغْرَىً بِتَأْمَلِ
 مَقَاصِدِهَا وَمَنَاحِيهَا، مُسْتَفْتِحاً بِأَبٍ مَبْهَمِهَا، مُتَعَرِّضاً لِإِفْصَاحِ مَعْجَمِهَا، إِلَى أَنْ
 مَنَحَ اللهُ الْكَرِيمُ، مَا كُنْتُ مِنْ ذَلِكَ أَرُوْمٌ، وَأَعَثَّرَنِي عَلَى مَا كُنْتُ مِنْهُ^(٤) أَحُومٌ،
 فَوَضَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ مَبِيناً فِيهِ مَقَاصِدَهُ، وَمَمْهَداً قَوَاعِدَهُ، وَمَوْضِحاً مَشْكَلاتِ
 إِعْرَابِهِ، وَمُسْتَوْفِياً لِفُصُولِهِ وَأَبْوَابِهِ، مَعَ مَا أوردتهُ مِنْ تَعْلِيلٍ وَتَوْجِيهِ لَوْجُوهِ
 الْقِرَاءَاتِ، بِعِبَارَاتٍ مَهْدَبَةٍ، وَالْفَظَاظِ مَقْرَبَةٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الْعُلَمَاءِ نَقَلْتُهُ،
 وَعَلَى مَا تَقْتَضِيهِ مَذَاهِبُهُمْ أودرتهُ^(٥)، وَسَمَّيْتُهُ:

« فَرَائِدُ الْمَعَانِي فِي شَرْحِ حِرْزِ الْأَمَانِيِّ وَوَجْهِ التَّهَانِيِّ »

وَجَعَلْتُهُ إِمَاماً أَعْتَمِدُهُ، وَزَمَاماً أَقْتَصِدُهُ، لِيُرْشِدَ إِضْلالِي، وَيُنْبِئَهُ إِغْفالِي،

(١) فِي ب: مِنْ تَرَكَهَا .

(٢) فِي ب: قِرَاءَاتِهِ .

(٣) فِي ب: الْإِشَارَةُ .

(٤) لَعَلَّ الْمَوْلَفَ أَرَادَ: عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ أَحُومٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ رَامَ أَمْرًا فَقَدْ حَامَ عَلَيْهِ حُومًا
 وَحِيَامًا، إِلَّا أَنَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لَمْ يَسْتَمْلِحِ الْجَمْعُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فِي جُمْلَةٍ؛ لِأَنَّهُ
 مَنبُودٌ عِنْدَ أَهْلِ صِنْعَةِ الْكَلَامِ، قَالُوا: تَكَرَّرَ الْكَلِمَةُ فِي الْكَلَامِ مَرَّتَيْنِ، كَالْجَمْعِ فِي النِّكَاحِ بَيْنَ
 أُخْتَيْنِ، الْأُولَى حَلٌّ يُرَامُ، وَالثَّانِيَةُ بِسَبِيلِ حَرَامٍ، قَالَ فِي إِحْكَامِ صِنْعَةِ الْكَلَامِ: ٢٥٧: الْفَقْرَةُ
 الْمَكْتُوبَةُ كَالدَّرَةِ الْمَوْهُوبَةِ، فَإِنْ وَقَعَ عَلَيْهَا ذَرٌّ، فَهُوَ بَيْعٌ وَشَرٌّ .

وَالْأَجُودُ أَنْ يَقُولَ: عَلَى مَا كُنْتُ حَوْلَهُ أَحُومٌ، وَلَوْ كَانَ أَرَادَ الْحِجَازَ لَا الْحَقِيقَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٥) فِي ب: أوردته، وَلَا يَجُوزُ أودرته؛ لِأَنَّهُ ضِدُّ الْمَعْنَى .

ولأقتفي في ذلك سنن^(١) أئمة الهدى الماضين، والأعلام الخالين، فأتعلق بأهدابهم، وألحق بمن استهدأ^(٢) بهم، مبتغياً بذلك جزيل الأجر، وجرى الذكر، وحق على من اقتبس منه علماً، أو استفاد منه حكماً، أن يدعو لمؤلفه بالغفران والفوز بالرضوان، والله سبحانه يجعله لوجهه خالصاً، وعلى ما لديه من الثواب حارصاً، ويجعلنا ممن علم وعلم، وقال فيه عليه السلام: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه^(٣) »، وأن يعصمنا من الخطأ والخطل، والزيف في القول والعمل، إنه سميع الدعاء، عليهم الخفاء .

فصل: أذكر فيه بعض أخبار الشيخ أبي القاسم الشاطبي^(٤) - رحمه الله - :
هو أبو القاسم^(٥) محمد^(٦) بن فيرة^(٧) بن أبي القاسم الرعيثي ثم الشاطبي،

- (١) قال في الغرر: ٤٥٢ : السنن محررة: نهج الطريق .
(٢) القياس أن ترسم ألفاً مقصورة؛ لأنها منقلبة من ياء كما هي في ب .
(٣) صحيح البخاري، (باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه) عن عثمان رضي الله عنه، انظر الفتح ٧٤/٩-٧٥ .
(٤) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار ٤٥٧/٢، ومفتاح السعادة ٣٨٧/١، ونكت الهميان: ٢٢٨، والوفيات ٤٢٢/١، ونفح الطيب ١٦٢/٣، والشذرات ٣٠١/٤، والغاية ٢٠/٢، ومعجم الأدباء ١٨٤/٦، وإنباه الرواة ١٦٠/٤، والذيل والتكملة ٥٤٩/٢/٥، والديباج المذهب ١٤٩/٢، وكشف الظنون ٦٤٦/١، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٩٧/٤، ٣٠٢/٨، ووفيات ابن قنفذ: ٢٩٦، ودائرة المعارف الإسلامية ٨٨/١٣ .
وقد أفرد ترجمته بالتأليف الإمام شهاب الدين القسطلاني، في رسالة أسماها: الفتح المواهي في مناقب الإمام الشاطبي .
(٥) انظر الخلاف في مسألة التكني بكنية النبي صلى الله عليه وسلم في مختصر الفتح المواهي: ٢٨ .
(٦) في هامش أ: محمد بن خلف بن أحمد .
(٧) قال التاج السبكي: اسم عجمي يقال: تفسيره: الحديد، وقال ابن خلكان: هو بلغة اللطيني، من أعاجم الأندلس، ومعناه بالعربية: الحديد، وللأستاذ خير الدين الزركلي في الأعلام =

وفيرُهُ: اسمُ والده، وهو بكسر الفاء بعدها ياءٌ ساكنةٌ ثم راءٌ مشددةٌ ثم هاءٌ ساكنةٌ، وهو اسمٌ محكيٌّ، وهو من قولك: فررتُ فَمَ الدابةِ أفرُهُ؛ إذا كشفت عنه لتعلم ما سنها، والأمرُ منه: فرُهُ، بضم الراء على لغة المتبعين، يضمون مع ضمير المذكر، ثم أشبعوا الكسرة فصار: فيرُهُ، كما قال الشاعر^(١):

وإني حيثُ ما يُثني الهوي نظري من حيثُ ما سلكوا أدنوا فأنظورُ

فهو إذا جملةٌ من فعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ، وإذا وُصِلَ على هذا بما بعده، ضُمَّتْ هاوؤه؛ لأنها إنما سكنت للوقف، والله أعلم، ويحتملُ أن تكون الهاءُ من نفسِ الكلمة، ويكون أعجمياً، وإذا وُصِلَ على هذا أعربتْ هاوؤه إعراب ما لا ينصرفُ للعجمية والتعريف.

والرُعينيُّ: انتسابٌ لقبيلته، والشاطبيُّ: انتسابٌ لبلده .

كان^(٢) رحمه الله عالماً بكتاب الله تعالى بقراءته وتفسيره، عالماً / بحديث رسول الله ﷺ، مبرزاً فيه^(٣).

وكان^(٤) إذا قرئَ عليه البخاريُّ ومسلمٌ والموطأُ، يُصحح^(٥) النسخَ من

٨٢/٥ هامش (٢) توجيه لطيف في هذا الصدد، قال: الحديد في اللاتينية ferrum فيرُم، وبالفرنسية (fer) فير، وبالإسبانية (herro) هيرُو، فاسم أبي القاسم مركب من اللفظين اللاتيني والإسباني، وانظر هذا في دائرة المعارف الإسلامية ٨٨/١٣ .

(١) البيت لابن هرمة في ملحقات شعره: ٢٣٨-٢٣٩، وشرح المعلقات السبع للروزني: ٢٨٥-٢٨٦، وبغير نسبة في شرح القصائد للأنباري: ٣٣٢، وسر الصناعة ٢٦/١، والمسائل الحلييات: ١١٣. يريد: أنظرُ فأشيع الظاء فنشأت عنها واو .

(٢) من هنا يبدأ كلام السخاوي مقدمة فتح الوصيد .

(٣) وفيات الأعيان ٧١/٤، ومختصر الفتح المواهي: ٤٤ .

(٤) مقدمة فتح الوصيد .

(٥) في فتح الوصيد: عليه .

حفظه، ويُملِي النكتَ على المواضع المحتاج إلى ذلك فيها .
قال أبو الحسن السَّخَاوِيُّ^(١): وأخبرني أنه نظَمَ في كتاب التمهيد لابن عبد
البر قصيدةً داليةً في خمسمائة بيت، مَنْ حَفِظَهَا أَحَاطَ بِالْكِتَابِ عِلْمًا^(٢).
وكان مبرِّزاً في علم النحو واللغة^(٣)، عالماً بعلم الرؤيا، حسن المقاصد،
مخلصاً فيما يقولُ ويفعلُ .
قال أبو الحسن^(٤): قال النَّاطِمُ رحمه الله: لا يَقْرَأُ أَحَدٌ قَصِيدَتِي هَذِهِ إِلَّا نَفَعَهُ
اللهُ بها؛ لأنِّي نظمتُها لله سبحانه .
وكان يجتنبُ فُضُولَ القول، ولا يتكلَّمُ في سائر أوقاته إلا فيما تدعو إليه
ضرورة^(٥)، وكان لا يجلسُ للإقراء^(٦) إلا على طهارةٍ وهيئةٍ حَسَنَةٍ، وخضوعٍ
واستِكانَةٍ، ويمنعُ جُلُوساًه من الخوض في الباطل، ومن الحديث في شيءٍ إلا في
العِلْمِ والقرآن، وكان يعتلُّ العلةَ الشَّديدةَ، فلا يتشكَّأ ولا يتأوَّه^(٧)، وإذا سُئِلَ عن
حاله قال: العافية، لا يزيدُ علي ذلك^(٨).
قال أبو الحسن^(٩): وذكَّرتُ له يوماً جامعَ مصرَ، وقلتُ: قد قيلَ: إِنَّ الإِذَانَ

-
- (١) مقدمة فتح الوصيد .
 - (٢) مختصر الفتح المواهبي: ٦٥ .
 - (٣) في مقدمة فتح الوصيد: والعربية .
 - (٤) مقدمة فتح الوصيد، ومختصر الفتح المواهبي: ٦٢ .
 - (٥) مقدمة فتح الوصيد .
 - (٦) جمال القراء وكمال الإقراء ٤٨٠/٢، ومقدمة فتح الوصيد .
 - (٧) مقدمة الفتح .
 - (٨) مختصر الفتح المواهبي: ٩٧ .
 - (٩) مقدمة الفتح .

يُسمَعُ فيه من غير المؤذنين، ولا يُدرى ما هو، قال: قد سمعته مراراً لا أُحصيها عند الزوال .

قال^(١): وقال لي يوماً^(٢): جرت بيني وبين الشيطان مخاطبة، فقال: فعلتَ كذا، فسأهـلِكَ، فقلتُ: والله ما أبالي^(٣).

وقال لي يوماً^(٤): كنتُ في طريقٍ وتخلَّفَ عني مَنْ كان معي، وأنا على الدابة، فأقبلَ اثنان، فسبني أحدهما سباً قبيحاً، فأقبلتُ على الاستعاذة، وبقيَ كذلك ما شاء الله، ثم قال له الآخرُ: دعهُ، وفي تلك الحال لحقني مَنْ كان معي، فأخبرتهُ بذلك، فطلبَ يميناً وشمالاً، فلم يجد أحداً^(٥).

وكان رحمه الله يعذُّ^(٦) أصحابه في السرِّ على أشياء لا يعلمها منهم إلا الله تعالى، وكان يجلسُ إليه مَنْ لا يعرفه^(٧)، فلا يرتابُ في أنه يُصيرُ؛ لأنه لذكائه لا يظهرُ منه ما يظهرُ من الأعمى في حركاته^(٨).

(١) أي: السخاوي .

(٢) مقدمة الفتح، ومختصر الفتح المواهبي: ١١٩ .

(٣) في الفتح: بك .

(٤) مقدمة الفتح، ونكت الحميان: ٢٢٩ .

(٥) في ب: فلم يجد أحداً .

(٦) صح من باب قتلٍ وضربٍ كما في المصباح، والعذل: اللوم، والاسم: العذلُ، ومنه المثل: سبق السفُّ العذلَ، ومنه قول بعضهم:

لو كنت تعلمُ ما أقولُ عذرتني أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عذلتكا
لكن جهلتُ مقالي فعدلتني وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتكا

(٧) مقدمة الفتح .

(٨) قال القسطلاني في مختصر الفتح الوهبي ٥٢: والذي أقول: إنه كان أبصر من كثير من البُصراء، وكان ينشد رحمه الله:

وقالوا قد عميتَ فقلتُ كلا وإني اليوم أبصرُ من بصيرِ
سوادُ العين زارَ سوادَ قلبي ليجمعها على فهم الأمور

وُلِدَ^(١) في آخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَمَاتَ^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْأَحَدِ، بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْإِثْنِينَ فِي مَقْبَرَةِ الْبَيْسَانِيِّ^(٣)، وَتُعْرَفُ تِلْكَ النَّاحِيَةُ بِـ (سَارِيَّة)^(٤)، وَذَلِكَ بِالْقَرَاةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ^(٥).

أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الزَّاهِدِ أَبِي الْحَسَنِ^(٦) بْنِ هُدَيْلٍ^(٧)، عَنِ أَبِي دَاوُدَ، عَنِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِيِّ، وَأَخَذَهَا أَيْضاً عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَاصِيِّ النَّفْزِيِّ^(٨).

وَهَا أَنَا حِينَ أَبْتَدِئُ بِشَرْحِ الْقَصِيدَةِ الْمَذْكُورَةِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى^(٩):

- (١) انظر معرفة القراء الكبار ٤٥٧/٢، والغاية ٢٠/٢ (برقم: ٢٦٠٠).
- (٢) معرفة القراء الكبار ٤٥٨/٢، والغاية ٢٣/٢، ومختصر الفتح المواهبي: ١٠١.
- (٣) القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني. انظر الغاية ٢٣/٢، والفتح المواهبي: ١٠١.
- (٤) انظر الذيل والتكملة ٥٥٦/٢/٥، وليس المقصود بسارية ما عند ياقوت في المعجم برقم: (٦١٧٨) إذ تلك مدينة بطبرستان. وفي هامش أ: وصلى عليه أبو إسحاق المعروف بالعراقي، إمام جامع مصر يومئذ. وهذا النص في مقدمة فتح الوصيد.
- (٥) من قوله: وذلك بالقرافة موجود في صلب نص ب، وكتب في أ بخط صغير بين أسطر المتن.
- (٦) علي بن محمد بن علي، وكتب بين أسطر المتن في أ، وهو كذلك في مقدمة الفتح.
- (٧) الأندلسي، وعرض عليه التفسير حفظاً عن ظهر قلب. كذا بين الأسطر في أ، وهو في ب في صلب النص، وفيه: (على ظهر) بدل (عن ظهر).
- وابن هذيل: هو الإمام الثقة العالم، الأستاذ أبو الحسن البَلَنْسِيُّ، منقطع القرين في الدين والورع، قرأ الكثير على أبي داود (المذكور في النص) ولازمه، انتهت إليه رياضة الإقراء في زمانه، توفي سنة ٥٦٤ هـ. الغاية برقم: (٢٣٢٩).
- (٨) محمد بن علي أبي العاص، أبو عبد الله النفزي الشاطبي، يعرف بـ (ابن اللأية) إمام مقرئ مجود محقق كامل، قرأ القراءات على ابن غلام الفرس، وعليه أبو القاسم الشاطبي وغيره، توفي سنة بضع وخمسين وخمسمائة. الغاية برقم: (٣٢٦٣).
- (٩) كذا في الأصل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١/٣ / بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ فِي النَّظْمِ أَوَّلًا تَبَارَكَ رَحْمَانًا رَحِيمًا وَمَوْتَلَا

هذه القصيدة من الطويل، من الضرب الثاني منه^(١)، وتقطيعه:

فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ

يلزم عروضها وضربها القَبْضُ، ويجوز فيه في الحشو القَبْضُ، وهو حسن، والكف وهو قبيح، ويدخله في الابتداء التَّلمُّ والثَّرمُ^(٢). فالقَبْضُ فيه حسن، والكف قبيح، ولا يجوز اجتماعهما فيه خوفًا من توالي أربعة أحرف متحركات. بيت الكف والتَّلمُ^(٣):

شَاقَّتْكَ أَحْدَاجُ سُلَيْمَى بِعَاقِلٍ فَعَيْنَاكَ لِلْبَيْنِ تَجْسُودَانَ بِالِدَّمْعِ

بيت القَبْضِ^(٤):

سَمَاحَةٌ ذَا وَبِرٍّ ذَا وَوَفَاءٌ ذَا وَنَائِلٌ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ

(١) له ثلاثة أضرب: (مفاعيلن) و(مفاعِلن) و(مفعولن) زاد الأخفش الأوسط رابعاً هو:

(مفاعيلن) . العروض للأخفش: ١٣٩، وصنعة الشعر لأبي سعيد السيرافي: ٩٥ .

(٢) يدخله في الابتداء الخرم فيقال له: أنلم، فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له: أترم، قال الناظم في باب الخرم:

والخرم في أوائل الأبيات تُعَرَّفُ بالأسماء والصفاتِ

يدخله الخرم فيدعى أنلماً فإن تلاه القبض سمي أترماً

الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي من العقد الفريد ٣٩٧/٥ .

(٣) انظر صنعة الشعر: ٩٧ ذكره في الخرم والكف .

(٤) انظر العروض للأخفش: ١٣٠، والخزانة ٥٢/٥، وديوان امرئ القيس: ١١٣ .

بيتُ التَّلْمِ^(١):

دَعَّ عَنْكَ نَهَباً صَبِيحاً فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

بيتُ الثَّرَمِ^(٢):

شَاقَكَ رُبْعُ دَارِسِ الرَّسْمِ بِاللُّوِي لِأَسْمَاءَ عَفَى آيَهُ الْمَوْرُ وَالْقَطْرُ

وقافيتها من المتدارك، ليس فيها من الحروف التزام إلا الروي وحرف الإطلاق وهما الياء والألف، وفيها من الحركات التزام المجرى وهو فتحة اللام .
فأما القبض: فذهاب الساكن الخامس، وهو الياء من مفاعيلن، والنون من فعولن .

والكف: ذهاب الساكن السابع، وهو النون من مفاعيلن .

والتلم: ذهاب أول فعولن في أول البيت .

والثرم: ذهاب أوله وخامسه .

والمراد بالمتدارك: أن يقع في آخر البيت متحركان بين ساكنين، وهما في هذا البيت: واو « موثلاً » ، وألف الإطلاق. والمتحركان: الهمزة واللام. وهذا لازم في هذه القصيدة .

قوله: « بدأت » ، يُقال: بدأت الشيء وأبتدأته: أحدثته وأنشأته، ومنه:

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٣)، ويقال: بدأت بالشيء: قدمته. والمراد هنا هذا

المعنى .

وقوله: « بيسم الله » : اعلم أن حرف الجر يدخل على مثله على وجهين:

(١) في ديوان امرئ القيس: ٩٤، وانظر صنعة الشعر: ٢٨٩، القول في الدخيل .

(٢) انظر اللسان (عفا) بغير نسبة، مع اختلاف في الرواية، وانظر صنعة الشعر: ٩٨ .

(٣) سورة الروم: ١٠ .

أحدهما: الضرورة كقوله - أنشده ابن جني^(١) :-

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً

القياس أن يقول: ولا لما بهم، لكنه اضطرَّ فزاد اللام، ووجه هذه الضرورة أن حرف الجر اللام، وهو على حرف واحد، لا ينفصل من الكلمة فجعله مع ما بعده كالكلمة الواحدة، فساغ لذلك دخول حرف الجر عليه، فلو كان حرف الجر مثلاً: «من» أو «عن» لم يسغ ذلك، وأما قول الشاعر^(٢):

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنُ

فالكاف الثانية اسم بمعنى: مثل، والأولى حرف جر، وهي كقوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) أعني في توكيد التشبيه .

/ والوجه الثاني: أن يدخل حرف الجر على مثله في التسمية. وذا كان ١/٤
يسمى بحرف خافضٍ معه مخفوضه، مثل أن تُسمي شخصاً «بزيد» من قولك:
مررتُ بزيد، أو من قولك: أخذتُ من زيد .

وإذا كان ذلك كذلك، فلا يخلو حرف الجر من أن يكون على حرف أو على حرفين أو على أكثر، فإن كان على حرف واحد حكيتُهُ كما كان قبل التسمية^(٤) فتقول: جاءني بزيد، ورأيتُ بزيد، ومررتُ بزيد، ولا تؤثر فيه

(١) من الوافر، وهو في الخزانة لمسلم بن معبد الوالي ٣٠٨/٢، وسر الصناعة ٢٨٢/١، وهو بغير

نسبة في معاني الفراء ٦٨/١، والخصائص ٢٨٢/٢ . وقال ابن جني في المحتسب ٢٥٦/٢:

«وبعدُ فالحق أحق أن يتبع، هذا البيت لم يعرفه أصحابنا، ولا رؤوه، والقياس من بعدُ على

نهاية المج له والإعراض عنه، لا سيما وقد جاور بحرف الجر حرفاً مثله لفظاً ومعنى، فلو

وجد هذا البيت عنواناً على كل ورقة من مصحف أبي عمرو، لما جاز استعمال مثله في

الشعر إلا كلاً ولأ - يعني قليلاً - فضلاً عن الأخذ به في كتاب الله»، وقال المعري في رسالة

الملائكة: ١٩٣-١٩٤: وقد حكى الفراء دخول اللام على اللام في قول الشاعر - ثم أورده.

(٢) البيت من مشطور السريع، وهو لخطام المجاشعي في الكتاب ٣٢/١، والخزانة ٣١٣/٢ .

وانظر شرح أبيات الإيضاح للقيسي ٨٨٣/٢ .

(٣) سورة الشورى: ١١ .

(٤) انظر الكتاب ٤١٣/٢، وارتشاف الضرب ٣١٩/١، واللباب ١٣٥/٢ .

العواملُ شيئاً؛ لأن هذا العاملَ قد استحقَّه، ولا يعملُ عاملان في معمول واحد مع أنه يغيرُ المرادَ من الحكاية. ويجوز فيه وجهٌ آخرُ: وهو أن تُعربَه وتُشَبَّهه في ذلك بالضاف والمضاف إليه، لكن بعد أن تصيرَ حرف الجر في هيئة الأسماء، وذلك أن تشبَعَ حركته، وتزيدَ على حرف الإشباع مثله ليصيرَ على ثلاثة أحرفٍ، ثم تعملُ فيه العواملُ ويصيرُ الاسمُ المجرور مخفوضاً بالإضافة، فتقول: جاءني بيُّ زيدٍ، ورأيتُ بيَّ زيدٍ، ومررتُ بيَّ زيدٍ .

فإن كان حرفُ الجر على حرفين فلا يخلو أن يكون الثاني معتلاً أو صحيحاً، فإن كان معتلاً نحو: في، فلك فيه الحكايةُ والإعرابُ إلا أنك إن أعربتَ زدتَ على الباءِ ياءً أخرى وأدغمتَ فقلتَ: فيُّ زيدٍ، وفيُّ زيدٍ، وفيُّ زيدٍ، وإن حكيتَ تركته على حاله^(١).

والأحسنُ في هذين الفصلين: الحكايةُ لما في الإعراب من التغيير، وإن كان الثاني صحيحاً نحو: من زيدٍ، حكيتَ إن شئتَ، وأعربتَ إن شئتَ، والإعرابُ أحسنُ، ولا تزيدُ على النون شيئاً؛ لأنها صحيحة، وإن كان على ثلاثة أحرف فصاعداً جاز الإعرابُ والحكايةُ نحو: منذُ اليوم .

فنعقولُ: دخولُ حرف الجر في بيت أبي القاسمِ الشاطبيِّ هو من قبيل الحكاية، ، أراد أن يخبر أنه بدأ بقول المستفتح (بسم الله)، فأدخل عليه الباءَ وحكاهُ .

وما تتعلق به الباءُ في قولك: (بسم الله الرحمن الرحيم) لا يجوزُ أن يقدرَ هنا بين الباءين، إذ ليس المعنى عليه، ألا ترى أنك لو قدرته فعلاً على مذهب

(١) انظر الكتاب ٤١٣/١، ٣٢٩/٣-٣٣٠، وما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٧-١٢٨، وأثر

التسمية للدكتور سليمان العايد: ٩٩-١٠٠ .

الكوفيين^(١)، لكان التقدير: بدأتُ ببدأتُ باسم الله، وإنما بدأ باسم الله، وكذلك لو قدرته على مذهب البصريين^(٢) لكان التقدير: بدأتُ بابتدائي باسم الله، إنما المعنى: بدأتُ بهذا اللفظ الذي هو بِسْمِ الله، وقد زال ذلك العاملُ، وصارت الباءُ داخلةً على (بِسْمِ الله) كدخولها على معمولٍ مفردٍ، وهذا شبيهٌ بقولهم: ليس بِقُرَشِيًّا^(٣)، جواباً لمن قال: أليس قُرَشِيًّا؟^(٤)

فكما لا يُقدَّرُ هنا العاملُ، كذلك هنا، والناظمُ رحمه الله لم يَحْكِ لفظَ البسمة، إنما قال في وقت النظم: باسم الله، كقوله تعالى: ﴿بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾^(٥). وكما جاء في حديث أنسٍ قال: «طَلَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَضُوءًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مَاءٌ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ، وَيَقُولُ: تَوَضَّؤُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّؤُوا حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ، الْحَدِيثُ^(٦) .

ثم حكى الناظم ما قال، فأدخل عليه الباء، / ولو حكى البسمة لأتى ١/٥ بلفظها بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

(١) انظر البيان ٣٢/١، والتبيان ٣/١ .

(٢) فالباء متعلقة بالكون والاستقرار. انظر البيان ٣٢/١، وقال: الصحيح ما ذهب إليه البصريون، وانظر التبيان ٣/١ .

(٣) انظر الكتاب ٤١٣/٢، والجمل: ٣٨١ .

(٤) انظر الكتاب ٤١٣/٢ .

(٥) سورة هود: ٤١ .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ١٦٥/٣، وهو في المسند برقم: ١٣٨٤، و: ١١٨١ عن ثابت وقتادة

عن أنس - رضي الله عنهم - .

فإن قلت: قوله: بدأتُ بِبِسْمٍ يقتضي أنه بدأ باسم الله، وهنا^(١) إنما بدأ بلفظ بدأتُ .

فالجواب: أنه بدأ باسم الله في وقتِ النظم لفظاً، وحيثُ نَظَمَ القصيدة، ثم أخبرَ بما فعلَ، وكذلك قوله: ثَبِتُ وَثَلُثْتُ، فكأنه قال مثلاً: بِسْمِ اللَّهِ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليمًا، الحمدُ لله ربّ العالمين، ثم حكى هذا كلّهُ بالمعنى .

والنَّظْمُ يجوزُ أن يكون بالمعنى المنظوم كقولهم: هذا الدرهمُ ضربُ الأميرِ، أي: مضروبُهُ، ويجوزُ أن يكون مصدرًا من قولك: نَظَمَ الجوهَرَ في سلكِ، والكلامَ والأمرَ، وصلَ بعضها إلى بعضٍ نظمًا في ذلك كلّهُ، ولا بدُّ أن تقدَّرَ في كلا الوجهين حذفًا، ويكونُ التقديرُ: بدأتُ في وقتِ إرادةِ نظمي أو منظومي بِبِسْمِ اللَّهِ .

وقوله: «أولاً»: اعلم أن «أول^(٢)»، في كلام العرب يأتي على قسمين: اسمًا وصفةً، فالاسم نحو قولهم: ما تركت له أولًا ولا آخرًا، أي: قديمًا ولا حديثًا، وهو منصرفٌ في النكرة، وأما الصفة فنحو قولك: ما رأيته منذُ عامٍ أولٍ، ومنذُ عامٍ أولٍ، وهو أفعُلُ من^(٣)، والدليل على ذلك: أنك تقولُ في مؤنثه: الأولى، ولا يُستعمل لذلك أولٌ إلا مضافًا، أو بالألف واللام، أو بـ «و»، فإذا قلت: منذُ عامٍ

(١) في ب: «وهو» .

(٢) هو أفعُلُ، فآؤه وعينه من جنس واحد على رأي البصريين، وأما الكوفيون فهو عندهم: وَوَّلُ على فوعل، فآؤه وعينه واو. انظر الكتاب ٢٨٨/٣، والمقتضب ٣٤٠/٣، والمنصف ٢٠١/٢، وسر الصناعة ٦٠٠/٢، وشرح الشافية ٣٤٠/٢، واللباب ٢٢٢/٢، ٢٣٥، ٢٣٦، وسفر السعادة ١١٩/١ وما بعدها .

(٣) يريد أنه أفعُلُ تفضيل .

أول، فالأصل: أول من عامك، لكنهم حذفوا منه « من » لكثرتة في كلامهم، كما تقول: زيدٌ فاضلٌ، وعمروٌ أفضلٌ، تريد: منه، وقالوا: لم يقل رجلٌ أولٌ منه، أي: أسبقٌ منه .

وإذا كان نعتاً لظرفٍ، جاز أن يُحذفَ الموصوفُ، ويُقامَ مُقامه، فإن كانت معه « من » ظاهرةً أُعربَ ليس إلا، نحو: جئتُكَ أولَ من أمس، التقدير: جئتُكَ يوماً أولَ من أمس، ويصير كقوله تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ...﴾^(١) التقدير: والركبُ مكاناً أسفلَ من مكانكم، ثم حذفَ الموصوفَ والمضافَ^(٢) . وإن كانت « من » محذوفةً جاز فيه البناءُ والإعرابُ، أما البناءُ فليشبهه بالظروف التي يُحذفُ ما تُضافُ إليه، وتُبنى نحو قولك: ابدأ بهذا أولٌ، تريد: ابدأ بهذا زماناً أولَ من زمان كذا، ثم تحذف « زماناً » فيصير: ابدأ بهذا أولَ من زمان كذا، ثم تحذف « من » وتصير كقبُلُ إذا قلت: ابدأ به قبلُ، فتبنيه على الضم، فتقول: ابدأ بهذا أولٌ، وأما الإعرابُ فعلى الأصل؛ لأن « من » معه مُرادَةٌ، وهذه لغةٌ قليلة .

قال سيويوه^(٣): سألتُ الخليلَ - رحمه الله - عن قول بعض العرب - وهو قليلٌ -: « مذ عامٌ أولٌ »، فقال: جَعَلُوهُ ظرفاً في هذا الموضع . قلتُ: التقديرُ فيه: مذ عامٌ كائنٌ زماناً أولَ من زمانِكَ، فحُذفت « من » والظرفُ الموصوفُ، وأُقيمت الصفةُ مُقامه، وبقيت معرَبَةٌ على تقدير وجود « من ».

(١) سورة الأنفال: ٤٢ .

(٢) انظر الكتاب ٢٨٩/٣ باب الظروف المبهمة غير المتمكنة ، والدر المصون ٤٢٢/٣-٤٢٣ .

(٣) الكتاب ٢٨٩/٣ وتمة النص: « فكأنه قال: مذ عامٌ قبلَ عامِكَ » .

١/٦

/ وأنشدَ سيبويه^(١):

يَا لَيْتَهَا كَانَتْ لِأَهْلِي إِبِلًا

أَوْ هُزِلَتْ فِي جَدْبِ عَامٍ أَوْلَا

أجاز في نصب «أولاً»، وجهين: الظرف، وأن يكون صفةً لـ «عام»، على إرادة «من» .

وأما إذا كان نعتاً لغير الزمان، فليس فيه إلا الإعرابُ .

و «أول» في بيت أبي القاسم يجوز أن يكون حالاً من النظم أي: في حال كونه أولاً لم أسبق إليه، ويجوز أن يكون حالاً من اسم الله، أي: في حال كونه مقدماً على غيره من الأماكن .

وتبارك تفاعل من البركة، وهو لفظٌ يجمعُ أنواعَ الخير، قال الله تعالى: ﴿فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^(٢) أي: جامعةٌ لأنواع الخير، وقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾^(٣) .

و «رحماناً» و «رحيماً» و «موتلاً» ينتصبن على الحال من ضمير «تبارك»، ويجوز أن ينتصبن عن فعل محذوفٍ التقدير: أمدحُ، كما قالوا: الحمدُ لله الحميد، ولا يجوز نصبهنَّ على التمييز؛ لأن الفعل أُسند إلى فاعله حقيقةً، والتمييزُ في نحو: تصبب زيدٌ عرقاً^(٤)، هو الفاعلُ حقيقةً، والأول - وهو الذي

(١) الكتاب ٢٨٩/٣، واللسان (وأل) ولم يعرف قائله .

(٢) سورة الدخان: ٣ .

(٣) سورة الأنبياء: ٥٠ .

(٤) إنما انتصب التمييز في نحو «تصبب زيدٌ عرقاً» لأنه وقع بعد جملة تامة كما يقع المفعول، ويتعلق بالجملة كالمفعول، فكما أن المفعول منصوب، فكذلك ما أشبهه. انظر منشور الفوائد للأنباري: ٥٧ .

أُسند إليه الفعل^(١) - مجاز، وأما تبارك فإسنادُهُ لضمير اسم الله حقيقةً، فلا يجوز التمييز.

واختلف في الرحمن والرحيم أيهما أبلغ من الآخر، فقيل: رحمن أبلغ؛ لأنه فعْلان من الرحمة، وهذا البناء مختصُّ به سبحانه، وفعْلان إنما يأتي في الامتلاء والكثرة، فَمَلَّان وَعَطْشَان: الكثيرُ الامتلاء والعطش؛ أي: هو الذي في أعلى درجات الرحمة، وهذا لا يكونُ إلا مختصًّا إلا به، وقيل: هو أبلغ لأنه فسَّرَ بالذي وسعت رحمته كلُّ شيءٍ، ولم يُبيح لأحد التسمي به؛ لما فيه من الدلالة على عموم الرحمة .
والرحيم هو كالتَّمَّة والرَّدِيف^(٢)، وقال الزمخشري^(٣): هو أبلغ لكثرة حروفه، واعترض هذا بأن حذراً أبلغ من حاذر، وقيل: الرحيم أبلغ؛ لأنه من أوزان المبالغة^(٤) نحو: قديرٌ وعليمٌ وغفورٌ وخلاقٌ، وقدَّم الرحمن لأنه يلي العواملَ في نحو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٥) و﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾^(٦) و﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^(٧).

وقيل: هما سواء، ليس أحدهما أبلغ من الآخر .

قلت: صرفَ رحمناً للضرورة، وكان حقُّه ألا يأتي به إلا بالألف واللام أو الإضافة، كذلك نطقت به العربُ، وإنما قلنا: لا ينصرف؛ لأنه فعْلان الذي مؤنثه^(٨) فعلى نحو: سكران .

فإن قلت: سكران له سكرى، ورحمان ليس كذلك .

-
- (١) ما بين المعترضتين من هامش أ .
(٢) في هامش ب: « والوصف » ولا معنى له؛ لأنه يريد ما دق منها ولطف ..
(٣) انظر الكشاف ٦/١، والدر المصون ٣٥، ٣١/١، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: ٢٨، ٢٩ .
(٤) انظر التبيان ٤/١ .
(٥) سورة طه: ٥ .
(٦) سورة مريم: ١٨ .
(٧) سورة الإسراء: ١١٠ .
(٨) في أ: « له » .

قلتُ: كونه ليست له فعلى امتنع من المعنى، ولا يقدحُ ذلك في الأحكام،
ألا ترى أن آدرَ أفعلٌ، وليس له فعلاء، وهو مع ذلك لا ينصرفُ في النكرة
كأحرّ الذي له حمراء .

و « مَوْتِلاً » : مَفْعِلٌ، من وَأَلَّ إِلَيْهِ؛ إذا لجأ أو نجا، والله تعالى يُلجأُ إليه،
وينجُو مَنْ هَرَبَ إِلَيْهِ، وفي الحديث: « لا مَلَجًا ولا مَنجًا إلا إِلَيْكَ ^(١) »، وأُطْلِقَ
على الله سبحانه: مَوْتِلاً، ولم يَرِدْ به سماعٌ ^(٢)، على أحد القولين في ذلك،
/وذلك أن الأسماء الواقعة على الله تعالى تنقسمُ أربعة أقسام:

١/٧

قسمٌ وَرَدَ السماعُ به، وليس فيه إيهامٌ، فيجوزُ إطلاقه عليه في الموضع الذي
وَرَدَ فيه السماعُ وفي غيره، وذلك أسماءُ الحسنَى كما لله والرحمن والرحيم .
والقسمُ الثاني: ما وَرَدَ به السماعُ وفيه إيهامٌ، فيجوزُ إطلاقه في الموضع
الذي وَرَدَ فيه فقط، ولا يُتعدى نحو: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ^(٣) ونحو: ﴿وَمَكَرُوا
وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ ^(٤) هذا إنما وَرَدَ للمقابلة، ويُسميه أهلُ البديع: المشاكلة ^(٥)، ومنه قولُ
الشاعر ^(٦):

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نَجِدُ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

(١) انظر الأدب المفرد ، باب فضل الدعاء عند النوم، وباب ما يقول إذا أوى إلى فراشه .

(٢) انظر البرهان للزركشي ٤٦١/٣ .

(٣) سورة البقرة: ١٥ .

(٤) سورة آل عمران: ٤٥ .

(٥) انظر طراز الحلة : ٤١٣ .

(٦) البيت من الكامل، قائله أبو الرقعمق. انظر: طراز الحلة: ٤١٧، ومعاهد التنصيص للعباسي

القِسْمُ الثالث: ما لم يَرِدْ به السماعُ، وفيه إيهامٌ، فلا يجوزُ إطلاقُهُ عليه بإجماعٍ .

القِسْمُ الرابع: ما لم يَرِدْ به السماعُ، وليس فيه إيهامٌ. فهذا فيه خلافٌ؛ فأهلُ السُنَّةِ يَمْنَعُونَ من إطلاقه؛ لعدمِ ورودِ السماعِ به، والقاضي أبو بكر الباقلائي^(١) وأصحابه يُجيزون ذلك، وذلك نحو: عارِفٍ ومَوئِلٍ وغيره مما هو صحيحُ المعنى^(٢).

* * *

وَتَنِيْتُ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَى الرَّضَا مُحَمَّدٍ الْمُهَدِّي إِلَى النَّاسِ مُرْسَلًا

تُنَى بالصلاة على النبي ﷺ لأن الله تعالى قرنَ ذكرَه بذكره في غيرِ ما موضع، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣)، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٤) مع ما في الصلاة عليه ﷺ من جزيلِ الثواب .

جاءَ في الحديث: «يا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَلَّا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٥) .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ

(١) محمد بن الطيب أبو بكر، من كبار علماء الكلام، رئيس مذهب الأشاعرة، أشهر كتبه «إعجاز القرآن» (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) الديباج المذهب: ٢٦٧ .

(٢) انظر في هذا المعنى طراز الحلة: ٩٧-٩٨ .

(٣) سورة النساء: ١٤ .

(٤) سورة التغابن: ١٢ .

(٥) سنن النسائي في كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ، فضل التسليم على النبي ﷺ، عن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن النبي ﷺ، ثم ذكره .

قبوراً، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ^(١) .
وعن أنس بن مالكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ، وَمَنْ
صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا^(٢) » .
وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ .

وقيل: هو لفظٌ لجميع الدعاء الصالح، والصلاة في اللغة: الدعاء، ثم نقلت
إلى الأفعال المخصوصة .

وقيل: لم تنقل، بل هي مستعملة في موضعها الأصلي، ثم زاد الشارح فيها
أشياءً أُخرى .

قال ابن عباس^(٣) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٤)
معناه: يُباركون .

وقيل: معناه إِنَّ اللَّهَ يَتَرَحَّمُ، وَمَلَائِكَتُهُ يَدْعُونَ لَهُ .
قال المبرِّد^(٥): « وَأَصْلُ الصَّلَاةِ التَّرَحُّمُ، فَهِيَ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ رَقَّةٌ
وَاسْتِدْعَاءٌ لِلرَّحْمَةِ مِنَ اللَّهِ » .

وقد وردَ في الحديث صفةُ صلاةِ الملائكةِ على مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ:
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ^(٦) .

(١) أخرجه أحمد، قال: حدثنا سُريج ٣٦٧/٢، وأبو داود قال: حدثنا أحمد بن صالح ٢٠٤٢،
بزيادة: « وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عَبْدًا »

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة: ٦١ عن أبي إسحاق عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

(٣) انظر الشفا للقاضي عياض، باب حكم الصلاة عليه والتسليم، وفرض ذلك وفضيلته بتصرف
٦٠/٢ .

(٤) سورة الأحزاب: ٥٦ .

(٥) نقله عن الشفا ٦٠/٢ ولم أقف عليه في كُتبه .

(٦) الشفا ٦٠/٢ .

وقيل^(١): الصلاةُ من الله تعالى لِمَن دون النبي رحمةً، وللنبي ﷺ تشریفٌ وزيادةُ تَكْرِمَةٍ .

وقيل^(٢): صلاةُ الله^(٣) ثناءً عليه، وصلّةُ الملائكةِ دعاءً .

وقد فرّقَ النبيُّ ﷺ في حديثٍ تعليمِ الصلاةِ عليه، بين لفظِ الصلاةِ ولفظِ البركةِ، فهما بمعنيين^(٤) .

ومعنى « ثنيتُ » : فعلتُ مرةً ثانية . فبدأً بالبسملة، وثنىً بالتصليّة، والأصل: وثنيتُ بقولي: صَلَّى اللهُ رَبِّي، فد « صَلَّى اللهُ » معمولٌ لقولٍ محذوفٍ هو المجرور بالباءِ التي يَتَعَدَّى بها « ثنى » ، ولا يجوزُ أن يكونَ الأصلُ: وثنيتُ بِصَلَّى اللهُ، ثمَّ حُذِفَ / الباءُ كما قال^(٥):

١/٨

تَمْرُونَ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَنْ حَرَامٌ

لأنَّ ذلكَ ضرورةٌ، والأوّلُ ليس بضرورة، والحملُ على غيرِ الضرورةِ أوّلَى^(٦) .

و « صَلَّى اللهُ » لفظُ الخبر، ومعناه الدعاء، التقدير: اللهمَّ صلِّ على محمّدٍ، وتقديرُه: رحمتك اللهُ وغفرَ لك .

و « ربي » بدلٌ من لفظِ « اللهُ » ، والرَبُّ هو المصلِحُ للأشياء، يُقال: رَبُّه

(١) قاله بكر القشيري كما في الشفا ٦٠/٢ .

(٢) قاله أبو العالية . انظر الشفا ٦٠/٢ .

(٣) لفظ الجلالة ساقط من ب .

(٤) قاله القاضي عياض كما في الشفا ٦٠/٢ .

(٥) البيت من الوافر، وهو في ديوان جرير: ٢٧٨، والخزانة ١١٨/٩ .

(٦) انظر الكتاب ٢٦/١، وصناعة الشعر: ٨٠ وما بعدها .

في هامش أ: « فإن قلت في التقدير الأول حذف الموصول وإبقاء الصلة، وهو قليل،

فالجواب: أنه في القول، وحذف القول يكثر في كلامهم » وكتب في صلب ب .

يَرِيهٗ، إذا أصلحه، والأصل فيه: رَبِبٌ بكسر الباء، والدليل على ذلك: أنه لو كان فعلاً لجمع على أفعل، كما قالوا: صَكُّ وأصكُّ. وإنما قالوا: أرباب، وأفعال إنما يكون جمعاً لفعل المعتل العين كآيات وأقوال، أو المفتوح من الصحيح والمكسور والمضموم نحو: جمل وأجمال، وكتف وأكتاف، وعضد وأعضاد .

فَرَبٌ لا يجوز أن يكونَ (فَعَلًا)؛ لأنه لو كان كذلك لأظهر، قالوا: فَنَنْ وطللٌ وشررٌ، فلم يبقَ إلا أن يكونَ مكسورَ العين أو مضمومها، والمكسورُ أكثرُ في الكلام، فأصله إذن: رَبِبٌ بكسر العين .

وقوله: « الرُّضَا » هو النبي ﷺ ، قيل: يَحْتَمَلُ أن يكون بمعنى الرضوان فيكونُ على حذفِ مضافٍ، التقدير: على ذي الرُّضَى .

وقيل: لا حذفَ فيه، بل جعله نفسَ الرُّضَى مبالغةً في وصفه بذلك، ومن هذا قولهم: مررتُ برجلٍ عَدَلٍ وفِطْرٍ وصَوَمٍ^(١) .

وألفُ الرضا منقلبةٌ عن واو لقولهم: الرضوانُ في معناه، وأما رَضِي فلا دليلُ فيه؛ لأنَّ أصله: رَضِيو، ثم انقلبت الواوُ ياءً للكسرة قبلها، وأهلُ البصرة يكتبون الرضا بالألف، وأهل الكوفة يكتبونه بالياء؛ لأنَّ أوله مكسورٌ^(٢) .
و « محمدٌ^(٣) » : مُفَعَّلٌ من الحمد سُمِّيَ به، وصار عَلَمًا .

(١) انظر الكتاب ١٠٢/٢ .

(٢) انظر باب الاعتلال، القول في الواو الياء لامين من التخمير ٤١٧/٤ .

(٣) علم منقول من اسم مفعول حُمِدَ بالتشديد، سمي ﷺ بذلك لكثرة خصاله الحمودة، قال حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

وشق له من اسمه ليُجَلَّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ

انظر تصريح الأزهري ١١/١ .

فإن قلت: لِمَ لَمْ يقولوا فيه: المحمّد كما قالوا: العباسُ والحارثُ، وغير ذلك مما لحظوا فيه حال التسمية الوصف، فأدخلوا عليه الألف واللام؟
فالجواب: أن القاسمَ وغيره لِحِظَ فيه ذلك على جهة التفاضل له بذلك الوصف، والنبِيُّ ﷺ متحقّقٌ فيه ذلك الوصف، فلا يحتاجُ فيه إلى ذلك، والله أعلمُ .

وحفّضه على البدل من «الرضا» على أنه هو النبيُّ ﷺ مبالغةً، فكأنه صار من أسمائه، فأبدلتَ اسماً من اسمٍ .
وقيل: هو بدلٌ من المضاف المحذوف، التقدير: على ذي الرضا، على أن يكونَ الرضا بمعنى الرضوان .

قلت: هذا فيه ضعفٌ، وأكثرُ ما يأتي في الضرورة، أعني إبدالَ الاسم من الصفة. لا يجوزُ أن تقول: مررتُ بالعامل زيدٌ؛ لأنه إذا اجتمعَ الاسمُ والصفةُ قُدِمَ الاسمُ، ووليَ العاملُ، وتبعتهُ الصفةُ نعتاً إن أمكن، وعكسُ ذلك يكونُ ضرورةً .

والمهدى صفةٌ لمحمّد، وهو اسمٌ مفعول من قولك: أهديتُ الشيءَ فأنا مُهديه، والشيءُ مهديٌّ، وأشار بذلك إلى قوله عليه السّلام: «أنا رحمةٌ مهداةٌ للناس»^(١). وأيُّ هديةٍ أسمى من هديةٍ عمّ نفعها في الدارين^(٢). / قال ﷺ^(٣): «لكلِّ

(١) سنن الدارمي، الباب الثالث، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ، عن أبي صالح، ثم ذكره بلفظ: «يا أيها الناس» .

(٢) كتب في هامش ١٢ / نسخة (أ) وليس بخط المؤلف، وأظن أنه ليس من النص، بل هو تعليق، ولكنه كتب في النسخة (ب) في صلب النص:

قوله: «لأن الله تعالى أهدها إلى خلقه تحفة لهم، فأنقذ به من أسعده من النار، وأدخله الجنة

نبيِّ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ، وَأَنَا اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾^(٢) الآية .

و « إلى الناس » يتعلّق بالمهدى . و « مرسلًا » حالٌّ من الضمير في المهدى، وهو مطلقٌ غيرٌ مقيد، فهو مرسلٌ إلى الإنسِ والجنِّ، ولو تعلّق « إلى الناس » بـ «مرسلًا» لكان يقتضي إرساله إلى الناس فقط، ولا يدخل تحتها الجنُّ .

* * *

وَعِترتهُ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ تَلَاهُمُ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْخَيْرِ وَبِلَا عِترَةٍ: ما يبقى من الشجرة في الأرض بعد قطعها فتخلّفُ فروعُها . وعِترَةُ الإنسانِ الذين فيهم نشأ، وإليهم يأوي^(٣) .

وسئل مالكٌ عن عِترَةِ رسولِ الله ﷺ فقال: « هم أهلُه الأذنون، وعشيرتهُ الأقربون »^(٤)، ويدلُّ على صحة ذلك ما رُوِيَ عن جابرٍ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في حجَّته يومَ عرفة، وهو على ناقته القصوى يخطُبُ، فسمعتُه يقول: « يا

مع الأبرار، وعن الأعمش عن أبي صالح قال: كان النبي ﷺ يناديهم: « يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة » . أخرجه أبو داود والدارمي في مسنده هكذا منقطعاً، وروي موصولاً بذكر أبي هريرة فيه .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان .

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) سورة التوبة: ١٢٨ .

(٣) انظر الصحاح (عتر) .

(٤) انظر الشفا ٤٧/٢ .

أيها الناس، إني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا به؛ كتابَ الله، وعِزَّتِي
أهل بيتي^(١)»

وقال الزُّبيدي: وعِزَّةُ الْمِسْحَةِ خَشَبَتُهَا^(٢).

و«الصَّحَابَةُ»^(٣): جمعُ صاحبٍ على المعنى، وفي معناه: الصَّحَاب،
والصُّحبان، والصُّحبة، والصَّحْب، والأصحاب .

فأما الصَّحَابُ والصُّحبان فهما جمع صاحب نحو: راعٍ ورُعِيانٍ ورِعَاءٍ،
وهكذا حُكْمُ فاعلٍ إذا كان صفةً، واستعمل استعمالَ الأسماء، فَوَلَّيْتُهُ العوَامِلُ.

وأما الصُّحْبَةُ والصَّحَابَةُ فمصدران في الأصل لقولك: صَحِبَ، أوقَعَا على
الجمع .

وأما الصَّحْبُ فهو عند سيبويه^(٤) مفردٌ يُرادُ به الجمعُ، وليس يجمع صاحبٌ؛
لأنَّ هذا الوزنَ عنده خاصٌّ بالمفردات، وأما أبو الحسن الأَخْفَشُ^(٥) فهو عنده
جمع صاحب . وكذلك عندهما ركبٌ من ركب، هو عند سيبويه مفردٌ في
معنى الجمع، وعند أبي الحسن جمعُ ركب .

وأما أصحاب: فيمكنُ أن يكونَ جمعُ صاحبٍ على حذفِ الزيادة، ويمكنُ
أن يكونَ جمعُ صحبٍ كقومٍ وأقوام .

ونظيره في الشُّذوذ - أعني جمعُ فَعَلٍ على أفعال - قولُهُم: مرَّدٌ وأمرادٌ وزنْدٌ
وأزناد .

(١) انظره. محمل رواياته في الجامع للسيوطي ٩٠/٤ (خير) .

(٢) نقلها في اللسان والتاج (عتر) ولم ينسبها إلى الزبيدي .

(٣) انظر الصحاح (صحب) .

(٤) انظر الكتاب ٥٨٢/٣، ٦٢٥ .

(٥) حكى المذهبين الجوهري في الصحاح (صحب) ونسبهما إلى سيبويه والأخفش .

واختلِفَ في صاحب النبي ﷺ فقيل: هو مَنْ وُلِدَ في زمانه رآه أو لم يره، وقيل: مَنْ رآه سواء روى عنه وطالت إقامته معه أو لم تطل، وقيل: مَنْ طالت إقامته معه وإن لم يرو، وقيل: مَنْ طالت إقامته وروى عنه .

و « تلا » بمعنى تبع .

لما صَلَّى على النبي ﷺ ، صَلَّى بعد ذلك على عِترتهِ وعلى الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

ومما جاء في فضل الصحابة رضي الله عنهم ما رُوِيَ عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: « خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم^(١) .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ^(٢): « أَكْرَمُوا أَصْحَابِي فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْكُذْبُ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ يَحْلِفُ وَمَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ وَمَا يُسْتَشْهَدُ .

ويدلُّ على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ / ما جاء في حديث أبي حميد^{١/١٠} السَّاعِدِيِّ: « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ^(٣) .
وقال ﷺ^(٤): « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى .

(١) أخرجه أحمد ٤٢٦/٤ بلفظ: (خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم) ولفظ: (خير الناس قرني) وفي ٤٢٧/٤ بلفظ (خيركم قرني) .

(٢) الحديث رواية عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - انظره في الجامع للسيوطي ٢٢/٢ (أكرموا) .

(٣) كتاب الدعوات من صحيح البخاري، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ .

(٤) كتاب الدعوات من صحيح البخاري، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ، عن ابن أبي أوفى .

وكان عليه السّلام إذا أتاه قومٌ بصدقتهم قال: اللهم صلّ على آل فلان، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَّاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(١) الآية، وقال: ﴿أَلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾^(٢).

واختلفَ بعد ذلك في الصلاة فقليل: لا يُصَلَّى إلاّ على النبي ﷺ، وهو مذهبُ ابن عباس^(٣).

وقيل: لا يُصَلَّى إلاّ على النبيين، وهو مذهبُ سفيان^(٤).

وروي عن مالك المذهبان^(٥)، والمشهورُ عنه الثاني.

وقيل: يُصَلَّى على النبي ﷺ والأنبياءِ غيره، وعلى غير الأنبياءِ، وهو مذهبُ يحيى بن يحيى^(٦)، واحتجَّ بحديث تعليم الصلاةِ عليه^(٧)، وقال: الأسانيدُ عن ابن عباسٍ لينة^(٨).

والصلاةُ في لسان العرب بمعنى الترحُّم والدعاء، وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديثٌ صحيحٌ أو إجماعٌ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: ١٥٧.

(٣) انظر الشفا ٨٠/٢.

(٤) وروي عن ابن عباس أيضاً. انظر الشفا ٨١/٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) قال: لست آخذ بقوله، ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم. انظر الشفا ٨١.

(٧) هو حديث ابن عمر. انظر الشفا ٨١/٢.

(٨) المصدر السابق.

وَمَلَئِكَتُهُ ﴿١﴾ وَأَتَى مِنَ الشَّوَاهِدِ بِمَا تَقَدَّمَ .

قال القاضي أبو الفضل عيَّاض^(٢): «والذي ذهب إليه المحققون - وأميلُ إليه - ما قاله سفيان، وهو أنه لا يُصَلَّى على غير الأنبياء، وأنه شيءٌ اختصُّوا به توقيراً وتكريماً، كما يُختصُّ اللهُ تعالى عند ذكره بالتَّزْيِيهِ والتَّقْدِيسِ، ولا يُشارِكُهُ فيه غيره، وأمَّا من سوى الأنبياء فيذكر بالغفران والرضا، كما قال اللهُ تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٤).

قال^(٥): «وذكرُ الصلاةِ على الآلِ والأزواجِ مع النبي ﷺ بحكمِ التَّبَعِ والإضافةِ إليه، لا على التخصيصِ، وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾^(٦) فكذلك يجبُ أن يكونَ الدعاءُ له مخالفاً لدعاءِ الناسِ بعضهم لبعضٍ.»

لما صلَّى في البيتِ المتقدِّمِ على النبي ﷺ، صلَّى هنا على غيره اتِّباعاً لما جاء في ظاهر الأحاديث، وأخذاً بمذهب من رأى ذلك، وهو مذهبُ يحيى بن يحيى . وبدأ أولاً بالعِترَةِ؛ لأنهم أقربُ جواراً، ولأنهم عِترَةٌ وأصحابٌ، وغيرُهُم

(١) سورة الأحزاب: ٤٣ .

(٢) الشفا ٨١/٢ . وانظر تعليق ابن حجر في الفتح على باب: (هل يصلى على غير النبي ﷺ) . كتاب الدعوات)

(٣) سورة الحشر: ١٠ .

(٤) سورة التوبة: ١٠٠ .

(٥) الشفا ٨٣/٢ بتصرف .

(٦) سورة النور: ٦٣ .

أصحابٍ فقط، ثمَّ بالصَّحابة لأنهم أفضلُ من التابعين، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(١) الآية، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٢)، وقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٣)، وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٤).

وقال ﷺ^(٥): « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقال ﷺ^(٦): « مثل أصحابي مثل الملح^(٧) في الطعام، لا يصلح الطعام إلا

بهم^(٨) » .

وقال ﷺ^(٩): « الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم^(١٠) غرضاً بعدي، فمن

أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني،

(١) سورة الفتح: ٢٩ .

(٢) سورة التوبة: ١٠٠ .

(٣) سورة الفتح: ١٨ .

(٤) سورة الأحزاب: ٢٣ .

(٥) قال العجلوني في كشف الخفاء برقم ٣٨١: رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس.

وانظر الشفا ٥٣/٢، والسلسلة الضعيفة للألباني برقم: ١٠٨ .

(٦) رواه ابن المبارك وكذا أبو يعلى عن أنس رفعه. وأخرجه البغوي في شرح السنة، وهو

ضعيف، والكشف برقم: ٢٢٦٤، والمقاصد الحسنة برقم: ٩٩٦، والشفا ٥٣/٢، والجامع

عن أنس برقم: ١٩٦٩٠ .

(٧) في ب: « كالملاح » .

(٨) في ب: « به » .

(٩) مسند أحمد، كتاب المناقب، باب ذكر مناقبهم على الإجمال، عن عبد الله بن مغفل المزني،

وكذا الترمذي عنه، وفي الجامع برقم ٣٩٨٦، والشفا ٥٤/٢، ٣٠٧، ٣٠٨ .

(١٠) في ب: « تتخذونهم » .

وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ .

وقال ﷺ^(١) : / « لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً، ما بلغ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفه » .

وقال ﷺ^(٢) : « مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا » .

وقال^(٣) : « إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا » .

وقال في حديث جابر^(٤) : « إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ لِي مِنْهُمْ أَرْبَعَةً، أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيًّا، فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِي، وَفِي أَصْحَابِي كُلِّهِمْ خَيْرٌ » .

وقال ﷺ^(٥) في حديث خالد بن سعيد^(٥) : « أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَاضٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَاعْرِفُوا لَهُ ذَلِكَ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَاضٍ عَنْ عُمَرَ وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عِثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ ذَلِكَ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِأَهْلِ بَدْرِ وَالْحُدَيْبِيَّةِ، أَيُّهَا النَّاسُ، احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي

(١) المسند، كتاب المناقب، باب ذكر مناقبهم على الإجمال، عن أبي سعيد الخدري، والشفاء ٥٤/٢ .

(٢) ابن أبي شيبة في المسند المصنف، عن عطاء مرسلًا، وانظر جامع الأحاديث برقم: ٢٢٠٢٦ بلفظ: « من سب أحدًا » وانظر الشفاء ٣٠٨/٢ .

(٣) الطبراني في الكبير، عن ابن مسعود، والشفاء ٥٤/٢، والسلسلة الصحيحة للألباني برقم: ٣٤ .

(٤) انظر الشفاء ٥٤/٢ .

(٥) انظر الشفاء ٥٥/٢ .

(٦) « قد » لا يوجد في الشفاء. انظر ٥٥/٢ .

وأختاني، لا يُطالبنكم أحدٌ منهم بمظلمةٍ، فإنها مظلمةٌ لا تذهبُ^(١) في القيامةِ غدًا .

وقال رجلٌ للمعافى بنِ عمران^(٢): أينَ عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ من معاويةَ؟! فغَضِبَ وقال: « لا يُقاسُ بأصحابِ النبي ﷺ أحدٌ، معاويةُ صاحبُهُ وصهرُهُ وكاتبُهُ وأمينُهُ على وحيِ الله^(٣) » .

وقال ﷺ^(٤): « طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني » .

و « وِبَلًّا » : جمعُ وابلٍ؛ وهو غزيرُ المطر، نظيرُهُ: شاهدٌ وشهَدٌ .

و « بالخير » متعلقٌ به، وهو نصبٌ على الحال من الضمير المرفوع في « تلاهم »، فيكون من وَصَفِ التابعين، وأفردَ الضميرَ المرفوعَ في « تلا » لعودته على لفظ « من »، وجمَعَ « وِبَلًّا » بالحمل على المعنى، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) بالإفراد والجمع .

وقيل: هو نصبٌ على الحال من الضمير المنصوب في « تلاهم »، فيكون من وَصَفِ الصحابة، والمعنى: ثمَّ من تلاهم على الإحسان في حالِ كونهم أمطاراً وِبَلًّا بالخير؛ أي: نازلةً به؛ أي: آتِينَ بالخير^(٦) .

(١) في الشفا ٥٥/٢: « لا تذهب » .

(٢) الأزدي الموصلي، أبو مسعود، أحد الثقات، له تصانيف في السنن والزهد والأدب والفتن وغيرها، توفي سنة ١٨٥ . التذكرة ٢٦٤/١، الأعلام ١٦٩/٨-١٧٠ .

(٣) انظر الشفا ٥٥/٢ .

(٤) انظر الجامع للسيوطي ٤٨٣/٤ (طوبى) .

(٥) سورة البقرة: ٨ .

(٦) غير واضحة في الأصل، ورسمت قريية من ذلك في هامش نسخة (أ) .

وقيل يجوز^(١) أن يكونَ حالاً من الضميرين المرفوع والمنصوب كما تقول:
لقيتُ زيدا مُنحدرين، ومنه قولُ الشاعر^(٢):

تعلّقتُ ليلي وهي ذاتُ مؤصدٍ ولم يئدُ للأترابِ من ثديها حجْمُ
صغيرين نرعى البهْمَ ياليتَ أنا إلى الآن لم نكبرُ ولم تكبرِ البهْمُ

قلتُ: والحالُ في جميع تلك الوجوه مؤكّدة؛ لأن قولَه: «تلاهم على الإحسان» يُستفادُ منه ذلك .

ويجوزُ أن ينتصبَ «وَبَلًا» على أنه مفعولٌ بفعل محذوفٍ، التقديرُ: أمدحُ
وَبَلًا بالخير، ويمكنُ أن يكونَ أشارَ بقوله: «وَبَلًا» إلى ما جاء في الحديث^(٣):
«أمّتي كالمنطر، لا يُدرى الخيرُ في أولها أم في آخرها» .

* * *

وثَلَّثُ أَنَّ الحَمْدَ لِلّهِ دائِماً وما ليسَ مَبْدوءاً بِهِ أَجْذُمُ العَلا

/ أخيرَ أنه ثلَّثَ بحمد الله تعالى، وذلك أنه بدأ بالبسملة، ثم ثنى^(٤) ١/١٢
بالتصليّة^(٥)، ولم تتمَّ له (إلا)^(٦) في بيتين، وهما قولُه: «وثنيتُ صلّى الله ربي...»،
وقولُه: «وعترته...» البيتان، والهاءُ في قولَه: «مبدوءاً به» عائدٌ على «الحمد»،
أي: كلُّ شيءٍ لا يُبدأ فيه بالحمد فهو أجذُمُ العَلا، أي: هو ناقصٌ، والإشارةُ في

(١) في ب: «يجوز» .

(٢) من الطويل لجنون ليلي، انظر الديوان: ١٨٦، وتثقيف اللسان للصقلي: ١١١، وفي الأصل: مرصد .

(٣) الترمذي في الأدب، والجامع عن أنس وابن عمر برقم: ١٩٧٣ .

(٤) ثنى «ساقطة من ب» .

(٥) في اللسان (صلا): «يقال: صليت صلاة، ولا تقل: تصلية» .

(٦) من ب .

هذا البيت إلى ما جاء في الحديث من الحثُّ على الابتداءِ بحمدِ الله تعالى، وذلك أنه زُوي عن النبي ﷺ أنه قال: « كلُّ كلامٍ لا يُبدأُ فيه بالحمدِ (لله) ^(١) فهو أجذمٌ. أخرجه أبو داودَ وأبو عبد الله بنُ ماجه... ^(٢)، إلا أنَّ في رواية أبي عبد الله بن ماجه: « فهو أقطع » عوض « أجذم »، وفي رواية البغوي: « بحمد الله »، وفي رواية أبي عوانة: « بالحمد فهو أقطع ^(٣) ».

قلتُ: يحتملُ هذا الحديثُ أن يكونَ المرادُ الابتداءُ بلفظِ « الحمد لله » هكذا بهذه الصيغة على الحكاية، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: الابتداءَ بمادة الحمد، وإن لم تكن على هذه الصيغة حتى لو قال: حَمِدْتُ الله أو أَحْمَدُ الله لأَجْزَأً. ولذلك قال الزمخشريُّ ^(٤): « الله أَحْمَدُ أن جعلني من علماء العربية »، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: الثناء، وإن لم يكن بهذا اللفظ، حتى لو قال: بِسْمِ الله الرحمن الرحيم لأَجْزَأً؛ لأنه ثناء، والأظهرُ (الأوَّلُ) ^(٥)؛ لورود الرفعِ في بعضِ الروايات بـ « الحمدُ لله ».

والكلام في الحمدِ في ثلاثةِ فصولٍ ^(٦):

الفصل الأولُ:

أن هذا اللفظَ لا يُقالُ على جهة التعظيمِ إلا في حقِّ الله سبحانه، وكذلك

(١) سقط من ب .

(٢) كلمة في الهامش غير واضحة ..

(٣) انظر السلسلة الضعيفة برقم: ٩٠٢، طرقه بعضها موضوع والباقي ضعيف . وانظر كشف الخفاء برقم ١٩٦٤ .

(٤) انظر فاتحة الفصل في صنعة الإعراب ، وبعدها: « وجبني على الغضب للعرب والعصية » انظر تعليق الخوارزمي ١/١٣٥ من التحمير .

(٥) سقط من ب .

(٦) تقدم الكلام عنها في المقدمة .

كانت العربُ تقولُه .

قال سيبويه^(١) في باب ما ينتصبُ على المدح والتعظيم: « وليس كلُّ شيءٍ من الكلام يكونُ تعظيماً لله يكونُ تعظيماً لغيره، لو قلتَ: الحمدُ لزيدٍ، تريدُ أن تعظمَه، لم يُجزَ ولو كان عظيماً .

ونظيره: سُبُوحاً قُدُوساً، وسبحانَ الله، وأما قولُ الأعشى^(٢):

أَقُولُ لِمَا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنِ عُلْقَمَةُ الْفَاخِرِ

فسبحانَ فيه بمنزلة براءة، أي: أتبرأُ من علقمةِ الفاخرِ، وليس سبحانَ فيه

على جهة التعظيم .

الفصل الثاني:

في بيان الحمدِ لغةً، وبيان الشُّكر، وما الفرقُ بينهما، قال ثعلبٌ في « الفصيح^(٣) »: « تقولُ: حَمَدْتُ الرجلَ إذا شَكَرْتَ له صَنِيعَه . فهما مترادفان عنده، ولذلك فسَّرَ أحدهما بالآخر .

وقال سيبويه^(٤) في باب افتراق فعلتُ وأفعلتُ: « وقالوا: حمدتُه إذا جزيتُه

(١) انظر الكتاب ٦٩/٢-٧٠، قال السيرافي: « يحتاج التعظيم إلى اجتماع معنيين في المعظم:

أحدهما: أن يكون الذي عظم به فيه مدح وثناء ورفعة .

والآخر: أن يكون المعظم قد عرفه المخاطب، وشُهر عنده بمنا عظم به، أو يتقدم من كلام المتكلم ما يتقرر به عند المخاطب حال مدح وثناء وتشريف في المذكور يصح أن يورد بعدها التعظيم. وهذا معنى ما ذكره سيبويه » انظر هامش (٦) من الكتاب ٦٩/٢ .

(٢) في ديوانه: ١٩٣، والخزانة ١/١٨٥ .

(٣) الفصيح، باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى: ٢٧٥، وانظر ثلاثيات الأفعال لابن مالك:

٣٢، وثلاثيات الأفعال للبعلي: ٣٠٥ .

(٤) انظر الكتاب ٦٠/٤ وفيه: فقضيته حقه .

وقضيتَ حقُّهُ ، فعلى كلام هذين الإمامين الحمدُ والشكرُ بمعنى واحدٍ .

وقال ابنُ قتيبة^(١): « والحمدُ والشُّكرُ لا يُفرِّقُ الناسُ بينهما، فالحمدُ: الثناءُ على الرجل بما فيه من حَسَنٍ، تقولُ: حمدتُ الرجلَ إذا أثَّنتَ عليه بكرَمٍ أو حَسَبٍ، وأشباه ذلك. والشُّكرُ: الثناءُ عليه بمعروفٍ أو لآكَةٍ .

وقد يُوضعُ الحمدُ موضعَ الشُّكرِ فيقالُ: حمدتُ الرجلَ على معروفٍ كما يُقالُ: شكَّرتُ له. ولا يوضعُ الشُّكرُ موضعَ الحمدِ فيقالُ: شكَّرتُهُ على / شجاعته. ١/١٣
فالحمدُ على هذا أعمُّ من الشُّكرِ؛ لأنَّ الشُّكرَ يكونُ على معروفٍ عندك، والحمدُ: الثناءُ على المحمود بما فعلَ معَكَ أو معَ غيرك، وعلى ما لم ينلِكَ منه شيءٌ .

وقال الزمخشري^(٢): « الحمدُ والمدحُ واحدٌ، وهو أن تمدحهُ بما فيه من صفةٍ محمودَةٍ نالكَ منها شيءٌ أو لم ينلِكَ، ولا يكونُ إلا باللسان، والشُّكرُ ما يكونُ في مقابلةِ إحسانِهِ إليك، ويكونُ باللفظِ والفعلِ والاعتقادِ، فالحمدُ أعمُّ من الشُّكرِ مما تقدم، والشُّكرُ أعمُّ من الحمدِ من كونِ الشُّكرِ يكونُ بما^(٣) يكونُ به الحمدُ، وبما^(٤) لا يكونُ به، والحمدُ يكونُ ببعضِ ما يكونُ به الشُّكرُ .

والدليلُ على أن الشُّكرَ يكونُ بالجوارح والاعتقادِ والقلبِ قولُ الشَّاعر^(٥):

أَفَادَتَكُمُ النِّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحْجَبَا

(١) أدب الكاتب، (كتاب المعرفة) بتصرف ص: ٣٦ .

(٢) الكشاف ٧/١ . ولفظ ما فيه (أخوان) بدل (واحد) .

(٣) في ب: «مما» .

(٤) في ب: «مما» .

(٥) البيت في الكشاف ٧/١، وتعليق الفرائد على تسهيل الفرائد ٥٦/١، ولم أهتمد إلى قائله.

يريد: نعماً وكم استعبدت مني لكم ثلاثة أعضاء: اليد واللسان والقلب،
(وهو الضمير المحجب)، فأما استعباد يده فليكتبها مدحاً، ولا تكتب غيره، أو
لأنها تشير إليه أبداً، كقول أبي العلاء^(١):

شغلت على المرء من خمسه
أثنتين فخصهما المفخر
يُشار إليك بسبابة
ويُثنى على فضلك الخنصر

واستعباد اللسان بذكره أبداً ولزومه ذلك، واستعباد الضمير بكونه لا يُخطِرُ
بإله غيره .

ونظير البيت قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ
الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(٢) فالشكرُ جاء هنا في مقابلة الكفر، والكفرُ
يكون باللسان والاعتقاد والجوارح، فضده يكون بهذه الثلاثة أيضاً.

وقال عليه السلام^(٣): «أفلا أكون عبداً شكوراً» .

فإذا أخذنا الحمد بمعنى الشكر، فلا يجوز إطلاقه على غير الله تعالى؛ لأنه
سبحانه المحمود على كلِّ نعمة؛ لأنَّ النعمَ الواردة على أيدي المخلوقين هو
المشكورُ عليها؛ لأنها لم تجرِ إلا بإرادته وقدرته، وإذا أخذنا الحمد بمعنى المدح،
فهو سبحانه المحمود على الحقيقة، لأن المخلوق إذا فعل ما يُحمدُ عليه، إنما ذلك

(١) سقط الزند: ١٥٣، وروايته:

يشار إليك بدعاء

(٢) في أ: «يرضه له» وهو خطأ بين .

(٣) سورة الزمر: ٧ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي عليه السلام حتى ترم قدماء، عن المغيرة. ومسلم في
صفات المنافقين .

لغرضٍ أُخْرَوِيٍّ أو دُنْيَوِيٍّ، والله سبحانه هو المحمودُ على الإطلاق، فلا يَنْطَلِقُ على غيرِه .

الفصل الثالث:

إذا قال القائلُ: الحمدُ لله، يجوزُ فيه الرفعُ والنصبُ، فالرفعُ بالابتداء، والله الخبرُ، والنصبُ على أنه مصدرُ نائبٍ منابٍ فعله، والرفعُ أحسنُ، ولو كان نكرةً لكان النصبُ أحسنَ، ولا يُرْفَعُ إلا بالسمع كقوله^(١):

عَجِبًا لَتِلْكَ قَضِيَّةً وَإِقَامَتِي فَيْكُمُ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ

وإنما جاز الابتداءُ به وإن كان نكرةً لأنها جملةٌ اسميةٌ وُضعت موضعَ

الفعلية، كما قالوا: شرُّ أهرَّ ذا نابٍ^(٢)، التقدير: ما أهرَّ ذا نابٍ إلا شرُّ.

والرفعُ في الحمد / أقوى في المعنى من النصب؛ لأنك في الرفعِ تخبرُ عن ١٤/أ
شيءٍ ثبتَ واستقرَّ، وفي النصبِ تخبرُ أنك في حالِ حمدٍ، ومع هذا ففي الرفعِ المعنى الذي في النصبِ من إنشاءِ الحمد، وقد سُمع في « الحمدُ لله » ضمُّ لامِ الجر: الحمدُ لله^(٣)، ووجهه أنهم أتبعوا لامَ الجرِ الضمَّةَ التي قبلها للإعراب، وقد سُمعَ بكسرِ الدال^(٤): الحمدُ لله^(٥)، ووجهه: أنهم أتبعوا الأوَّلَ الثاني .

(١) من الكامل، وهو لهني بن أحمَر في الكتاب ٣١٩/١، ولضمرة بن ضمرة بن جابر في الخزانة ٣٨/٢ . (عجباً) بالرفع في جميع الروايات، خلافاً لما عند المؤلف، وقال البغدادي في الخزانة ٣٥/٢: « وروي (عجباً) بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجب » .

(٢) انظر الكتاب ٣٢٩/١، والخصائص ٣١٩/١ .

(٣) انظر المحتسب ٣٧/١ .

(٤) في ب: « اللام » .

(٥) انظر المحتسب ٣٧/١ .

واللام في قولك: « الله » لامُ الملك؛ أي: لا يستحقُّ أن يملك الحمد حقيقةً إلا الله سبحانه .

وقوله: « أن الحمد لله » يجوز فيه كسر إن وفتحها، فأما الكسر فعلى إضمار قول، التقدير: وثَلَّثْتُ فقلتُ: إنَّ الحمد لله .

وأما الفتح فعلى إعمال « ثَلَّثْتُ » فيها على حذف الباء، أي: وثَلَّثْتُ بأنَّ الحمد لله . فإذا كُسرَتْ إنَّ فيجوزُ أن تكون المؤكدة، ويجوزُ أن تكون بمعنى نَعَمْ، ومثالُ المؤكدة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، ومثال التي بمعنى نَعَمْ قولُ الشاعر^(١):

وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

بمعنى نَعَمْ .

فإذا كانت إنَّ في البيت بمعنى نَعَمْ، جاز في « الحمد لله » الرفعُ والنصبُ، الرفعُ على الابتداءِ والخبرِ، والنصبُ على المصدرِ النائبِ منابَ الفعل . وإذا كانت المؤكدة، جاز أيضاً الرفعُ والنصبُ؛ فأما النصبُ فعلى إعمالِ إنَّ، وأما الرفعُ فعلى إضمارِ اسمِ إنَّ بمعنى الأمر والشأن، والتقدير: إنه الحمد لله، ويكونُ موضعُ « الحمد لله » رفعا؛ لكونه خبرَ إنَّ، وقد جاء في الحديث^(٢): « إنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ » المعنى: إنه .

وانتصب « دائماً » على الحال من الضميرِ في « لله »، والعاملُ فيه الاستقرارُ، و « ما » بمعنى الذي مبتدأ، واسمُ ليس مستترٌ فيها يعودُ على « ما »،

(١) من مجزء الكامل، وهو في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ٦٦، وفي الخزانة ٢١٣/١١ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة .

وكذلك الضمير في مبدوءاً. و « به » يتعلق بـ « مبدوءاً » وهو يعودُ على « الحمد »، وليس واسمُها وخبرُها صلةٌ لـ « ما » المبتدأ، و « أجذمُ العلاء » خبرُ المبتدأ الذي هو « ما ».

فإن قيل^(١): إذا كان الأمرُ كذلك أعني أنَّ كلَّ أمرٍ لا يُبدأ فيه بالحمدِ فهو أجذمُ العلاء، فلمَ ثلثَ به، وكان يجبُ أن يكون مُقدِّماً كما فعلَ أبو عليٍّ الفارسيُّ^(٢)؛ حيث قال: الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ على سيِّدنا محمدٍ خاتمِ النبيين .

قلتُ: هو مبدوءٌ به باعتبار تقديمه على الخوض في القراءات وما يتعلقُ بهاء، وكانَّ البسمةَ والتصليةَ والحمدلةَ مقدِّماتٍ على ما يُريدُ من الأمر المهم. واتفق أن كان موضعُ الحمدلةِ ثالثاً، فهو في الحقيقة مبدوءٌ به .
و « العلاء » بالفتح والمدّ: الرِّفْعَةُ والشَّرْفُ، وأصله: المدُّ وقصره ضرورةً، ويجوزُ أن يكونَ وقفَ عليه بالإبدال^(٣) على القياس، ثم وصلَ بنية الوقفِ، كالوقفِ على ﴿جاء﴾ لحمزة^(٤).

١/١٥

/ والعلاء - بالضم والقصر - : يُستعملُ على وجهين:

أحدهما: أن يكونَ جمعَ العُلَيَّا (مؤنثِ الأعلى)، كالذُّنَى جمعُ الدُّنْيَا (مؤنثِ الأدنى). قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى﴾^(٥) هو جمعُ الكُبْرَى (مؤنثِ الأكبر).

(١) في ب: « قلت » .

(٢) انظر الحجة، مقدمة المؤلف ٥/١ .

(٣) في ب: « بالإبدال » .

(٤) انظر كلام أبي جعفر في الإقناع ٤٢٢/١ .

(٥) سورة المدثر: ٣٥ .

والثاني: أن يكون العُلَى بمعنى العُلُو مصدراً، ولا يكونُ فُعَلُ مصدراً إلا في المعتلِّ اللام كالهْدَى والتَّقَى، قال امرؤ القيس^(١):

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَضِلُّ الْمَدَارَى فِي مَثْنِي وَمُرْسَلِ

وقيل: العُلا والعلاء واحدٌ، وعليه قولُ الحُطَيْبِة^(٢):

إِذَا نَهَضْتُ يَوْمًا نَجَادًا إِلَى الْعَلَا أَبِي النَّاشِيءِ الْمَوْهُونُ وَالْأَشْمَطُ الْغُمُرُ

قال بعضُ الشُّرَّاحِ: إنما قَصَدَ النَّاظِمُ «إِلَى الْعَلَا» بِالْفَتْحِ وَقَصَرَهُ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلِ

الذِي هُوَ مَقْصُورٌ مَضْمُومٌ وَهُوَ «الْعَلَا»؛ لِأَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يَأْتِيَ بِأَبْلَغِ اللَّفْظَيْنِ وَأَفْخَمِهِمَا فِي هَذَا الْمَعْنَى .

قال: وَكَأَنَّ الْعَلَاءَ بِالْمَدِّ أْبْلَغُ مِنَ الْعَلَا بِالْقَصْرِ وَالضَّمِّ؛ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْحُرُوفِ

تَوْذِنُ بِزِيَادَةِ الْمَعْنَى كَالضُّحَا وَالضُّحَاءِ، هُوَ بِالْقَصْرِ: أَوَّلُ النَّهَارِ، وَبِالْمَدِّ: ارْتِفَاعُ النَّهَارِ .

قلت: إِنَّمَا قَصَدَ ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِيُخْلَصَ مِنْ اشْتِرَاكِ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ الْعَلَاءَ

بِالْمَدِّ نَصٌّ فِي مُرَادِهِ، وَالْعَلَا بِالضَّمِّ مُحْتَمِلٌ كَمَا قَدَّمَ نَاه .

وَأَيْضًا فَالْعَلَاءُ مَعْنَوِيٌّ، وَالْعَلَا حَسِيٌّ، وَالذِّي يَنَاسِبُ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ، وَلَا

يَكُونُ الْمَقْصُورُ إِلَّا بِمَجَازٍ، وَالْأَوَّلُ حَقِيقَةٌ .

فإن قلت: هذا شعرٌ، والمجازُ في الشعرِ أبلغُ من الحقيقةِ؟

فالجوابُ: أنَّ هذا في معرضِ التفسيرِ للحديثِ والتبيينِ، والحقيقةُ فيه أولى،

واللهُ أعلمُ .

(١) من الطويل، في ديوانه: ١٧ .

(٢) ديوانه: ١٠٩، وروايته:

أبي الأشمط المزهوق والناشيء الغمر

فإن قيل: ما فائدة ذكر العلاء، ولم يذكره في الحديث ؟
 فالجواب: أنه مُشارٌ إليه فيه، وذلك في قوله: كلُّ أمرٍ ذي بالٍ، أي: شأنٍ .
 وَيَحْتَمِلُ الْعَلَاءُ مِنَ الْإِعْرَابِ ثَلَاثَةَ أَوْجِهٍ:
 أحدها: أن يكون مجروراً بإضافة «أجذم» إليه .
 والثاني: أن يكون منصوباً على التشبيه بالمفعول به .
 والثالث: أن يكون مرفوعاً، إما فاعلٌ بـ «أجذم» ، والضميرُ الذي يعودُ
 على المبتدأ، وهو^(١) ما نابت الألفُ واللامُ منابه على مذهبِ أهلِ الكوفة، أو
 يكونَ محذوفاً تقديرُه: العلاءُ «منه» أو «له» ، وإما أن يكونَ بدلاً من الضميرِ
 في «أجذم» ، ويكونَ من بدلِ الاشتمال، ومثلُ هذا قولك: هذا رجلٌ أحمرُّ
 الثوبِ وأحمرُّ الثوبِ وأحمرُّ الثوبِ .

* * *

وَبَعْدُ فَحَبِلُ اللّٰهُ فِينَا كِتَابُهُ فَجَاهِدْ بِهٖ حِبِلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلًا

الحبل: بفتح الحاء معروف، وتستعيره العربُ مثلاً للعهد. قال الشاعر^(٢):

إِنِّي بِحَبْلِكَ وَأَصِلُ حَبْلِي وَبِرِيشِ نَيْلِكَ رَائِشٌ نَيْلِي

وقال الآخر^(٣):

أَلَا أَضَحَّتْ حِبَالُكُمْ رِمَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أُمَامًا

لَمَّا فِي الْعَهْدِ مِنَ الصَّلَةِ وَالْمُودَّةِ، وانقطاعه نقيضُ ذلك، ونظيره قوله تعالى:

(١) صوابه « هو » .

(٢) البيت من الكامل، وهو لامرئ القيس في ديوانه: ٢٣٩ .

(٣) من الوافر، وهو لجرير في ديوانه: ٢٢١ .

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^(١) .

وعن مجاهدٍ وابن مسعودٍ في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢) قالوا^(٣): حبلُ الله: القرآن، / ضربَه اللهُ مثلاً لما فيه من العهود إلينا، ألا ترى أنه وُصلةٌ إلى معرفة توحيد الله - عزَّ وجل - وشرائعِهِ، وغير ذلك من علومه التي لا تُحصى، وُصلةٌ إلى رضاهُ وثوابِهِ، وإلى النجاةِ من سخطِهِ وعقابهِ. أشارَ رحمه اللهُ في هذا البيتِ إلى الآيةِ المتقدمةِ، وإلى قوله ﷺ^(٤): «إنَّ هذا القرآنَ هو حبلُ اللهِ سبحانه، وهو النورُ المبينُ، والشفاءُ النافعُ، عصمةٌ لمن تمسَّكَ به، ونجاةٌ من تبعه، لا يعوجُّ فيقومُ، ولا يزيغُ فيستعَبُ، ولا تنقضي عجائبُهُ، ولا يخلقُ على كثرةِ الردِّ، فاتلوه فإنَّ اللهَ يأجرُكم لكلِّ حرفٍ عشرَ حسناتٍ» .

ونحوٌ منه قوله - ﷺ^(٥): «أبشروا أبشروا، ألستم تشهدونَ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأني رسولُ اللهِ، قالوا: بلى، قال: فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ، طرفُهُ بيدِ اللهِ، وطرفُهُ بأيديكم، فتمسَّكوا به، فإنكم لن تضلُّوا ولن تهلكوا بعده أبداً» . وهذا إعلامٌ بحفظِهِ وحراسته . أما الطرفُ الذي بيدِ اللهِ فلا نالَهُ مَبْطُلٌ، وأما الطرفُ الذي بيدِ أهلِ القرآنِ فتشريفاً لهم وتقويةً لاعتصامِهِم به

(١) سورة البقرة: ١٦٦ .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٩٧/١، والدر المصون ١٧٧/٢ .

(٤) البغوي في شرح السنة ٤٣٨/٤، والزمذي في فضائل القرآن ١٥٨/٥، ونفسير ابن كثير ٣٧٩/١ عن الأحوص بن عبد الله .

(٥) انظر الجامع للأحاديث برقم: ١٥٩ عن أبي شريح الخزعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وانظر فضائل القرآن للرازي: ٧٦ .

واعترضادهم، وامتناع دخول الوسائطِ بينه [وبينهم]^(١) .
 وقوله: « فجاهدُ به حِبَلُ العِدا » الهاء من « به » تعود على الكتاب، و الحِبلُ
 بكسر الحاء: الداهية، ويُجمعُ على حُبُول ، قال الشاعر:

وَكُنْتُ صَاحِبَ القَلْبِ حَتَّى أَصَانِي

مِنَ اللّامِعَاتِ المُبْرِقَاتِ حُبُول^(٢)

و « العِدا » : اسمٌ للأعداء، وهو مفردٌ يُرادُ به الجمعُ، وهو صفةٌ، وليس في
 الصفاتِ فِعْلٌ إلا عِدَاءً، وزاد أبو علي^(٣) ﴿مكاناً سيئاً﴾^(٤)، قال الشاعر^(٥):
 إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًّا لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ
 وأما العُداءة: فهو جمعٌ، ومفردُهُ: عادٍ كقاضٍ وقضاة، وسارٍ وسُراة، قالت
 الخِرْنَق^(٦):

لا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ سُمُّ العُدَاةِ وَأَفَةُ الجُزْرِ

والأعداء: جمعٌ يجوزُ أن يكونَ واحدهُ عدوٌّ وعادٍ، وجمعُ على حذفِ
 الزيادة، كما قالوا: شاهِدٌ وأشهادٌ، وفُلُوٌّ وأفلاء^(٧).

(١) ساقطة من ب.

(٢) من الطويل، والبيت للأخطل في ديوانه: ٤٦١، واللسان والتاج (حبل) .

(٣) قال: « وهذا بناء يقل في الصفات - يعني فَعَلٌ عند كلامه عن قوله تعالى ﴿مكاناً سيئاً﴾ -
 ومثله: قومٌ عدى » انظر الحجة ٢٢٤/٥ .

(٤) سورة طه: ٥٨ .

(٥) من الطويل، في اللسان (عدا) قال: « وقال ابن بري: هو لزرارة بن سبيع الأسدي » وانظر
 الكامل للمبرد ٤٠٩/١ .

(٦) من الكامل، وهو في ديوانها: ٤٣، وانظر الخزانة ٤١/٥، ٤٢، ٤٣ .

(٧) الفلُوُّ بتشديد الواو: المهر؛ لأنه يفتلى أي: يفطم، وقد قالوا للأثني: فلُوَّةٌ كما قالوا عدو
 وعدوة. انظر (فلو) في اللسان والتاج، وفيها: فلُوٌّ وفلُوٌّ وفلُوٌّ .

والتجبلُّ: أخذُ الصيدِ بالحبالِ، يُقالُ: تجبَّلَ الصيدَ واحتبلَهُ: أخذَهُ بالحبالِ وهي الشبكة. وجُمعَ على حبالٍ، وهو نصبٌ على الحال من الضمير المستتر في «جاهد» .

يقولُ: انصبُّ للأعداءِ في الدينِ وأهلِ البدعِ الحبالَ بالقرآنِ لتَهْلِكَهُمْ بما تورَّدُ عليهم من ذلك، كما يفعلُ الصائدُ، أو اجعله حبالاً تصيدُ بها من تهديه، وتريةِ الحقِّ .

وفي تعلق « به » وجهان:

أحدهما: أن يتعلَّقَ بـ « جاهد » ، وهو أقرب وأقوى؛ لأنه فعلٌ، والمرادُ بالحبال: أدلةُ القرآنِ اللائحة، ولا فصلَ بين المعمولِ والعاملِ .

والثاني: بـ « متجبلاً » . قال أبو الحسن السخاوي^(١): « وهو أحسنُ في المعنى؛ لأنه نصٌّ على التجبُّلِ بالقرآنِ » .

والفاء في قوله: « فجبَّلُ الله » جوابُ شرطٍ مقدَّرٍ، التقديرُ: أما بعد، لكن لكثرة هذا في الكلام حُذفت « أمّا » ، واستُغنيَ بذكر « بعدُ » . و « أمّا » : هي العاملةُ في « بعدُ » ؛ لأنها تضمَّنت معنى الفعل، وقد تُذكرُ أمّا، وتسقطُ « بعدُ » كما قال أبو عليٍّ الفارسيُّ^(٢): « أما على إثر ذلك فإنني جمعتُ » ، والأصل أن

يُقال: أمّا بعدُ، / كما قال سحبان وائل:

لَقَدْ عَلِمَ الحَيُّ اليمَانُونَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي خَطِيئُهَا

(١) فتح الوصيد في شرح القصيد لأبي الحسن السخاوي تلميذ الناظم، انظر كلامه عند تعليقه على هذا البيت .

(٢) البيت والخبر في جمهرة الأمثال لأبي هلال ٢٠٢/١، وانظر شرح الكافية للرضي ٣٦٥/٤ .

ويقال: إنه دخل على معاوية وعنده خطباء القبائل، فلما رأوه خرّجوا؛
لعلمهم بقصورهم عنه، فأنشد سبحانه إذ ذاك البيت المتقدم، وهو أول من قال:
أما بعد^(١).

وبعد كقبيل من ظروف الزمان، يُعربُ إذا أُضيفَ نصباً وجرّاً بمن، كقوله
تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) و﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٣) و﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤)، وإذا لم يُضف، وكان المضافُ إليه معلوماً، بُني على الضمِّ،
قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٥)، وإذا لم يُعلم المضافُ إليه
أُعربَ، قال الشاعر^(٦):

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفِرَاتِ

ولا يجوزُ أن يكونا في البناءِ خبرين - اعني قبلُ وبعْدُ^(٧) - ، والعلّةُ في البناءِ:

(١) انظر الأوائل لأبي هلال: ٦٨ .

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥ .

(٣) سورة الحديد: ٢٢ .

(٤) سورة الفرقان: ٢٠ .

(٥) سورة الروم: ٤ .

(٦) من الوافر، وهو ليزيد بن الصعق في الخزانة ١/٤٢٦، ٤٢٩، واللسان (حمم) مع اختلاف في
الرواية . ونسب في التصريح ٥٠/٢ إلى عبد الله بن يعرب . ويروى (بالماء الزلال)، و(بالماء
الحميم) ، وانظر شرح الشواهد للعيبي ٣/٤٣٥ .

(٧) انظر الشذور، (باب ما لزم الضمة من المبنيات)، وتعليقه على بيت ابن الصعق: ١٠٤ .

قلت: وإلى هذا أشار ابن مالك في الكافية بقوله:

قبل كها وبعْد حسبُ أولُ ودون والجهات هكذا علُ

أي: قبلُ مثل غير في أنه ذو إبهام يشابه الحرف، وذو إضافة تعارض الشبه، وأنه إذا قطع عن
الإضافة ونويت على الوجه المذكور زال المعارض اللفظي فبني... وحين بني بني على حركة

الخروج عن النظائر؛ لأنهما إذا قُطعا عن الإضافة في اللفظ، فلا ينقطعان في المعنى، وبُنيا على الحركة، إمّا خوفاً من التقاء الساكنين، وإمّا لأن أصلهما التمكّن وهو الإضافة، وخصّ بالضم؛ لأنها حركة لا تكون لهما لو أعربا، وتقدير الإضافة هنا: وبعد هذه البدأة من البسمة والتسوية والحمدلة فجلّ الله.

* * *

وَأَخْلِقُ بِهِ إِذْ لَيْسَ يُخْلِقُ جِدَّةً جَدِيداً مُوَالِيَهُ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلاً

يُقال: فلانٌ خَلِقٌ بكذا وجديرٌ وقمينٌ وقمينٌ^(١) وحرىٌ وحر، أي: حقيقٌ به، ويُقال: أنتَ قَمَنٌ به وحرىٌ، إلا أنهما لا يُثنيان ولا يُجمَعان^(٢)؛ لأنهما من قولك: رَجُلٌ زَوْرٌ وفِطْرٌ وصَوْمٌ، ويُقال: ما أخلقه بكذا، وما أولاهُ به، وما أحقه به بمعنى واحدٍ .

ليكون له مزية على مبني يلازمه البناء كـ «مَن» و«كَم» وكانت الحركة ضمة؛ لأنها حركة لا يعرب بها «قبل» حين يعرب، إذ لا يكون إلا منصوباً أو مجروراً، والكلام على «بعد» كالكلام على «قبل». قال ابن مالك:

وأعربوا نصباً إذا ما نكرا قبلاً وما من بعده قد ذكرا

قال: وإنما أعربت هذه الأسماء في تنكيرها؛ لأنها في تنكيرها لم تخالف النظائر، وهي في تعريفها مقطوعة عن الإضافة، ومخالفة للنظائر، وذهب بعضهم إلى أنها معرفة بنية الإضافة، إلا أنه أعرب لأنه جعل ما لحقه من التنوين عوضاً من اللفظ بالمضاف إليه. انظر شرح الكافية الشافية ٢/٩٦٢-٩٦٦، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٣١٩-٣٢٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٧٦ .

(١) «وقمين» ساقطة من ب .

(٢) لأنهما مصدران، أما إذا كسرت الميم من «قَمَن» فقلت: قَمِن، والراء من «حَرى» فقلت: حَرٍ ثَبِيَتْ وجمعت وأثنت. انظر (قمن وحرى) في الصحاح واللسان والتاج .

وأخِلِقُ به: أحدُ لفظي التعجب، مأخوذ من قولك: أخلِقَ الشيءُ صار خليقاً، كقولك: أغدَّ البعيرُ، صار ذا غُدَّةٍ، إلا أنه حُوِّلَ إلى لفظ الأمر لفظاً، وأُدخِلَ على الفاعل الباءُ؛ لأن صيغة الأمر لا ترفع الظاهرَ، فألزم الباءَ ليزول عن كونه فاعلاً في اللفظ، وموضعه رفع، ونظيره قولهم: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾^(١).

وأهل الكوفة^(٢) يرون أنَّ موضعه نصبٌ قياساً على سائر المجرورات .
ويُخلِقُ بمعنى: يئلى. يُقالُ: خلِقَ الثوبُ، وأخلِقَ، يَخلِقُ ويُخلِقُ: إذا بليَ .
لما قالَ:

فجَاهِدْ به حِبِلَ العِدَا مُتَحَبِّلاً

أردفه بقوله: وأخِلِقُ به، أي: وأخلِقُ به أن يجعل غُدَّةً في مجاهدةِ العِدَا، وهذا كما تقولُ: اجعل زيدا لمهماتك وما أولاهُ! أو: ما أحقه بذلك! ثم علَّلَ ذلك فقالَ: إذ ليس يَخلِقُ جدُّه: إذ ليس تبلى جدُّته، ونصبَ جدَّةً على التمييز، وما كان كذلك فهو جديرٌ أن يُجاهدَ به العدوُّ، و إذ^(٣): ظرفٌ لما مضى من الزَّمان، ويجري مجرى التعليل في بعض المواضع من غير أن يخرجَ عن الظرفية، وإنما جرى مجرى التعليل لاستواء معناه في نحو قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذ أساء، لأنك إذا ضربته في وقت إساءته، فإنما ضربته لإساءته فيه^(٤).

(١) سورة النساء: ٧٩ .

(٢) انظر الإنصاف ١٦٧/١-١٦٩ .

(٣) في ب: « إذا » .

(٤) انظر نتائج الفكر: ١٣٤ .

/ وأخرجه بعضهم عن الظرفية وجعله كـ « أن » المصدرية. وأشار بقوله: « إذ ليس يَخْلُقُ » ، لما جاء في الحديث المتقدم من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ولا يَخْلُقُ على كثرة الرَّدِّ » .

وجديداً: فعيلٌ من الجَدِّ، وهو الرَّفْعَةُ والعِظْمَةُ. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^(١) ويُقالُ: جَدَّ زيدٌ في عيون الناس وفي صدورهم؛ أي: عَظُمَ .
و « هو » حالٌ من الضمير في « يُخْلِقُ » ، وهو ضمير القرآن. ومُوالِيه: ملازمُهُ، وهو ضدُّ المعادي .

والجَدُّ بالكسر: ضدُّ الهزْل، وفي الحديث: « وهو الجَدُّ ليس بالهزْل » جاء في صفة القرآن. و « على الجَدِّ » موضعه رفعٌ على أنه خبرُ المبتدأ وهو « مُوالِيه » . و « ومقبلاً » : حالٌ من ضمير الاستقرار كما تقول: زيد على الحق مقبلاً عليه يعني: بالتدبُّر والعمل. يشيرُ بذلك إلى ما كان عليه الأولون من الاهتمام به.

حُكي أن بعضهم استأذنَ أميرَه في المقام عند أهله ليلةً واحدةً، فأذن له، فشرَعَ في الصلاة حتى طلع الفجر مشغولٌ بالقرآن عند أهله، ثم رجَعَ ووفى بوعدِه. وقد روى أبو ذرٍّ^(٢) أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام الليل بهذه الآية يردُّها: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾^(٣).

وبقي تميم الداريُّ - رحمه الله - ليلةً إلى أذان الصبح في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا فَاكِهُونَ﴾^(٤)

(١) سورة الجن: ٣ .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في الافتتاح، باب ترديد الآية، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، وانظر البغوي في شرح السنة ٢٦/٤ عن أبي ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال العراقي في المغني ١/٢٨٩: سنده صحيح .

(٣) سورة المائدة: ١١٨ .

(٤) كذا في الأصل، وليست آية من القرآن . والذي في السير أنه قام ليلة بهذه الآية: ﴿وَهُمْ

ورَدَّدَ سعيدُ بنُ جبير^(١) حتى أصبح: ﴿وَامْتَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾^(٢).

وعن ابن حبيب قال: كان الشعبي يقول: إذا قرأت القرآن فرتله لتسمع أذنك، ويفهم قلبك، فإن الأذن عدل^(٣) بين اللسان والقلب .
وعن ابن حبيب قال: سمعت عائشة رجلاً يقرأ يهذُّ هذا، فقالت: ما قرأ هذا وما سكت.

وعنه أيضاً عن قتادة قال^(٤): سألت أنس بن مالك عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كان يمدُّ صوته بالقراءة مداً، ويقرأ حرفاً حرفاً .

ويجوزُ أن يكون « مواليه » فاعلاً بـ « جديداً » ، ويتعلق « على الجد » به، و «مقبلاً» حال من الضمير المرفوع في « مواليه » ، ويجوز تعلُّق « على الجد » بـ «مقبلاً»، وهذا كقولك: جاء زيد ضاحكاً أمه قائمة^(٥)، فيكون الموصوفُ بالرفعة والعظمة على هذا: مواليه على الجد المقبل عليه. وعلى الإعراب الأول: القرآن .

* * *

وقارنهُ المرضيُّ قرّاً مثاله كالأترجِّ حاليه مريحاً ومؤكلاً

المرضي: اسم مفعول من الرضوان، كان قياسه: المرضو، ولكنهم بنوه على

حسب الذين اجترحوا السيئات ﴿الآية. سورة الجاثية: ٢٠، انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٢، وكذا في الإحياء ١٨٩/١. والذي في نسخة ب: ﴿وهم فيها كالحون﴾ المؤمنون.

(١) سير أعلام النبلاء ٣٢٤/٤، وانظر الإحياء ١٨٩/١ .

(٢) سورة يس: ٥٩ .

(٣) انظر الكتاب ١٠٢/٢، قال: العدل لا يكون إلا للمتاع، وقال ابن الأثير: « قيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه » انظر النهاية ١٩١/٣ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة .

(٥) في هامش ب: في هذا المثال نظر فتأمله .

رُضِيَ عَنْهُ كَمَا بَنُوا الْمَغْشِيَّ عَلَيْهِ عَلَى غُشْيِي، وَكَمَا قَالُوا: مَسْنِيَّةٌ، وَهُوَ مِنْ سَنَاها
الغَيْثُ يَسْنُوها.

وَقَرَّ وَاسْتَقَرَّ بِمَعْنَى. وَالْأَتْرَجُ وَالْأَتْرَجُ بِمَعْنَى. وَمَرِيحَاءٌ مِنْ قَوْلِكَ: أَرَاخَ الطَّيِّبُ
يُرِيحُ إِذَا أُعْطِيَ الرَّائِحَةَ، وَلَهُ مَحَامِلٌ غَيْرُ هَذَا، يُقَالُ: أَرَاخَ الرَّجُلُ: مَاتَ / ١/١٩
وَأَرَاخَ: رَجَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ بَعْدَ الْإِعْيَاءِ^(١)، وَأَرَاخَ: أَخْرَجَ رِيحَهُ مِنْ أَنْفِهِ، وَأَرَاخَ
اللَّهُ عَبْدَهُ مِنَ الْكُرْبِ: كَشَفَهُ عَنْهُ، وَأَرَاخَ عَلَى الرَّجُلِ حَقَّهُ: رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَأَرَاخَ
الْقَوْمُ: صَارُوا فِي الرِّيحِ .

وَمَوْكَلًا: مِنْ قَوْلِكَ: أَكَلَ الزَّرْعُ وَغَيْرُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِذَا أُطْعِمَ .
وَأَشَارَ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ - أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ^(٢) عَنْ أَبِي مُوسَى - :
«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَتْرَجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ
الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا خَبِيثٌ وَرِيحُهَا .»

وَلَمْ يَذْكُرِ النَّازِمُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْحَدِيثِ إِلَّا الْمُؤْمِنَ
الْقَارِئَ، وَعَبَّرَ عَنْ إِيمَانِهِ بِقَوْلِهِ: « وَقَارئُهُ الْمَرِضِيُّ »، وَلَا يُرْتَضَى إِلَّا الْمُؤْمِنُ .
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ^(٣): « مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ فَهُوَ الْمَرِضِيُّ صِيَانَةٌ وَوَرَعًا » .
وَقَالَ صُهَيْبٌ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنْ اسْتَحَلَّ

(١) انظر (روح) في الصحاح والتاج .

(٢) سنن النسائي ١٢٤/٨، وانظر صحيح البخاري ٢٣٤/٦، وصحيح مسلم ١٩٤/٢ .

(٣) انظر فتح الوصيد عند شرحه لقول الناظم: « وقارئته المرضي ... » .

مَحَارِمَهُ^(١).

المعنى: قارئ القرآن المرضي الأحوال، ثبت مثاله في الحديث النبوي مثل الأترج .

فـ « قارئه » مبتدأ، و « المرضي » صفتُه، و « قرَّ مثاله » جملة فعلية في موضع خبره، و « حاله » بدلٌ من الأترج بدلُ اشتغالٍ، أي: قرَّ كحالي الأترج، و « مريحاً » و « موكلاً » حالان من الأترج .

* * *

هو المرتضى أمّا إذا كان أمةً ويَمَمُه ظلُّ الرّزّانة قنقلا

قوله: « أمّا » يعني: قصداً، قال الله تعالى: ﴿وَلَا آمَنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾^(٢)، يقال: أمّه يؤمّه أمّا، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣) هو جمع أم^(٤) نحو: صاحبٌ وصحابٌ، وراعٍ ورعاء، وقيل غير ذلك . وهو نَصَبٌ على التمييز. والألف واللام في « المرتضى ». بمعنى الذي، والضمير من « هو » عائدٌ على قارئ القرآن، التقدير: هو الذي يُرْتَضَى قصده إذا كان على الشروط الآتية، وهي قوله: « إذا كان أمةً » ... إلى آخره . والأمة يُرادُ به هنا الإمام الجامع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾^(٥)،

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٢٩١٨ عن أبي المبارك عن صهيب، وقال: هذا الحديث ليس إسناده بالقوي، وأبو المبارك رجل مجهول. انظر ضعيف الجامع برقم: ٤٩٧٧ .

(٢) سورة المائدة: ٢ .

(٣) سورة الفرقان: ٧٤ .

(٤) حكى هذا الاستعمال في التاج، وفيه تفصيل. انظر (أمم) .

(٥) سورة النحل: ١٢٠ ، وانظر طراز الحلة : ٩٩ وما بعدها .

وقيل: المعلم للخير المطيع لله، ويُراد به أيضاً الحين، قال الله تعالى: ﴿وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾^(١). والدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(٢) أي: على دين وملة، وطولُ الرجل وقامتُه، قال الأعشى^(٣):

وَإِنَّ مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حِسَانُ الْوُجُوهِ طِوَالُ الْأُمَمِ

معاوية هنا قبيلة، والأمة أيضاً: الجليل، قال الله تعالى: ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾^(٤).

ويُتمه: قصده، قال الله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٥).

والرزانة: السكينة والوقار، والظلُّ لها مجازٌ. والقنقل: الكتيبُ من الرمل العظيم، ولذلك قيل لتاج كسرى: قنقل^(٦).

وهو منصوبٌ على الحال إما من «ظِلُّ الرِّزَانَةِ»، يُشير بذلك إلى جلاله وهيئته، وإما أن يكون حالاً من الهاء في «يَمَّمُهُ».

«هو» ضمير القارئ، و«قنقلاً» بمعنى متوجِّجاً، / وهو من قولهم: جلسَ فلانٌ وعليه تاج السكينة والوقار، وجعل الرزانة تقصده كأنها تفخرُ به وتترينُ بأن تظلهُ لكثرة خلال الخير فيه، وهذا المعنى مأخوذٌ من قول الفضيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(١) سورة يوسف: ٤٥ .

(٢) سورة الزخرف: ٢٣ .

(٣) الأعشى الكبير ميمون بن قيس في ديوانه: ١٧١، برواية:

فإن معاوية الأكرمين عظام القباب طوال الأمم

انظر اللسان (أمم)، ويروى: (بيض الوجوه) .

(٤) سورة الرعد: ٣٠ .

(٥) سورة النساء: ٤٣ .

(٦) انظر الصحاح (قنقل) .

حامل القرآن حامل راية الإسلام^(١).

وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يستشيرُ القراءَ في المهمِّ من الأمر، وإن كان غيرهم أسنَّ منهم.

وأشار بقوله: « إذا كان أمةً » إلى أنه لا ينبغي أن تكون حروف القرآن مبلغ القارئ من العلم، فإن المقتصر على ذلك لا يعلو قدره. فقال مالك: يؤمُّ الناس أفقهُم، قيل: فأقروهم، قال: « قد يقرأ من لا » ففسره أصحابه بمن لا ترضى حاله. فجمع في هذا البيت شرطين: أن يكون عالماً، وأن يكون ذا سكينه، فأخذ في علوم القرآن والأسباب الموصلة إليه، يحصل له أجر الماهر بالقرآن .

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ^(٢): « الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة. وفي لفظ آخر: « الماهر بالقرآن . ويجب أيضاً على حامل القرآن أن يخلص النية فيه لله تعالى لقوله ﷺ^(٣): «إنما الأعمال بالنيات» .

* * *

هُوَ الْحُرُّ إِنْ كَانَ الْحُرِّيَّ حَوَارِيًّا لَّهُ بِتَحْرِيهِ إِلَى أَنْ تَنْبَلَا

« هو » يعود على القارئ، وجلعه حراً؛ لأنه لم تسترقه الدنيا، ولم يستعبده الهوى، وكيف تستعبد الدنيا من فهم قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعٌ

(١) انظر الإحياء ٢٨١/١ فضيلة القرآن .

(٢) الترمذي، ثواب القرآن، والدارمي فضائل القرآن .

(٣) صحيح البخاري، بدء الوحي .

الغُرُورِ^(١) ، وقول رسول الله ﷺ^(٢) : « لو كانت الدنيا ترنُّ عند الله جناحَ
بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربةَ ماءٍ » ، وقوله ﷺ^(٣) : « ليس منا من لم يتغنَّ
بالقرآن » .

قال ابنُ عُيَينةَ: يستغني به، وكذلك قال أبو عُبيد^(٤)، واحتجَّ بقول مَنْ دخلَ على
سعدٍ وعنده متاعٌ رثٌ فقال: قال رسول الله ﷺ^(٥) : « ليسَ منا مَنْ لم يتغنَّ
بالقرآن » قال أبو عُبيد^(٦): فذكرُ رثائَةَ المتاع عند هذا الحديث يدلُّ على أنه أرادَ
الاستغناء، وليس الصوتُ من هذا في شيءٍ .

قال ابنُ مسعودٍ: من قرأ سورة آل عمرانَ فهو غنيٌّ. وتقول العربُ: تغنيتُ
تغنياً، وتغانيتُ تغانياً، بمعنى: استغنيتُ. قال الشاعر^(٧):

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتهُ ونحنُ إذاً متنا أشدُّ تغانياً

والحرِّيُّ: الحقيق، والحواريُّ: الناصرُ المخلصُ في نصره، وكلُّ مشمرٍ في
شيءٍ ناصرٍ فيه فهو حواريٌّ، كأن عزمه خالصٌ صافٍ من التقاعد . قال
الكميت^(٧):

فألِقِ فضالَ الوهنِ عنكَ بوَثبةٍ حواريَّةٍ قد طالَ هذا التفضُّلُ

(١) سورة الحديد: ٢٠ .

(٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الكهف .

(٣) صحيح البخاري في التوحيد، والدارمي في فضائل القرآن .

(٤) انظر فضائل القرآن ٢٩٠/١ .

(٥) انظر فضال القرآن ٩/٢-١٠ بتصرف .

(٦) من الطويل، وهو للمغيرة بن حنبل التميمي في اللسان (غنا) . وللأبيد الرياحي في الأغاني

. ١٢٧/١٣

(٧) من الطويل، وهو في اللسان والتاج (فضل) بغير نسبة ، مع اختلاف في الرواية .

الفِضال: الثيابُ تُلبَسُ في الخلوَّة. يريد وثبةً خالصةً من الوهن والفتور،
والمتفضل: اللابسُ ثوباً واحداً لينامَ أو يعملَ عملاً، قال الشاعر^(١):

فجئتُ وقد نضتُ لنومٍ ثيابها لدى السِّترِ إلا لبسةً المتفضلِ

/ وأصل الحور: البياضُ، ومنه: الحواريُّ للخبزِ النقي الأبيض، وقيل لنساء ١/٢١

الأنصار: الحواريات، لبياضهنَّ، قال الشاعر^(٢):

فقتلُ للحواريَّاتِ يكيِّنَ غيرنا ولا تبكينَا إلا الكلابُ النوايحُ

ويقال للقصَّارين: حواريين لتبييض الثياب .

والكلُّ يعود إلى معنى الصفاء، قال أبو عمرو^(٣): الحورُ في العين: « شدةُ
بياض البياض، وسوادِ السواد » وقيل: أن تكون كلُّها سوداء، وهذا يكون في
الوحش .

والحواريُّون: صِفوةُ عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلاً .

وخفف الناظمُ الياء من « حوارياً » ضرورةً، وقد جاء مثل ذلك في حرف
الصحة، قال الشاعر^(٤):

حتى إذا ما لم أجد غيرَ الشرِّ

(١) من الطويل، وهو لامرئ القيس في ديوانه: ١٣ .

(٢) من الطويل، لأبي جلدة اليشكري يحضض أهل العراق على أهل الشام في حرب الحجاج،
وهو في ديوانه: ٣٣٧، واللسان (حور) . وانظر كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي: ٤٤ الشاهد
(٣٢) وفيه: « النوايح » وروايات أخرى .

(٣) انظر الصحاح (حور)، وليست في الجيم .

(٤) في المحتسب ٧٧/٢ بلا نسبة قال: وأنشدنا أبو علي « ثم ذكره، ويليهِ:

كنت امرأً من مالك بن جعفرِ

والتحرّي: القصد. وتنبّل البعير: مات^(١).

وينتصب « حوارياً » على الحال من الضمير في « الحري » ، و « الحري » خبر كان، واسمها مستترٌ فيها يعود على القارئ، و « له » متعلق بـ « حوارياً » ، و « بتحريه » متعلق بـ « الحري » . يقول: هو الحرُّ في الدار الآخرة عند الله تعالى إن كان حرياً بتحريه له؛ أي: بمصاحبته له وبقصده إياه في حال كونه مخلصاً في قصده، وإنما يكون كذلك أعني حقيقةً بذلك بأن يؤهّله الله تعالى لذلك ويسرّه له، فالتوفيق بيد الله تعالى .

و « إلى أن تنبلاً » متعلق بـ « حوارياً » أو بـ « تحريه » ، يريد: بقي ذلك إلى الموت. والهاء في « تحريه » إما للقرآن، فتكون في المعنى مفعولة، وإما للقارئ فتكون في المعنى فاعلة، لأن المصدر يُضاف إلى فاعله تارةً وإلى مفعوله تارةً، وأما الهاء في « له » فهي عائدة على القرآن .

* * *

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاً

قال رسولُ الله ﷺ^(٢): « ما من شَفِيعٍ أَفْضَلَ^(٣) مِنْتَزَلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا نَبِيٌّ وَلَا مَلَكٌ وَلَا غَيْرُهُ » .

وقال ابنُ حبيب^(٤): بلغني أن رسولَ الله ﷺ قال: « أنا أولُ شافعٍ إلا القرآنِ

(١) انظر تعليق صاحب التاج (نيل) على من خصه بالبعير كصاحب الفصيح .

(٢) قال العراقي في المغني ١/٢٧٩: « رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن أسلم مرسلأ، والطبراني من حديث ابن مسعود « القرآن شافع مشفع » . ولمسلم من حديث أبي أمامة: « اقرؤوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه » .

(٣) في ب: أ عظم .

(٤) في شرح غريب الموطأ، وهو مخطوط .

يشفعُ قبلي» .

وعن أبي ذرٍّ قال: إنَّ هذا القرآنُ شافعٌ مشفعٌ، وما حلُّ مصدَّقٌ، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله وراءه ساقه إلى النار^(١) .

وجاء في الحديث أيضاً: « من شفَع له القرآنُ يومَ القيامةِ نجا » ، وفيه أيضاً: « أن ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾^(٢) تجادلُ عن صاحبها يومَ القيامة، وكان السلفُ يسمونها المنجية والواقية^(٣) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسولُ الله ﷺ^(٤): « اقرءوا القرآن، فإنه يجيءُ يومَ القيامةِ شافعاً لأصحابه، اقرءوا البقرة وآل عمران، فإنهما الزُّهراوان، يأتیان يومَ كانهما غمامتان يُحاجَّان عن صاحبهما .

وإذا كان الشافعُ بهذه المنزلة، فهو أوثقُ شافعٍ؛ أي: أقوى. ومنه تقولُ: حَبِلٌ وثيقٌ؛ أي: قويٌّ .

و « شافعٍ » : يُرادُ به الشفعاء، ولكنه / أفرد، وإنما قلنا ذلك؛ لأن أفعل الذي للمفاضلة، إنما يُضافُ إلى شيءٍ هو بعضٌ منه، قال بعضُ شراحِ هذا القصيد: ما في الحديث سوى ذكرِ الشفاعة، وما يلزمُ من كونه شافعاً أن يكونَ أوثقاً؛ لأن الدالَّ على العامِّ غيرُ الدالِّ على الخاصِّ، فالدالُّ على أن الدار فيها حيوانٌ لا يدلُّ على كونه إنساناً .

قلتُ: في الجواب عن هذا شيئين:

أحدهما: أن في بعض الأحاديث ما يقتضي ذلك، منها الحديث الأول الذي أوردناه، حيث جعله أفضلَ من النبيين والملِّك وغيرهما، ومنها الحديث

(١) فضائل القرآن لابن كثير: ١٥١ .

(٢) سورة الملك: ١ .

(٣) فضائل القرآن، باب فضل ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾ ٦٩/٢ .

(٤) صحيح مسلم ٨٩/٦ عن أبي أمامة .

الثاني، وهو قوله **الغني**: «إلا القرآن يشفع قبلي» .

والجواب الثاني: أن نقول: أفعل هنا ليس الذي يُرادُ به المفاضلة كقولهم: عمرُ بنُ عبد العزيز أعدلُ بني مروان، أي: هو فيهم عادلٌ، إذ لا يُرادُ بذلك أنه أعدلُ منهم، فإنه أعدلُ منهم ومن غيرهم، وقال بعضهم: إنما قال: أوثقُ شافعٍ؛ لأن شفاعته مانعةٌ له من الوقوع في العذاب، وشفاعةُ غيره مخرجةٌ له منه بعد الوقوع فيه.

والغناء بالفتح والمد الكفاية، يقال: أغنى الشيء: كفاه، وأغنى الرجل عنك: كفاك، والغنى بالكسر: ضد الفقر، مقصورٌ، ويُقالُ منه: غني غنيًا: كثرَ ماله، وكذلك غني بالمكان: أقام به غنيًا، وكذلك: المرأةُ كان لها زوجٌ أو جمالٌ، ومنه الغانيات .

والغناء: من الصوت ممدودٌ مكسورٌ، يُقالُ منه: تغنى الرجلُ، والأغنية: واحدةُ الأغاني، قال أبو علي: وقرئَ عليّ: وإسحاقَ لِحُمَيْدٍ وأنا حاضرٌ اسمعُ:

عَجِبْتُ لَهَا أَنِي يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغُرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا^(١)

وأما قولُ الشاعر^(٢):

سُيغِنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي فَلَا فَقْرٌ يَدُومُ وَلَا غِنَاءُ

فيمكن أن يكون مدًّا المقصورَ ضرورةً على مذهب أهل الكوفة^(٣) في إجازتهم ذلك، ويمكن أن يُقال: الغالبُ عليه القصرُ وقد يُمدُّ، كما يُقال في

(١) من الطويل، حميد بن ثور: ٢٧، واللسان (فغر- غنا)، وانظر الأمازي ١٣٩/١ .

(٢) من الوافر، وهو بغير نسبة في اللسان (غنا) والإنصاف ٧٤٧/٢، روي بالفتح والكسر، فالكسر على أنه مصدر غانيت، والفتح على أنه الغني نفسه .

(٣) الإنصاف ٧٤٥/٢، مسألة رقم ١٠٩ هل يجوز مد المقصور في ضرورة الشعر .

الصحيح: السَّقم والسَّقام، والزَّمن والزَّمان .

وقوله: « أغنى » يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون من أغنى بمعنى كفى، ويكون من باب قولهم: ما أعطاه للدراهم، وما أولاه للمعروف، حيثُ بنى أفعالَ الذي للمفاضلة من الرباعي، والأكثر بناؤه من الثلاثي كفعل التعجب، وكأنه قال: وأكفى كفايةً .

والثاني: أن يكون من غَنِيَ بالمكان إذا أقامَ به، وكأنه قال: وأبقى كفايةً .

والثالث: أن يكون من غَنِيَ إذا كثرَ ماله، كأنه قال: وأثرى^(١) كفايةً .

وهذا مجاز؛ لأن أفعالَ بعض ما يُضافُ إليه، ولا يقال: أثرت الكفاية، إنما يقال: أثرى الرجل، لكن لما كان من له كفايةً ما، قد يستغني كما يستغني المثري، جعلَ الكفايةَ كأنها أثرتُ أي: استغنت .

وإن شئتَ قدَّرتَ في هذه الوجوه الثلاثة حذفَ مضافٍ، التقديرُ: وأغنى ذي غناء، وذو الغناء هو المغني، فكأنه قال: وأغنى مغنٍ .

وانتصبَ « واهباً متفضلاً » على الحال من ضمير « وأغنى »، والأظهرُ أن يكون « وأغنى » من غَنِيَ غِنًى: كثرَ ماله؛ لقوله: واهباً متفضلاً .

وأجاز السخاوي^(٢) أن يكون « واهباً » تمييزاً، وجعله كقولك: زيدٌ أكرمُ الناسِ أباً، وهو بعيدٌ؛ لأن التمييز في هذا الباب يكونُ تفسيراً للحقيقة، والفعلُ مسندٌ لغيره، و « أغنى » هنا مسندٌ للقرآن حقيقة، و « واهباً » هو القرآن، فكيف يكون تمييزاً؟ وهو الذي أسند إليه « أغنى » .

/ والإشارةُ بقوله: « واهباً متفضلاً » إلى الأجرور التي ينالها بسبب القرآن. ١/٢٣

(١) في ب: وأبقى .

(٢) فتح الوصيد في التعليق على البيت نفسه .

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال^(١): «تعلّموا القرآن فإنه يُكتبُ لكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ، ويكفّرُ به عشرُ سيئاتٍ، أما إني لا أقولُ ﴿الم﴾ حرفٌ، ولكنَّ الألفَ عشرٌ، واللامَ عشرٌ، والميمَ عشرٌ» .

وعن الحسن بن رشيق أنه قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال^(٢): «مَن قرأ حرفاً من كتابِ الله تعالى وهو على وضوءٍ، كان له بكلِّ حرفٍ عشرون حسنةً، فإن قرأه وهو على غير وضوءٍ، كان له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ، وإن قرأه في صلاةٍ قائماً، كان له بكلِّ حرفٍ مائة حسنةٍ، وإن قرأه في صلاةٍ جالساً، كان له بكلِّ حرفٍ خمسون حسنةً» .

* * *

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً

الجلّيسُ بمعنى المجالسِ، كالحليطِ بمعنى المخالطِ. يعني أن القرآنَ ينبغي أن يجالَسَ بما يليقُ به من استعمالِ الأدبِ، وتركِ الإعراضِ عنه، والتفهّمِ لمعانيه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣) . قيل: المرادُ في الصلاة .

وقال رسولُ الله ﷺ^(٤): «القرآنُ أعظمُ حُرمةً من كلِّ شيءٍ دون الله تعالى،

(١) عند الترمذي عن ابن مسعود برقم: ٢٩١٠، وانظر الجامع للسوطي برقم: ١٠٣٦٤ عن ابن

مسعود أيضاً . ومثله عن عوف بن مالك في الجامع برقم: ٢٢٧٤١، و: ٢٢٧٥٩ .

(٢) انظر الإحياء ١/٢٨٢ .

(٣) سورة الأعراف: ٢٠٤ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٦، باب ما جاء في حامل القرآن، ومن هو، وفيمن

عاداه . وفضائل القرآن للرازي: ١٠٦ عن علي رضي الله عنه .

ومن حُرمة الوالد على ولده. والقرآنُ وقارُ الله، فمن قرأ القرآنَ فقد قرأ الله، ومن استخفَّ بالقرآنَ فقد استخفَّ بحقِّ الله، وحَمَلَةُ القرآنِ العاملون به، هم المخصوصون برحمة الله، المعلمون كلامَ الله، الملبسُونَ نورَ الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، يُدْفَعُ عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويُدْفَعُ عن قارئ القرآن بلوى الدنيا والآخرة .

ثم قال: « يا حَمَلَةُ القرآن، إنَّ أهلَ السموات يُسَمُّونَكم أَحِبَّاءَ الله، فتحبَّبوا إلى الله بتوقيع كتابه يَزِدْكم حَبًّا، وَيُحِبِّبْكم إلى عبادِهِ . ثم قال: « والذي نفسي بيده لَمُسْتَمِعُ آيةٍ من كتابِ الله / أَفْضَلُ من كَنْزِ ذهبٍ، وَلَقَارِئُ آيةٍ من كتابِ الله أَفْضَلُ مما تَحْتِ العرشِ إلى الأرضِ السُّفْلَى .

وقال الليث: يقال: ما الرحمة إلى أحدٍ بأسرعَ منها إلى مستمعِ القرآن، لقول الله جل ذكره: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ الآية .

وفي الحديث أيضاً^(١): « مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ مَثَلُ جِرَابٍ مَمْلُوءٍ مَسْكَاً، يَفْوَحُ بِهِ كُلُّ مَكَانٍ » .

وإذا كان القرآنُ هكذا، فأبى جليسي أفضلُ منه ؟

وعن عليٍّ الأزدي قال^(٢): أردتُ الجهادَ فقال لي ابنُ عباسٍ: ألا أدلُّكَ على ما هو خيرٌ لك من الجهاد؟ تأتي مسجداً فتقرئُ فيه القرآنَ، وتعلِّمُ فيه الفقهَ .

(١) الجامع برقم: ١٠٤١٥ عن أبي هريرة .

(٢) انظر فتح الوصيد عند شرحه لقول الشاطبي « وخير جليس » ، والكنز للجعيري: (١٢ خ) .
وعلي بن عبد الله الأزدي الكوفي البارقني، أبو عبد الله بن الوليد، سمع أبا هريرة وابن عمر .
انظر تاريخ الإسلام برقم: ٣٥٤، والتاريخ الكبير ٢٨٣/٦، وتهذيب التهذيب ٣٥٨/٧ .

وفي الحديث أيضاً^(١): « يقول الله تعالى: إني أهمُّ بعذاب عبيدي، فأَنْظُرُ إلى عُمَارِ المساجد، وجُلَسَاءِ القرآن، ووِلْدَانِ الإسلام، فَيَسْكُنُ غضبي. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^(٢) .

وعن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ^(٣): « يُجَاءُ بالقرآن يوم القيامة [في]^(٤) صورة رجلٍ شاحِبٍ، فيترأءاه الناس، حتى يقفَ بين يدي الله عز وجل، فيقولُ اللهُ عز وجل: كيفَ وجدتَ عبادي لك؟ فيقول: يا ربُّ منهم مَنْ كان يصونُني ويتلُوني آناءَ الليلِ وأثناءَ النهار، وكنتُ أُظْمِئُ نهاره، وأُنصبُ ليله، ومنهم مَنْ كان مستخفًّا بي، صادقاً عني، فيقول اللهُ: وعزَّتِي وجلالي لأكرمَنَّ اليومَ مَنْ أكرمك، ولأهينَنَّ مَنْ أهانك، قال: فَيُدْعَى بأهل القرآن فيأتون .

و «خير» معطوف على خبر إنَّ الذي هو «أوثق»، وإن شئتَ جعلته خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، التقديرُ: وهو خيرٌ جليسٍ مبني^(٥) أفعل من، وأصله: أخيرٌ، حُذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال. ونظيره: شرٌّ في قولك: شرٌّ من عمرو، والأصل: أشرٌّ من عمرو، وقلْ كذلك^(٦) كلُّ واحدٍ منهما على الأصل، لكنه قليلٌ .

وموضعُ «لا يُملُّ حديثه» خفضٌ على أنه صفةٌ لجليس. المعنى: أنَّ كلَّ مَنْ يُجَالَسُ مَنْ لا يُملُّ حديثه القرآنُ أفضلُ منهم، وإن شئتَ جعلته حالاً من

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب الزهد، عن مالك بن دينار .

(٢) سورة الزمر: ٢٣ .

(٣) مثله عند ابن ماجه في كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، وفي فضائل أبي عبيد ٢٦٧/١ .

(٤) في هامش الأصل .

(٥) كذا في الأصل في الهامش، و(لعله: مبني على أفعل من) .

(٦) كذا في ب، وهو في هامش غير ظاهر .

الضمير المرفوع في « خير » .

والترداد مصدرٌ على التَّفعال كالتَّقتال، يُرادُ به التُّردُّد في التلاوة .
و « يزداد » يفتعل من زاد، والأصل: يَزِيدُ، أبدلت التاء دالاً، وتحركت الياءُ
بعد فتحةٍ فانقلبت ألفاً . وهاء « تردأده » يجوزُ أن تكونَ للقارئ، فيكون المصدرُ
مضافاً إلى الفاعل، أو إلى القرآن، فيكونُ مضافاً إلى المفعول. والضمير في « يزدادُ »
كذلك يجوزُ أن يكونَ للقرآن وللقارئ، فالمعنى على أنه للقرآن: أنه كلما رُدِّدَ
ازداد حسناً عند مرَّدِّه وسامعِهِ، بخلاف سائر الكلام، إذا رُدِّدَ بجمته الطباعُ ولو
كان من الفصاحة بحيث لا يُدرَك، والمعنى على أنه للقارئ: أن القارئَ يزدادُ من
الثواب الجزيل، وموائد العلم الجليل ما يتجمَّلُ به في الدنيا والآخرة، فيقتبسُ
عالمُ العربية منه غرائبَ الإعراب والبلاغة والغريب، وكذلك الفقيهُ والمتكلمُ،
قال الله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١).

وقال أحمدُ بن حنبل^(٢): رأيتُ ربَّ العزة في النوم فقلتُ: يا ربُّ ما أفضلُ
ما يتقرَّبُ به المتقربون إليك؟ فقال: كلامي يا أحمد، فقلتُ: أبفهمُ أم بغير فهم؟
قال: بفهمٍ وبغير فهم .

وقد نقلَ هذه الروايةَ أكابرُ العلماء. وكيف لا يزدادُ القارئُ به تجمُّلاً .
وقد جاء عن قتادة^(٣): ما جالسَ أحدُ هذا القرآن إلا قامَ عنه بزيادةٍ أو

(١) سورة الأنعام: ١٣٠ .

(٢) انظر النشر لابن الجزري ٤/١ ذكره بروايته عن محمد بن أحمد الصالحي ، وذكره الذهبي في
السير ٣٤٧/١١ بروايته عن أبي حفص بن القواس .

(٣) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٤٢/١ بتصرف عن عبد الله بن واقد عن قتادة . والآجري
في أخلاق حملة: ٧٣ .

نقصان، قال الله تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وعن النبي ﷺ أنه قال^(٢): «لِدِرْهَمٍ يَنْفَقُهُ الْمَرْءُ فِي الْجِهَادِ، أَفْضَلُ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ يَنْفَقُهَا فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ سِوَاهُ، وَلِدِرْهَمٍ يَنْفَقُهُ الْمَرْءُ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ، أَفْضَلُ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ يَنْفَقُهَا فِي الْجِهَادِ وَفِي سَائِرِ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَلَمِدَادٌ جَرَى / ٢٥ / فِي أَقْلَامِ الْعُلَمَاءِ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِهْرَاقِ دَمِ الشَّهْدَاءِ، وَلِدِرْهَمٍ يَنْفَقُهُ الْمَرْءُ فِي طَلْبِ الْقُرْآنِ، أَفْضَلُ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ يَنْفَقُهَا فِي طَلْبِ عِلْمٍ سِوَاهُ، وَفَضْلُ طَالِبِ عِلْمِهِ عَلَى طَالِبِ سَائِرِ الْعُلُومِ كَفَضْلِ الْخَالِقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَلِحَرْفٍ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وعنه ﷺ أنه قال^(٣): « فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ، كَفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ . »

* * *

وحيثُ الفتى يرتاعُ في ظلماتِهِ من القبرِ يلقاهُ سنًا متهللاً

الفتى معروفٌ، وألفه منقلبةٌ عن ياء لقولهم: فتَيَانٌ^(٤)، وأما قولهم: الفتوةُ، فالواو فيه منقلبةٌ عن ياء شدوذاً، والقياسُ فيه: فُتِيَّةٌ، والأصلُ: فُتُوِيَّةٌ، كان يجب أن تُقلبَ الواوُ ياءً، وتُدغمَ الياءُ في الياءِ بعد كسر ما قبلها، وإنما شدوا فقلبوا الياءَ واواً؛ لأن هذا النوعُ من المصادر أكثرُ ما يجيءُ من ذوات الواو نحو: الأخوةُ

(١) سورة الإسراء: ٨٢ .

(٢) فضائل القرآن للغافقي: ٦، والفوائد الجميلة للشوشاوي: ٣١٥ .

(٣) انظر فضائل القرآن لابن كثير: ١٤٨ .

(٤) انظر اللباب ١/١٠٨ .

والبُنوَّة، فغلبوه لِيُوافق ذوات الواو لفظاً، هذا تعليل الكوفيين^(١).

وقال البصريون^(٢): وجب ذلك لأجل الهاء، وذلك أن الهاء إذا كان قبلها ياءً، وقبل الياء ضمةً، فإن الياء تُقلَبُ واواً وإن كانت لاماً، قالوا: لو بنيت فُعَلَّة من رميت لقلت: رُميوة، ويجري مَجْرى قَلنسوة. وأصل: الفتوة الفتوية، الياء قبلها ضمة؛ لأن الواو حرفٌ زيد للمد، فلم يعتدَّ بها، فجرت مَجْرى رُميوة، أعني مَجْرى الياء الواقعة بعد الضمة اللاصقة بها، والمرادُ بالفتى الفتيان^(٣)؛ أي: جميع قرأة القرآن .

و « يرتاعُ » يفتعل من الرُّوع وهو الفزع، يُقال: راعه يروعه، وارتاع مطاوعٌ له نحو: شويته فاشتوى، وغمته فاعتم .

و الظلمات: جمع ظلمة، ويجوز أن يريد الحسية، ويجوز أن يريد ظلمات الأعمال، وإنما أضافها إلى القبر بقوله: « من القبر » لقوله عَلَيْهِ السَّلَام^(٤): « إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمةً، وإن الله ليُنورُها لهم بصلاتي عليهم . ولأنَّ القبرَ موضعَ الرُّوع .

وقال رسول الله ﷺ في سعد بن معاذ^(٥): هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة: لقد ضمَّ ضمةً ثم فرَّج عنه، يعني ضمَّه القبر .

(١) انظر شرح الشافية ٢١٤/٣-٢١٥ .

(٢) انظر سر صناعة الإعراب ٥٨٨/٢ .

(٣) انظر الصحاح والتاج (فتى) .

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر .

(٥) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بلفظ (اهتز) .

وكان عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى تَبْتَلَّ لِحِيَّتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ^(١): «إِنَّ الْقَبْرَ أَوْلُ مَنَزَلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ بُحَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» .

وقال: قال رسول الله ﷺ^(٢): «ما رأيتُ قطُّ منظرًا إلا والقبرُ أفضحُ منه» .

و «السَّنَا» : نبتٌ معروفٌ، حكى أبو زيد^(٣) في تشيته: سَنَوَانٌ وَسَنِيَانٌ، كما قالوا: رَحِيَانٌ وَرَحَوَانٌ، وكما قالوا: سَنَوَاتٌ وَسَانَهَتْ^(٤)، فتعاور على لامها حرفان: الواو والهاء. والسَّنَاءُ: بالمد الرَّفْعَةُ، وهمزُه منقلبٌ عن واو؛ لقولهم: سَنِيَ الرَّجُلِ وَسُنُوَ سِنَاءٌ فِي حَسْبِهِ: شَرُفٌ .

و «متهللاً»^(٥): من قولك: تَهَلَّلَ الْوَجْهُ: ظَهَرَ فِيهِ الْبَشْرُ وَالْبَشَاشَةُ، وَأَشَارَ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى مَا جَاءَ عَنْ أَبِي مَنْصُورِ الْخُلَنَجِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ الدَّوْرِي يَقُولُ: رَأَيْتُ الْكِسَائِيَّ فِي الْمَنَامِ فِي بَيْتٍ مَظْلَمٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ ضَوْءٌ فَقَالَ، كُلُّ مَا كُنَّا فِيهِ هَبَاءً / غَيْرَ الْقُرْآنِ، هَذَا ضَوْءُ الْقُرْآنِ .

١/٢٦

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ^(٦): مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ الْقُرْآنُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَهُمْ يَغْسِلُونَهُ، فَإِذَا فُرِّغَ مِنْ غَسْلِهِ، دَخَلَ بَيْنَ

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر .

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر عن عثمان بن عفان أيضاً .

(٣) انظر الصحاح والتاج (سني، وسنو) .

(٤) انظر سر صناعة الإعراب ٥٤٧/٢ ، ٤١٨ .

(٥) في ب : «منهلا» .

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ في مسند عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

صدره وكفنه، فإذا وُضع في قبره فجاءه مُنكرٌ ونكيرٌ، خرج القرآنُ فصار بينه وبينهما، فيقولان: إليك عنا فإننا نريدُ أن نسأله، فيقول: والله ما أنا بمفارقهِ حتى أدخله الجنة، فإن كنتما أمرتما فيه بشيءٍ فشانكما، فيسألانه، ويُثبتهُ الله تعالى، ويؤنسهُ القرآنُ، فإذا فرغا من سؤاله وفتنته قال له القرآنُ: أما تعرفني؟ فيقول له: لا، فيقول: أنا القرآن الذي كنتُ أسهرُ ليلك، وأظمئُ نهارك، وأمنعك شهواتك، فستجدني اليوم من الإخوان أخوا صدقٍ، ومن الأخلاء خليل صدقٍ، فأبشِرْ فما عليك من بأسٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ بعد مسألة منكرٍ ونكيرٍ، فيصعدُ القرآنُ إلى الله عزَّ وجلَّ، فيسألُ له فراشاً ودثاراً وقنديلاً من نور الجنة، ويأسميناً من ياسمين الجنة، فيؤمر له بذلك كله، فيحمله إليه ألفُ ملكٍ من مقرَّبِي الملائكة إلى الله، فيسبقهم إليه القرآنُ فيقول: هل استوحشتَ بعدي؟ فإنني لم أزل من الساعة التي خرجتُ من عندك أسألُ لك ربي حتى أمرَ لك بفراشٍ ودثارٍ ونورٍ من نور الجنة، فتأتى به الملائكةُ يحملونه حتى يُضجعوه على شقه الأيمن، ثم يخرجون عنه فيستلقي عليه، فلا يزالُ ينظرُ إلى الملائكة حتى يلجوا في السماء، ثم يدفع القرآنُ في قبلة القبر فيوسعُ عليه ما شاء الله تعالى، ثم يحملُ الياسمين من عند صدره، فيجعله عند أنفه، فيشمُّه غصّاً إلى يوم يُنفخُ في الصور، ثم يأتي أهله كلَّ يومٍ مرتين غُدوةً وعشيةً، فيخبرهم ويدعو لهم بالخير، فإن تعلّم أحدٌ من ولديه القرآنَ، بشره بذلك، وإن كان عقبه عقبَ سوءٍ (أتى الدار غُدوةً وعشيةً فبكى عليه، وفي بعض الروايات: وإن كان عقبه عقبَ سوءٍ)^(١) دعا لهم بالفلاح. ونصبَ «سناً» على الحال من الفاعل في «يلقاه»، و«متهللاً» صفةٌ له، وبها صح أن يكون «سناً» حالاً، وهذا كقولك: جاء زيدٌ رجلاً صالحاً.

(١) ما بين القوسين ساقط من ب .

و « حيث » ظرفٌ، العامل فيه: يلقاه، وموضع الجملة من قوله « الفتى يرتاع » خفضٌ بالإضافة، أعني إضافة حيث.

و « من القبر » متعلق بـ « يرتاع »، و « في ظلماته » حالٌ من ضمير « يرتاع » التقدير: وحيث الفتى يرتاع من القبر؛ أي: من أجله كائناً في ظلماته، فإن أراد الظلمات المعنوية التي هي الخطايا، كانت الهاء للفتى، وإن أراد الظلمات الحسية، كانت الهاء للقبر .

* * *

هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَا

/ « هنالك » ظرفٌ من ظروف المكان، وهو من أسماء الإشارة، والاسمُ منه: ٢٧/أ هنا، والكاف للخطاب، واللام لبعده المشار إليه، وأيُّ بعدٍ أبعدُ من القبر؟! قال الشاعر^(١):

مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التَّرَابِ وَبَيْنَهُ شِـبْرَانِ فَهُوَ لَغَايَةِ الْبُعْدِ
وقال آخر^(٢):

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا
وينظر إلى هذا قولُ الآخر^(٣):

مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نَسَائِهِمْ وَقَتَلْتَ دُونَ رَجَاهِهِمْ لَا تَبْعُدِ
والمقيل: مفعِلٌ من قال يَقيِلُ من القائلة، والأصل: مَقِيلًا، ثم نُقلت حركةُ

(١) من الكامل، وهو في إبراز المعاني لأبي شامة ١٢٩/١، والدر المصون للسمين الحلبي ٣٨١/٦، وكلاهما برواية: « بغاية البعد ».

(٢) من الطويل، وهو لمالك بن الربيع في ديوانه ص: ٤٦، والخزانة ٣٣٨/٢ .

(٣) هو للفرار السلمي في الخزانة ٣٣٨/٢ .

الياء إلى القاف، والمرادُ مكان القائلة وهو القبر، وأشار إلى أن القبرَ يكونُ على القارئ مقيلاً وروضةً، فد «مقيلاً» من قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾^(١).

و «روضة» من قوله ~~الْقَبْرِ~~^(٢): «الْقَبْرِ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا حَفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ». وهو على القراء مقيلاً وروضةً ببركة القرآن إن شاء الله تعالى .

والضميرُ المنصوب في «يَهْنِيهِ» يعود على القارئ، و «المرفوع» يعود على القبر، وينتصبُ «مقيلاً» و «روضة» على الحال من الضمير المرفوع وإن لم يكونا مشتقين؛ لأنهما بمعنى: موسّعاً، لأنه إذا كان القبرُ على حاله مقيلاً وورضةً فهو موسّعٌ. وأعربه بعضهم تمييزاً من الضمير المرفوع؛ أي: يَهْنِيهِ مَقِيلُهُ وروضةً؛ لأن المقيلاً والروضة مألها منه فلذلك أضيفا إليه، ويجوز أن يكون الضميرُ المنصوب في «يَهْنِيهِ» للقرآن، والمرفوع للقارئ، و «مقيلاً» و «روضة» تمييز، وينظرُ هذا إلى ما جاء في الحديث، وهو أن القرآن يسألُ من الله تعالى أن يُرْضِيَهُ لقارئه، والحديث^(٣): «رَبِّ رَضِّنِي لِحَبِيبِي» .

وأصلُ: «يَهْنِيهِ» يَهْنِيئُهُ، ثم سَهَّلَ الهمزةَ بأن أبدلها ياءً مضمومةً، ثم أجزاها مُجْرَى «يَرْمِيهِ» في أن قَدَّرَ الحركةَ فيها، وأنشد في ذلك سيبويه^(٤) قولَ الشَّاعِرِ:

(١) سورة الفرقان: ٢٤ .

(٢) سنن ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ومثله عن أبي هريرة - رَضِّنِيئُهُ - في صحيح الجامع ٣٢٤/٦ ، وانظر المسند الجامع برقم: ١٤٤٦٠، و ١٨٣١ ، وانظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٦٧/١ .

(٤) البيت لعبد الرحمن بن حسان. انظر الكتاب ٥٥٥/٣ برواية (واجي)، قال سيبويه: «يريد: الواجى» .

وَكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدِ بَقَاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ وَاجٍ

الأصل: واجئ، ثم أبدل الهمزة ياءً، وأجراها مُجرى قاضٍ في تقدير الحركة

فيها .

و « الذرّوة » : أعلى الجبل، وتضمُّ ذالُه وتكسرُ، وجمعُها على الضم: ذرّاً

كغرفةٍ وغُرف، ولم تُجمع على الكسر .

و « يُحتلى » : يُنظرُ إليه بارزاً، مأخوذةٌ من اجتليتُ العروس: نظرت إليها

بارزةً في زينتها . ومن أجله و « في ذرّوة » متعلقان به، والذرّوة والعزُّ مجازٌ،

والحال في ذرّوة العز آمنٌ من كل آفةٍ، وأشار إلى ما جاء في الخبر عن النبي ﷺ

- رواه أبو سعيدٍ الخدري^(١) - قال: « إذا كان يوم القيامة، وُضعت منابرٌ من نورٍ،

عند كل منبرٍ ناقةٌ من نُوق الجنة، ثم يُنادي مُنادٍ: أين حملةُ كتابِ الله تعالى،

اجلسوا على هذه المنابر، فلا روعَ عليكم، فإذا فرغَ الله تعالى من حساب

الخلق، حُمِلوا على تلك النوق، فيزفون إلى الجنة .

وعن النبي ﷺ أيضاً أنه قال^(٢): « يُقالُ لصاحبِ القرآنِ: اقرأُ وارُق، ورتّلْ

كما كنتَ ترتّلُ في الدنيا، فإنَّ منزلَكَ^(٣) عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤها » قال أبو عيسى:

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

(١) انظر فضائل القرآن للرازي، باب في جلوس حملة كتاب الله على منابر من نور إلى أن يفرغ

الله مما بين العباد، عن أبي سعيد: ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) انظر سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، والترمذي كتاب

ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، وفضائل القرآن لابن كثير ١٤٧،

. ١٢٥

(٣) في ب: منزلتك .

يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ وَأَجْدِرُ بِهِ سُؤلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاً

يُنَاشِدُ: يَكْثُرُ الْمَسْأَلَةُ، وَيُقَالُ: نَشَدْتُ الضَّالَّةَ؛ إِذَا طَلَبْتَهَا، وَأَنْشَدْتُهَا: عَرَفْتُ

بِهَا /، وَالْفَاعِلُ فِي «يُنَاشِدُ»: ضَمِيرُ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ هَاءُ «حَبِيبِهِ». /
 وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ: يَا رَبُّ رَضِّنِي لِحَبِيبِي»؛ أَي: أُنَلِّهُ رِضْوَانَكَ
 وَمَغْفِرَتَكَ، فَذَلِكَ الَّذِي يُرْضِينِي.

وَهَذَا مِنْ بَابِ مَا أُوقِعَ فِيهِ الْمَسَبُّ مَوْقِعَ السَّبِّ؛ لِأَنَّ رِضَى الْقُرْآنِ مَسَبُّ
 عَنْ حُسْنِ حَالَةٍ^(١) قَارئِهِ. وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
 وَجُنُودُهُ﴾^(٢) أَي: لَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ فَيَحْطِمَكُمُ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ^(٣):

يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيَّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُلْقِينَكُمْ فِي سَوْءَةٍ عُمُرُ

أَي: لَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ فَيُلْقِيَنَّكُمْ فِي سَوْءَةٍ، فَكَأَنَّ الْقُرْآنَ إِذَا سَأَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
 أَنْ يُرْضِيَ لِأَجْلِ قَارئِهِ، يَسْأَلُ أَنْ يُعْطَى قَارئِهِ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا يَزَالُ كَلَّمَآ تَقَلَّبَ
 فِيهِ مَسْرُوراً.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ فِي «إِرْضَائِهِ» تَعَوُّدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لَفْظُهُ؛
 لِأَنَّ «يُنَاشِدُ» يَقْتَضِي مَنَاشِدًا، وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ عَلَى هَذَا مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ، وَعَلَى
 الْأَوَّلِ مُضَافًا إِلَى الْمَفْعُولِ، وَتَقْدِيرُهُ: يُنَاشِدُ فِي أَنْ يَرْضِيَهُ اللَّهُ لِحَبِيبِهِ.
 وَقَوْلُهُ: «وَأَجْدِرُ بِهِ» مِثْلُ قَوْلِهِ وَأَخْلِقُ بِهِ.

لَمَّا قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ يَسْأَلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرْضَى لِحَبِيبِهِ، قَالَ: وَمَا أَحَقُّهُ أَنْ

(١) فِي النِّسَخَتَيْنِ: حَالَهُ.

(٢) سُورَةُ النَّمْلِ: ١٨.

(٣) مِنَ الْبَسِيطِ، وَهُوَ لَجْرِيرٍ فِي دِيْوَانِهِ: ٢١٢/١، وَالْكِتَابُ ٥٣/١، ٢٠٥/٢.

يؤتى سؤاله !

والهاء في « به » تعودُ على الإرضاء المطلوب.

و « سؤالاً » تمييزٌ، وهذا كما تقولُ: أحسِنُ بزيدٍ فارساً، والله درُّهُ فارساً؛ أي: ما في الدين مثله، ففسرتُ المثلية المتبهمَةَ بما بعدها .
و « مُوصَّلاً » : نعتٌ لـ « سؤالاً » به يتعلقُ « إليه » ، والهاءُ تعودُ على القرآن، وإن شئتَ على القارئ؛ لأن السؤال في الحقيقة لأجله، والمرادُ: شفاعَةُ القرآن لأهله، وقد تقدّم .

* * *

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مَتَمَسِّكاً مُجَلِّلاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاً

« القاري » : أصله: القارئُ بالهمز، ثم أبدلَ الهمزة ياءً على غير قياس، وقد تقدّم مثله، والهاء من « به » للقرآن^(١)، ولك في الباء الداخلة عليها وجهان: أحدهما: أن تكون زائدةً، والهاء مفعولةً بالقارئ، والأصلُ: يأيها القاريه، ثم زيدت الباء كما زيدت في قول الشاعر^(٢):

سُوْدُ الْحَاجِرِ مَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ

وقال آخر^(٣):

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجِ

(١) في ب: « للقراء » .

(٢) من البسيط، وهو للراعي النميري في ديوانه ص: ١٢٢، وانظر التكت ٢٥٥/١، واللسان (سور)، وصدرة:

هن الحرائر لا ربات أحمرة

(٣) البيتان للتابعة الجعدي في ديوانه: ٢١٦، وهما في الخزانة ٥٢٠/٩، وروي (بني) بالنصب على الاختصاص .

نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ

فعلى الزيادة لا تتعلّق بشيء، وعلى عدم الزيادة تتعلّق بـ « متمسّكاً » .
ولك في نصب « متمسّكاً » وجهان:

أحدهما: أن يكونَ حالاً من الضمير في « القاري » .

والثاني: أن يكونَ خيراً لكان محذوفةً - على رأي من يرى ذلك من

النحاة^(١) - التقدير: فيا أيها القاري كن به متمسّكاً، فعلى هذا يكونُ المقصودُ
بالنداءِ كُنْ به متمسّكاً، وعلى هذا الوجه الأول يكونُ المقصودُ بالنداءِ قوله:
« هنيئاً مريئاً »

البيت.

و « المُجِلُّ^(٢) » : من الإجلال، و « المَبْجَلُ » من التبجيل، وهو التوقير، فقد

حضّ في هذا البيت على إجلال القرآن وتوقيره /، ومن إجلاله ترك الجدل^{أ/٢٩}
والمرء فيه، جاء في الحديث^(٣): « اقرءوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم، فإذا
اختلفتم فيه فقوموا » .

وفي الحديث أيضاً^(٤): « إياكم والاختلاف، فإنما هلك من قبلكم باختلافه » ،

وقال عليه السلام^(٥): « المرء في القرآن كُفْرٌ » .

(١) انظر كنز المعاني للجعيري: ١٧ خ .

(٢) انظر الصحاح (جلل) .

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ٦/٢٤٤، وفضائل القرآن ابن كثير ١٤٣،
١٤٤ عن جندب بن عبد الله .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله عليه السلام .

(٥) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب النهي عن الجدل في القرآن .

ومن إجلاله اجتنابُ حاملِهِ كلِّ ما يَشِينُهُ من الأفعال المستقبحة. قال ابنُ مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَفَ بليِّله إذ الناسُ نائمون، وبنهارِهِ إذ الناسُ مفطرون، وبورعه إذ الناسُ يخلطون، وبتواضعه إذ الناسُ يتكبرون، وبجزنه إذ الناسُ يفرحون، وببكائه إذ الناسُ يضحكون، وبصمته الناسُ يخوضون^(١).

وقال الفضيل^(٢): ينبغي لحامل القرآن ألا تكون له حاجةٌ إلى أحدٍ من الخلق إلى الخليفة فمن دونه، وينبغي أن تكون حوائجُ الخلق إليه. وقال: حاملُ القرآن حاملُ رايةِ الإسلام لا ينبغي أن يلغو مع مَنْ يلغو، ولا أن يسهُو مع مَنْ يسهُو، ولا أن يلهو مع مَنْ يلهو، ومن إجلاله إجلالُ حملته، فإنهم أهلُ الله وخاصته .
وقال عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إني لأحبُّ أن أنظرَ إلى القارئِ أبيضَ الثيابِ. يريدُ تعظيمَ شأنِهِ^(٣).

وقد كان من مَضَى يعظُمون حملةَ القرآن، قال الشافعي رحمه الله^(٤): مَنْ حفظ القرآن عظمت حُرْمَتُهُ، وَمَنْ طلبَ الفقه نُبُلَ قدرُهُ، وَمَنْ كتب الحديثَ قويت حُجَّتُهُ، وَمَنْ نظرَ في النحو رِقَّ طبعُهُ، وَمَنْ لم يصُنْ نفسه لم يصُنْ العلمُ .
ومما يدلُّ على تعظيم أهله قولُ الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٥) إلى آخر الآية .

وقولُ رسول الله ﷺ^(٦): « إِنَّ لَهِ أَهْلِينَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ

(١) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٨٩/١ .

(٢) أخلاق حملة القرآن للأجري: ٤٣ .

(٣) انظر فتح الوصيد عند شرحه للبيت .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٢٤/١٠ بتصرف .

(٥) سورة فاطر: ٣٢ .

(٦) سنن ابن ماجه، باب فضل من تعلم القرآن، وفضائل القرآن لابن كثير: ١٤٨، وفضائل

القرآن لأبي عبيد ١٦٩/١ .

الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته.

وفي الحديث: «حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون بنور الله، المعلمون كلام الله، فمن عاداهم فقد عادى الله، ومن والاهم فقد والى الله». وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال^(١): «من قرأ ثلث القرآن، أُعطي ثلث النبوة، ومن قرأ ثلثيه، أُعطي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله، أُعطي النبوة كلها».

وقال ابن عمر^(٢): «من قرأ القرآن كأنما أُدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يُوحى إليه».

ومن إجلاله: أن يوقر المتعلم من يقرؤه عليه، فقد قال عيسى العلي^(٣): من حق العالم عليك إذا أتيت مجلسه، أن تسلّم على القوم وتخصّه دونهم بالتحية، وتجلس أمامه، ولا تشيرنّ عنده برأي، ولا تغمزنّ بعينك، ولا تقولنّ له: قال فلان، خلافاً لقوله، ولا تغتابنّ عنده أحداً /، ولا تشاره، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلحّ عليه إذا كسل، ولا تعرض عن صحبته، فإنما هو بمنزلة النخلة، تنتظر أن يسقط عليك منها شيء فتجتنيه.

ومن إجلاله: حسن الاستماع له والإنصات، وقد أمر الله عباده بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤)

(١) الآجري في كتابه «أخلاق حملة القرآن»، باب فضل حملة القرآن: ١٨، ومقدمة الجامع

لأحكام القرآن للقرطبي: ٨.

(٢) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٨٩/١-٢٩٠.

(٣) سورة الأعراف: ٢٠٤.

نزلت مناقضة للكفار حين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾^(١). قيل: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام، وقيل: في ترك الكلام في الخطبة يوم الجمعة، وقيل: سببها أن الكفار كانوا إذا سمعوا قراءة رسول الله ﷺ يقرأ، رفعوا أصواتهم وأكثروا اللغو، لئلا يسمع أتباعهم وأبنائهم كلام الله فيُسلموا. فنزلت أدباً للمسلمين، ليخالفوا عادة أولئك، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ مطابق له ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ^(٢): « ما جلس قوم في بيت من بيوت الله عز وجل، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده ». .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال^(٣): « مَنْ اسْتَمَعَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً، وَمَنْ تَلَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». .

* * *

هَنِيئًا مَرِيئًا وَالذَّاكَّ عَلَيْهِمَا مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَا

هنيئاً مريئاً من قولك: هنانى الطعام^(٤) ومرأني، والهنيء: الذي لا آفة فيه، والمريء: هو المأمون الغائلة، ويجوز الجمع بين الفعلين المذكورين، ويجوز أن يُفردا، فإن جمع بينهما تأخر « مرأني » ولم يكن إلا ثلاثياً، فإن أُفردا قيل: أمرأني.

(١) سورة فصلت: ٢٦ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب ذكر الدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

(٣) ضعيف الجامع برقم: ٥٤٠٨ .

(٤) قال الفيروز أبادي: هنانى الطعام: ساغ لي. انظر الغرر المثلثة: ٥٣٦ (الهناء) .

و « الملابس » : جمع ملبس، يرادُ به اللبس، الذي يرادُ به الملبوس، و«الحلى»: جمع خلية على غير قياس^(١)، وأشار في هذا البيت إلى ما جاء عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن رسولَ الله ﷺ قال^(٢): « يأتي القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب المسافر فيقولُ لصاحبه: أتعرفني، فيقول: لا، فمن أنت؟ فيقولُ: أنا الذي أسهرتُ ليلك، وأنصبتُ نهارك، وأظمأتُ هواجرَك، وحُلْتُ بينك وبين شهواتك، وزلْتُ معك حيث زلتَ، فيقول: أنت القرآن، فيقول: نعم، ثم يقول: إن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وأنا لك / اليوم من وراء كلِّ تحارة، فينطلق به حتى يأتي به الجبارُ تعالى فيقولُ: أي ربُّ؟ إن كلَّ صانعٍ كان يعود على أهله من صنعه، وكلَّ تاجرٍ كان يعود على أهله من تجارته، وإني كنتُ شغلتُ فلاناً في الدنيا عن الضيعة والتجارة، بي كان يغدو، وبني كان يروح، فاجزِهِ عني اليوم، فيقول له الجبارُ: فما تسألُ له؟ فيقول: الرضوان والمغفرة، فيُعطي الخلدَ يمينه والنعمةَ شماله، ويلبسَ تاجَ الوقار، ويكسى حلةَ الكرامة، إذا نشرها كانت سبعين ذراعاً، وإذا طواها كانت بين أصبعيه، ويكسى والداه حُلَّتَيْن لا تقوم لهما الدينا، فيقولان: ربنا يم كسوتناهما، فما بلغت هذا أعمالنا؟ فيقولُ الجبارُ تعالى: بأخذٍ ولدكما القرآن، ثم يقالُ: اقرأ وارق، فإن كان يهذهُ أعطِيَ بقدر هذه، وإن كان يرتلُهُ أعطِيَ بقدر ترتيله حتى يتناهى به المنزلُ حيث يتناهى به القرآنُ .

(١) يعني بالضم، أما الكسر فعلى القياس . انظر التاج (حلا) .

(٢) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٦٧/١ .

وفي الحديث الصحيح أيضاً^(١): « مَنْ قرأ القرآن وعَمِلَ بما فيه، ألبسَ والداهُ تاجاً يومَ القيامةِ، ضوؤه أحسنُ من ضوءِ الشمسِ في بيوتِ الدنيا لو كانت فيه، فما ظنُّكَ بالذي عمِلَ بهذا » .

وقوله في الحديث: « وعمل بما فيه » هو الذي يتضمّنهُ البيتُ الذي قبل هذا. وانتصب « هنيئاً مريئاً » على ما انتصبا عليه في قول كثيرٍ عزة^(٢):

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ . لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
وذلك أنّ الأصل: هنئاً، ثمّ يُوضَعُ المصدرُ موضعَ الفعل فيقال: هنئاً، ثمّ يُوضَعُ هنيئاً موضعَ المصدر، وقد استدلّ سيويه^(٣) على أنّ الفعلَ هو الأصلُ .
يقول الأخطل^(٤):

إِلَى إِمَامٍ تُغَادِينَا فَوَاضِلُهُ أَظْفَرُهُ اللَّهُ فَلِيَهْنِي لَهُ الظَّفَرُ
فتصريحه بالفعل يدل على أن معنى هنيئاً له الظفر بمعنى: ليهني له الظفر، وأنه موضوعٌ موضعَ مصدره، فلذلك ألزمَ النصبَ .
وكذلك قولُ الآخر^(٥):

هَنِيئاً لِأَرْبَابِ البُيُوتِ بِيُوتِهِمْ وَلِلْعِزْبِ الْمَسْكِينِ مَا يُتَلَمَّسُ

-
- (١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ثواب قراءة القرآن، وأخلاق حملة القرآن للأجري: ٣٠، وضعيف أبي داود برقم: ٢٣٩ .
(٢) انظر الخزانة ٢١٤/٥ .
(٣) انظر باب ما أجري مجرى المصادر المدعو بها من الصفات في الكتاب ٣١٦/١-٣١٧ .
(٤) في ديوانه: ١٠١، والكتاب ٣١٧/١ .
(٥) قال عبد السلام هارون: لم يعرف قائله، انظر الكتاب ٣١٨/١ . قلت: وهو لأبي الغطريف الهدادي في شرح أبيات سيويه، وهو من الطويل .

وأما قوله تعالى: ﴿فَكُلُّوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾^(١) فليس من هذا، بل هو منصوبٌ على الحال من هاء «كلوه»، فهي صفةٌ على بابها .

وارتفاعُ «الداك» بالابتداء. «وعليهما ملابسُ أنوار» مبتدأ وخير في موضع الخبر، ولك أن تجعلَ «عليهما» خبرَ «الداك»، و«ملابسُ أنوار» فاعلاً به لاعتماده، و«من التاج» بيانٌ للملابس، وليس في الحديث «الحلا» ولكن المعنى يتضمنه، وأضاف «الملابس» إلى «الأنوار» لملاستها لها .

* * *

فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ أَوْلَيْكَ أَهْلُ اللَّهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلَأُ

١/٣٢ / النجلُ: الولد، مأخوذٌ من نجلتُ الشيءَ: أخرجته، ومنه^(٢):

أَنْجَبُ أَيَّامٍ وَالِدِيهِ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَلَا

و«الصفوة»: بالفتح والكسر لغتان: الخالصُ من كل شيءٍ، و«الملا»:

الأشرافُ والرؤساءُ، ومنه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ﴾^(٣)، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾^(٤)، سُمُّوا بذلك لأنهم ممتلئون شرفاً، أو بما يحتاج إليه منهم، أو بكفايات الأمور، أو لأنهم يتمالؤون؛ أي: يتظاهرون، وفي الأثر: والله ما قتلتُ عثمانَ ولا مالاتُ في قتله، أو لأنهم يملأون القلوبَ هيبةً، والمجالسَ أبهةً. والملاُ أيضاً: الجماعةُ، وقد فسّرَ به قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَلَأِ﴾، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾ وأصله الهمز، فيما أن يكونَ أبدلهُ على

(١) سورة النساء: ٤ .

(٢) البيت من المنسرح، وهو للأعشى في ديوانه: ٢٨٥، واللسان (نجل) ولم ينسبه، وهو برواية أخرى .

(٣) سورة البقرة: ٢٤٦ .

(٤) سورة الأعراف: ٨٨ .

لغة^(١):

سَأَلَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةً

وإما أن يكون وقف بالسكون، ثم أبدلها بعد الوقف عليها بالسكون ألفاً نحو همزة كأس .

وأشار بقوله: « فما ظنكم بالنجل عند جزائه » إلى بعض ما في الحديث المتقدم، وهو قوله الطبراني: « فَمَا ظَنَّكَ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا » و « ما » فيه استفهام مبتدأ، و « ظنكم » خبره، وهو استفهام في معنى الأمر، نظيره قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾^(٢) أي: انتهوا، المعنى: ظنوا ما شئتم من الجزاء لهذا الولد الذي أكرم أبواه من أجله، و « ظننتُ » فعلٌ يتعدى إلى مفعولين، لا يجوز أن يقتصر على أحدهما دون الآخر، ولكن يجوز أن لا يذكر معاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾^(٣) ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾^(٤)، وتقول: ظننتُ به؛ إذا جعلته موضع ظنك، كما تقول: ظننتُ في الدار، ومن هذا القبيل: « فما ظنكم بالنجل »؛ أي: اجعلوه محلاً لظنكم، ثم استأنف الثناء على النجل القارئ بقوله: « أولئك أهل الله » وأراد ما تقدم من قوله الطبراني:^(٥) « إن لله أهلين من خلقه، قالوا: ومن هم يا رسول الله ؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »، وفي

(١) البيت من البسيط، وهو لحسان بن ثابت في ملحق ديوانه: ٣٧٣، وتكملة البيت:

ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا قَالَتْ وَلَمْ تُصِيبِ

(٢) سورة المائدة: ٩١ .

(٣) سورة الفتح: ١٢ .

(٤) سورة الأجزاء: ١٠ .

(٥) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٦٩/١، وفضائل ابن كثير: ١٤٨ .

الحديث^(١): « أشرفُ أمتي حملةُ القرآن . »

* * *

أولو البرِّ والإحسانِ والصبرِ والتقوى

حُلاهم بها جاء القرآنُ مَفصَّلاً

« أولو » بمعنى أصحاب، ولم يُنطق له بواحدٍ، والقياسُ فيه لو نطقوا به أن يكون: أَل، والأصل: أَلِي^(٢) بوزن عُنُق، ثم ثَقَلَبُ ضمة العين كسرةً فيصير: أَلِي، ثم يعتلُّ كقاضٍ، ثم يأتي علامةُ الجمع، فتُحذفُ الياءُ للساكنين، ويُضَمُّ ما قبلها في الرفع، وتلزمُ إضافتهُ فيقال: أولو البرِّ، وإنما قلنا: أصله أَلِي؛ لأنه لا يخلو أن يكونَ بوزن عُنُق أو جَمَل أو بوزن رُئِم، فلا يجوز أن يكون بوزن جَمَل؛ / لأنه ^{١/٣٣} كان يلزمُ أن يقالَ في جمعه: أَلُون، بفتح اللام؛ لأنه كانت الياءُ تتحركُ وقبلها فتحة، فتتقلبُ ألفاً، ثم تأتي علامةُ الجمع فتُحذفُ الألفُ، ويبقى ما قبلها مفتوحاً كما تقول: المصطفون^(٣)، ولا يجوز أن يكون من باب رُئِم؛ لقلته، ولأن سيويه^(٤) لم يعتدَّ به ولم يحسبهُ في أبنية الأسماء، فتعيَّن أن يكون بوزن عُنُق، وفُعلَ به ما تقدم، أعني: قلبَ الضمة كسرةً .

والبرُّ: الصلاح، وقيل: الخير، والبرُّ أيضاً: العطفُ والإحسانُ، ومنه برٌّ والديه، والبرُّ: الصدقُ، ومنه: برٌّ في يمينه، والحجُّ المبرور الذي لا يخالطه شيءٌ من

(١) جامع الأحاديث عن ابن عباس برقم: ٣٠٨٧ . والسلسلة الضعيفة برقم: ٢٤١٦ .

(٢) انظر (ألو وألي) الصحاح والتاج .

(٣) في ب : « المصطفين » .

(٤) قال سيويه: « واعلم أنه ليس في الأسماء والصفات (فُعل) ... باب ما بنت العرب من

الأسماء ... الكتاب ٤/٢٤٤ .

المآثم، والبيعُ المبرور: الذي لا يخالطه كذبٌ ولا خيانةٌ، والإحسانُ: إتيانُ ما يَحْسُنُ من الأفعال .

والصبرُ: أصلُهُ في اللغة الحبسُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾^(١)، قال الشاعر^(٢):

فصَبْرُنَا النُّفُوسَ لِلطَّعْنِ حَتَّى جَرَّتِ الخَيْلُ بَيْنَنَا فِي الدِّمَاءِ

وقهرُ النفسِ على الطاعاتِ ومنعُها من المعاصيِ حبسٌ، والتقوى: اجتنابُ جميع ما نهى الله عنه، وهو مأخوذٌ من: وَقَيْتُ، فكأن من اتقى الله جعلَ بينه وبين عذابِ الله وقاءً، وأصلُ التقى: وَقَيْ، قُلبت الياءُ ألفاً لتحريكها^(٣) وانفتاح ما قبلها، وقلبَت الواوُ تاءً، وأصلُ التقوى: وَقِيًا، أبدلت الياءُ واواً فصارَ وَقَوَى، ثم أبدلت الواوُ الأولى تاءً، فقليل: تقوى .

وحُلاهُمُ: صفاتهم، وهو ما تحلَّوا به .

يقول: حَمَلَةُ القرآنِ العاملون به هم أولوا البر والإحسان والصبر والتقوى، وقوله: « حُلاهم بها جاء القرآنُ » إشارةٌ إلى مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤) الآية، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٥) و﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٦) و﴿أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٧)، وإن الله

(١) سورة الكهف: ٢٨ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) في ب: « لتحريكها » .

(٤) سورة البقرة: ١٧٧ .

(٥) سورة آل عمران: ١٩٨ .

(٦) سورة الإنفطار: ١٣ .

(٧) سورة البقرة: ١٥٩ .

لَمَعَ الْحَسِنِينَ ﴿١﴾، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢﴾، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٣﴾، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤﴾، ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٥﴾، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦﴾، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧﴾، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٨﴾.

ومعنى مفصلاً: أي: مبيناً من قوله تعالى: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ﴿٩﴾ وهاءُ «بها» تعود على «حُلاهم»، ونقلَ همزة القرآن للوزن، ولو قال: حُلاهم بها القراءان جاء مفصلاً لخرج عن الضرورة .

* * *

عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِساً وَبِعِ نَفْسِكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْعُلَا

«عليك» مجرورٌ، سُمي به الفعل، المعنى: الزمُّ، والكاف فيه اسمٌ موضعها جرٌّ، كما كانت قبل التسمية، وفيه ضميرٌ مرفوعٌ مستترٌ، فإن أردت أن تؤكدَ الضميرَ المرفوعَ قلتَ: عليك أنتَ نفسُك، وعليكما أنتما أنفسُكما، وعليكم أنتم أنفسُكم، فإن أكّدتَ / الضميرَ المجرورَ قلتَ: عليك نفسِك، ولم يلزم ١/٣٤

(١) سورة العنكبوت: ٦٩ .

(٢) سورة الذاريات: ١٦ .

(٣) سورة الأنفال: ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران: ١٤٦ .

(٥) سورة الزمر: ١٠ .

(٦) سورة المائدة: ٥٧ .

(٧) كذا في الأصل، والصحيح: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ البقرة: ١٩٤ وغيرها .

(٨) سورة المائدة: ٢٧ .

(٩) سورة فصلت: ٤ .

الفصل بالضمير المنفصل، ويتعدى بنفسه تارةً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾^(١) ويتعدى بحرف الجر تارةً .

وفي الحديث^(٢): « يا معشر الشباب، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَأَغْضُّ لِلطَّرْفِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ » وهو على زيادة الباء نحو: قرأتُ بالسُّورة؛ لأنه أكثر؛ أعني تعديه بنفسه .

وهاء « بها » تعود على « حُلاهم » ؛ أي: عليك بصفة أهل القرآن مدة عَيْشِكَ، وهاء « فيها » يعود على الدنيا، وإن لم يجر لها ذكراً، ويجوز أن يعود على « حُلاهم » على أن يكون المعنى: عليك بها منافساً فيها ما عشت .

ومنافساً: من قولك: نَفَسْتُ في الشيء؛ إذا بذلت فيه ما نفسَ وغلا، ويقال: نَفَسْتُ في الشيء نَفَاسَةً: رَغْبَتُهُ، ويقال: أَنْفَسِي الشيء؛ صار نَفِيساً عندي .

و« ما » في قوله: « ما عشتَ » موصولةٌ بـ « عشتَ » ، وتقدرُ في المصدر الذي يُرادُ به الزمان كقولهم: جئتكَ خُفوقَ النجم؛ أي: زمانَ خُفوقه، وأشار بقوله: « منافساً » إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٣)، وإلى ما جاء في الحديث^(٤): « قال رجلٌ يا رسولَ الله، أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، قال: فأَيُّ الناسِ شرٌّ؟ قال: مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ. »

(١) سورة المائدة: ١٠٥ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه، وكتاب النكاح، باب قوله ﷺ « من استطاع .. » .

(٣) سورة المطففون: ٢٦ .

(٤) شرح السنة للبعوي برقم: ١٢٤٥ .

وقال بعضُ الصحابة: اللهمَّ إني لم أكن أريدُ البقاءَ في الدنيا لغرسِ الأشجار، ولا لجريِ الأنهار، وإنما كنتُ أريدُ البقاءَ فيها للظماً في الهواجرِ، ومزاحمةِ العلماءِ في حَلَقِ^(١) الذكرِ بالركبِ .

ورغبَ النبيُّ ﷺ رجلاً في الجهادِ وفي يده ثمراتٌ يأكل منها، فقال: إني لحريصٌ على الدنيا إن جلستُ حتى أفرغَ متهمنً، ورمى ما في يده، وقاتلَ حتى قُتلَ.

وروى جابرُ بنُ عبد الله أنَّ النبيَّ ﷺ قال^(٢): « لا تمنوا الموتَ فإنَّ هولَ المطلعِ شديدٌ، وإنَّ منَ السَّعادةِ أنْ يطولَ عُمرُ العبدِ حتى يَرزُقَهُ اللهُ الإنايةَ » .

وقال السَّكَنِيُّ^(٣): « بَقِيَّةُ عُمرِ المؤمنِ لا ثمنَ لها، يدركُ بها ما فات، ويحيي ما

أماتَ » ونظمه بعضهم فقال^(٤):

بَقِيَّةُ العُمرِ عندي ما لها ثمنٌ وإنْ غداً غيرَ محمودٍ من الزَّمنِ
يستدركُ المرءُ فيها ما أفاتَ ويُحِ

سبي ما أماتَ ويمحو السوءَ بالحسنِ

و « الدُّنيا » صفةٌ لـ « نفسك » بمعنى الدُّنويَّة، والأصل: الدُّنوى، وكلُّ فُعَلَى لأمها واوٌ، إذا كانت صفةً، تُقَلَّبُ لأمها ياءٌ نحو: العُلَيَّا والدُّنَيَّا، وشذَّ من ذلك: القُصوى تنبيهاً على الأصلِ في غيره، كما شذَّ القَوَدُ تنبيهاً على أن أصلَ بابِ

(١) ضبطها المؤلفُ بفتحتين. انظر كلام سيويوه في باب ما كان واحداً يقع للجميع. الكتاب

٥٨٣/٣-٥٨٤، وانظر تعليق السيرافي في الهامش رقم (٤) من الجزء والصفحة .

(٢) انظر التاريخ الكبير للبخاري ، الترجمة رقم: ٢٤٨٧، وأحمد في المسند ٣٣٢/٣ .

(٣) الخبر منسوب لعلي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - انظر فتح الوصيد عند شرح البيت، والازدهار في ما

عقده الشعراء من الأحاديث والآثار للسيوطي: ٨٨-٨٩ .

(٤) لأبي الفتح البستي في ديوانه: ٣١٢ عقد فيهما الأثر السابق، وانظر الازدهار: ٨٩-٩٠ .

ودار: بَوَّبٌ ودَوَّرٌ، ووصفُ النفسِ بالدنيا من حيث هانت مبدأً ومآلاً، قال أبو العتاهية^(١):

عَجِبْتُ لِلإِنْسَانِ فِي فِخْرِهِ وَهُوَ غَدَاً فِي قَبْرِهِ يَقْبِرُ
مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نَطْفَةٌ وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ^(٢)

/ أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

أ/٣٥

و « الأنفاس » : الأرواح، جمع نفس، وهو معروفٌ بمعنى التنفس، ويُستعارُ لماله خطرٌ وبال، يقالُ: له نَفْسٌ وماله نَفْسٌ؛ أي^(٣): لا روحَ فيه، والهَاءُ تعودُ على « حُلاهم »، يقول: ابذُلْ نَفْسَكَ الدنِيَّةَ فِي أَنْفَاسِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ. والِبَاءُ بمعنى فِي. وبذُلُ النَفْسِ كنايةٌ عن بلوغِ الجَهدِ والطاقة فِي الأمرِ، ومنه تقول: لأبذُلَنَّ نَفْسِي فِي هَذَا. ف « بَع » على هَذَا المعنى بمعنى: ابذُلْ، وهو المعروف فِيه، ويَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المعنى: اكْتَسَبَ نَفْسَكَ بِأَنْفَاسِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ. وَفِي الكَلَامِ حَذْفُ مِضَافِ تَقْدِيرِهِ^(٤): بَعِ خِلاصَ نَفْسِكَ وَنِجَاتَهَا بِأَنْفَاسِهَا؛ أي: اسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ بِهَذِهِ الْأَنْفَاسِ لِتُخَلِّصَ، فَيَكُونُ « بَع » على هَذَا مِنَ الْبَيْعِ الَّذِي هُوَ الشِّرَاءُ، لَا ضِدُّهُ؛ أي: اشْتَرِ نَفْسَكَ بِأَنْفَاسِهَا، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ

(١) ديوانه: ١٧٨، وانظر الكامل ٥٢١/٢، ٥٢٢، ٥٢٤ .

(٢) البيت من شواهد العقد كما في معاهد التنصيص ١٨٢/٤، والازدهار: ٨٨ عقد فيه قول

علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : « مَا لَابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرُ: أَوْلُهُ نَطْفَةٌ وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ، وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا

يدفع حتفه » نهج البلاغة ٧٨٣ فقرة: ٤٥٤ .

(٣) (أي) سقطت من ب .

(٤) فِي ب: « تَفْسِيرُهُ » .

واحدُ الأنفاس: نفس، يقال: رجلٌ له نفسٌ وِجَلادَةٌ، والهَاءُ تعودُ على «نفسِكَ»؛ أي: بعِ نفسِكَ الدنِيَّةَ على ما فيها من الجَلادَةِ والنَّفارِ من الطاعة .

وفي الحديث^(١): « ليس عَدُوُّكَ الَّذِي إن قَتَلْتَهُ كان لك نوراً، وإن قَتَلْتَكَ دَخَلْتَ الجَنَّةَ، ولكنَّ أعدَى عَدُوِّكَ: نفسُكَ التي بين جَنبَيْكَ » .

وقال الأصمعي^(٢): كنا في طريق مكة - شرفها الله تعالى - في بعض المنازل، إذ وقفت علينا أعرابيةٌ فقالت: أطعمونا مما أطعمكم الله، فناولها بعضُ القوم شيئاً، فقالت: كَبَتَ اللهُ كلَّ عَدُوِّكَ إلا نفسَكَ .

و « العُلا » : صفة لـ « أنفاسها » ، فإن كان مفرداً فهو كقولك: قومٌ رضِيٌّ، وإن كان جمعاً فمفردُهُ العُلِيَا مضموماً مقصوراً .

* * *

جَزَى اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أُمَّةً لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْباً وَسَلْسَلاً

أخذ - رحمه الله - في الدعاء للسلف الصالح، ودرج في ذلك على ما ينبغي للخلف، ففي إظهار الدعاء لهم إظهار الحب لهم، فإن الدعاء ثمرة الحب. وقد سأل سائل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: « ما أعددت لها ؟ فقال: لم أعد لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله، فقال: «المؤمن مع من أحب»^(٣) .

(١) انظر جامع الأحاديث ٤٥٢/٥ برقم: ١٨٠٠٧، والسلسلة الضعيفة: ٤٣٧٥ .

(٢) ذكره الشريشي في شرح المقامة الصنعانية، عند قوله: « وقذعت نفسك فهي أكبر أعدائك » انظر شرح مقامات الحريري للشريشي ١/٩٥-٦٠ .

(٣) البخاري في الأدب، باب علامة الحب في الله، ومسلم في البر والصلة، باب المرء مع من أحب .

وكيف لا يجبُ الدعاءُ لهم وبهم وصَلَّ إلينا خيرُ الدنيا والآخرة، وهو كتابُ الله وسنةُ نبيه .

وقال الرسولُ ﷺ^(١): « مَنْ أَوْلَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِتُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُمْ. وَفِي الْحَدِيثِ^(٢): « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ.

وقد أثنى الله سبحانه على من فَعَلَ / ذلك، قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣) .

وقد شهد النبي ﷺ بعد ألتهم حيث يقول^(٤): « يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمَبْطُلِينَ، وَإِلَى هَذَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: « عَذْبًا وَسُلْسَلًا » ؛ أَي: نَقَلُوهُ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَلَا مَيْلٍ إِلَى اخْتِيَارِ كَمَا زَعَمَتِ الرَّافِضَةُ^(٥) أَنَّهُ غَيْرٌ وَبُدِّلَ .

قِيلَ لِلْقَاضِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ^(٦): لِمَ سَلِمَ الْقُرْآنُ مِنَ التَّبْدِيلِ دُونَ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ قَبْلَهُ ؟

(١) أبو داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله .

(٢) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعط .

(٣) سورة الحشر: الآية: ١٠ .

(٤) الديلمي في فردوس الأخبار برقم: ٨٥٢٨ عن ابن عمر، وله طرق كثيرة ضعيفة، وصححه أحمد .

(٥) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٦٧/٢ وما بعدها، والسنة لابن الخلال: ٤٩٢ . والرافضة: فرقة من الشيعة سُموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي. قال الأصمعي: كانوا بايعوه ثم قالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى... فرفضوه . وفي الصحاح واللسان (رفض): « وارضضوا عنه فسموا رافضة، وقالوا: الروافض، ولم يقولوا: الرفاض؛ لأنهم عنوا الجماعات » .

(٦) إسماعيل بن إسحاق بن حماد الجهمي الأزدي، فقيه مالكي جليل التصانيف، ولد بالبصرة، كان من نظراء المبرد، ولي قضاء بغداد، وقضاء القضاة. ولد سنة ٢٠٠ هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٢ هـ. انظر الديباج: ٩٢، وتاريخ بغداد ٢٨٤/٦ .

فقال: لأن الكتب التي قبله وكُلت إلى حفاظها، قال الله تعالى: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾^(١) وهذا الكتاب تولى الله تعالى حفظه، ولم يكلمه إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

فإن كانت الهاء عائدة على الرسول ﷺ كما قيل، فمن حفظه حفظ ما أنزل عليه، إذ فيه من الغيوب ما يجدد براهين نبوته في كل أوان، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣). وإن كانت الهاء للقرآن، فالدليل أقرب.

ولم يزل العلماء - رضي الله عنهم - ينقلون الرواية عن القراء السبعة؛ فهذا مالك - رحمه الله - تعالى أخذ عن نافع، وكان يقول: قراءة نافع هي السنة^(٤). وهذا الشافعي - رحمه الله تعالى -: أخذ عن ابن كثير. وقرأ سفيان الثوري على حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال محمد بن المنكدر^(٥): القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول^(٦). و«العذب»: الحلو، و«السلسل»: السهل السلس حال الابتلاع، وانتصب

(١) سورة المائدة: الآية: ٤٤ .

(٢) سورة الحجر: الآية: ٩ .

(٣) سورة النور: الآية: ٥٥ .

(٤) انظر السبعة لابن مجاهد: ٦٢ ساقها بروايات مختلفة .

(٥) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي المدني، زاهد من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق. ولد سنة ٥٤ هـ، وتوفي سنة ١٣٠ هـ. انظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٥/٥، والأعلام ٣٣٣/٧ .

(٦) انظر السبعة: ٥١ .

على الحال إما من مصدر «نقلوا»، وإما من «القرآن»؛ أي: نقلوه نقلًا صحيحًا، أو نقلوه على ما هو عليه، والمعنيان متقاربان، و«لنا» متعلق بـ«نقلوا»، ويُريدُ بالأئمةِ القرآنةِ من زمن الرسول ﷺ إلى زمان قراءتهِ هو، ولذلك بعضُ بعدُ فقال: فمنهم بدورٌ سبعةٌ .

* * *

فمنهم بدورٌ سبعةٌ قد توسَّطتْ
سماءُ العُلا والعدلِ زُهرًا وكُملاً

الضميرُ في «فمنهم» عائذٌ على الأئمةِ في البيتِ قبله، وهذا يدلُّ على ما قلناه من أنه أراد القرآنةَ كلَّهم السَّبعةَ وغيرهم، ولذلك بعضُ السَّبعةِ منهم .
والبُدرُ: جمعُ بدرٍ وهو القمرُ ليلةَ كَماله، سُمي بذلك إما لمبادرته الشمسَ بالطلوع^(١)؛ لأنه إذ ذاك معها على خطٍّ واحدٍ، وإما لامتلأه بالضياء وسعته، ومنه قيل: عينٌ بَدْرَةٌ؛ أي: واسعةٌ، قال امرؤ القيس^(٢):

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ
شُقَّتْ مَاقِيهَما مِنْ أُحْرُ

وإما لكَماله، ومنه البَدْرَةُ لِكَيْسٍ فيه عشرةُ آلافِ درهمٍ^(٣)، وكُنِيَ بالبدورِ عن القراءِ السَّبعةِ، ولما استعارَ لهم بدورًا، استعارَ لها سَماءً يتوسطون فيها، وأضافها إلى العُلا والعدلِ، وإنما جعلهم في سماءِ العدلِ في مكانِ التوسطِ / إما ١/٣٧ لأنه أعلى مكانٍ فيها للناظر، وإما لأن البدرَ في التوسطِ أظهرُ وأشهرُ منه في أطرافِ السَّماءِ .

(١) الصحاح (بدر) .

(٢) ديوانه: ٧٧، من قصيدة مطَّلَعُها:

أحارِ بنَ عَمْرٍو كَأَنَّي حَمِيرٌ
ويعدُّو على المرءِ ما يَأْتِمِرُ

(٣) الصحاح (بدر) .

و « الزُّهُرُ » جمع أزهر من قولك: زَهَرَتِ النَّارُ^(١): إذا كَثُرَ ضَوْؤُهَا .
و « كُمَّلًا » : جمعُ كَامِلٍ، وهما حالان من الضمير في « تَوَسَّطْتَ » ، ولما
كَمُلُوا فَهَمَّا وَعِلْمًا وَدِينًا، وَصَفَهُمْ بِذَلِكَ، وفيه إشارةٌ إلى مَنْ لم يتوسَّطْ من
القراء مثلهم من بُدُورِ الْقُرَاءِ .

* * *

لَهَا شُهْبٌ عَنْهَا اسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ سَوَادَ الدُّجَى حَتَّى تَفَرَّقَ وَانْجَلَا
« الشُّهْبُ » : جمعُ شِهَابٍ، وهو في الأصل الشُّعْلَةُ السَّاطِعَةُ من النار، قال
الله تعالى: ﴿ءَاتَيْكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾^(٢) وَسُمِّيَ الْكَوْكَبُ الْمَضِيءُ شِهَابًا لِذَلِكَ،
ثم يُسْتَعَارُ لِلرَّجُلِ الْعَالِمِ؛ لِأَنَّهُ يُسْتَضَاءُ بِهِ مِنْ ظِلْمَةِ الْجَهْلِ، و « استنارت » :
اكتسبت النورَ من قولك: نَارَ الشَّيْءِ وَاسْتَنَارَ: أَضَاءَ، وَنَوَّرَ غَيْرَهُ: أَضَاءَهُ. و
« الدُّجَى » : الظُّلْمُ، وَاحِدُهُ: دُجِيَّةٌ، وَيُقَالُ: دَجَا اللَّيْلُ يَدْجُو دَجْوًا، فَقَوْلُهُمْ: دُجِيَّةٌ
شَاذٌ^(٣)، أَعْنِي قَلْبَ الْوَاوِ يَاءٌ لَغَيْرِ مَوْجِبٍ، وَالْقِيَاسُ: دَجْوَةٌ، و « انجلى الشيء » :
انكشف، وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ: « لَهَا » وَ « عَنْهَا » عَائِدٌ عَلَى الْبُدُورِ السَّبْعَةِ، وَلَمَّا عَبَّرَ
عَنِ الْأُمَّةِ بِالْبُدُورِ، عَبَّرَ عَنْ رَوَاتِهِم بِالشُّهْبِ، وَجَعَلَهَا عَنْهُمْ تَسْتَنِيرٌ؛ لِأَنَّهَا
تَكْتَسِبُ عَنْهَا الْعِلْمَ، وَالضَّمِيرُ فِي « فَنَوَّرَتْ » عَائِدٌ عَلَى الشُّهْبِ، وَهَكَذَا دَابُّ
الشُّهْبِ إِذَا أَفَلَّتِ الْبُدُورُ، تَضِيءُ الظَّلَامَ، وَيُهْتَدَى بِهَا حَتَّى يَتَفَرَّقَ سَوَادُ الْجَهْلِ
وَيَنْجَلِي .

* * *

(١) الصحاح (زهر) .

(٢) سورة النمل: ٧ .

(٣) انظر التاج (دجي) ذكر أنها يائية واوية .

وسوف تَرَاهُمْ واحداً بعدَ واحدٍ مع اثنين من أصحابه مُتمثلاً

الضمير (المنصوب)^(١) في « تراهم » عائذ على البدور؛ أي: سأذكرُ لك البدورَ في النظم واحداً بعدَ واحدٍ، وأذكرُ مع كل واحد منهم اثنين من أصحابه، وقد اصطَلَحَ الناس على تسمية الأتباع أصحاباً كما تقول: أصحابُ الشافعي، وأصحابُ أبي حنيفة، وإطلاقُ هذا اللفظ حقيقٌ في بعضهم، مجازٌ في بعضٍ. والأصحابُ جمعُ صَحْبٍ، وصَحَب: اسمُ جمعٍ على قول سيويهِ^(٢)، وجمعُ على قول الأَخْفَشِ^(٣)، والرؤيةُ هنا هي التعدية لاثنين؛ أي: سوف تعلمُهُم، فينتصبُ « واحداً » على أنه مفعولٌ ثانٍ، و « بعدَ واحدٍ » صفةٌ له، و « متمثلاً » صفةٌ أخرى، وهو من قولك: تمثَّلَ بين يديَّ قائماً ومثلاً .

* * *

تخيَّرَهم نقادُهُم كلُّ بارِعٍ وليس على قرآنه متأكلاً

النقادُ: جمعُ ناقدٍ، وهو من قولك: نقدتُ الدينارَ نقداً: نقرته لتختبرَ جودته، ثم يُستعارُ لمن له جودةٌ نظرٍ ورأيٍ فيميزُ الجيدَ من الرديءِ. والبارِعُ: الذي فاقَ أضرابه / يقال: برِعَ^(٤) براعةً فهو بارِعٌ، يقول: أجمعُ على تفضيلِ هؤلاء القراءِ^{أ/٣٨} السبعة ورواتهم أهلُ المعرفة والبراعة، يشيرُ بذلك إلى الإجماع الذي كان بسبب القراءِ في دولة بني العباس .
ثم قال:

(١) سقط من ب .

(٢) انظر الكتاب ٤٩٤/٣ .

(٣) انظر الصحاح (صحب) .

(٤) بابه خضَعَ وظُرِفَ

« وليس على قرآنِهِ مُتَأَكَّلًا »

يُقال: تَأَكَّلَ البرقُ والسيفُ إذا بدا لمعانهُما، والضميرُ في « ليس » و « قرآنِهِ » عائِدٌ على موصوفِ بارِعٍ، وهو في المعنى كلُّ. المعنى: أن الذين اختاروا السَّبْعَةَ وانعقدَ الإجماعُ بهم، لم ينصبوا ظاهرهم لأكل الدنيا، كَلَمَعَانَ السيفِ والبرقِ. ويجوز أن يكون « متأكلاً^(١) » من قولك: تَأَكَّلَتِ النارُ إذا هاجت، وأكل بعضها بعضاً؛ أي: لم يكثرُوا الحرصَ والهيجانَ على الدنيا .

ويجوز أن يكون من قولك: تَأَكَّلَ بكذا: جعله سبباً للأكل .

وارتفع « كلُّ بارِعٍ » على البدل من « نُقَادُهُم » بدلُ شيءٍ من شيءٍ؛ أي: تخيَّرَهُم كلُّ بارِعٍ ليس على قرآنِهِ متأكلاً .

* * *

فَأَمَّا الكَرِيمُ السَّرِّ فِي الطَّيِّبِ نَافِعٌ فَذَلِكَ الَّذِي اخْتَارَ المَدِينَةَ مَنْزِلاً

شَرَعَ فِي بَيَانِ السَّبْعَةِ مَعَ رِوَايَتِهِمْ، فَبَدَأَ بِنَافِعٍ - رَحِمَهُ اللهُ - تَفْضِيلاً لَهُ عِلْماً وَمَحَلًّا، وَبِهِ بَدَأَ ابْنُ مِجَاهِدٍ^(٢) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَقَالَ^(٣): إِنَّمَا بَدَأْنَا بِقَارِيءِ المَدِينَةِ؛ لِأَنَّهَا إِلَيْهَا هَاجَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وَلِأَنَّهَا مَعْدِنُ الأَكْبَرِ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَبِهَا حُفِظَ عَنْهُ الآخِرُ مِنْ أَمْرِهِ .

(١) في ب: « متأكدا » .

(٢) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الحافظ الأستاذ. أبو بكر البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سب السبعة، ولد ٢٤٥ هـ ببغداد، وتوفي ٣٢٤ هـ. قرأ على عبد الله بن عبدوس وقبيل وخلق، وقرأ عليه خلق كثير. الغاية ١/١٣٩، ١٤٧ بتصرف .

(٣) انظر السبعة: ٥٣ .

أما أحدُ السَّبْعَةِ فهو نافعُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ^(١) بنِ أبي نُعَيْمٍ، مولى جَعَوْنَةَ بنِ شَعُوبِ اللَّيْثِيِّ، ويُقال: الشَّجْعِيُّ، وبنو شَجْعٍ من بني عامرِ بنِ ليثٍ، وجَعَوْنَةَ حليفُ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ، وقيل: حليفُ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، وقيل: حليفُ بني هاشمِ .

وهو اسمٌ مرتَجَلٌ، واوه زائدة .

قلتُ: ورأيتُ في « شَعُوبِ » الصرفَ وعدمَ الصرفِ بضبطٍ صحيحٍ، والقياسُ عدمُ الصَّرْفِ؛ لأنه (اسمٌ)^(٢) مؤنثٌ على أربعةِ أحرفٍ، سُمِّيَ به مذكَّرٌ كزَيْنَبِ اسمِ رجلٍ، فإنه لا ينصرف .

و « شَعُوبٌ » اسمٌ للمنيَّةِ^(٣)، وأما الصرفُ فوجههُ - والله أعلم - أنه يُرادُ به الموتُ، فيكونُ شَعُوبُ اسماً للمذكَّرِ، والموتُ مذكَّرٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾^(٤) ، وقال الشاعر^(٥):

مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا يُلْفِ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا
وَأَنْشَدَ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ^(٦):

هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنَجِي مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي

أَحَازِرُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَذْهَى وَأَفْظَعُ

(١) لقد ترجم المؤلف بإسهاب، وسأكتفي بالعزو إلى المظان.

(٢) سقط من ب .

(٣) انظر التاج (شعب) ، وانظر معجم مقيدات ابن خليكان: ١٨٧ .

(٤) سورة الجمعة: الآية: ٨ .

(٥) من الطويل، وهو في ديوان قيس بن الخطيم: ٤٩ .

(٦) العقد الفريد ١٣٩/٣ . وفيه: « نحاذر » بدل « أحاذر » و « أنكى » بدل « أدهى » ، وانظر

مروج الذهب ٦٢/٣ .

ونافعٌ هذا هو إمامُ أهل المدينة، والذي صاروا إلى قراءته، ورجَعُوا إلى اختياره^(١).

قال ابنُ أبي أُويس: ^(٢) قال لي مالك: قرأتُ على نافعٍ .

وقال الأصمعي^(٣): قال لي نافعٌ: أصلي من أصبهان .

ويكنى أبا رُويم، وقيل: أبا الحسن، وقيل: أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا نعيم.

وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، وكان محتسباً فيه دُعاةً، وكان أسوداً شديداً السواد .

ورُوِيَ عنه أنه كان إذا تكلمَ توجَدُ من فيه رائحةُ المسك، فقال له بعضُ

أصحابه: أتتطيبُ كلما قعدت^(٤) تُقرئُ الناسَ؟ فقال: ما أمسُّ طيباً، / ولكني رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام يقرأ في فيّ، فمن ذلك الوقتِ توجَدُ فيه هذه الرائحةُ. وفي بعض الروايات: « يتفلُّ » مكان « يقرأ » .

وعن علي بن بشر أنه بلغه أن رجلاً جاء إلى نافعٍ فقال: تأخذُ عليَّ الحَدْرَ،

فقال نافعٌ: الحَدْرُ ما أعرفُهُ، أسمعنا، قال: فقرأ الرجلُ، فقال نافعٌ: الحَدْرُ؟!،

وقال: حَدْرُنَا أن لا نُسْقِطَ الإعرابَ، ولا نُوهِنَ الحروفَ، ولا نُخَفِّفَ مشدِّداً،

ولا نُشَدِّدَ مخفِّفاً، ولا نَقْصُرَ ممدوداً، ولا نَمُدَّ مقصوراً، قراءتُنَا قراءةُ أكابرِ

(١) الاختيار يكون داخل المروي المقروء به، قال ابن الجزري في النشر ٥٢/١: « إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد » .

(٢) انظر الإقناع ٥٥/١ .

(٣) الإقناع ٥٥/١، ومعرفة القراء الكبار ٩٠/١ .

(٤) في الأصل: « قعت » .

أصحاب رسول الله ﷺ ، سهلٌ جزلٌ، لا نمضُغُ ولا نلوكُ، ننبِرُ ولا ننتهرُ،
 نُسهِّلُ ولا نُشدِّدُ، / نقرأُ على أفصح اللغات وأمضاها، ولا نلتفتُ إلى
 أقاويل الشعراء وأصحاب اللغات، أصاغرُ عن أكابر، مَلِيٌّ عن وَفِيٍّ، ديننا دينُ
 العجائز، وقراءتنا قراءة المشايخ ، نسمعُ في القرآن ولا نستعملُ فيه بالرأي، ثم
 تلا نافعُ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
 بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١)، ثم قال له الحِكميُّ: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾^(٢)
 و﴿تُشَاقِقُونَ﴾^(٣) عَمَّنْ أَخَذَتْهَا؟ فقال نافعُ: عَمَّنْ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ، ثم قال:
 ﴿أَتَحَاجُّونِي﴾^(٤) و﴿تَأْمُرُونِي﴾^(٥) عَمَّنْ أَخَذَتْهَا؟ فقال نافعُ: عَمَّنْ لَمْ تَرَهُ، ثم قال
 الحِكميُّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾^(٦) فِي الْمَوْضِعَيْنِ عَمَّنْ أَخَذَتْهَا؟ فقال نافعُ: عَمَّنْ كَانَ
 أَفْصَحَ مِنْكَ وَأَعْلَمَ.

وحدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٧) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ نَافِعًا الْوَفَاةُ قَالَ لَهُ
 بِنُوهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٨).

وتُوفِيَ نَافِعٌ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، فِي خِلاَفَةِ الْهَادِي، قَالَه إِسْحَاقُ

(١) سورة الإسراء: ٨٨ .

(٢) سورة الحجر: ٥٤ .

(٣) سورة النحل: ٢٧ .

(٤) سورة الأنعام: ٨٠ .

(٥) سورة الزمر: ٦٤ .

(٦) سورة البقرة: ٢٤٦، وسورة محمد ﷺ : ٢٢ .

(٧) معرفة القراء الكبار ١/٩٣ .

(٨) سورة الأنفال: الآية: ١ .

المسيبي^(١) وغيره، وقيل غير ذلك، والأوّل أصحُّ .
وقال غير واحد عن نافع، أنه قرأ على سبعين من التابعين سُمّي منهم خمسة،
وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع^(٢)، وأبو داود عبد الرحمن بن هُرْمَز الأعرج^(٣)،
وأبو رَوْح يزيد بن رومان^(٤) مولى الزبير بن العوام، وأبو عبد الله مسلم بن
جندب الهذلي^(٥) قاص الجماعة بالمدينة، وشيبة بن نصاح^(٦) بن سرجس بن
يعقوب مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، ويقال: إن كنيته أبو ميمونة .
قال أبو جعفر^(٧): وحكي عن أبي يعقوب الأزرق زيادة تسمية سادسٍ
وهو: صالح بن خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري .
وقرأ هؤلاء على أبي هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة،
وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبي الطفيل أبي بن كعب، وقرأ أبي على النبي ﷺ .
وروي عن أبي أنه قال: عرض عليّ النبي ﷺ وقال: « أمرني جبريل أن
أعرض عليك القرآن^(٨) » .

(١) انظر السبعة: ٦٣ .

(٢) الإمام أحد القراء العشرة، قرأ على أبي هريرة وابن عباس. توفي سنة ١٣٠ هـ. معرفة القراء الكبار ٥٨/١ .

(٣) المدني، قرأ على أبي هريرة عرضاً وابن عباس، توفي سنة ١١٧ هـ. معرفة القراء الكبار ٦٣/١ .

(٤) سمع من عروة بن الزبير، وقيل: روى عن أبي هريرة، توفي سنة: ١٣٢. معرفة القراء الكبار ٦٢/١ .

(٥) قرأ على عبد الله بن عياش، توفي بعد سنة ١١٠ هـ. معرفة القراء الكبار ٦٧/١ .

(٦) مولى أم سلمة، قرأ على عبد الله بن عياش، توفي سنة ١٣٩ هـ. معرفة القراء الكبار ٦٥/١ .

(٧) الإقناع ٧٣/١-٧٤ .

(٨) انظر السبعة: ٥٥ .

وقوله: « فأما الكريمُ السرُّ (في الطَّيِّبِ) فالمرادُ به الإشارةُ إلى ما قلناه عن نافعٍ من طيبٍ رائحتهِ إذا تكلمَ. و « نافعٌ » بدلٌ من « الكريمِ السرِّ »، وفاءً «فذلك» جوابُ ما في « أمَّا » من معنى الشرط، و « منزلاً » مفعولٌ بـ « اختار » على إسقاط الخافض، التقدير: اختارَ المدينة من المنازل، ثم حذَفَ « من »، وأوقع الواحدَ موقعَ الجمع، ومثله في حذف الخافض قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾^(١) ؛ أي: اختار من قومه، وأنشدَ سيبويه^(٢):

مِنَّا الَّذِي اخْتَيَّرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرِّيَّاحُ الزَّعَازِعُ

أي: اختيرَ من الرجال، ويجوزُ أن يكون « المدينة » و « منزلاً » مفعولين بـ «اختارَ» دون تقدير حذفِ حرفٍ على أن يُضْمَنَ اختارَ معنى جعلَ، كأنه قال: جعلَ المدينةَ منزلاً له؛ أي: صيرَها كذلك، ويَعُدُّ أن يكون المقدرُ معه حذفَ الحرفِ المدينةَ، على أن يكون التقدير: اختار من المدينة منزلاً؛ لبعْدِ معناه، إلا أن يعنى بالمنزل مسجدَ النبي ﷺ ؛ لأنه به كان إقراؤه فيظهرُ، ويجوزُ على هذا أن يكون «منزلاً» بدلاً من « المدينة » بدلَ بعضٍ من كلِّ؛ أي: اختارَ من البلاد المدينةَ منزلاً منها، ويكونُ قد حذفَ المفعولَ الذي يصلُ إليه الفعلُ بحرف الجر .

* * *

وقالونُ عيسى ثمَّ عثمانُ ورشهُمُ بصُحبتِهِ المجدَ الرَفِيعَ تأثلاً

راويا نافع: قالونُ وورشُ، وهما اللذان وعدَّ بهما في قوله: مع اثنين من

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٥٥ .

(٢) الكتاب ٣٩/١، وهو في ديوان الفرزدق: ٥١٦ .

أصحابه، ولكل واحد من الأئمة السبعة نقله غير من ذكر^(١)، ولكن الإجماع الذي انعقد إنما كان على من ذكر .

فأما قالون^(٢): فهو أبو موسى عيسى بن ميناء، أو ميني بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله المدني، وجدّه عبد الله سبي من الروم في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبيع في المدينة، فاشتراه بعض الأنصار، فأعتقه، فهو مولى للأنصار. ذكر هذا الأهوازي^(٣)، وعن غيره أنه مولى الزهريين .

ويقال في اسم والد قالون: ميناء بالمد والصرْف، وميني بالقصر والصرْف، وهو مُشتقٌّ من الونى^(٤) وهو الفتور .

فأصل الممدود: موناى، بوزن مِفْعَال، فقلبت الواو ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها كميزان، ثم قلبت الياء المتطرفة الواقعة بعد ألف زائدة همزة .

وأصل المقصور: موني، قلبت الواو ياءً، وقلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتحة. قال أبو علي الفارسي^(٥): وهو اسم للموضع الذي تُرفأ فيه السفن؛ أي: تُرسى .

قال أبو جعفر أحمد بن علي: ويُقال: إن قالون كان ربيب نافع، وإنه هو الذي لقبه به؛ لجودة قراءته، لأن قالون بلسان الروم: جيد^(٦).

(١) انظر السبعة: ٦٣-٦٤ .

(٢) انظر الغاية لابن الجزري ٦٦/١، والإقناع ٥٨/١ .

(٣) انظر الإقناع ٥٨/١ .

(٤) انظر الصحاح (ونى) .

(٥) انظر التهذيب للأزهري (ونى) .

(٦) قال ابن الجزري في الغاية ٦١٥/١: « سألت الروم عن ذلك فقالوا: نعم » .

وذكر عُمرُ بنُ شَبَّهٍ عن مالكِ بنِ أنسٍ، أن عبد الله بنَ عمرَ كانت له جاريةٌ روميةٌ، وكانت تقول له: أنت قالون؛ أي: رجلٌ صالحٌ .

وقال أبو عمرو^(١): قال ابنُ أبي حاتم: كان قالونُ أصمَّ يُقرئُ القرآنَ الناسَ، ويفهمُ خطأهم ولحنهم بالشفة، قال: وسمعتُ علي بن الحسن يقول: كان قالون يُقرأ عليه القرآنُ، وكان ينظرُ إلى شفتي القارئ، ويردُّ عليه اللحنَ والخطأ، وقال: إني أفهمُ تحركَ الشفة .

قلتُ: ومن هذا المعنى ما كان يفعله الشيخُ الفاضلُ أبو زكريا يحيى، ابنُ / ١/٤١
الشيخِ الفاضلِ الورعِ الناسكِ أبي عمرانِ موسى الجنياري^(٢)، وذلك أنه كان أصمَّ شديدَ الصَّمَمِ، وكان يُكتبُ إليه في الهواءِ بالإصبعِ وغيرها فيفهمُ المرادَ، وكانت زوجته إذا أرادت أن تحدثهُ ليلاً، كتبتُ له على جنبه بأصبعِها، فيفهمُ مرادها ويُجيبها .

وقيل: كان قالونُ يعلمُ العربية .

قال الأهوازي^(٣): وُلد سنة عشرين ومائة، في أيام هشام بن عبد الملك .

وقرأ على نافعِ سنة خمسين ومائة، ومات سنة خمس ومائتين، في أيام المأمون، وله خمسٌ وثمانون سنةً .

قال أبو عمرو^(٤): حكى محمدُ بنُ الحسنِ النقاشُ، قيل لقالون: كم قرأتَ على نافعٍ؟ قال: ما لا أحصيه كثرةً، إلا أنني جالستُهُ بعد الفراغِ عشرين سنةً .

(١) الغاية ٦١٦/١ .

(٢) لم أقف على ترجمته، مع كثرة تبعية .

(٣) انظر الإقناع ٥٩/١، والغاية ٦١٦/١ .

(٤) انظر الغاية ٦١٦/١ .

وأما ورش^(١) فهو: عثمانُ بنُ سعيدِ بنِ عدي بنِ غزوان بنِ داودَ بنِ سابقِ المصريِّ، مولى آلِ الزُّبيرِ بنِ العوامِ، يُكنى أبا سعيد، وقيل: أبا عمرو، وقيل: أبا القاسم، وورشٌ لقبٌ له، قالوا: لشدة بياضه. ويقال: هو شيءٌ يكون في اللبن والورشُ: مصدرٌ لقولك: ورشَ على الآكلين ورشاً: دخلَ عليهم من غير إذن^(٢)، وورشٌ من الطعامِ ورشاً: تناول منه شيئاً.

قال أبو جعفر^(٣): ولعله كان يُكثرُ هذه الكلمة فُعرفَ بها .

قلتُ: وهكذا الأصلُ في الألقابِ التي تغلبُ وتصيرُ أشهرَ من الاسمِ، ألا ترى أن تأبَطَ شراً اسمه ثابت^(٤)، وإنما قيل: تأبَطَ شراً على جهة اللقب، وأصلُ ذلك أنه جاء يوماً أمُّه بجرابٍ قد ملأه حياتٍ وأفاعي، فحلَّ الجرابَ، فخرَجَت الحياتُ والأفاعي، فخرجت أمُّه من البيتِ فارَّةً، وكان قد جاء بالجرابِ تحت إبطه، فقال لها نساءُ الحيِّ: ما تأبَطَ ثابتٌ؟ أي: ما جاء به تحت إبطه؟ فقالت لهن: تأبَطَ شراً، فُنسِيََ بذلك اسمه، حتى صار ثابتٌ كأنه لم يكن، وغلبَ عليه تأبَطَ شراً .

وولِدَ ورشٌ بمصر سنة عشرٍ ومائة، وقرأ على نافع سنة خمسٍ وخمسين ومائة، رَوَى القراءة عنه عامةُ أهلِ بلده، منهم: أبو يعقوب الأزرق، وعبد الصمد بنُ عبد الرحمن، وأحمدُ بنُ صالح، وداوُدُ بنُ أبي طيبة، وغيرهم^(٥)، وقال

(١) الإقناع ٥٧/١ .

(٢) الصحاح (ورش) .

(٣) الإقناع ٥٧/١، والغاية ٥٠٢/١ .

(٤) انظر الأمالي لابن الشجري ٢٨٨/٢ .

(٥) معرفة القراء الكبار ١٢٦/١ .

أبو يعقوب الأزرق^(١) عنه: إن ورشاً لما تعمّق في النحو وأحكّمه، اتخذ لنفسه مَقْرَأً يُسَمَّى مَقْرَأً ورشٍ، فلما جئت لأقرأ عليه قلت: يا أبا سعيد، إني أحبُّ أن تُقرئني مَقْرَأً نافع، وتدعني مما استحسنته لنفسك، فقلدته مَقْرَأً نافع .

وعن محمد بن سلمة العثماني قال: قلت لأبي سلمة: أكان بينك وبين

ورشٍ مودّةٌ؟

قال: نعم .

قال: كيف كان مَقْرَأً ورشٍ علي نافع؟

قال: قال لي ورش^(٢): خرجتُ من مصر إلى المدينة لأقرأ على نافع، فلما

وصلتُ إلى المدينة، صرتُ إلى مسجد نافع، فإذا هو لا تُطاقُ القراءةُ عليه من

كثرة أبناء المهاجرين والأنصار، وإنما هو يُقرئُ ثلاثين، فجلستُ خلف الحلقة،

فقلتُ لإنسان إلى جانبي: / مَنْ أكبرُ الناس عند نافع؟ فقال لي: كبيرُ الجعفرين، ١/٤٢

قال: فقلت: كيف به؟ فقال: أنا أجيءُ معك إلى منزله، فقام الرجلُ معي حتى

أتى منزلَ كبير الجعفرين، فدقَّ الباب، فخرجَ إلينا شيخٌ تامُّ من الرجال، فقلتُ:

أصلحك اللهُ، أنا رجلٌ من مصر، جئتُ لأقرأ على نافع، فلم أصلُ إليه،

وأخبرتُ أنك من أصدق الناس له، وأنا أريدُ أن تكون الوسيلةَ إليه، قال: فقال:

نعمٌ وكرامةٌ، فأخذ طيلسانه، ومضى معنا إلى منزل نافع، وكان نافعٌ له كنيّتان:

كان يُكنى أبا رُويم، وأبا عبد الله، فبأيهما نوّدي أجاب، فقال له الجعفريُّ: إنَّ

هذا وسيلتي إليك، جاء من مصرَ ليقراً عليك، ليس معه تجارةٌ، ولا جاء للحج،

(١) معرفة القراء الكبار ١/١٢٦ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١/١٢٧-١٢٨ .

وإنما جاء للقراءة خاصة، فقال نافع لصديقه الجعفري: ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار؟! قال: فقال صديقه: تَحْتَالُ له! قال: فقال لي نافع: أيمكنك أن تبيت في المسجد؟ قال: قلت: نعم، إنما أنا إنسانٌ غريبٌ، قال: فبيت في المسجد، فلما كان الفجرُ، تقاطر^(١) الناسُ ثم قالوا: قد جاء^(٢) نافعٌ، فلما أن قعد قال: ما فعل الغريب؟ قال: قلت: ها أنا ذا يرحمك الله، قال: أبيت في المسجد؟ قلت: نعم، قال: فأنت أولى بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حسن الصوت مدّاداً به، قال: فاستفتحتُ، فعلاً صوتي مسجد رسول الله ﷺ، فقرأت ثلاثين آيةً، فقال بيده: أن اسكُتْ، فسكُتُ، فقام إليه شابٌ من الحلقة فقال: يا مُعَلِّمُ: أعزك الله، نحن معك، وهذا رجلٌ غريبٌ، وإنما وصل^(٣) للقراءة عليك، وأنت تُقرئ ثلاثين آيةً، وأنا أحبُّ أعزك الله أن تجعل لي فيه نصيباً، وقد وهبتُ له عشرًا، وأقتصرُ أنا على عشرين، وكان ذلك الفتى ابنُ كبير المهاجرين، فقال: نعم وكرامةً، ثم قال: اقرأ، فقرأتُ عشرًا، ثم أوماً إليّ بيده أن اسكُتْ، فسكُتُ، فقام إليه فتى آخرُ فقال: يا مُعَلِّمُ: أعزك الله، إني أحبُّ أن أهب لهذا الرجل الغريب عشرًا، وأقتصر أنا على عشرين، فقد تفضل عليه ابنُ كبير المهاجرين، وأنت تعلم أنني ابنُ كبير الأنصار، فأحبيتُ أيضاً أن يكون لي أنا أيضاً مثل ما له من الثواب، فلما أن قرأتُ خمسين آيةً، حتى لم يبقَ أحدٌ ممن له قراءةٌ، قال لي: اقرأ، فأقراني خمسين، فما زلتُ أقرأ عليه خمسين في خمسين، حتى قرأتُ عليه

(١) في ب: «تناظر» .

(٢) في ب: «جاءنا» .

(٣) في معرفة القراء الكبار ١/١٢٨: «رحل» .

ختماتٍ قبل أن أخرج من المدينة .

وتوفي ورشٌ بمصر سنة سبعٍ وتسعين ومائةٍ في أيام المأمون، وله سبعٌ وثمانون سنةً^(١) .

وارتفاعُ « قالون » في البيت بالابتداء، و « عيسى » بدلٌ منه، و « عثمان » معطوفٌ على المبتدأ، و « ورشٌ » بدلٌ منه، و « تأثلاً » المجد الرفيع « خبر عنهما، وتأثلاً من قولك: تأثل المال إذا جمعه واتخذَه لنفسه أثلةً، ويقال: أثل يَأْتِلُ أثولاً: إذا تأثل، وأثَلَ اللهُ مُلكَه^(٢)؛ أي: عظّمه، وأثلةٌ كلُّ شيءٍ: أصله .

و لم يُصَرَّف « عثمان » للزيادتين والعلمية .

وأما / « قالون » فاختلَفَ فيه النحاةُ، فمنهم من يصرفُه وإن كان أعجمياً؛^{١/٤٣} لأنه لم يكن في كلام العجم إلا جنساً، فصار كـ « لجام »، ينصرفُ إذا سُمي به رجلٌ إجماعاً، لأنه لم يكن في لسان العجم علماً، وما كان هكذا فلا يُمنع الصرفَ عند العرب، ومنهم من لا يصرفُه ويُفرِّقُ بينه وبين لجام، بأن قالونَ وإن كان عند العجم جنساً، فإنَّ العربَ لم تتكلَّمْ به إلا علماً، فصار لذلك كإبراهيم الذي لم يتكلموا به إلا علماً، كما هو عند العجم .

وأما لجام فنقلته العربُ جنساً على حدِّ ما تكلمت به العجمُ، ثمَّ إن نُقلَ بعد ذلك وسُمي به رجلٌ فلا تأثير له في منع الصرف .

وفي جمع الشاطبي بين اللقبِ والاسمِ المفردَيْن، وإتباع أحدهما للآخرِ

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٢٨ .

(٢) التاج (أثَلَ) .

إشكال، يتبين بما نوردّه من تمهيد هذا الفصل، فنقول^(١):

إذا كان للمسمّى لقب، واسم مفرد فجمعت بينهما، فإنك تضيف الاسم إلى اللقب فتقول: هذا سعيد قفة، (فيمن سمّيته بسعيد، ولقبته بقفة، ولا تقول: هذا سعيد قفة، أو هذا قفة سعيد^(٢))، فتتبع أحدهما الآخر لا تتكلم العرب به إلا مضافاً، أعني تضيف الاسم إلى اللقب، فلو كان الاسمان مضافين، أو أحدهما مضافاً والآخر مفرداً، لأتبع أحدهما الآخر، فتقول: جاءني أبو عبد الله محمد، وجاءني محمد أبو عبد الله، وجاءني أبو بكر أبو يحيى، وجاءني أبو يحيى أبو بكر، فكان يجب على هذا أن يقول أبو القاسم الشاطبي: وعيسى قالون، وعثمان ورش، على الإضافة فيهما، على أن إجراء ورش على عثمان أشبه من إجراء عيسى على قالون؛ لأنه أضاف ورشاً إلى ضمير القراء، فصار كأنه ليس بمفرد، ويجوز أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف، وكذلك «ورشهم» على جهة التبيين، كأنه لما قال: وقالون، قدر قائلاً يقول: من قالون؟ فقال: هو عيسى، وكذلك «ثم عثمان ورشهم» ويجوز أن يكون قوله: «وقالون عيسى» مبتدأً

(١) قال الشاطبي في المقاصد الشافية ١/٢٦٢-٢٦٣: ويكون قول أبي القاسم:

وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم

يجب فيه إضافة عثمان إلى ورشهم بناء على مقاله الناظم، فإن قلت: وكيف يكون هذا وورش مضافاً؟ فليسا إذا بمفردين - أعني الاسم واللقب - ؟
فالجواب: أن هذه مغالطة، إذ لم يلقب بالضاف والمضاف إليه، فيجب الإتيان، وإنما إضافة ورش هنا كإضافة زيد في قوله:

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم

فليس الاسم إلا زيدا، لا (زيدكم)، فكذلك اللقب هنا (ورش) لا (ورشهم).

(٢) ما بين القوسين سقط من ب .

وخبراً، وكذلك «عثمانُ ورشهُم»، والإعراب الأولُ أظهرُ؛ لأنه لم يقصد إلى هذا الإخبار، وإنما قصد أن يخبر بقراءتهما على نافع .

* * *

ومكّةُ عبدُ الله فيها مُقامُهُ هو ابنُ كثيرٍ كاتِبُ القومِ معتلاً

هذا أحدُ السَّبعة، وهو عبدُ الله بنُ كثيرٍ^(١) بنُ المطلبِ المكيُّ الداريُّ، والدارُ: بطنٌ من لحم، منهم تميمُ الداريُّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ، وقيل: إنما نُسِبَ إلى دارين؛ لأنه كان عطاراً، ودارين: موضعٌ بالبحرين يُجلبُ منه الطيبُ، قال أبو جعفر^(٢): هذا هو الصحيح. وقال البخاري^(٣): هو من بني عبد الدار قُرشيٌّ .

قلتُ: والنسبُ إلى عبد الدارِ: داريٌّ، على القياس، وقولهم فيه: عبدِريُّ شاذٌّ لا يُقاسُ عليه^(٤)، وقال الأصمعيُّ^(٥): الداريُّ: هو الذي لا يبرحُ ولا يطلبُ معاشاً .

وهو مولى عمرو بنِ علقمة الكناني^(٦)، وهو من / أبناء فارسَ الذين بعثهم ١/٤٤ كسرى بالسفن إلى اليمن حين طردَ الحبشةَ عنها .

(١) انظر تعليق ابن الجزري على رفع نسبه في الغاية ٤٤٣/١ .

(٢) الإقناع ٧٧/١ .

(٣) معرفة القراء الكبار ٧١/١، والبخاري في التاريخ الكبير ١٨١/٥ .

(٤) قال سيويه في الكتاب ٣٧٦/٣: وليس هذا بالقياس .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ٧١/١ .

(٦) الإقناع ٧٧-٧٨/١ .

وكنيته أبو مَعْبُد. قال الأهوازي^(١): وقيل: أبو بكر، وقيل: أبو عبَّاد .
وكان يَخْضِبُ بِالْحَنَاءِ، وكان قاصًّا الجماعة بمكة، وهو من الطبقة الثانية من
التابعين .

وفي كتاب أبي معشر الطبري^(٢): كان ابنُ كثيرٍ شيخاً كبيراً، أبيضَ الرأس^(٣)
واللحية، طويلاً جسيماً، أسمرَ أشهلَ العينين، يُغَيِّرُ شَبِيَّتَهُ بِالْحَنَاءِ أو بالصُّفْرَةِ،
وكان حسنَ السكينة .

وقال محمد بنُ الحسن^(٤): كان ابنُ كثيرٍ إماماً قارئاً خيراً فاضلاً ورِعاً، أقرأ
الناسَ في حياة مجاهدٍ وسعيدِ بنِ جبير، وكان في اختياره يَتَّبِعُ الأثرَ، ويؤثِّرُ ذلك
على القياس والنظر .

وقال فيه يحيى بنُ معين^(٥): هو ثقةٌ وإليه انتهت الإمامة بمكة في القراءة .
وحكى معروفٌ عن ابنِ كثيرٍ أنه قرأ ميكائيلَ، فرأى في منامه أن قرأ
ميكالَ، فلا أدري أقرأها أم لا .

وقال شبلٌ: كان ابنُ محيِّصينَ وابنُ كثيرٍ يقرءان: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ﴾^(٦)، و﴿أَنْ

(١) الإقناع ٧٨/١ ، وهذا الكلام لا يوجد في ب .

(٢) انظر الإقناع ٧٨/١ .

(٣) وفيات الأعيان ٤١/٣ .

(٤) هو أبو بكر النقاش، كان عالي السند في قراءة ابن كثير، مقرئ مفسر، قرأ عرضاً على أبي
ربيعة، توفي سنة ٣٥١ هـ. الغاية ٣١٩/٢ .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ٧٢/١ .

(٦) سورة المائدة: ٤٩ .

اعْبُدُوا اللَّهَ ﴿١﴾، و﴿قُلْ رَبُّ أَحْكُم﴾ ﴿٢﴾، و﴿رَبُّ أَنْظِرْنِي﴾ ﴿٣﴾، ونحوه، فقال شبلٌ لهما: إن العربَ لا تفعل هذا ولا أصحابُ النحو، فقالا: إن النحو لا يدخلُ في هذا، هكذا سمعنا أئمتنا ومن مضى من السلف .

وقال جريرُ بن حازم^(٤): رأيتُ عبدَ الله بنَ كثيرٍ فرأيتُهُ رجلاً فصيحاً .

وقال الأصمعيُّ^(٥): قلتُ لأبي عمرو: أقرأتَ علي ابن كثير؟ قال: نعم، ختمتُ علي ابن كثير بعدما ختمتُ علي مجاهد .

وكان ابنُ كثيرٍ أعلمَ بالعربية من مجاهد .

وولدَ ابنُ كثيرٍ بمكة سنة خمس وأربعين في أيام معاوية، ومات بها سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وله يومئذ خمسٌ وسبعون سنة .

وقال أبو جعفر^(٦): ما ذُكِرَ من تاريخ وفاته هو كالإجماع من القراء، ولا يصحُّ عندي؛ لأن عبدَ الله بن إدريس الأودي قرأ عليه، ومولدُ ابنِ إدريس سنة خمسَ عشرة ومائة، فكيف تصحُّ قراءتُهُ عليه لولا أن ابنَ كثيرٍ تجاوز سنة عشرين ومائة، وإنما الذي مات بها عبد الله بن كثير القرشي، وهو آخرُ غيرُ القارئ، وأصلُ الغلط في هذا من أبي بكر بن مجاهد^(٧) والله أعلم .

(١) سورة النحل: ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء: ١١٢ .

(٣) حيث وقعت .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ٧٢/١، والغاية ٤٤٤/١ .

(٥) الغاية ٤٤٤/١-٤٤٥ .

(٦) الإقناع ٧٨-٧٩، والغاية ٤٤٤/١ .

(٧) انظر السبعة: ٦٦، وانظر تعليق ابن الجزري في الغاية ٤٤٣/١ .

وقرأ ابن كثير - فيما حكاه قُنبَلُ والبزِّي عنه - علي: أبي الحجاج مجاهد
ابن جبر مولى قيس بن السائب، وقرأ مجاهدٌ علي ابن عباس، وقرأ ابن عباس
علي أبي، وقرأ أبي علي النبي ﷺ .

قال أبو جعفر^(١): ورَوَيْنَا عن مُحَمَّدِ بنِ إِدْرِيسِ الشَّافِعِيِّ الفقيه، عن القُسْطِ،
عن شبلٍ، عن ابن كثيرٍ أنه قرأ علي عبد الله بن السائب بن أبي السائب
صاحب النبي ﷺ ، وقارئ أهل مكة، وقرأ عبدُ الله بنُ السائبِ علي أبي بن
كعب نفسه، وجاء من طريق ابن فليح وغيره أن ابن كثير قرأ أيضاً علي درباسٍ
مولى ابن عباس، وقرأ درباسٌ علي موله كالأول، وقرأ ابن عباس أيضاً علي
علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، وقرأ علي النبي ﷺ .

وارتفاعُ قوله: « مكة » بالابتداء، و « عبدُ الله » مبتدأ ثان، و « مقامه » ثالث،
/ و « فيها » خبره، والجملة^(٢) خبرُ « عبد الله »، والضميرُ العائدُ إليه هاءُ
« مقامه »، والجملةُ خبرُ « مكة »، وضميرُهُ هاءُ « فيها »، و « مقامه » يُرادُ بها هنا:
إما المكان، وإما الإقامة، و « كاتِرُ القوم » هو من قولك: كاتَرَنِي الرجلُ
فكثرتُهُ^(٣)؛ أي: فكنتُ أكثرَ منه. قال الشاعر^(٤):

وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصِيًّا وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَائِرِ
ونحوه: خَاصَمَنِي فَخَصَمْتُهُ، وَفَاخَرَنِي فَفَخَّرْتُهُ؛ أي: غلبتُهُ في هذه الأشياءِ،

(١) الإقناع ٩١/١-٩٢ .

(٢) في ب: وفيها خبر .

(٣) قال سيبويه في الكتاب ٦٨/٤: باب دخول الزيادة في فعلت للمعاني: اعلم أنك إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت: فاعلته .

(٤) في ديوان الأعشى: ١٠٦ .

قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخَطَابِ﴾^(١) وهو من عازني فعزته^(٢).
و «معتلى» مفتعل من العلو، أصله: معتلّو، فقلبت واؤه ياءً؛ لأنها خامسة
بعد فتحة، ثم قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، ويُراد به هنا:
الاعتلاء، كقوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾^(٣) يراد به التمزيق .
ونصبه على التمييز؛ لأن الذي كثر به القوم: الاعتلاء، فلما نسب كثر إلى
ابن كثير، أتى بالمكاثر حقيقةً تمييزاً نحو: تفقاً زيدٌ شحماً^(٤).

وإنما جعل ابن كثير أكثر القوم اعتلاءً لوجهين:
أحدهما: أنه لزم مكة، وهي أفضل البقاع عند أكثر أهل العلم .
والثاني: أنه قرأ على عبد الله بن السائب صاحب النبي ﷺ ، (ويُرد على
هذا أن ابن عامر أخذ عن أبي الدرداء صاحب النبي ﷺ^(٥))، ولكن في جمع أبي
الدرداء القراءة في حياة النبي ﷺ اختلاف^(٦) .

* * *

رَوَى أَحْمَدُ الْبَزِّيُّ لَهُ وَمُحَمَّدٌ عَلَى سَنَدٍ وَهُوَ الْمَلْقَبُ قُنْبُلًا
راويا ابن كثير: البزّي وقنبل .

(١) سورة ص: ٢٣ .

(٢) انظر الكتاب ٦٨/٤ .

(٣) سورة سبأ: الآية: ١٩ ، وانظر التبيان ١٠٦٧/٢ .

(٤) تقدم .

(٥) ما بين القوسين سقط من ب .

(٦) انظر معرفة القراء الكبار ٣٩/١ حيث يرى الذهبي أن أبا الدرداء حفظ القرآن في حياة النبي ﷺ .

فأما البزِّي فهو: أحمدُ بنُ محمدَ بنِ عبدِ الله بنِ القاسمِ بنِ نافعِ بنِ أبي بزةَ المؤذِّن، ويُكنى أبا الحسن، وكان مؤذِّنَ الحرم، قيل: هو مولى لبني مخزوم .

قال أبو عمرو^(١): قال البزِّي: سمعتُ المؤمِّلَ بنَ إسماعيلَ يقول: القرآنُ كلامُ الله، وليس بمخلوقٍ .

وقال ابنُ أبي بزةَ^(٢): من قال مخلوقٌ أو وقَفَ، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ أو شيءٌ من هذا، فهو على غيرِ دينِ الله عز وجلَّ ودينِ رسولِ الله ﷺ حتى يتوبَ .

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ وقد سُئل عن القائِلين: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فقال: هذا شيءٌ من قولِ الجهميَّةِ، مَنْ زَعَمَ هذا، فقد زَعَمَ أن جبريلَ السَّلِيَّةَ جاء بمخلوقٍ، وأن النبيَّ عليه الصلاة والسلام تكلم بمخلوقٍ^(٣).

قال الأهوازي^(٤): توفي البزِّي سنة سبعين ومائتين، وله ثمانون سنة، قال أبو جعفر^(٥): وفيما قاله نظرٌ، وما أظنُّ موته إلا أقدمَ مما ذَكَر، والله أعلم .

وقرأ البزِّي على عكرمة بنِ سليمان، وقال: قرأتُ على إسماعيلَ بنِ عبدِ الله القسِّط وقال: قرأتُ (على شبل^(٦)) على ابن كثير .

وأما قُنْبُلٌ فهو: محمدُ بنُ عبدِ / الرحمن بنِ محمدَ بنِ خالدِ بنِ سعيدِ بنِ ١/٤٦

(١) معرفة القراء الكبار ١/١٤٧ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١/١٤٨ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ١١/٢٩٠ .

(٤) انظر الإقناع ١/٨٠، وقد ذكر الذهبي وابن الجزري وفاته سنة خمسين ومائتين .

(٥) الإقناع ١/٨٠ .

(٦) سقط من ب .

جُرْجَةَ المَكِيِّ المَخْزُومِيِّ، كَذَا نَسَبَهُ ابْنُ بَجَاهِدٍ^(١).

وقال ابنُ عبد الرزاق^(٢): مُخْلِذُ بْنُ خَالِدٍ، مَكَانَ مُحَمَّدٍ، وَيُكْنَى أَبَا عُمَرَ^(٣)، وَيُلَقَّبُ قُنْبَلًا، وَيُقَالُ: هُمُ أَهْلُ بَيْتِ يُعْرَفُونَ بِالقُنَابِلَةِ .

توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين، وله ست وتسعون سنة، ذكره الأهوازي^(٤).

وكان قد قطع الإقراء قبل أن يموت بعشر سنين، قاله أبو الطيب عن ابن عبد الرزاق^(٤).

وقرأ قُنْبَلٌ عَلَى أَبِي الحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَوْنِ القَوَّاسِ، وَيُقَالُ: النِّبَالُ، وقال: قرأتُ عَلَى أَبِي الإخْرِيطِ وَهَبِ بْنِ وَاضِحٍ. قال: قرأتُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ القُسُطِ قال: قرأتُ عَلَى شَيْبِ بْنِ عَبَّادٍ وَمَعْرُوفِ بْنِ مِشْكَانٍ، وَقَالَا: قرأنا عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِسْنَادُ قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ .

ويمكن أن يكون الناظمُ قَدَّمَ البَزِّيَّ عَلَى قُنْبَلٍ فِي النِّظْمِ لِلوزنِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدَّمَهُ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ سِنْدًا مِنْهُ .

والهاءُ مِنْ « لِه » تَعَوَّذُ عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ .

وَأَصْلُ البَزِّيِّ: البَزِّيُّ، بِيَاءٍ مُشَدَّدَةٍ فَخَفَّفَهَا بِأَنْ حُذِفَتْ اليَاءُ السَّاكِنَةُ إِحْدَى يَاءِي النِّسْبِ، وَأَجْرَى البَاقِيَةَ وَهِيَ المُتَحَرِّكَةُ مُجْرَى يَاءِ القَاضِي؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ مِثْلَهَا، أَعْنِي: أَنَّهَا قَبْلَهَا كَسْرَةٌ، وَإِنَّمَا عَدَّي « رَوَى » بِاللَّامِ، وَحَقُّهُ أَنْ يُعَدِّيهِ بَعْنَ

(١) انظر السبعة : ٩٢ .

(٢) انظر الإقناع ٨٩/١ .

(٣) فِي ب : « عَمْرُو » .

(٤) انظر الإقناع ٨٠/١ ، ومعرفة القراء الكبار ١٨٧/١ ، والغاية ١٦٦/٢ .

فيقول: رَوَى عنه؛ لأنه أَشْرَبَ رَوَى معنى أَوْصَلَ، ويجوز أن يكون الضميرُ عائداً على ابن كثير، ويكون دخولُ اللامِ مثلَ دخولها في قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾^(١) لأجل الضرورة، وقال الشاعر^(٢):

فَلَمَّا أَنْ تَوَافَيْنَا قَلِيلاً أَنْخَنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمَيْنَا

التقدير: رَدِفُكُمْ، و«أنخنا الكلاكل» ، والضميرُ من قوله: «وهو» يعود على

محمد .

و«قُبُلاً» مفعولٌ بعد إسقاط حرف الجر-بالملقب، التقدير: وهو الملقبُ

بقُنبُلٍ .

وقوله: «على سندٍ» يريد ما قلناه في آخرِ قراءةِ البزِّي وقُنبُلٍ على ابن كثير،

وأنها بإسناد، وقد بيّناه. ورواةُ السبعة في هذا الاعتبار على ثلاثة أقسام:

قسمٌ رَوَى القراءةَ مباشرةً، وهم رُوَاةُ: نافعٍ وعاصمٍ والكسائيِّ، وقسمٌ

رواها بإسناد وهم رُوَاةُ: ابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، وقسمٌ رواها بواسطة وهم رُوَاةُ:

أبي عمرو وحمزة .

* * *

وأما الإمامُ المازنيُّ صريحُهُم أبو عمرو البصري فوالِدُهُ العلاء

هذا الثالث من السبعة، وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن

عبدِ الله بن الحصين بن الحارث بن جُلهم بن خُزاعي بن مازن بن مالك بن

(١) سورة النمل: ٧٢ .

(٢) من الوافر، وهو في المقرب ١/١١٥، والرصف: ١٩٧، ٢٩٧ من غير نسبة، ويروى:

(توافقنا) بدل (توافينا) .

عَمْرُو بنِ تَمِيمٍ. واسمُ العُريَانِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الحُصَيْنِ: عَمْرُو، والعُريَانُ لَقَبٌ،
قاله أبو عُبيدة .

واختلفَ في اسمِ أبي عَمْرُو / فقيل: زَبَّان، وقيل: العُريَان، وقيل: يحيى، ١/٤٧
وقيل: عُيينة، وقيل: سفيان، وقيل: مُحَمَّد، وقيل: جَبْر، وقيل: فائد، وقيل:
حُميد، وقيل: حمّاد، وقيل: عثمان، وقيل: محبوب، وقيل: جَزء، وقيل: رَبَّان
بالراء المهملة والباء الموحدة، وقيل عَمَّار، وقيل: اسمه كنيته^(١).

وكان أبو عَمْرُو أعلمَ الناسِ بالغريب والعريية والقرآن والشعر، وبأيام
العرب وأيام الناس، وتتبع حروفَ القرآن تبعاً استحقَّ به الإمامة، وشهد له بها
أئمةُ وقته، كأبي بسطامٍ شعبةَ بنِ الحجاج .

وحدّثَ أحمدُ بنُ موسى^(٢)، قال: سمعتُ أبا عَمْرُو يقول: ما قرأتُ حرفاً من
القرآن إلا بسماحٍ واجتماعٍ من الفقهاء، وما قلتُ برأيٍ إلا حرفاً واحداً،
فوجدتُ الناسَ قد سبقوني إليه ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ﴾^(٣) .

وحكى أبو حاتمٍ عن أبي عُبيدٍ^(٤) قال: قال أبو عَمْرُو: وأنا زدتُ هذا البيتَ
في أول قصيدة الأعشى، وأستغفر الله منه:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ
مِنَ الْخَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا^(٥)

(١) انظر الإقناع ٩٢/١ ، ومعرفة القراء الكبار ٨٣/١ حيث أنكر الذهبي على ابن الباذش

تسميته بـ «ربان» بالراء المهملة، والباء بواحدة، وانظر المبهج لسبط الخياط ١١٥/١ .

(٢) هو أحمد بن موسى اللؤلؤي، تلميذ أبي عَمْرُو . انظر الغاية ٢٨٩/١ .

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٨٣ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ٨٧/١ .

(٥) معرفة القراء الكبار ٨٧/١ .

قلتُ: وقصيدةُ الأعشى هي قوله منها^(١):

بانت سعادُ وأمسي حبلها انقطعاً

واحتلتِ الغمُمرَ فالجدَّين فالفرعاً

قد يتركُ الدهرُ في خلقاءِ راسيةٍ

وهياً وينزلُ منها الأعصمَ الصدعاً

بانتُ وقد أسارتُ في النفسِ حاجتها

بعدَ اتلافٍ وخيرُ الودِّ ما نفعاً

قال أبو علي البغدادي^(٢): وأخبرني ابنُ دُرَيْدٍ أنه أنشدَ بشَّاراً هذا البيتَ

يعني قوله:

وأنكرتني

وهو لم يسمعه، وقيل له: إنه للأعشى، فقال: ليس هذا من كلامه، فقلت:

يا سيدي، ولا عرف القصيدة، ثم قال: أعمى شيطان .

وحدث ابنُ أخي الأصمعي عن عمِّه^(٣)، قال: كنتُ إذا سمعتُ أبا عمرو

يتكلمُ ظننتُ أنه لا يُحسِنُ شيئاً، ولا يُلحَنُ، يتكلمُ كلاماً سهلاً .

وأخبر اليزيدي^(٤) قال: كان أبو عمرو قد عرف القراءات، فقرأ من كل

قراءة بأحسنها، وبما تختار العربُ، وبما بلغه من لغة النبي ﷺ، وجاء تصديقه في

كتاب الله عز وجل .

(١) في ديوان الأعشى: ١٠٤، والأبيات من البسيط .

(٢) النوادر ١٩٨/٣ .

(٣) انظر كتاب السبعة: ٨٣ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ٨٤/١ .

وأخبر محمد بن بشير^(١) قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسولَ الله، قد اختلفتُ عليَّ القراءاتُ، فبقراءة مَنْ تأمرني أن أقرأ؟ فقال: اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء .
وأبو عمرو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، حكى عنه أنه قال: كُنتُ رَأْساً والحسنُ حي^(٢).

قال الأصمعي^(٣): مات سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل: سنة سبع وخمسين، وقيل غير ذلك^(٤). ولم يُختلف أنه مات بالكوفة، قيل: وله ست وثمانون سنة. وكان موته قبل موت أبي جعفر المنصور بستين .
قيل: وكان ولدُ العلاء أربعة نفرٍ منهم: أبو سفيان واسمه سُئِنُ بنُ العلاء، (ومعاذُ بنُ العلاء، وأبو حفص عمرُ بنُ العلاء، وأبو عمرو زَبَّانُ بنُ العلاء^(٥))، وكان آخرهم موتاً .

وممن روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء بنون له ثلاثة: أبو زيدٍ بشرٌ ومعاويةٌ وعمرو / ، وروى عنه يونسُ بنُ حبيبٍ، وغيرهم خلقٌ كثيرٌ من أهل البصرة والكوفة وخراسان .

وقال وكيعٌ: قدِمَ أبو عمرو بنُ العلاء الكوفةَ، فاجتمعوا إليه كما اجتمعوا على هشامِ بنِ عروة .

(١) انظر السبعة: ٨١ .

(٢) انظر الإقناع ٩٣/١ .

(٣) انظر السبعة: ٨٣، والإقناع ٩٤/١، ومعرفة القراء الكبار ٨٣/١، وغاية النهاية ٢٩٢/١ .

(٤) معرفة القراء الكبار ٨٧/١ .

(٥) ما بين القوسين سقط من ب .

وحكى الأصمعي^(١) قال: كان لأبي عمرو من غلته كل يوم فَلَسان، يشتري بفلس رِيحاناً، وكوزاً جديداً بفلس، فيشربُ فيه يومه، فإذا أمسى تصدَّق به، وشمَّ الريحانَ يومه، فإذا أمسى قال للحارية: جفِّيه ودقِّيه في الأشان .

وقرأ أبو عمرو على جماعة: فمن أهل مكة أبو الحجاج مجاهدُ بنُ جبر، وأبو عبد الله سعيدُ بنُ جبير، وأبو خالد عكرمةُ بنُ خالد القرشي، وأخوه الحارثُ بنُ خالد الشاعر أميرُ مكة، وأبو محمد عطاءُ بنُ أبي رباح، وأبو معبد عبدُ الله بنُ كثير، وأبو عبد الله محمدُ بنُ مُحَيصن، وأبو صفوان حميدُ بنُ قيس الأعرج .

ومن أهل المدينة: أبو جعفر يزيدُ بنُ القعقاع، وأبو رُوح يزيدُ بنُ رومان، وأبو ميمونة شيبَةُ بنُ نصاح .

ومن أهل البصرة: أبو سعيد الحسنُ بنُ أبي الحسن، وأبو سعيد وقيل: أبو سليمان يحيى بنُ يعمر، وغيرهما .

وقد تقدم اتصالُ قراءة المكيين والمدنيين؛ لأن عطاءً وعكرمةً وأخاه وسعيداً قرأوا على ابنِ عباس، وابنُ مُحَيصن وحُميدُ قرأ على مجاهد، وأما الحسنُ فأخذ عن حَطَّانِ بنِ عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ، وأما يحيى بنُ يعمر فعن أبي الأسود الدؤلي، عن علي، عن النبي ﷺ .

قال أبو عمرو^(٢) فيما حكاه عنه الأصمعي: نظرتُ في هذا العلم قبل أن أُختنَ، وهو يومئذ ابنُ أربع وثمانين سنة. وقال أبو عمرو بنُ العلاء: ناظرتُ

(١) معرفة القراء الكبار ١/٨٦ .

(٢) السبعة: ٨٣ .

عَمْرُو بن عُبيدٍ في الوعيد فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يُوعِد شيئاً فيُخلفه، فقلتُ له: يا أبا عثمان: ليس لك علمٌ باللغة، إن خُلفَ الوعيد عند العرب ليس بخُلفٍ، ثم أنشدته^(١):

وإني وإن أوعدتُهُ أو وعدتُهُ ليكذبُ إيعادي ويصدقُ موعدي

وقال الأصمعيُّ: كُنَّا عند أبي عَمْرُو بنِ العلاء، فجاءه عَمْرُو بن عُبيد فقال: يا أبا عَمْرُو: هل يُخلفُ الله الميعادَ؟ قال: لا، قال: رأيتَ إذا وعدك على عملٍ ثواباً، أفينجزُهُ؟ قال: نعم، قال: فكذلك إذا أوعدَ على عملٍ عذاباً، قال: فقال أبو عَمْرُو: إنَّ الوعدَ غيرُ الوعيد، إنَّ العربَ لا تُعدُّ خُلفاً أن توعِدَ شراً ولا تفي به، وإنما الخُلفُ أن تعدَّ خيراً فلا تفي به، ثم أنشد^(٢):

ولا يرهَبُ ابنُ العمِّ والجارُ صولتي

ولا أنثني من خشيةِ المتهدِّدِ

وإني وإن أوعدتُهُ أو وعدتُهُ

لأخلفُ إيعادي وأنجزُ موعدي

وقوله: « صريحهم ». بمعنى صريحٌ فيهم؛ أي: صريحُ النسب لم يجرِ عليه ولاءٌ

لأحد، هذا هو الأشهر / في نسبه، وسنينُ ما في ذلك بعدُ إن شاء الله تعالى . ١/٤٩

وارتفاعُ « الإمام » بالابتداء، و « المازنيُّ » صفته، نسبةً إلى جده، و « صريحهم »

« بدلٌ أو عطفٌ بيان، ولا يجوز أن يكون نعتاً؛ لأنه أعرفُ من المنعوت، و « أبو

عَمْرُو » بدلٌ من « صريحهم »، والجملةُ من قوله: « فوالده العلاء » خبرُ المبتدأ،

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٨٥-٨٦ .

(٢) المصدر السابق ١/٨٦، والبيتان لعامر بن الطفيل في ديوانه: ٥٨ .

والفاء جوابٌ لـ «أما» لما فيها من معنى الشرط، وأصلُ العَلا: المد، وقصره ضرورةً .

* * *

أفاضَ على يحيى اليزيديّ سيّبه فأصبحَ بالعذبِ القُراتِ معلّلاً

ذكر هنا ما لم يعدُّ به، إنما قال:

وسوفَ تراهم واحداً بعدَ واحدٍ

البيت، ولم يلتزم أن يذكرَ زائداً على ذلك، ولكنه ذكرَ غيرَ ما وعد به؛ لأنه من تمام ما وعد به. والمذكورُ في هذا البيت من نقلِ القراءة عن أبي عمرو إلى رَؤييه الدُّوري والسُّوسي. وهو:

أبو محمّد يحيى بنُ المبارك^(١) بن المغيرة العَدوي، والمغيرةُ كان مولىً لامرأة من بني عَدِي، وإنما قيل له: اليزيديُّ من أجل تأديبه ولدَ يزيدَ بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميريّ، خالِ المهدي، وقال اليزيديُّ: قال لي المأمونُ: يا أبا محمّد: كيف نُسبتَ إلى يزيدَ فما تُعرفُ إلا باليزيدي؟ فقلت: يا سيّدي نِكِرَةٌ نُسبتُ إليها فصارت معرفتي، قال: فتبسّم المأمونُ .

وقال ابنُ المنادى^(٢): أكثرُ السُّؤالِ عن اليزيدي ومحلّه من الصدق، ومنزله من الثقة لعدّة من شيوخنا بعضهم أهلُ عريّة، وبعضهم أهلُ قرآنٍ وحديثٍ، فقالوا: ثقةٌ صدوقٌ، وقد رَوَى عنه الغريبَ أبو عُبيدٍ وكفى به، وما ذاك إلا عن

(١) الإقناع ١/٩٥، والغاية ٢/٣٧٦-٣٧٧، وانظر المبهج/١٠٥، ١٠٦ .

(٢) أبو الحسن أحمد بن جعفر، الإمام المشهور، حافظ ثقة، محقق ضابط، قرأ على اليزيدي وغيره. وعليه أحمد بن نصر الشذائي، وعبد الواحد بن أبي هاشم. توفي سنة ٣٣٦ هـ. الغاية ١/٤٤ .

معرفته به^(١) .

ولليزدي شِعْرٌ أوصى عند موته ألا يخرج منه شيءٌ إلا ما فيه موعظةٌ، وكان المباركُ أبوه صديقَ أبي عمرو بن العلاء، فخرج المباركُ إلى مكة، وذهب أبو عمرو يشيِّعُهُ، فأوصاه بولده يحيى وهو معه يشيعه، فلم يسرْ يحيى إلى أبي عمرو مدة مغيب أبيه. فلما قدِمَ استقبلَهُ أبو عمرو، وخرج يحيى للقاءه، فقال له: يا أبا عمرو، كيف رِضَاكَ عن يحيى؟ فقال: ما رأيتُهُ منذ فارقتك إلى هذا الوقت، فحلفَ المباركُ ألاَّ يدخلَ البيتَ حتى يقرأَ يحيى على أبي عمرو القرآنَ كُلَّهُ قائماً، فقعَدَ أبو عمرو، وقام يحيى يقرأُ عليه، فلم يجلسَ حتى أكملَ القرآنَ على أبي عمرو .

وأخبر عُبيد الله بنُ محمَّد عن أخيه^(٢) عن يحيى بن المبارك، قال: أحسب أنه كانت اليمين بالطلاق .

وقال أحمد بن أبي علي النحوي^(٣): كان اليزيديُّ يؤدِّبُ المأمون، وخرج معه إلى خراسان، وتوفي بها، وهو القائلُ للمأمون معتذراً:

أَنَا الْمَذْنِبُ الْخَطَّاءُ وَالْعَفْوُ وَاسِيعٌ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لَمَا عُرِفَ الْعَفْوُ

/سَكِرْتُ فَأَبَدْتُ مَنِي الْكَاسُ بَعْضَ مَا

كَرِهْتُ وَمَا إِنْ يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصَّحْوُ

١/٥٠

(١) الغاية ٣٧٦/٢ .

(٢) الغاية ٣٧٧/٢ .

(٣) انظر الغاية ٣٧٦-٣٧٧/٢ .

وَلَا سِيَّيْمًا إِذْ كُنْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ
 وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يُجُوزُ بِهِ اللَّغْوُ
 تَنَصَّلْتُ مِنْ ذَنْبِي تَنَصُّلَ ضَارِعٍ
 إِلَى مَنْ لَدَيْهِ يُغْفَرُ الْعَمْدُ وَالسَّهُوُ
 فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي أَلْفَ خَطُوبِي وَأَسِعَا
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَفْوًا فَقَدْ قَصُرَ الْخَطُوبُ
 وَتُوفِيَ يَحْيَى بِالْبَصْرَةِ، وَدُفِنَ بِهَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ، وَقَدْ
 قَارَبَ الْمِائَةَ، وَقِيلَ: تُوْفِيَ بِخِرَاسَانَ^(١).

وَالسِّيْبُ: الْعَطَاءُ، وَهُوَ هُنَا يُرَادُ بِهِ الْعِلْمُ. وَفِي الْحَدِيثِ^(٢): « وَفِي السُّيُوبِ
 الْخُمْسُ ». وَالْمُرَادُ: الرَّكَازُ^(٣)؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَيُقَالُ: سَابَتِ الدَّابَّةُ
 سَيْبًا: ذَهَبَتْ حَيْثُ شَاءَتْ، وَالْفَرَاتُ: الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْعَذُوبَةُ. وَالشُّرْبُ الْأَوَّلُ
 يُسَمَّى النَّهْلَ^(٤)، وَمَا بَعْدَهُ: الْعَلَلُ^(٥)، وَالْمَعْلَلُ الَّذِي سُقِيَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَهُوَ أَبْلَغُ
 فِي الرَّيِّ، وَالضَّمِيرُ فِي « أَفَاضَ » يَعُودُ عَلَى أَبِي عَمْرٍو، وَكَذَلِكَ هَاءُ « سَيْبِهِ ». .
 وَالضَّمِيرُ فِي « أَصْبَحَ »^(٦) يَعُودُ عَلَى يَحْيَى الْيَزِيدِيِّ .

(١) الإقناع ١/٩٥-٩٦، والغاية ٢/٣٧٧، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ٥٦، ٥٧، ٥٨،
 ٦٠-٦٣ .

(٢) من كتاب النبي ﷺ لوائل بن حجر، وانظر باب زكاة الركاز في الموطأ ١/٢٥٦ .

(٣) قاله أبو عبيد. انظر التاج (سيب) .

(٤) من باب طرب .

(٥) يقال: علل بعد نهل، وعلله: سقاه السقية الثانية. (الصحاح علل) .

(٦) ما بين القوسين سقط من ب .

أَبُو عَمَرَ الدُّورِي وَصَالِحُهُمْ أَبُو شُعَيْبٍ هُوَ السُّوسِيُّ عَنْهُ تَقَبَّلَا
 رَاوِيَا أَبِي عَمَرُو: الدُّورِيُّ وَالسُّوسِيُّ .

فَأَمَّا الدُّورِيُّ فَهُوَ: أَبُو عَمْرٍ حَفْصُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبَانَ
 الْأَزْدِي النَّحْوِي، نُسِبَ إِلَى الدُّورِ مَوْضِعٌ بِبَغْدَادٍ^(١)، وَسُئِلَ عَنْهُ أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيُّ
 فَقَالَ: صَدُوقٌ^(٢).

وَتُوفِيَ فِيهَا نُقِلَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الصَّوَّافِ^(٣) سَنَةَ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ^(٤).
 وَقَالَ أَبُو عَمَرُو الدَّانِي^(٥): فِي حُدُودِ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وَأَمَّا السُّوسِيُّ فَهُوَ: أَبُو شُعَيْبِ صَالِحِ بْنِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ
 إِبْرَاهِيمِ بْنِ الْجَارُودِ بْنِ مِسْرَحِ الرَّسْتِيِّ السُّوسِيِّ، تُوُفِيَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ
 وَمِائَتَيْنِ، ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي دُلَيْمٍ^(٦)، رَوَى الْقِرَاءَةَ الدُّورِيُّ
 وَالسُّوسِيُّ الْمَذْكُورَانِ عَنْ يَحْيَى الْيَزِيدِيِّ الْمَذْكُورِ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ، وَهُمَا آخِرُ^(٧) مَنْ
 أَخَذَ عَنْهُ، وَالَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ^(٨):

(١) الإقناع ٩٤/١ .

(٢) الجرح والتعديل للرازي ١٨٣/٣-١٨٤ .

(٣) الحسن بن الحسين أبو علي البغدادي، شيخ متصدر، ماهر قرأ على أبي حمدون الطيب، وأبي
 عمر الدوري، ولم يختم عليه، وعليه أبو بكر النقاش، وخلق، توفي سنة ٣٢٠ هـ. الغاية
 ٢١٠/١-٢١١ .

(٤) الإقناع ٩٤/١ ، ومعرفة القراء ٥٨/١ .

(٥) الغاية ٣٧٥/٢-٣٧٦ .

(٦) الإقناع ٩٥/١، والغاية ٣٣١/١-٣٣٢، ومعرفة القراء الكبار ١٥٩/١-١٦٠ .

(٧) في ب: «أخذ» .

(٨) الغاية ٣٧٥/٢-٣٧٦ .

أولاده: عبدُ الله وإبراهيمُ وإسماعيلُ، وأبو عمَرَ الدوريُّ، وأبو شعيبِ السوسيّ، وعامرُ الموصليّ، وأبو خلادِ المؤدّب، وابنُ سعدانَ، وأبو حمدونَ، وجماعةٌ غيرُهُم . والمختارُ من هؤلاء: الدوريُّ والسوسيّ .

قال أبو عمرو^(١): قال ابنُ شَبْرُوذَ عن موسى بن جُمهور عن أبي شعيب، أنه حدّثه أنه إنما قرأ على اليزيدي وهو صبيٌّ إلى سورة الأنفال، وقرأ من الأنفال إلى خاتمة القرآن على أبي سليمان الخِرَقِيّ. وخالفه في حكايته هذه مَنْ يوثق بعدالته، فقرأتُ على فارسِ بنِ أحمدَ القرآنَ كلّهُ، وقال: قرأتُ على عبد الباقي بنِ الحسنِ القرآنَ كلّهُ. قال: وأخبرني أنه قرأ القرآنَ كلّهُ / على أبي بكرٍ محمّدٍ / ١/٥١ بنِ عليّ بنِ الجُلنديّ. قال: وقال لي: قرأتُ القرآنَ كلّهُ على أبي بكرٍ بنِ محمّد بنِ إسماعيلَ القرشيّ. قال: وأخبرني أنه قرأ القرآنَ كلّهُ على أبي شعيبِ صالحِ بنِ زيادٍ بالرقّة، قال: وأخبرني أنه قرأ القرآنَ كلّهُ على أبي محمّد يحيى بنِ المبارك اليزيدي .

وهاء « عنه » تعود على اليزيدي، وألف « تقبلا » تثنية تعود على الدوري والسوسيّ .

* * *

وأما دِمَشْقُ الشَّامِ دارُ ابنِ عامِرٍ فتلكَ بَعْدَ اللهِ طابَتْ مُحَلِّلاً

هذا الرابعُ من السَّبعة وهو: عبدُ الله بنِ عامِرٍ^(٢) اليَحصُبيّ، قاضي دِمَشقَ في أيام الوليد بنِ عبد الملك، وإمامُ مسجدِها، ورئيسُ أهلِها، يُكنى: أبا عمران،

(١) انظر جامع البيان للداني، الفقرة ٧٧٤، السفر الأول صفحة: ٢٧٠ . وانظر الغاية ١/٣٣٣.

(٢) الإقناع ١/١٠٣-١٠٥ .

كذا كناه مُسَلِّم، وقيل: كنيته أبو نُعَيْم، وقيل: أبو عَلِيم، وقيل: أبو عثمان،
وقيل: أبو موسى، وقيل: أبو عبد الله .

ويحْصُبُ من حَمِير، وهو: يحْصُبُ - بالصاد غير معجمة وتكسر وتضمُّ،
ابن دُهْمَان بن مالك بن سعدان بن عدي بن مالك بن زيد بن سَدَد بن زُرْعَةَ
وهو حَمِير الأصغر، بن سَبَأ الأصغر بن كعب كهف الظُّلم بن سهل بن زيد
الْجَمْهُور - بَزْنَةَ السَّمَوَال - بن عَمْرُو بن قيس بن معاوية بن جُشَم - العَظْمَى
من جميع العرب -، بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جِيدَان - بالجيم -
بن قَطْن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَع بن حَمِير. هكذا صحة نسب
يحْصُبُ^(١).

وعبد الله بن عامر من التابعين، سمع أبا الدرداء، وفُضَالَةَ بن عُبيد، وواثلة
بن الأسقع، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم .
وكان رجلاً طويلاً طويل اللحية، خفيف العارض، يَنْعَعُ^(٢) بإحدى رجليه،
ذكره بعضهم^(٣).

وحكى أبو عمرو^(٤) أنه ولي القضاء بعد بلال بن أبي الدرداء^(٥)، ثم كان
على مسجد دمشق لا يرى فيه بدعة إلا غيَّرها، وكان رئيس أهل المسجد^(٦)،

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ٣٢٣-٣٢٧، والإقناع ١٠٤/١ .

(٢) لعلها يجمع بالميم. انظر التاج (جمع، خنع) .

(٣) الإقناع ١٠٤/١-١٠٥ .

(٤) انظر جامع البيان، السفر الأول ص: ١٣٠، الفقرة ٢٥١، وانظر معرفة القراء الكبار
١٦٨/١، والغاية ١٢٥/١ .

(٥) إنما ولي القضاء بعد أبي إدريس الخولاني. معرفة القراء الكبار ٦٨/١، والغاية ٤٢٥/١ .

(٦) معرفة القراء الكبار ٦٨/١، والغاية ٤٢٥/١ .

وكان عالماً خبيراً فاضلاً صدوقاً، اتخذه أهل الشام إماماً في قراءته واختياره، ولم يعد في اختياره الأثر، ولا خالف فيه النقل والخبر .

وقال أبو عبيد^(١): كان من أقرأ أهل الشام عبد الله بن عامر، وهو إمام أهل دمشق في دهره، وإليه صارت قراءتهم .

وأخبر سعيد بن عبد العزيز: أن عبد الله بن عامر ضرب خالد بن الجلاح والعلاء بن الزبير حين ارتفعت أصواتهما في العلم في المسجد .

قال ابن ذكوان وهشام: قال أيوب بن تميم^(٢): قرأ ابن عامر على رجل قرأ على عثمان بن عفان، وقرأ عثمان على النبي ﷺ .

وذكر هشام عن عراك وعن سويد هذا الرجل فقال عنهما: إنه المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان .

قال هشام: وحدثنا الوليد بن مسلم، عن يحيى بن الحارث، عن ابن عامر: أنه قرأ على عثمان نفسه، ليس بينه وبينه أحد .

قال هشام: وحدثني عراك /، عندنا أصح .

قال أبو جعفر: والوليد بن مسلم ثبت، وقد روى هشام عن مدرك بن أبي سعيد الفزاري، عن ابن عامر أنه سمع عثمان يقول: ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً

بِيَدِهِ﴾^(٣) بضم الغين^(٤)، على أنه قد روى غير هشام عن الوليد بن مسلم عن

(١) انظر جامع البيان، السفر الأول: ١٣٠، الفقرة ٢٥٤ بسندها .

(٢) في الإقناع: « قال يحيى بن الحارث الذماري » ١/١١٣، وانظر الهامش رقم (٢) .

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٤٩ .

(٤) يقرأها بضم الغين الكوفيون والشامي، قال الشاطبي:

غرفة ضمّ (ذ) وولا

يحيى بن الحارث أن ابن عامر قرأ على المغيرة، والمغيرة على عثمان .
والصحيح عن الوليد: أن ابن عامر قرأ على عثمان نفسه .
وقال محمد بن شعيب عن يحيى بن الحارث عن ابن عامر أنه قرأ على أبي
الدرداء صاحب النبي ﷺ (واسمه عويمر بن عامر الأنصاري، وأخذ أبو الدرداء
عن النبي ﷺ^(١) .

وتوفي ابن عامر بدمشق سنة ثمانى عشرة ومائة، في أيام هشام بن عبد
الملك^(٢) .

قوله: « دمشق الشام » : مبتدأ، وأضاف دمشق إلى الشام؛ لأنها منها، و« دارُ
ابن عامر » : بدل من دمشق على أن الدار يراد بها البلد، مثل قوله تعالى:
﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴾^(٣) .

وفاء « فتلك » جواب أما، و « تلك » : مبتدأ، و « طابت » خبره، و « مُحَلَّلًا » :
تمييز، والمراد بالمحلل: مكان الحلول منها، ويجوز أن يكون المراد به الحلول؛ أي:
طاب للناس الحلولُ بها من أجله، والعائد على دمشق اسم الإشارة وهو تلك ،
مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾^(٤) .

* * *

والذال رمز للمذكورين كما هو مقرر .

(١) ما بين القوسين سقط من ب . وانظر الإقناع ١١٣/١-١١٥ .

(٢) الإقناع ١٠٥/١ .

(٣) سورة الأعراف: الآية: ٧٨ .

(٤) سورة الإسراء: الآية: ٣٤ .

هشامٌ وعبدُ الله وهو انتسابُهُ لذكوانَ بالإسنادِ عنه تنقلاً

راويا ابنِ عامرٍ: هشامٌ وابنُ ذكوان.

فأما هشامٌ^(١) فهو: هشامُ بنُ عمّارِ بنِ نصيرِ بنِ أبانِ بنِ ميسرةَ السلميّ

الدمشقيّ القاضي الخطيب، يكنى أبا الوليد .

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، وتوفي بدمشق سنة خمس وأربعين ومائتين،

[وله اثنتان وتسعون سنة، وقيل: إنه توفي في سنة ست وأربعين ومائتين]^(٢) وله

تسع وثمانون سنة .

قال فيه أحمدُ بنُ عبد الله بنِ صالحٍ وأبو حاتمٍ: صدوقٌ، وقال فيه يحيى بن

معينٍ: ثقةٌ^(٣) .

وأما ابنُ ذكوانَ^(٤) فهو: عبد الله بنُ أحمدَ بنِ بشيرِ بنِ ذكوانِ القرشيُّ

الفهريُّ الدمشقيُّ. يكنى أبا عمرو. وُلِدَ يومَ عاشوراءِ سنة ثلاث وسبعين ومائة،

ومات بدمشق صبيحة الاثنين لسبعِ خلونٍ من شوالِ سنة اثنتين وأربعين

ومائتين، عاش سبعا وستين سنة .

ووقع لأبي محمدٍ مكّي: « بشر » مكان « بشير » وهو وهم^(٥) .

(١) الإقناع ١/١٠٦، والغاية ٢/٣٥٤-٣٥٦ .

(٢) بهذا تتم الفائدة، ويستقيم الكلام؛ لأن المؤلف قد نقل عن نسخة سقط منها هذا الجزء،

ولعلها نسخة (غ) التي أشار إليها محقق الإقناع والتي قال بأن السقط قد وقع فيها. انظر:

هامش (٢) ١/١٠٦ .

(٣) انظر الغاية ٢/٣٥٥ .

(٤) انظر الإقناع ١/١٠٥-١٠٦، ١١٢-١١٣ .

(٥) ذكر في التبصرة (بشر) ص: ١٩٣، وجاء في الغاية (بشر وبشير) ١/٤٠٤ .

وقرأ هشامُ وابنُ ذكوانِ عليَّ أبي سليمانِ أيوبَ بنِ تميمِ التميمي^(١).
 وقرأ أيوبُ عليَّ أبي عمَرَ يحيى بنِ الحارثِ الذمَّاري - بفتح الذال - منسوب
 إلى ذمارِ كحذام، تابعي لقي واثلة بن الأسقع، وقرأ يحيى عليَّ عبد الله بن
 عامر^(٢)، وقرأ أيضاً ابنُ ذكوانِ عليَّ الكسائي حين قدم الشامَ، وروى الحروفَ
 سماعاً عن إسحاقِ المسيبي عن نافع، وسمع أنسَ بنَ عياضٍ وبقيةَ والوليدَ بنَ
 مُسلم.

وقرأ أيضاً هشامُ عليَّ أبي الضَّحَّاكِ عراكِ بنِ خالدِ بنِ يزيدِ بنِ صالحِ بنِ
 صُبَيْحِ بنِ جُشَمِ المرِّي، وأبي الوليدِ بنِ مُسَلِّمٍ / القرشي، وسويدِ بنِ عبد العزيز،
 وعمَرَ بنِ عبد الواحدِ السُّلمي، وقرأ هؤلاء عليَّ الذمَّاري المذكور^(٣).

وارتفاعُ « هشام » في البيت بالابتداء، و « عبدُ الله » عطفٌ عليه، وهو مبتدأ
 عائدٌ عليَّ عبد الله، و « انتسابه » مبتدأ، و « لذكوان » خبره، والجملةُ خبرٌ « وهو »،
 و « تنقلا » خبرٌ عن هشامٍ وعبدِ الله، والألفُ ضميرٌ تعودُ عليهما، و « به » يتعلقُ
 بالإسناد .

* * *

وبالكُوفَةِ الغرَّاءِ منهم ثلاثةٌ أذاعوا فقد ضاعتْ شذاً وقرنُفلاً
 « الكوفة » بلدٌ معروفٌ، بينه وبين بغداد ثلاثون فرسخاً، وسميتْ كوفةً

(١) الإقناع ١/١١٢ .

(٢) الإقناع ١/١١٣ .

(٣) الإقناع ١/١١٢-١١٣

لاستدارتها، أُخِذَتْ مِنَ الْكُوفَانِ^(١)؛ (وهي الرَّمْلَةُ المستديرة)، أو لاجتماع الناس فيها، مِنْ تَكْوَفِ الرَّمْلِ إِذَا رَكَبَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَقِيلَ: لِأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنَ الْبِلَادِ، أَخَذَتْ مِنْ قَوْلِكَ: كِفَتُ الشَّيْءِ أَكَيْفُهُ كَيْفًا: قَطَعْتَهُ، وَالْأَصْلُ عَلَى هَذَا: كَيْفَةَ، فَقَلِبْتَ الْيَاءَ وَأَوَّأَ لِسُكُونِهَا وَانضِمَامِ مَا قَبْلَهَا، وَهَذَا جَارٍ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ^(٢)، أَعْنِي قَلَبَ الْيَاءَ وَأَوَّأَ فِي مِثْلِ قُفْلٍ مِنَ الْبَيْعِ يَقُولُ فِيهِ: بُوعَ، وَأَمَّا سَبِيوِيهِ^(٣) فَيَقُولُ فِيهِ: بِيَعُ، فَيَقْلِبُ الضَّمَّةَ كَسْرَةً لِتَصِحَّ الْيَاءُ، فَلَا تَكُونُ الْكُوفَةُ عَلَى مَذْهَبِ سَبِيوِيهِ إِلَّا مِنْ تَكْوَفِ الرَّمْلِ، أَوْ مِنَ الْكُوفَانِ .

وَيُرَى سَبِيوِيهِ^(٤) أَنَّ قِيْرًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فُعْلًا وَفِعْلًا، وَأَبُو الْحَسَنِ لَا يُجِيزُ فِيهِ إِلَّا فِعْلًا، لِأَنَّ تَغْيِيرَ الضَّمَّةِ عِنْدَهُ لَا يَجُوزُ، وَبَسَطُ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ .

و « الْغَرَاءُ » : صِفَةٌ لِلْكُوفَةِ بِمَعْنَى الْمَشْهُورَةِ، مِنَ الْغُرَّةِ: وَهُوَ بِيَاضٌ فِي الْجَبْهَةِ، أَوْ بِمَعْنَى الْفُضْلَى؛ لِحُلُولِ الْقَرَاءِ فِيهَا، مِنَ غُرَّةِ الْمَتَاعِ وَهُوَ أَفْضَلُهُ^(٥).
و « أَذَاعُوا » : أَفْشَوْا، يُقَالُ: ذَاعَ الشَّيْءُ يَذِيْعُ ذُيُوعًا: انْتَشَرَ، وَرَجُلٌ مَذِيَاعٌ: لَا يَكْتُمُ السِّرَّ، وَضَاعَ الطَّيْبُ وَتَضَوَّعَ: إِذَا تَحَرَّكَ رِيْحُهُ، وَالشَّدَا: ذِكَاؤُ رِيْحٍ

(١) الصحاح (كوف) .

(٢) انظر هامش (٢) من الكتاب ٣٦٠/٤ وفيه: « فإذا كان (فعل) يعني الواحد لم يقل أبو

الحسن إلا (بوض) »

(٣) الكتاب ٣٦٠/٤ .

(٤) انظر الكتاب ٥٩٥/٣ .

(٥) الصحاح (غرر) .

العُود، قال الشاعر^(١):

إِذَا مَا مَشَتْ نَادَى بِمَا فِي ثِيَابِهَا رِيحُ الشُّذَا وَالْمَنْدَلِيُّ الْمُطِيرُ
أخبر أن بالكوفة ثلاثة من الأئمة السبعة، أفشوا بها العلم، وتعطرت هي
بسبب ذلك، فثلاثة « مبتدأ، و « بالكوفة » خبره، و « منهم » صفة لثلاثة، قدّمه
فنصبه على الحال كقوله^(٢):

فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمَثَلِي تَفَاقَدُوا وَفِي الْأَرْضِ مَبْثُوثًا شُجَاعٌ وَعَقْرَبٌ
ومفعول « أذاعوا » محذوف، أي: أذاعوا العلم بها، وينتصب « شذاً » على
التمييز؛ أي: ضاع شذاها وقرنفلها، وهما كنايةتان عن العلم . ويجوز أن ينتصب
على حدّ ما انتصب قول امرئ القيس^(٣):

إِذَا التَّفَتُّ نَحْوِي تَضَوَّعَ رِيحُهَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْنَفَلِ / ١/٥٤

* * *

فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمَبْرُزُ أَفْضَلَا
وَذَاكَ ابْنُ عِيَّاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرَّضَا وَحَفْصٌ وَبِالْإِتْقَانِ كَانَ مُفْضَلَا
ذكر في هذين البيتين الخامس من السبعة، وهو الأول من الثلاثة الكوفيين،
وذكر أيضاً راوِيه.

فَأَمَّا الْإِمَامُ فَهُوَ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ^(٤)، الضَّرِيرُ الْكُوفِيُّ، وَيُقَالُ: ابْنُ

(١) منسوب في اللسان والصحاح (شذا) إلى ابن الإطنابة، وقال ابن بري: للعجير السلولي،
ويروى (ذكي الشذا) .

(٢) من الطويل، وهو في الجيم لأبي عمرو الشيباني بلا نسبة، في باب الضاد ١٩٣/٢ .

(٣) ديوانه: ١٥ .

(٤) الإقناع ١/١١٥ .

بَهْدَلَةَ، وقيل: أبو النَّجُود هو بَهْدَلَةُ، وقيل اسم أبي النَّجُود: عبدٌ^(١)، وبهدلة اسم أمه، وهو مولى بني جَذِيمَةَ بن مالك بن نصير بن قُعين بن أسد، ويكنى أبابكر. وهو من التابعين^(٢)؛ لأنه روى عن أبي رُمثة صاحب رسول الله ﷺ، وسمع الحارث بن حَسَّان، وافد بني بكر. روى عنه القراءة والحديث خلقٌ كثير، وتصدر للإقراء عند موت أبي عبد الرحمن السُّلَمي^(٣).

قال أبو بكر^(٤): كان أبو عبد الرحمن يُقرئ الناس في المسجد، فلما هلك، جلسَ عاصمٌ، وذلك سنة ثلاث وسبعين إلى أن توفي بالكوفة، وقيل بطريق الشام سنة سبع وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وعشرين ومائة في أيام مروان بن محمد الجَعدي، آخر خلفاء بني أمية^(٥).

قال أبو إسحاق السَّبَّعي^(٦): كان عاصمٌ من أئمة الحديث في زمانه وفي الفقه وعلم العربية، وما رأيتُ أحداً أقرأ من عاصم، وكان حسن الصوت، يُحبُّ الناسُ قراءته والاستماعَ إليه، وكان عابداً خيراً كثيراً الصلوات، وكان لا يزال في المسجد يوم الجمعة حتى يصلي العصر.

(١) في الغاية ٣٤٧/١ (عبد الله).

(٢) في هامش ب كتب: «من الطبقة الثالثة».

(٣) عبد الله بن حبيب بن ربيعة، مقرئ الكوفة، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم، وحدث عن عمر وعثمان - رضي الله عنهما - ، توفي سنة ٧٣، أو ٧٤ هـ. معرفة القراء الكبار ٤٥/١.

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ٧٣/١.

(٥) كتب في هامش ب: «وقيل بقرية بالري».

(٦) انظر الغاية ٣٤٧/١.

وقال أبو بكر بن عياش^(١): سمعتُ أبا إسحاق^(٢) يقول: ما رأيتُ أقرأ من عاصم، فقلتُ: هذا رجلٌ لقي أصحابَ عبدِ الله، فدخلتُ المسجدَ من أبوابِ كندة، فإذا رجلٌ عليه جماعة، وعليه كِسَاءٌ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا عاصمٌ، فأتيتُهُ فدنوتُ منه، فلما تكلمَ قلتُ لأبي إسحاق: ...^(٣)

وقال [أبو كريب]:^(٤) كان الأعمشُ وعاصمُ وأبو حُصَيْن سِوَاءَ كُلِّهِمْ لَا يُصْرُونَ، وجاءَ رجلٌ يوماً يَقُودُ عاصمًا قال: فوقع وقعَةً شديدةً، فما انتهره ولا قال له شيئاً^(٥).

وعن أبي بكر بن عياش قال: رأيتُ مِسْعَرًا يَقْرَأُ عَلَيَّ عاصم، فمرَّ بحرفٍ فَلَحَنَ فِيهِ، فقال له عاصمٌ: أَرُغَلْتَ يَا أبا مَسْلَمَةَ، قال: فسألتُ عن الإِِرْغَالِ، فقال: هو الحَمَلُ تَفْطِئُهُ أُمُّهُ، ثم يَعُودُ فِي اللَّبَنِ بَعْدَ الْكَبِيرِ^(٦)، فكأنَّ عاصمًا أَرَادَ: عُدَّتْ إِلَى لِحْنِ الصَّبَا .

- (١) انظر معرفة القراء الكبار ٧٤/١ .
- (٢) عمرو بن عبد الله بن علي، أبو إسحاق السبيعي الكوفي، الإمام الكبير، قرأ عرضاً على عاصم بن ضمرّة وأبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش، وعليه حمزة الزيات، توفي سنة ١٣٢ هـ. انظر الغاية ٦٠٢/١ .
- (٣) بياض في الأصل . وفي هامش (أ) ص: ٤٨ بخط غير خط المؤلف: « في المبيضة بخطه: قلت: (ثم كلمة غير واضحة) لأبي إسحاق (ثم كلمة غير واضحة) يقول ما قال « ولعل صوابها: قلت: حقّ لأبي إسحاق أن يقول ما قال) والله أعلم .
- (٤) « أبو كريب » هو محمد بن العلاء الهمداني، روى عن ابن المبارك وأبي بكر بن عياش. الجرح والتعديل للرازي ٥٢/٨ .
- (٥) انظر معرفة القراء الكبار ٧٥/١ .
- (٦) انظر (رغل) في الصحاح، ومنه قول الشاعر:

يسبق فيها الحمل العجياً
رغلاً إذا ما أنس العشيّاً

وقال أبو بكر: قال عاصم: من لم يُحسِّنْ من العربية إلا وجهاً واحداً لم يحسِّنْ شيئاً^(١).

وقال: كان عاصمٌ يبدأ بأهل السوق في القراءة^(٢).

وقال عاصمٌ: كنا نأتي أبا عبد الرحمن ونحن غِلْمَةٌ أيفاعٌ^(٣).

وقال أبو بكر^(٤): كان عاصمٌ ربما أتى حاجةً، فإذا رأى مسجداً قال: مل بنا

فإنَّ / حاجتنا لا تفوتُ، فيدخلُ فيصلي .

١/٥٥

وقال عنه: سمعتُ الحجاجَ بنَ يوسفَ يقرأُ على المنبر: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٥) رفعاً^(٦)، فقال عاصمٌ: لم يُصِرْ

الحجاجُ إعرابها .

وقرأ عاصمٌ على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلَميِّ، وقرأ أبو عبد

الرحمن على عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومنه تعلَّم القرآن، ثم قرأ بعد ذلك

على عثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت

رضي الله عنهم، وقرأوا على النبي ﷺ .

وقرأ عاصمٌ أيضاً على أبي مريم زُرِّ بن حُبَيْشِ الأَسديِّ، وقرأ زُرُّ على ابن

مسعود، ثم قرأ بعد ذلك على عثمان، وقيل عنه: إنه قرأ أيضاً على أبي زيدٍ

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٢٥٨/٥، ومعرفة القراء الكبار ٧٥/١ .

(٢) انظر الغاية ٣٤٧/١ .

(٣) انظر معرفة القراء الكبار ٧٥/١ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ٧٦/١ .

(٥) سورة الأعراف: ٣٢ .

(٦) وهي قراءة نافع .

على النبي ﷺ^(١).

وراويا عاصم: أبو بكرٍ وحفص:

فأما أبو بكر^(٢) فهو: أبو بكر بن عياش بن سالم الخياط^(٣) الكوفي الأسيدي الكاهلي مولى لهم. وكاهل بن أسد بن خزيمه، وقال ابن قتيبة^(٤): هو مولى واصل بن حيّان الأحديب، وقيل: إنه مولى لبني^(٥) نهشل بن دارم^(٦) بن مالك بن حنظلة.

واختلف في اسمه، فقيل: شعبة، وقيل: سالم، وقيل: عنزة، وقيل: محمد، وقيل: أحمد، وقيل: حماد، وقيل: مطرف، وقيل: عبد الله، وقيل: روبة، وقيل: عتيق، وقيل: حسين، وقيل: عطاء، وقيل: اسمه كنيته^(٧).

تعلم القراءة من عاصم خمسا خمسا كما يتعلم الصبي من المعلم، وذلك في نحو من ثلاث سنين، وكان يأتيه في الحرّ والبرد، وربما خاض المطر فيبلغ ساقيه، فيرفع سراويله، وكان يقوم الليل، ويقال: إنه لم يفتش له فراش خمسين سنة^(٨).
وحكى صالح بن أحمد عن أبيه قال: كان أبو بكر بن عياش ثقة صدوقاً،

(١) انظر معرفة القراء الكبار ٧٣/١-٧٧، والغاية ٣٤٦/١-٣٤٧.

(٢) الإقناع ١١٦/١، ومعرفة القراء الكبار ١١٠/١-١١٤، والغاية ٣٢٥/١-٣٢٧.

(٣) (الحناط) في معرفة القراء الكبار ١١٠/١، والإقناع ١١٦/١، وقيدها ابن الجزري بالنون في

الغاية ٣٢٥/١. وانظر تبصير المشتبه بتحريف المشتبه لابن حجر ٥١٦.

(٤) الإقناع ١١٦/١.

(٥) في ب: «أبي».

(٦) انظر المعارف لابن قتيبة: ٤٩٠.

(٧) انظر معرفة القراء الكبار ١١٣/١-١١٤.

(٨) انظر معرفة القراء الكبار ١١٢/١.

كبير السنّ، وكان له فقه، وكان يُخطئُ بعضَ الخطأ^(١)، وتعبّد سبعين سنة، وكان يقول: أنا نصفُ الإسلام^(٢).

ولما حضرته الوفاةُ بكت ابنته، فقال: يا بُنَيَّةُ لا تبكي، أتخافين أن يعذبني الله عزَّ وجلَّ، وقد ختمتُ في هذه الزاوية أربعةً وعشرين ألفَ ختمة^(٣).

وحُكي عن أبي بكر أنه قال: ذهبت الصلاةُ مني، وضعفتُ، ورقَّ عظمي، إني اليوم لأصلي فما أقوى إلا بالبقرة وآلِ عمران وأنا قائمٌ.

وقال حمزة^(٤): سعيد المروزي - وكان ثقةً مأموناً: سألتُ أبا بكر بنَ عيَاش فقلتُ: يا أبا بكر قد بلغك ما كان من أمر ابنِ عُلَيَّةَ في القرآن، فما تقولُ فيه؟ فقال: استمعُ إليّ، ويلك، مَنْ زَعَمَ أَنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ زنديقٌ، عدوُّ الله، لا تجالسُهُ ولا تكلمهُ.

وقال يحيى بنُ سعيد^(٥): زاملتُ أبا بكر بنَ عيَاش إلى مكة، فما رأيتُ أروعَ منه، ولقد أهدى إليه رجلٌ من أهل الكوفة رُطباً، فبلغه أنه من البستان الذي قبضَ عن خالد بن سلّمة المخزوميّ، فأتى آلَ خالدٍ، فاستحلّهم، وتصدّقَ بثمنه. وقال يحيى بن آدم^(٦): قال لي أبو بكر بنُ عيَاش: إنك لتسألني عن شيء من

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٢ .

(٢) الغاية ١/٣٢٦ .

(٣) في معرفة القراء الكبار ١/١١٤، والغاية ١/٣٢٧ «ثمانية عشرة ألف ختمة» .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٢، والغاية ١/٣٢٦، وفيها: حمزة بن سعيد المروزي.

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٣ .

(٦) صاحب طريق شعبة، قال الإمام الإفرائي في مقصوده:

يحيى بن آدم طريق شعبة

١/٥٦ هذه الحروف قد أعملتُ نفسي فيه زماناً سنةً بعد سنة / في الصيف والشتاء، والأمطار، وذكر من اهتمامه بهذه الحروف وطلبه لها من عاصم اهتماماً وطلباً شديداً، وقال: إنما تعلمتُ من عاصم القرآن، كما يتعلمُ الصبيُّ من المعلم، فما أحسنُ غيرَ قراءةِ عاصم^(١).

وقال عبيدُ بنُ يعيشَ: سمعتُ أبا بكرِ بنَ عيَّاشٍ يقول: ما رأيتُ أفقهُ من مغيرةَ، فلزمتُهُ، وما رأيتُ أقرأ من عاصمٍ، فقرأتُ عليه^(٢).

وقال عبدُ الباقي بنُ الحسن: لما توفي عاصم، قيل لأبي بكر بنِ عيَّاش: اجمع الناسَ على قراءةِ عاصم، وانصبْ نفسك للأخذِ عليهم، فامتنع من ذلك، فرجع الناسُ إلى قراءةِ حمزة إلى أن توفي، ثم سئلَ أبو بكر للانتصاب للأخذ على الناس، فامتنع، فصارت الإمامةُ بالكوفة بعد وفاة حمزة إلى الكسائي إلى أن توفي، ثم سئلَ أبو بكر الأخذَ على الناس فامتنع، ولم يأخذ على أحدٍ من الناس .

وتوفي أبو بكر بالكوفة في جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وتسعين ومائة، في خلافة الأمين . وفي هذا الشهر مات هارونُ الرشيد بطوس .

وكان مولد أبي بكر سنة أربع وتسعين، فعاش تسعاً وتسعين سنة، وقيل: توفي سنة أربع وتسعين ومائة .

وأما حفص^(٣) فهو: أبو عمر حفصُ بنُ أبي داودَ سليمان بنِ المغيرة الأسديُّ الغاضريُّ مولاهم الكوفي. وكان يُلقَّبُ بحُفيص، وهو ثقةٌ في القراءة،

(١) انظر معرفة الكبار ١/١١٤ .

(٢) انظر معرفة الكبار ١/١١٤ .

(٣) الإقناع ١/١١٧ .

ثَبَّتْ فِي نَقْلِهَا عَنْ عَاصِمٍ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا فِي الْحَدِيثِ .
 قَالَ ابْنُ مَعِينٍ^(١): الرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ الْمَرْوِيَةُ عَنْ عَاصِمٍ هِيَ قِرَاءَةُ حَفْصٍ،
 وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِقِرَاءَةِ عَاصِمٍ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو^(٢): وَهُوَ الَّذِي أَخَذَهَا تِلَاوَةً عَلَى النَّاسِ بَعْدَ عَاصِمٍ .
 وَنَزَلَ بَغْدَادَ فَأَقْرَأَ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ فَأَقْرَأَ بِهَا، وَكَانَ يَجِيئُ بِنِ مَعِينٍ يَقُولُ: كَانَ
 حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِقِرَاءَةِ عَاصِمٍ، وَكَانَ
 حَفْصُ أَقْرَأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ^(٣). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّقَاشُ: حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ
 صَاحِبُ الْقِرَاءَةِ كُوفِيٌّ، يُقَالُ: تَزَوَّجَ عَاصِمٌ أُمَّهُ .

وَقَالَ حَفْصٌ: قَالَ لِي عَاصِمٌ، مَا كَانَ مِنَ الْقِرَاءَةِ الَّتِي أَقْرَأْتُكَ، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ
 الَّتِي قَرَأْتُ بِهَا عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَا كَانَ مِنَ
 الْقِرَاءَةِ الَّتِي أَقْرَأْتُهَا أَبَا بَكْرٍ بْنَ عِيَّاشٍ، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِضُهَا عَلَى زُرِّ بْنِ
 حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ^(٤).

قَالَ الْأَهْوَازِيُّ: تَوَفَّى سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةً، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً^(٥).
 قَوْلُهُ:

« فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ »

ذَكَرَ اسْمَ عَاصِمٍ وَكُنْيَتَهُ، وَ « أَبُو بَكْرٍ » : مُبْتَدَأٌ خَبْرُهُ قَوْلُهُ: « فَشَعْبَةُ رَاوِيَةٌ » ،

(١) الغاية ١/٢٥٤ .

(٢) الغاية ١/٢٥٤ .

(٣) الغاية ١/٢٥٤ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٦ .

(٥) الإقناع ١/١١٧، ومعرفة القراء الكبار ١/١١٦-١١٧، والغاية ١/٢٥٤-٢٥٥ .

وهي الجملة من المبتدأ والخبر، وقوله: «وعاصمُ اسمه»: جملة اعتراضية بين لمبتدأ وخبره، و«المبرز»: صفة لشُعبة، وهو من قولك: برزَّ الفرسُ على الخيل: سبق^(١). و«أفضلاً»: حال من الضمير في المبرز، بمعنى فاضلاً. يشير إلى ما رُوي عنه من التقدم في العلم والعمل، و«ذلك»: مبتدأ، و«هو» إشارة إلى شعبة، أخبر باسم أبيه وبكنيته.

واقصر الناظم - رحمه الله - من أسمائه على شعبة لشهرتها، و«الرضا»: صفة / نحو: رجلٌ عدلٌ، و«حفص»: مبتدأ محذوف الخبر، التقدير: وحفص^{١/٥٧} راويه، وهذا كقولك: زيدٌ قائمٌ وعمرو؛ أي: وعمرو قائم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾^(٢). قال أبو علي^(٣): التقدير: واللّائي لم يحضن ثلاثاً أشهر. ويتعلق «بالإتقان^(٤)» بـ(مفضلاً)، يشير إلى ما رُوي عن ابن معين.

* * *

وَحَمْزَةٌ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مَتَوَرِّعٍ إِمَامًا صُبُورًا لِلْقُرْآنِ مُرْتَلًا

هذا السَّادِسُ مِنَ السَّبْعَةِ، وَهُوَ الثَّانِي مِنَ الثَّلَاثَةِ الْكُوفِيِّينَ، وَهُوَ أَبُو عُمَارَةَ حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبٍ^(٥) بْنِ عُمَارَةَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكُوفِيِّ الزِّيَّاتُ الْفَرَضِيُّ التِّيمِيُّ، مَوْلَى لَهُمْ، وَيُقَالُ: هُوَ مَوْلَى لَالَ عَكْرَمَةَ بْنِ رَبِيعٍ التِّيمِيِّ، وَقِيلَ: هُوَ مَوْلَى لِبْنِي عَجَلٍ،

(١) انظر الصحاح واللسان والتاج (برز).

(٢) سورة الطلاق: الآية: ٤.

(٣) انظر الإيضاح العضدي ص: ٨٩.

(٤) في ب: «بالاتفاق».

(٥) الإقناع ١/١٢٥.

وقيل: هو من ولد أكرم بن صيفي حكيم العرب، وأكثرهم من بني شريف، وبنو شريف من قبائل بني أسيد بن عمرو بن تميم، قاله ابن دريد^(١).

وكان حمزة يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، وقال أبو حنيفة وسفيان الثوري ويحيى بن آدم: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، وكان صالحاً ورعاً ثقة في الحديث^(٢).

وكان الأعمش إذا رآه يقول: هذا جبر^(٣) القرآن.

وقال فيه شريك: ما علمتُ أحداً بالكوفة أقرأ منه، ولا أفضل.

وكان محمد بن فضيل يقول: ما أحسب أن الله عز وجل يرفعُ البلاءَ عن

أهل الكوفة إلا بحمزة^(٤).

وكان إذا لقيه أحدٌ لم يلقه إلا وهو يقرأ، وكان يختم في كل شهر خمساً

وعشرين ختمة، وكان إذا فرغ من إقراء القرآن صلى أربع ركعات، وكان

يُصلي ما بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وكان لا ينام الليل، وكان

جيرانه يسمعون ترتيله القرآن.

وقال حمزة رحمه الله: رويت ألف حديث بإسنادٍ عن رسول الله ﷺ

فرايتُ رسولَ الله ﷺ في منامي، (فقلتُ)^(٥): يا رسولَ الله بأبي أنت وأمي، قد

رويتُ ألفَ حديثٍ بإسنادٍ عنك أفأقرأها عليك؟ قال: نعم، فقرأتها عليه كلها

(١) الاشتقاق لابن دريد: ٢٠٧.

(٢) الإقناع ١/١٢٥، ومعرفة القراء الكبار ١/٩٥.

(٣) معرفة القراء الكبار ١/٩٤.

(٤) معرفة القراء الكبار ١/٩٦، والغاية ١/٢٦٣.

(٥) سقط من ب.

بإسنادها عنه، فزورَها كلها إلا أربعة أحاديث، وقال: لم أتكلّمُ بها، فقلتُ: يا رسولَ الله بأبي أنتَ وأمي، إني قرأتُ القرآنَ أفأقرأهُ عليك، فقرأتُهُ عليه من أوله إلى آخِرِهِ، فقال: كذا أنزلَ عليّ، كذا أنزلَ عليّ^(١).

وحكى أبو الحسن عليُّ بنُ سعيدٍ^(٢)، العابدُ المعروفُ بابن أبي طالب القيروانيِّ بسنده إلى سليمانَ بنِ عيسى قال: دخلتُ على حمزةَ بنِ حبيب الزيات فوجدته يمرغُ خديه في الأرض ويكي، فقلتُ: أعينك بالله، فقال: بهذا استعدتُ، قلتُ: فماذا؟ قال: أريت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت، وقد دُعي بقراء القرآن فكنتُ فيمن حضر، فسمعتُ قائلاً يقول بكلامٍ عذب: لا يدخل عليّ إلا من عمل بالقرآن، فرجعت القهقري، فهتف باسمي: أين حمزة ابن حبيب الزيات؟ فقلتُ: لبيك داعي الله لبيك، فبدرني ملكٌ، فقال: قل: لبيك اللهم لبيك، فقلتُ كما قال، فأدخلني داراً سمعتُ فيها ضجيجَ القرآن، فوقفتُ أرعدُ، فسمعتُ قائلاً يقول: لا بأس عليك، ارقِ واقراء، فأدرتُ وجهي

فإذا أنا بمنير من درٍ / أبيض، دفتاه من ياقوتٍ أصفر، مراقيه من زبرجدٍ أخضر،^{١/٥٨}
فقال لي: ارقِ واقراء، فقرأتُ، فقيل لي: اقرأ سورة الأنعام، فقرأتُ وأنا لا أدري
على من أقرأ حتى بلغتُ رأسَ ستين آية، فلما بلغتُ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ

(١) قال ابن غلبون: فدل هذا على صحة قراءة حمزة، وجهل من يلحنه فيها، ويرد عليه بأنه كان

متبعاً لمن أخذ عنه. انظر التذكرة ١/١٦٧، والدرة الفريدة ٤٧/أ.

(٢) ذكر الخبر بسنده المتعجب الهمداني في الدرّة الفريدة عند شرحه للبيت قال: وأخبر الشيخ أبو

الجود رحمه الله بالإسناد المذكور عن أبي الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون المقرئ ... إلى سليمان بن عيسى، ثم ذكره. انظر الدرّة الفريدة لوحة ٤٦ رقم المخطوط:

عِبَادِهِ»^(١) قال لي: يا حمزة ألسنتُ القاهرَ فوق عبادي؟ قال: فقلتُ: بلى، قال: صدقتَ اقرأ، فقرأتُ حتى أتممتها، ثم قال لي: اقرأ فقرأتُ الأعرافَ حتى بلغتُ آخرها، فأوميتُ بالسجود، فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة، من أقرأك هذه القراءة؟ فقلتُ: سليمان، قال: صدقتَ، فمن أقرأ سليمان؟ فقلتُ: يحيى، قال: صدق يحيى، على من قرأ يحيى؟ قلتُ: (على أبي عبد الرحمن السلمي، قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمي، فمن أقرأ أبا عبد الرحمن؟ قلتُ^(٢)): ابنُ عمِّ نبيك عليُّ، قال: صدق عليُّ، فمن أقرأ علياً؟ قلتُ: نبيك، قال: ومن أقرأ نبيي، قال: قلتُ: جبريل، قال: ومن أقرأ جبريل، قال: فسكتُ، فقال لي: يا حمزة قل: أنت، قال: فقلتُ: ما أحسنُ أن أقول: أنت، قال لي: قل: أنت، فقلتُ: أنت، فقال لي: صدقتَ يا حمزة، وحقَّ القرآنُ لأكرمَنَّ أهلَ القرآنِ لا سيما إن عملوا بالقرآنِ يا حمزة . القرآنُ كلامي، وما أحببتُ أحداً كحبي لأهل القرآن، أذنُ يا حمزة، فدنوتُ، فغمر يده في الغالية^(٣)، ثم ضمخني بها، وقال لي^(٤): لستُ أفعلُ بكَ وحدك، قد فعلتُ ذلكَ بنظرائك، من فوقك، ومن دونك، ومن أقرأ القرآنَ كما أقرأته ولم يرد به غيري، وما خبأتُ لك يا حمزة أكثرُ، فأعلمُ أصحابك بمكاني من جبي لأهل القرآنِ وفعلي بهم، فهم المصطفون الأخيار، يا حمزة: وعزتي وجلالي لا عدبتُ لساناً تلا القرآنَ بالنار، ولا قلباً وعاه، ولا أذنأ سمعته، ولا عينأ نظرتُهُ. أفتلومني أن أبكي وأتمرغ في التراب؟!!

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٨ .

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) نوع من الطيب .

(٤) « لي » من ب .

وكان حمزة - رحمه الله - من الطبقة الثالثة، ولد سنة ثمانين^(١)، وأحكم القراءة وله خمس عشرة سنة، وأمّ الناس سنة مائة^(٢)، وتوفي بجلوان بموضع يقال له: باغ يوسف^(٣)، في خلافة أبي جعفر، سنة ست وخمسين ومائة، وله ست وسبعون سنة^(٤).

قال^(٥) غير واحد عنه: إنه أخذ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش، قيل: عرضاً، وقيل: سماعاً للحروف حرفاً حرفاً^(٦). وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم، وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله أبي مريم زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي مسلم عبدة بن عمرو بن قيس السلماني قاضي البصرة، وأبي شبل علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي، وأبي عبد الرحمن الأسود بن يزيد النخعي، وأبي عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني الوادعي، وأبي معاوية عبدة بن نضيلة الخزاعي، وقرأوا على عبد الله بن مسعود، وقرأ على النبي ﷺ.

وقرأ أيضاً حمزة على حمران بن أعين مولى بني شيان، الكوفي، وقرأ على يحيى بن وثاب كالأول.

وقيل: بل قرأ على عبدة بن نضيلة نفسه، ويمكن أن يقرأ عليهما جميعاً، وقرأ

(١) الإقناع ١/١٢٥، ومعرفة القراء الكبار ١/٩٣.

(٢) الإقناع ١/١٢٥.

(٣) انظر معجم البلدان ١/٣٢٥.

(٤) المعارف: ٩٢٥، والإقناع ١/١٢٦.

(٥) الإقناع ١/١٣٤-١٣٧.

(٦) الإقناع ١/١٣٤ قال: «وهذا والعرض سواء».

أيضاً حُمرانُ عليّ أبي حرب بن أبي الأسود الدِّليّ، وقيل: بل قرأ عليّ أبي
 الأسود نفسه. وقرأ أبو حرب عليّ أبيه، وقرأ أبوه عليّ / بن أبي طالب،
 وقرأ عليّ عليّ النبي ﷺ .
 وقرأ أيضاً حمزةُ عليّ [أبي عبد الرحمن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي
 ليلي] ^(١).

وكان ابنُ أبي ليلي ضابطاً للقراءة، ويقال: إن حمزة عنه أخذ التحقيق .
 وقرأ عليّ المنهال بن عمرو، وسعيد بن جبير، وقرأ عليّ ابن عباس، وقد
 تقدم إسناده.
 وقرأ أيضاً محمّد عليّ أخيه عيسى، وقرأ أخوه عليّ أبيه، وقرأ أبوه عليّ
 ابن أبي طالب .

وقرأ أيضاً حمزةُ عليّ أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عن آبائه، وعليّ
 أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبّيعي عن أصحاب عبد الله، ولم يقرأ حمزةُ
 حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ^(٢).

قوله: « ما أزكاه من متورّع » : أزكاه من قولهم: رجلٌ زكيٌّ تقيٌّ، وقومٌ
 أزكياءُ .

ويقال منه: زكا الرجل زكاءً؛ صار عدلاً مرضياً، والمتورّع: من قولك:
 تورّع الرجل تخرّج؛ أي: كفّ عن الإثم، ومنه صدرٌ حرّجٌ وحرّجٌ: ضيقٌ لا
 يحتمل شيئاً. ويقال: ورّعتُ الرجل: كففته، وورّع الرجل ورعاً فهو ورِعٌ

(١) في ب مكان ما بين المعقوفين: « أبي عبد الله جعفر بن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي » .

(٢) معرفة القراء الكبار ١/٩٣-٩٩، والغاية ١/٢٦١-٢٦٣، والإقناع ١/١٣٧ .

منه^(١).

وكان حمزة - رحمه الله تعالى - كما وصفه الناظم زكياً متورعاً، لم يصف أحداً من السبعة بما وصفه به من الزهد والتحرز، وكان من جملة ورعه ترك أخذ الأجرة على القرآن .

قال أبو الحسن^(٢) علي بن محمد المعافري الشهير بابن القابسي: كان مالك^(٣) يقول: كل من أدركت من أهل العلم لا يرون بأجر معلّم الكتاب بأساً^(٤). وقال ابن وهب^(٥) في موطئه: سمعت مالكا يقول: لا بأس بأخذ الأجرة عن تعلم القرآن في الكتاب .

ويحكى عن ابن وهب^(٦) أنه قال: كنتُ جالسا عند مالك - رحمه الله - ، فأقبل إليه معلّم الكتاب، فقال: يا أبا عبد الله، إني رجلٌ معلّم الصبيان، وإنه بلغني شيءٌ فكرهتُ أن أشارط، وقد امتنع الناسُ عليّ، وليس يُعطوني كما كان يُعطى، وقد أضرتُ بعيالي، وليس لي حيلةٌ إلا التعليم، فقال مالك: اذهب فشارط، فانصرف الرجلُ، فقال له بعضُ جلسائه: يا أبا عبد الله تأمره أن

(١) انظر الصحاح (ورع) .

(٢) علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني، أبو الحسن بن القابسي، عالم المالكية في عصره، فقيه أصولي، حافظ للحديث وعلله، له ملخص الموطأ وغيره. انظر نكت الهميان ٢١٧ .

(٣) انظر المدونة، إجازة المعلم ٤/٤١٩-٤٢٠ ، والمقدمة لابن رشد ٢/٦٣٠-٦٣١ .

(٤) انظر حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل ٧/١٤، الإجازة .

(٥) انظر الزرقاني على خليل، باب في الجعل ٧/٨١ .

(٦) عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد الفهري، أحد الأئمة، ثقة كبير، أخذ القراءة عرضاً عن نافع، وروى أحمد بن صالح أبو طاهر وغيره، وهو من أصحاب مالك، له كتب منها: الموطأ في الحديث كتابان صغير وكبير، وله شرح على موطأ مالك. توفي سنة ١٩٧ هـ. الوفيات ١/٢٤٩، والمدارك ٢/٨٣ .

يَشْتَرِطُ عَلَى التَّعْلِيمِ، فَقَالَ لَهُمَ مَالِكٌ: نَعَمْ، فَمَنْ يَحْفَظُ لَنَا صَبِيَانَنَا وَيُؤَدِّبُهُمْ لَنَا لَوْلَا الْمُعَلِّمُونَ؟ أَيُّ شَيْءٍ كُنَّا نَكُونُ؟

قال: وقد احتج كثير من علمائنا في جواز أخذ الإجازة بشرطٍ كانت أو بغير شرطٍ أنَّ الناسَ قد عملوا به، وأجازوه، وذكروا ذلك عن عطاء بن أبي رباح، وعن الحسن البصري، وعن غير واحد من أئمة الصالحين، وقد كره بعض العلماء الشرطَ فيه، وأجازوه من غير شرطٍ^(١).

قال الشعبي^(٢): لا يَشْتَرِطُ المُعَلِّمُ إِلَّا أَنْ يُعْطَى شَيْئًا فَيَقْبَلُهُ .

قال ابن القابسي^(٣): وَذُكِرَ فِي الصَّحِيحِ^(٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: انطَلَقَ نَفَرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي سَفَرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ، فَلَدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ لَمْ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ^(٥)، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَدَيْكُمْ^(٦)، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنْ

سَيِّدَنَا لَدِغَ، فَسَعَيْنَا^(٧) لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ لَمْ^(٨) يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ / عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ ١/٦٠

(١) انظر الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر ٧٥٥/٢، وأسهل المدارك شرح إرشاد السالك للكشناوي ٣٤٧/٢ .

(٢) انظر المعيار المعرب ٢٥٢/٨ .

(٣) في ب: « قال القابسي » .

(٤) انظر فتح الباري، كتاب الإجازة، باب ما يعطى بالرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، وكتاب الطب، باب الرقي بفاتحة الكتاب، وكتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب بلفظ آخر .

(٥) في الصحيح: « لا ينفعه شيء » .

(٦) لديكم) ليس في الرواية المطبوعة من الصحيح .

(٧) في الصحيح « وسعينا » .

(٨) في الصحيح: « لا ينفعه شيء » .

شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن^(١) استضفناكم فلم تضيفونا! فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطعٍ من الغنم، فانطلق فدخل عليه، فقرأ عليه^(٢): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فكأنما أنشط^(٣) من عقال، فانطلق يمشي وما به من علة^(٤)، قال: فدفعوا لهم^(٥) جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسما، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك^(٦) له، فقال: وما يدريك^(٧) أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، فاقسموا^(٨) واضربوا لي بسهم معكم منها^(٩)، وضحك^(١٠) النبي ﷺ.

وقال البخاري^(١١): قال ابن عباس عن النبي ﷺ: أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتابُ الله .

-
- (١) في الصحيح: « ولكن والله لقد استضفناكم » .
 - (٢) في الصحيح: « فانطلق يتفل عليه ويقرأ » .
 - (٣) في الصحيح: « نُشِطَ » وأنشط: رواية أبي داود، باب كسب الأطباء، كتاب الإجارة .
 - (٤) في الصحيح: « وما به من قَلْبَةٍ » . وفي اللغة هي العلة، وقيل للعة قَلْبَةٌ؛ لأن المصاب يُقلب من جنب إلى جنب؛ ليعلم موضع الداء .
 - (٥) في الصحيح: « فأوفوهم » .
 - (٦) « ذلك » لا توجد في رواية الصحيح .
 - (٧) في ب: « يدريكم » .
 - (٨) في الصحيح: « اقسما » .
 - (٩) في الصحيح: « معكم سهماً » .
 - (١٠) في الصحيح: « فضحك » .
 - (١١) ساقه البخاري في ترجمة باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب/ كتاب الإجارة .

وخرَّج أبو داود^(١) عن عبادة بن الصَّامِتِ: قال: علَّمتُ ناساً من أهل الصُّفَّةِ الكتابَ والقرآنَ، فأهدى إليَّ رجلٌ منهم قوساً، فقلتُ: ليست بمال وأرمي عليها في سبيل الله؟ ولأتين رسولَ الله ﷺ فلاسأَلَنَّهُ، فأتيتُهُ فقلتُ: يا رسولَ الله، رجلٌ أهدى إليَّ قوساً ممن كنتُ أعلمُهُ الكتابَ والقرآنَ، وليست بمال، وأرمي عليها في سبيل الله، فقال: إن كنتَ تحبُّ أن تطوَّقَ طوقاً من نار فاقبُلْهَا .

وفي روايةٍ أخرى قال^(٢): جمرَةٌ بين كَتْفَيْكَ^(٣) تقلِّدْتَهَا أو علَّقْتَهَا .

قلتُ: مذهبُ أبي حنيفةٍ وأصحابِهِ^(٤): مَنعُ أخذِ الإجارة، فيمكنُ أن يكونَ ذلكَ مذهباً لحمزة، ويمكنُ أن لا يكونَ مذهبَهُ، ولكن تَرَكَه لاختلافِ الأحاديثِ، واختلافِ العلماءِ في ذلك .

وقد قال أبو محمَّدِ بنُ حَزْمٍ^(٥) في حديثِ القوسِ: لا يصحُّ به الاستدلالُ؛ لأنَّ في سندهِ الأسودَ بنَ ثعلبة، وهو مجهولٌ، قال ذلكَ عليُّ بنُ المَدِينِي وغيرُهُ، ويُروى أيضاً من طريقِ بَقِيَّةٍ، وهو ضعيفٌ، ومنقطعٌ أيضاً .

وقال فيه عبد الحقِّ^(٦): لا يُعارضُ ما خرَّجه الشَّيْخَانِ بما خرَّجه أبو داود .

وقال فيه أبو الحسنِ القَابِسِيُّ: ويمكنُ أن يكونَ هذا المتعلمُ ممن لا يصحُّ أن يقبَلَ منه تطوعُ عطائه، ورأى هذا المتعلمُ أن القوسَ ليست مالاً، ورأى أن أخذه

(١) انظر السنن، كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم برقم (٣٤١٦) .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم برقم: (٣٤١٧) .

(٣) في ب: « كَتْفَيْهِ » .

(٤) انظر بداية المجتهد، كتاب الجعل ٢/٢٣٥، وانظر تعليق ابن حجر على مذهب الحنيفة في الفتح ٤/٤٥٣-٤٥٤ .

(٥) انظر المحلى، كتاب الإجازات، المسألة (١٣٠٦) ٨/١٩٣-١٩٦ .

(٦) انظر الأحكام الشرعية الصغرى لعبد الحق الإشبيلي ٢/٤٨٠ .

إياها من الظلم إذا فعله، إذ ليس ذلك واجباً عليه، إذ كان تعليمه من وجه الصدقة عنه، وهو ممن لا يصح له أن يُعطى .

وقال فيه ابن حبيب^(١): يمكن أن يكون ذلك في أول الإسلام حين كان القرآن في صدور الرجال غير فاشٍ ولا مستفيضٍ في الناس، فكان الأخذ في تعليمه يومئذ في تلك لحال إنما كان ثمناً للقرآن، فأما بعد إذ صار فاشياً، والناس قد أثبتوه في المصاحف، وصارت المصاحف وما فيها مباحة للعالم والجاهل، والقارئ وغير القارئ، فإنما الإجارة على تعليمه إجارة البدن المستعمل في ذلك، وليس ثمناً للقرآن^(٢)، كما أن بيع المصاحف إنما يبيع للرفوق / والخط والصنعة، وليس بيعاً لما فيها موجوداً غير مطلوب إلى أجل، ولا محجوبٍ عن أحد، ولا مخصوصٍ به بائع المصحف دون مشتريه، وكذلك تعليم ما في المصاحف إنما هو ثمن وإجارة للمعلم واشتغاله بمن يعلمه، وانفراجه بالقعود لتعليمه، وشغل نفسه به.

ومن ورع حمزة - رحمه الله - ما حكاه خلف بن تميم، قال: مات أبي وعليه دين، فأتيت حمزة الزيّات، فسألته أن يكلم صاحب الدين أن يضع عن أبي من دينه شيئاً، فقال لي حمزة: ويحك إنه يقرأ عليّ القرآن، وأنا أكره أن أشرب في بيت من يقرأ عليّ القرآن الماء .

وروي عنه أيضاً من طريق أحمد بن عبد الله بن صالح عن أبيه قال: كان

(١) انظر حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل ١٤/٧ باب الإجارة، وانظر المعيار العرب ٢٥٢/٨ الإجارة على تعليم القرآن . وابن حبيب هو: عبد الملك بن سليمان الأندلسي، فقيه، روى عنه بقي وابن وضاح. انظر تهذيب التهذيب ٣٩٠/٦ .

(٢) في ب: « في القرآن » .

حمزة سنة يكون بالكوفة، وسنة بجلوان، فختم عليه رجل من أهل حلوان من مشاهيرهم، فبعث إليه بألف درهم، فقال لأبيه: قد كنت أظن أن لك عقلاً! أنا آخذُ على القرآن أجراً؟ أرجو على هذا الفردوس^(١).

قال أبو حامد^(٢): والورعُ على أربع طبقات:

الأولى: ورعُ العدول، وهو الذي يجبُ الفسقُ باقتحامه، وتسقطُ العدالةُ به، وهو الورعُ عن كل ما تحرّمهُ فتاوي الفقهاء .

الثانية: ورعُ الصالحين، وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمالُ التحريم، ولكن المفتي يُرخصُ في تناول بناءً على الظاهر .

قال: ويحكى عن ابن سيرين - رحمه الله تعالى - أنه تركَ لشريكٍ له أربعة آلاف درهم؛ لأنه حاك في قلبه شيء، مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به .

الثالثة: تركُ ما لا بأسَ به مخافةً ما به بأسٌ، وهو ورعُ المتقين، وهو ما لا تحرّمهُ الفتوى، ولا شبهةً في حليته، ولكن يُخاف منه أداؤه إلى محرّم، ويشهد له قوله ﷺ^(٣): « لا يبلغ العبدُ درجة المتقين حتى يدع ما لا بأسَ به مخافةً ما به بأسٌ » .

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٤): كنا ندعُ تسعة أعشار الحلال مخافةً أن نقع في الحرام. وكان لبعضهم مائة درهم على إنسان فحملها إليه، فأخذ تسعةً وتسعين، وتورّع في استيفاء الكل خيفةً الزيادة .

الرابعة: ما لا بأسَ به أصلاً، ولا يُخاف منه أن يؤدّي إلى ما به بأسٌ،

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٩٤ .

(٢) انظر الإحياء ٢/٩٥-٩٨ كتاب الحلال والحرام .

(٣) انظر الإحياء ٢/٩٥ .

(٤) الإحياء ٢/٩٥ .

والامتناع منه ورع الصديقين، ويحكى عن سريّ أنه قال^(١): انتهيتُ إلى حشيشٍ في جبلٍ، وماءٌ يخرج منه، فتناولتُ من ذلك الحشيش، وشربتُ الماءَ، وقلتُ في نفسي: إن كنتُ قد أكلتُ يوماً حلالاً طيباً، فهو اليوم هذا، فهتف بي هاتفٌ: إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هي؟ فرجعتُ وندمتُ .

و « ما » في قوله: « ما أزكاه » تعجبٌ، وهي اسمٌ تامٌّ عند سيبويه^(٢) والخليل، وهو مبتدأ، خبره: أزكاه، وهو فعلٌ عندهما، و « من متورّع »: « من » فيه زائدة، وهو في الأصل تمييزٌ لما انبهمَ في قوله: « ما أزكاه »؛ لأن معنى ذلك: / ما /^{١/٦٢} في الدنيا مثله، وهذا كقولهم: لله درّةٌ من فارسٍ وفارساً؛ أي: ما في الدنيا مثله. و « إماماً »: يجوز أن يكون منصوباً على المدح، كأنه قال: أمدحُ إماماً، أو أعني إماماً .

و « للقرآن »: متعلّقٌ بـ « مرتلاً »، ولاؤه^(٣) زائدة؛ لدخولها على المفعول المتقدّم، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(٤) .

* * *

رَوَى خَلْفٌ عَنْهُ وَخَلَادٌ الَّذِي رَوَاهُ سُلَيْمٌ مُتَقَنًا وَمُحَصَّلًا

راوياً حمزةً: خَلْفٌ وَخَلَادٌ .

فَأَمَّا خَلْفٌ^(٥) فهو: أبو محمدٍ خَلْفُ بْنُ هِشَامِ بْنِ طَالِبِ بْنِ غُرَابِ بْنِ تَغْلِبَ

(١) الإحياء ٩٧/٢ .

(٢) الكتاب ٧٢/١-٧٣، و٣٢٦/٢ . وانظر معاني الحروف للرماني ٨٧، والأزهية للهروي

٧٥، والمغني ٢٩٧/١ .

(٣) في ب: « أو لأمه » .

(٤) سورة المزمل: ٤ .

(٥) الإقناع ١٢٦/١ .

البزَّارُ الصُّلَحِيُّ، من أهل فَمِ الصُّلَحِ^(١)، إمامٌ في القراءة، ثبتٌ عند أهل الحديث، حدَّث عنه أحمدُ بنُ حنبلٍ والأئمةُ .

وُلد في رجبِ سنة خمسين ومائة، حكاها النقاشُ عن أبي الحسن بن البراء .
قال أبو عمرو^(٢): وله اختيارٌ أخذَ به وحُمِلَ عنه، متقدِّمٌ في رواية الحديث، صاحبُ سنةٍ .

وقال يحيى الفحام: رأيتُ خلفَ بنَ هشامٍ البزَّارَ في المنام فقلتُ له: يا أبا محمدٍ ما فعلَ بك ربُّك؟ قال: غفرَ لي، وقال لي: اقرأُ عليّ، فقرأتُ عليه القرآن، فما غيرَ عليٍّ إلا حرفاً واحداً: ﴿وما أنتم بمُصْرِحِي﴾^(٣).

وقال خلفٌ^(٤): كنتُ أحضُرُ بين يدي الكِسائيِّ وهو يقرأُ على الناسِ ويُنقِطون مصاحفَهُم بقراءته عليهم .

وقال خلفُ البزَّارُ: أشكلَ عليَّ بابٌ من النحو فأنفقتُ ثمانين ألفَ درهمٍ حتى حدقتُهُ .

وتوفيَ ببغداد وهو مختفٍ أيامَ الجهميَّةِ، يوم السبتِ لسبْعِ خلونٍ من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين في خلافة الواثقِ بالله، قاله غيرُ واحدٍ من أئمةِ أهل الحديث .

وقال ابنُ مجاهدٍ^(٥): ماتَ خلفٌ وله ثمانية وستون عاماً وستة أشهر، فعلى هذا مولده بعد سنة خمسين، والله أعلم .

(١) نهر كبير فوق واسط، وانظر معجم مقيدات ابن خلكان: ٢٥٠ .

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٧١ .

(٣) سورة إبراهيم: ٢٢ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٠١ .

(٥) انظر الإقناع ١/١٢٧-١٢٨ ولا يوجد النص في كتاب السبعة .

وأما خلاداً^(١) فهو: أبو عيسى خلادُ بنُ خالد، قاله الحلواني، وقال مُسليمٌ: خلادُ بنُ عيسى، وقال غيرُهما: خلادُ بنُ خُلَيْدِ الشَّيْبَانِي الصيرفي الكوفي . قال ابنُ مجاهد^(٢): كان مَنَّ رَوَى القراءَةَ عن حمزة، وخَلَفَهُ في القيام بها خَلَفَهُ: خلادُ الأحولُ .

وأخيرُ هارونُ بنُ يوسفَ عن أبي هشام قال: كان أقرأً مَنْ قرأً على حمزة أربعة: إبراهيمُ الأزرقُ، وخالدُ الطَّيْبُ، وخلادُ الأحولُ، وكان عبدُ الرحمن بنُ أبي حمادٍ أكبرَهم وأعلمَهم بعلل القرآن .

وتوفي خلادُ بالكوفة، قال البخاري^(٣): سنة عشرين ومائتين .

وقرأ خَلَفٌ وخلادُ كلاهما على أبي عيسى أو أبي محمدٍ سُليمان بن عيسى الحنفي الكوفي، وقرأ سُليمان على حمزة، وكان سُليمان من أضبط أصحابه لقراءته، وهو الذي خَلَفَهُ في القيام خَلَفَهُ .

وقال يحيى بن عبد الملك^(٤): كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب، فإذا جاء

سُليمان يقول لنا حمزة: تحفظوا وتثبتوا فقد جاء سُليمانُ /.

وقال الكِسائي^(٥): كنتُ أقرأ على حمزة، فجاء سُليمان فتَلَكَّأتُ^(٦)، فقال لي

حمزة: تهابُ سُليماناً، ولا تهأينني؟ فقلتُ: يا أستاذ، أنتَ إن أخطأتُ قومتي،

(١) الإقناع ١٢٧/١-١٢٨ .

(٢) انظر السبعة: ٧٥ بتصرف .

(٣) انظر الإقناع ١٢٧/١ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١١٥/١ .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١١٥/١ .

(٦) من ب : وفي الأصل « فتلكيتُ » .

وهذا إن أخطأتُ عَيْرِنِي .

وقال ضِرَارُ بْنُ صُرْدٍ^(١): عَمَّنْ سَمِعَ سُلَيْمَ بْنَ عَيْسَى، وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَيْسَى جِئْتُكَ لِأَقْرَأَ بِالتَّحْقِيقِ! فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، شَهِدْتُ حَمْزَةَ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ فِي مِثْلِ هَذَا فَبَكَى، وَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّمَا التَّحْقِيقُ صَوْنُ الْقُرْآنِ، فَإِنْ صُنَّتْهُ فَقَدْ حَقَّقْتَهُ، هَذَا هُوَ التَّشْدِيقُ^(٢)، فَمَضَى الرَّجُلُ وَلَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِ .

قال سُلَيْمٌ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى حَمْزَةَ عَشْرَ مَرَّاتٍ . وَلَمْ يَخَالَفْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَتَوَفِّي سُلَيْمٌ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَقِيلَ: سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَوُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَةٍ^(٣).

قَوْلُهُ: «الَّذِي رَوَاهُ»: مَفْعُولٌ بِـ «رَوَى»، وَيَتَعَلَّقُ «عَنْهُ» بِـ «رَوَى»، وَلَا يَجُوزُ تَعَلُّقُهُ بِـ «رَوَاهُ» لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَةِ، وَمَا هُوَ مِنَ الصَّلَةِ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى الْمَوْصُولِ . وَ«مُتَقَنَّأً» حَالٌ مِنْ هَاءِ «رَوَاهُ»، أَوْ مِنْ «الَّذِي» .
يَقُولُ: أَخَذَ خَلْفًا وَخَلَاذًا الْقِرَاءَةَ عَنْ سُلَيْمٍ عَنْ حَمْزَةَ .

* * *

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ فَالْكِسَائِيِّ نَعْتُهُ لِمَا كَانَ فِي الْإِحْرَامِ فِيهِ تَسْرِبًا

هذا آخِرُ السَّبْعَةِ وَالثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ، وَهُوَ: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ^(٤) بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُهْمَانَ بْنِ فَيْرُوزِ الْكُوفِيِّ النَّحْوِيِّ، مَوْلَى لَبْنِي أَسَدٍ .

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١١٦/١ .

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١١٦/١، وفيه (التحقيق) بدل (التشديق) .

(٣) انظر معرفة القراء الكبار ١١٥/١-١١٦ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١٠٧/١، والغاية ٥٣٥/١-٥٤٠، والإقناع ١٣٨/١-١٤٠ .

واختلِفَ في تسمية الكِسَائِيِّ، فرَوَى عبدُ الرحيم بنُ موسى أنه سأله فقال^(١): لم سُمِّيَتِ الكِسَائِيُّ؟ قال: لأنِّي أحرمتُ في كِسَاءِ، وقيل: سُمِّيَ بذلك لأنه كان من باكُسايا، قرية من السواد. فإن صحَّ هذا فيكونُ قولهم فيه «كِسَائِي» من شاذ النسب، والقياس أن يُقال: باكُساوي أو باكُساوي؛ لأن ألفه زائدةٌ على أكثرَ من أربعة^(٢) أحرف فتحذف، ثم تقع الياءُ طرفاً فتقلب همزةً ثم تُقلب واواً في النسب، أو تبقى على حالها همزةً، ونظيره النَّسَبُ إلى بَرْدَرَايا، تقول فيه: بَرْدَرَائِي وِبَرْدَرَاوي، وأما على القول الأول فقولهم فيه: كِسَائِي جارٍ على القياس، لكنه يجوزُ أن يُقالَ فيه: كِسَاوي .

وقد قال بعضهم: إنما قيل له ذلك لأنه كان يتشعُّ بكِسَاءِ، ويجلسُ في مجلس حمزة، فإذا أراد أن يقرأ يقولُ حمزة: اعرضوا على صاحب الكِسَاءِ .

وكان - رحمه الله - صادق اللهجة، متسع العلم بالقرآن والعربية واللغة، وهو مادةٌ نحويَّة الكوفة وعمدتهم .

وقيل لأبي عمر الدُّوري: كيف صحبتم الكسائيَّ على الدُّعابة التي كانت فيه؟ قال: لصدق لسانه .

وإليه انتهت الإمامة في القراءة ببغداد بعد وفاة حمزة .

وقد كان نظر في وجوه القراءات، وكانت العربية علمه وصناعتُه، واختارَ من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءةً متوسطةً غيرَ خارجة عن أثرِ مَنْ تقدَّم من الأئمة .

(١) جمال القراءة ٤٤١/٢، والغاية ٥٣٩/١ .

(٢) التصحيح من ب، وهو في هامش غير بين إلى حد ما .

١/٦٤ توفي برَنْبُوِيَه، قريةٍ من قرى الرِّيِّ حين توجه مع هارون إلى خراسان / .
قال البخاريُّ: سنة تسع وثمانين ومائة، وقيل سنة إحدى وثمانين، وقيل:
سنة اثنتين وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين .
قرأ على حمزة بن حبيب الزِّيَّاتِ، وعليه اعتماده، وقرأ عليه القرآن كله أربع
مراتٍ، وقرأ أيضاً على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعلى أبي عبد الرحمن
عيسى بن عمر الهمدانيِّ، وقرأ عيسى على عاصم بن بهدلة والأعمش، وقد
تقدّمت أسانيدهم .

وقرأ عيسى أيضاً على أبي عبد الله طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب
اليامي، وقرأ طلحة على يحيى بن وثاب، وقرأ أيضاً على أبي عمران إبراهيم بن
يزيد النخعيِّ، وقرأ إبراهيم على علقمة والأسود، وقرأ على عبد الله بن مسعود
عن النبي ﷺ^(١) .

وأخذ أيضاً الكِسائيُّ الحروفَ عن جماعة من الكوفيين وغيرهم منهم: أبو
بكر بن عيَّاش عن عاصم، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وزائدة بن قدامة عن
الأعمش، وسمع من الأعمش حرفاً واحداً وهو: ﴿مِنْ بُطُونِ إِمَّهَاتِكُمْ﴾^(٢) بكسر
الهمزة والميم، وقال: لا أحفظ عنه غيره، يعني من الحروف .

وقال الكِسائيُّ: قرأ عليُّ المأمونُ، فلما بلغ سورة الأنبياء قال: ﴿وَحَرَامٌ
عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(٣) فقلت: ﴿وَجَرْمٌ﴾^(٤) على قَرْيَةٍ فقال لي: مَنْ قرأ هذا؟ قلتُ: ابنُ

(١) الإقناع ١/١٤٦-١٤٧ .

(٢) سورة النحل: ٧٨ .

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٩٥ . وقوله: «على قرية» سقط من ب .

(٤) وهي قراءة الكسائي .

عَمَّكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَوْ كُنْتُ زَمَنَهُ مَا وَدَعْتُهُ^(١) يقرأ كذلك، أفله مخرج في كلام العرب؟ قلت: نعم، فأنشدته^(٢):

إِنْ تَدْعُ مَيْتًا لَا يُجِبُكَ بِحِيلَةٍ وَحَرِّمَ عَلَيَّ مَنْ مَاتَ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وقال الفراء يحيى بن زياد^(٣): مدحني رجل من النحويين، وقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي، أنت مثله في العلم؟ فأعجبني نفسي، قال^(٤): فناظرته وسألته، فكأنني كنت طائراً يغرف من البحر بمنقاره .

وقال الفراء^(٥) أيضاً: لقيت الكسائي يوماً فرأيتُهُ كالباكي، فقلت: ما يُكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد، يوجه إليّ فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب، لحقني منه عيبٌ، وإن بادرتُ لم آمن من الزلل، قال: فقلتُ ممتحناً: يا أبا الحسن، مَنْ يعترض عليك، قل ما شئت، فأنت الكسائي، فأخذ

(١) ماضي (يدع)، قال أبو الفتح في المحتسب ٣٦٤/٢ في قراءة « ما ودعك » بالتخفيف المنسوبة إلى عروة بن الزبير: « هذه قليلة الاستعمال، قال سيويه: استغنوا عن وذر وودع بقولهم: ترك، وعلى أنها قد جاءت في شعر أبي الأسود، قال: وأنشدناه أبو علي:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

إلا أنهم قد استعملوا مضارعه فقالوا: يدع، ويروي بيت الفرزدق:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحاً أو مجلفاً

وسيويه على أنه لم يستعمل، قال: « كما أن يدع ويذر على ودعت ووذرت وإن لم يستعمل » الكتاب ١٠٩/٤ .

(٢) انظر فتح الوصيد للسخاوي عند شرح البيت ، ولم أقف لهذا البيت على قائل .

(٣) انظر معرفة القراء الكبار ١٠٤/١ .

(٤) « قال » سقط من ب .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١٠٥/١ .

لسانه بيده وقال: قطعاه الله إن قلت ما لا أعلم .

وعن علي الأثرم^(١) قال: كنت أتكلم في الكِسائي وأقع فيه، فرأيتُه في النوم وعليه ثياب بيض ووجهه كالقمر، فقلت: يا أبا الحسن ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بالقرآن .

وحكى أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي قال: رثي الزيدي الكِسائي ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة، وكانا قد خرجا مع الرشيد إلى خراسان، فماتا في الطريق، فقال فيهما^(٢):

تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودٌ	وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةٍ سَيِّبِدُ
لِكُلِّ امْرِئٍ كَأْسٌ مِنَ الْمَوْتِ مَنْهَلٌ	وَمَا إِنْ لَنَا إِلَّا عَلَيْهِ وُرُودٌ
أَلَمْ تَرَ شَيْئاً شَامِلاً يُنْذِرُ الْبَلَى	وَأَنَّ الشَّبَابَ الْغَضَّ لَيْسَ يَعُودُ
/سَيِّئَتِكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونَ الَّتِي مَضَتْ	فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْفَنَاءُ عَتِيدُ
أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ مُحَمَّدٍ	فَأَذْرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادُ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخُطْبُ أَشْكَلَ مَنْ لَنَا	بِإِضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
وَأَفْجَعَنِي مَوْتُ الْكِسَائِيِّ بَعْدَهُ	وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ	وَأَرَّقَ عَيْسِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانَا أَوْدِيَا وَتُخْرَمَا	فَمَا لَهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحُزْنِي أَنْ يَخْطُرَ عَلَى الْقَلْبِ خَطْرَةٌ	بِذِكْرِهِمَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ

(١) انظر فتح الوصيد عند شرح البيت .

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٠٦، والغاية ١/٥٤٠ .

قوله: « فالكسائي نعتُهُ » يُريدُ: صفته؛ أي: نُعتَ بذلك لإحرامه فيه، وتسربلَ الرجلُ: اتخذَ سِرْبَالاً، والضمير من قوله: « فيه » يجوز أن يكون عائداً على ما يفهم من الكسائي من لفظ الكساء، وعُدِي إليه بـ « في » لأنه أشربه معنى: حلَّ، وإنما عدى الفعل بفي إلى اسمين: أحدهما: الإحرام، والآخر: ضمير الكسائي لاختلاف معناه؛ لأن أحدهما زمان والآخر مكان، ونحو منه قول امرئ القيس^(١):

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

فعلق بـ « يذبل »، وبـ « كل » بشدت لاختلاف معناه، ونحو منه قوله أيضاً^(٢):

وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الْكَيْبِ تَعَذَّرْتُ عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ

ويجوز أن يكونَ هذا الضمير من قوله: « فيه » عائداً على الإحرام على أنه بدلٌ منه بدل المضمَر من الظاهر، ويكون معمول « تسربل » محذوفاً كأنه قال: لما كان في الإحرام تسربل به، و « ما » في قوله: « لما » مصدرية كأنه قال: لكونه تسربل في الإحرام بالكساء .

* * *

رَوَى لِيْثُهُمْ عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ الرَّضِيُّ

وَحَفْصٌ هُوَ الدُّورِيُّ وَفِي الذِّكْرِ قَدْ خَلَا

رَأَوِيَا الْكِسَائِيَّ: أَبُو الْحَارِثِ وَالدُّورِيُّ الْمَذْكُورُ فِي رِوَايَةِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ

العلاء .

(١) ديوانه: ١٩، وهو من معلقته .

(٢) ديوانه أيضاً: ١٢ .

فأما أبو الحارث^(١) فهو: الليثُ بنُ خالدِ المروزيُّ البغداديُّ، ويُقالُ: أبو الحارثِ المروزيُّ آخرُ، وهذا بغداديُّ^(٢)، وذكرَ الأهوازيُّ أنه تُوفي سنة أربعين ومائتين^(٣).

وأما الدُّوريُّ^(٤)، فقد تقدَّم نَسَبُهُ، وكان قد قرأ سائرَ حروف السَّبعة، وكتبَ الحديثَ، وسمع كثيراً، وصنَّفَ كتاباً في القراءات^(٥)، وعُمِّرَ، وعمِّيَ في آخر عُمره .

قوله: « الرُّضَى » : يُريدُ: ذو الرضى^(٦)، وقوله: « هو الدُّوريُّ » : بيانٌ لخص من هو، وقوله: « وفي الذِّكرِ قد خلا » : يعني هو المتقدم الذِّكرِ، لئلا يُتوهم أنه غير المتقدم الذِّكرِ .

* * *

(١) الإقناع ١٤٠/١ .

(٢) قال أبو عمرو الداني: « وقد غلِطَ أحمد بن نصر في نسبه، فقال: الليث بن خالد المروزي، وذلك رجل آخر من أصحاب الحديث، سمع من مالك بن أنس، وجماعة، يكنى أبا بكر » انظر معرفة القراء الكبار ٧٣/١ .

(٣) الإقناع ١٤٠/١ .

(٤) الإقناع ٩٤/١، ومعرفة القراء الكبار ٥٧/١ .

(٥) قال ابن الجزري في النشر ١٣٤/١: « إنه أول من جمع القراءات » .

(٦) انظر الكنز للجعيري في شرح البيت .

أَبُو عَمْرِهِمْ وَالْيَحْصِيُّ بْنُ عَامِرٍ صَرِيحٌ وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَاءُ

الصريح: الخالصُ النسب^(١)، وقد يكون أنفَسَ القوم. قال الحارثي^(٢):

جَزَى اللَّهُ قَوْمًا بِالْكَلابِ مَلَامَةً صَرِيحُهُمْ وَالْأَقْرَبِينَ الْمَوَالِيَا

وأراد الناظم الأول، وقد بيننا ذلك في ذكرِ أنسابِهِمْ، ونَسَبُ ابنِ عامِرٍ إلى يَحْصُب؛ لأنهم من حَمِير، فأبو عمرو بنُ العلاء مازنيُّ، وابنُ عامِرٍ يَحْصِيُّ، فهما إذن صريحان .

قال أبو عمرو الداني^(٣): حَدَّثَ ابْنُ مجاهد قال: حَدَّثُونِي عن مُحَمَّدِ بنِ

بِسْطَامٍ^(٤) قال: مرَّ / أبو عمرو بنُ العلاء بمجلسِ قومٍ، فقال رجلٌ من القوم: ١/٦٥
لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذَا؟ أَعْرَبِيٌّ هُوَ أَمْ مَوْلَى؟ - وهو على بغلته - فقال: النَّسَبُ فِي مَازَن، وَالْوَلَاءُ لِلْعَنْبَرِ^(٥)، وَقَالَ لِلْبَغْلَةِ: عَدَسٌ^(٦) وَمَضَى .

(١) وقد يقال: الصميم. قال المتنبي:

تشابهت البهائم والعبيدُ علينا والموالي والصميمُ

وفي الشرح المنسوب إلى العكيري ١٥١/٤: «الصميم: الصريح الخالص النسب» وانظر شرح الواحدي على الديوان ٦٨٩ .

(٢) هذا البيت من قصيدة عدتها عشرون بيتاً لعبد يغوث الحارثي اليميني، قالها بعد أن أسر في يوم الكلاب الثاني (كلاب تيم اليمن)، وقتل أسيراً .

(٣) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهندي، ورقة (١١) مخطوط، وانظر معرفة القراء الكبار ٨٧/١ .

(٤) في معرفة القراء الكبار ٨٧/١: «ابن سلام» .

(٥) في الكامل للهندي: «النسب لتميم والولاء لمازن» ورقة (١١) .

(٦) عدسٌ لزجر البغال، ويقال: حدسٌ بالحاء. انظر الصحاح واللسان والتاج (عدس، حدس) .

وحدَّث ابنُ مجاهد^(١) قال: حدثني بعضُ أصحابنا عن أبي بكر بنِ خَلادٍ، عن وكيع بنِ الجراح قال: قرأتُ على قبرِ أبي عمرو بن العلاء بالكوفة: هذا قبرُ أبي عمرو بن العلاء مولى بني حنيفة .

قال أبو عمرو الداني: فأخبرنا عبدُ العزيز بنُ محمدٍ قال: حدثنا عبدُ الواحد بنُ عمَرَ قال: وإنما قيل هذا؛ لأنَّ أمَّهُ من بني حنيفة، واسمها: عائشة بنتُ عبد الرحمن بنِ ربيعة بنِ بكر من بني حنيفة، حكى ذلك بعضُ النسايبين .

قلت: لم يعتبر الناظمُ هذه الحكاية، وإنما اعتمد على ما ذكرَ أبو عمرو في التيسير^(٢)، قال: وليس في القراءِ السبعة من العربِ غيره وغيرُ أبي عمرو، والباقون موالٍ، يعني غيرَ ابنِ عامر .

ويخصُّبُ فيه لغتان: ضمُّ الصاد وكسرُها، فمن ضمَّها ضمَّها في النسب لا غير، ومن كسرَها جاز له في النسب وجهان: الكسرُ والفتحُ، فالكسرُ على الاعتداد بالسَّاكن، فكأنه بمنزلة نمر، وكلُّ ما كان كذلك يُفتحُ في النسب خوفاً من غلبةِ الكسرات على الكلمة، إذ لم يبقَ فيها غيرَ مكسورٍ إلا حرفٌ واحدٌ .

و« صريحٌ »: خبر ابتداء مضمَّر تقديره: نسبُهما صريح، والجملة خبر المبتدأين المعطوف والمعطوف عليه .

ويجوز أن يكون « أبو عمرو » محذوف الخبر؛ لدلالة الثاني عليه، كأنه قال: أبو عمرهم صريح، واليحيصبي بن عامر صريح، ونظيره ما أنشده سيويه لقيس

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٨٧ .

(٢) التيسير: ٥-٦ .

ابن الخطيم^(١):

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ

التقدير: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، ومثله قوله تعالى على بعض التأويلات: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٢) التقدير: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه .

ومعنى إحاطة الولاء بالباقيين: اجتماعهم فيه، وأفرد الضمير العائد على «باقيهم» لأنه مفرد اللفظ، وإن كان جمعاً في المعنى .

* * *

لَهُمْ طُرُقٌ يَهْدِي بِهَا كُلُّ طَارِقٍ وَلَا طَارِقٌ يُخْشَى بِهَا مُتَمَحِّلاً

الطُّرُقُ: جمعُ طريق، ويُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، قال يعقوب^(٣): يقال: الطريقُ الأعظم، والطريقُ العظمى، والمراد بالطريق هنا: المذاهبُ المنسوبةُ إليهم؛ لأنها مختلفة، لأن منهم أهلَ الحذر، وأهلَ المد، وأهلَ التحقيق، وأهلَ التسهيل، وأهلَ الإظهار، وأهلَ الإدغام، على ما سيأتي بيانه بعدُ إن شاء الله تعالى .

ويَهْدِي بمعنى: يُرشد، وإذا استعملَ في الدين فمصدره: هُدَى، وإذا استعمل

(١) ديوانه: ١٧٣، وينسب إلى حسان بن ثابت في ديوانه: ١٧٢، والصواب نسبه إلى عمرو ابن

امرئ القيس كما في الخزانة ١٠/٢٩٥، ٤٧٦، وانظر جمهرة أشعار العرب ١/١١٣،

ونسب إلى درهم بن أبي زيد الأنصاري في الإنصاف مسألة (٦٥). انظر تعليق الطنحاحي في

أمالي ابن الشجري ٢/٢٠. والبيت من شواهد الكتاب، وقد نسبه سيويوه إلى قيس بن

الخطيم، وانظر تعليق عبد السلام هارون في الهامش (١) من الكتاب ١/٧٥ .

(٢) سورة التوبة: ٦٢ .

(٣) انظر الصحاح واللسان (طرق) .

في الطريق فمصدره: الهداية، والطارقُ الأول يُراد به النجم، وأصله للذي يأتي ليلاً، ثم سُمي النجم طارقاً لذلك، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾^(١) ثم يُستعارُ للرجلِ العالمِ؛ لأنه يُهتَدَى به كما يهتَدَى بالنجم. قال الله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٢)، وقال ﷺ^(٣): «أصحابي كالنجومِ بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(٤).

والطارقُ الثاني: المدلسُ، وفي الحديث^(٥): «أعوذُ بك من طوارقِ الليلِ والنهارِ إلا طارقاً يطرُقُ بخيرٍ». وأصله أيضاً للذي يأتي ليلاً؛ لأنه محلُّ الآفاتِ .
و«مُتَمِحِّلاً»: متفعلاً من قولك: محلَّ به؛ أي: مكرراً، يقول: لهؤلاء الأئمة السبعةِ مذاهبُ يَهْدِي بها العلماءُ كلٌّ من استهداهم بها؛ لأنَّ القرآنَ نورٌ يَهْدِي به الله من يشاء. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(٦) و﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٧).

«ولا طارقٌ يُخشى» / : أي لا يُخافُ بسبب تلك المذاهبِ مدلسٌ، وقد
قال أولاً:

(١) سورة الطارق: ١ .

(٢) سورة النحل: ١٦ .

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع العلم ٩١/٢، وتبع الألباني سنده في السلسلة، وحكم بوضعه، انظره برقم: ٥٨ .

(٤) «اهتديتم» سقط من ب.

(٥) انظر ضعيف الجامع رقم: ٤٩٥٢ .

(٦) سورة النساء: ١٧٤ .

(٧) سورة البقرة: ٢ .

فَجَاهِدْ بِهِ حَبْلَ الْعِدَا مَتَجَبِّلا

وَأَخْلِقْ بِهِ

وكيف يخاف من المتمحل من بيده البرهان القاطع، والضيء اللامع؟!

وارتفاع « ولا طارق » على أنه اسم لا، أعملها إعمال ليس، ولا يجوز رفعه بالابتداء؛ لعدم تكررها. و « يُخَشَى » في موضع نصب على أنه خبر لا، ونصب « متمحلاً » على الحال من الضمير في « يُخَشَى » .

* * *

وَهْنُ اللَّوَاتِي لِلْمُوَاتِي نَصَبُهَا

مَنَاصِبَ فَاَنْصَبَ فِي نَصَابِكَ مُفَضِّلا

« هن » عائد على الطُّرُق، و « اللواتي » جمع التي، و « المُواتي » : المُوافق من قولك: واتاه الأمر: وافقه، و « نَصَبْتُهَا » : أبرزتها ورفعتها، و « الْمَنَاصِبُ » : أعلام العزِّ والشرف، و « النَّصَبُ » : التعب، يقالُ منه: نَصَبَ يَنْصَبُ نَصَبًا^(١)؛ والأمر منه: انصب، إذا أقمته ورفعته، ونصابُ الشيء: أصله، ومنه نصابُ الحال، والمراد هنا بقوله « نصابك » النية؛ لأنها أصل في جميع الأعمال؛ لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

و « مُفَضِّلا » : اسمُ فاعل من قولك: أفضلَ الرجلُ في الحسب والشرف:

حازهُمَا، قال الشَّاعِرُ^(٢):

لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخْزُونِي

(١) بابه طَرِبَ. انظر الصحاح (نصب) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي .

(٣) لذي الاصبغ العدواني في الخزانة ١٠/١٢٤، ٣٤٤، والمفضليات: ١٦٠ .

يقول: هذه الطُّرُق التي أودَعْتُها هذا النظمَ إنما أردتُ بها مَنْ يوافقني على ما اصطَلحتُ عليه في حال كونها مناصبَ للعزِّ والشرف، فاتعَبُ في تحصيل ذلك في حال كونك مفضلاً في نصابك بالإخلاص فيها لله تعالى، وقصد التقرب إليه بذلك.

وَهَا أَنَا ذَا أَسْعَى لَعَلَّ حُرُوفَهُمْ يَطْوَعُ بِهَا نَظْمُ الْقَوَافِي مُسَهَّلًا

طَاعَ الشَّيْءُ يَطْوَعُ: إِذَا انْقَادَ طَوْعًا .

وحكى ابن القوطية^(١): طاع طيعاً، ويقال فيه: أطاع وتطوَّع: تكلف الاستطاعة، والتطوُّع: التبرُّع، وأسعى: أحرص وأجتهد، وحروفهم: قراءاتهم، ومنه قولهم: في حرف أبي كذا، وفي حرف عبد الله كذا .
أخبر أنه يذكُرُ في هذا النظم قراءات السبعة .

والقوافي: جمع قافية، واختلِفَ في مسماها، فقليل: القافية: آخر الكلمة في البيت، وهو مذهب الأخفش^(٢)؛ قال: لأنها تقفو الكلام .

وقيل: هي كلمتان من آخر البيت^(٣) .

وقيل: هي النصف الآخر^(٤) .

(١) الأفعال: ١١٧، ١٧٠، والأفعال لابن القطاع (طوع) ٣٠٩/٢ .

(٢) انظر القوافي للأخفش: ٦، وانظر صنعة الشعر للسيرافي: ٢٧٠، وانظر كلام الدكتور البنا في مفهوم تعريف القافية عند الأخفش والخليل من خلال كتابه (ابن كيسان النحوي) ٨١-

. ٨٣

(٣) انظر صنعة الشعر للسيرافي: ٢٧٠ .

(٤) المصدر نفسه .

وقيل: هو البيتُ بكماله^(١).

وقيل: ما بين آخرِ حرفٍ في البيتِ إلى أولِ ساكنٍ يليه من قبله مع المتحرك الذي قبلَ الساكنِ نحو:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ^(٢)

١/٦٨ فالحرفُ الأخيرُ هو / الرَّوِيُّ، وهو اللامُ، والنونُ هو الحرفُ الساكنُ، والحرفُ الذي قبله هو الميمُ، فالقافية على مذهب هذا هي من الميمِ إلى اللامِ، وهو مذهبُ الخليل^(٣).

ولها خمسةُ أسماء^(٤) وهي: المتكاوسُ، والمتراكبُ، والمتداركُ، والمتواترُ، والمترادفُ.

فأما المتكاوسُ^(٥): فكلُّ قافيةٍ تَوَالَتْ فيها أربعةُ أحرفٍ متحرِّكاتٍ بين

ساكنين، وأكثرُ ما يقعُ ذلك من الشَّعْرِ في الرجزِ نحو (فَعَلَّتُنْ) نحو قوله^(٦):

وَزَعَمُوا وَكَذَّبُوا بِأَنَّهُمْ لَقِيَهُمْ عُلبَطٌ فَشَرِبُوا

وأما المتراكبُ^(٧): فهو كلُّ قافيةٍ توالَتْ فيها ثلاثةُ أحرفٍ متحرِّكاتٍ بين

(١) المصدر نفسه .

(٢) مطلع معلقة امرئ القيس في ديوانه: ٨ .

(٣) انظر صنعة الشعر للسيرافي: ٢٧٠-٢٧١ .

(٤) لها اثنان وثلاثون اسماً، شرحها السيرافي في صنعة الشعر . انظر من ص: ٢٦٩ إلى ٣٠٦ .

(٥) انظر صنعة الشعر: ٢٧٢ .

(٦) البيت في صنعة الشعر للسيرافي: ١٣١، وتقطيعه:

(فَعَلَّتُنْ مَفَاعِلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعَلَّتُنْ فَعَلَّتُنْ فَعَلَّتُنْ فَعَلَّتُنْ)

(٧) صنعة الشعر للسيرافي: ٢٧٢، وتقطيعه:

(مستفعلنُ فاعلُنْ مستفعلنُ فاعلُنْ مستفعلنُ فاعلُنْ مستفعلنُ فاعلُنْ مستفعلنُ فاعلُنْ)

ساكنين نحو: مفاعلتن، نحو قوله^(١):

يَا حَارِ لَا أُرْمِينُ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكٌ

وأما المتدارك^(٢): فكلُّ قافية توالّت فيها حركتان بين ساكنين نحو: متفاعِلُنْ
نحو قوله:

قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزَلٍ

وأما المتواتر^(٣): فكلُّ قافية وقع فيها حرفٌ متحرّكٌ بين ساكنين نحو:
مفاعيلن، نحو قوله^(٤):

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

وأما المترادف^(٥): فكلُّ قافية اجتمع في آخرها ساكنان نحو: متفاعلان نحو
قوله^(٦):

لَيْسَ بِمَا لَيْسَ بِأَسْ بِأَسْ

وَلَا يَضُرُّ الْمَرْءَ مَا قَالَ النَّاسُ

قوله: «ها أنا ذا أسعى»: أنا: مبتدأ، وذا: خبره، وأسعى: في موضع نصب

(١) من البسيط، وهو في ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٨٠ .

(٢) صنعة الشعر: ٢٧٢ .

(٣) المصدر السابق ٢٧٢ .

(٤) مطلع قصيدة لامرئ القيس في ديوانه: ٢٧، وعجزه:

وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

(٥) صنعة الشعر: ٢٧٢ .

(٦) الرجز في اللسان (أنس) وفيه: «ولا يضر البر» وبعدهما:

وَأَنَّ بَعْدَ أَطْلَاعِ إِيْنَسُ

على الحال، والعامل فيه معنى الإشارة، كأنه قال: ها أنا ذا ساعياً .
فإن قلت: ليس المقصودُ الإخبارَ عن^(١) أنا بذاء، إنما المقصودُ الإخبارُ بقوله:
أسعى ؟

فالجوابُ: أن الحال هنا هو الذي يجب أن يكون خبراً، لكن ترتيب الكلام
أوجب أن ينتصب حالاً، ويلزم الإتيان به وإن كان فضلاً . نظيره قولهم: مررتُ
بمن معجبٍ لك، وقولهم: يا أيها الرجل، ألا ترى أن الصفة هنا لازمةٌ وإن لم
تكن جزءً كلامٍ، ولكنها لزمّت لأنها المقصودة / .

ومذهبُ أهلِ الكوفة^(٢) أنّ موضعَ « أسعى » نصبٌ على أنه خبرُ التقريب^(٣)؛
لأنهم يُجيزون: هذا زيدٌ قائماً، بمعنى: كان زيدٌ قائماً، ولا يجوزُ أن يكونَ « ذا »
منصوباً بإضمار فعلٍ من باب الاختصاص كقوله^(٤):

إِنَّا بَنِي مَنقَرٍ قَوْمٌ ذُوو حَسَبٍ فِينَا سَرَاةٌ بَنِي سَعْدِ وَنَادِيهَا
لأنه اسمٌ مبهمٌ، والأسماءُ المبهمة لا تنتصب هذا النصب .

قال سيويه^(٥): « واعلم أنه لا يحسنُ لك أن تُبهمَ في هذا الباب فتقول: إني
هذا أفعلٌ، ولا يجوز أن تذكرَ إلا اسماً معروفاً؛ لأن الأسماءَ إنما تذكرُها توكيداً

(١) في ب: « على » .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣١/١، والحجة للفارسي ٤٥/٣ .

(٣) التقريب: كونُ محط الخبر هو مفيد الحدث من فعل أو وصف . انظر الهمع ١١٣/١، وقال
الزجاج: « معنى التقريب: أنك لا تقصد الخبر عن هذا الاسم فتقول: هذا زيد » انظر معاني
القرآن ٤٦٣/١ .

(٤) من البسيط، وهو لعمر بن الأَهمم في الكتاب ٢٣٣/٢ .

(٥) انظر الكتاب ٢٣٦/٢ هذا باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء .

وتوضيحاً هنا للمضمر، وإذا أبهّمتَ فقد جئتَ بما هو أشكَلُ من المضمر، ولو جاز هذا لجازت النكرة فقلت: إنا قوماً، فليس هذا من موضع النكرة والمبهم^(١)، ولكن هذا موضع بيان كما كانت النُدبة موضع بيان .

وأما «ها» فيجوزُ أن تكون (ها) التنيبه المصاحبة لـ «ذا»، والأصل: أنا هذا، لكنه فصل^(٢) بأنا بين (ها) و(ذا)، وأنشدَ سيبويه في ذلك^(٣):

وَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا الْمَالَ نِصْفَيْنِ بَيْنَنَا
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا لَهَا هَا وَذَا لِيَا

المراد: وهذا لي، ففصل بالواو بين ها وذا .

ويجوزُ أن تكون «ها» غير التي تكونُ مع ذا / ، وتكونُ في محلها غيرَ /٦٩
مقدّمة، وكذلك قوله تعالى: ﴿هَأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ﴾^(٤) يحتمل الوجهين^(٥).
واستدل سيبويه^(٦) على هذا الاحتمال بقوله تعالى: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾^(٧)
قال: «فلو كانت (ها) ههنا هي التي تكونُ أولاً إذا قلت: هؤلاء، لم تُعدْ ههنا^(٨)
بعد أنتم» .

(١) في ب: «والبهم» .

(٢) «فصل» سقط من ب .

(٣) الكتاب ٣٥٤/٢، والخزانة ٤٦١/٥، وملحقات ديوان لييد: ٣٦٠ .

(٤) سورة آل عمران: ١١٩ .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣١/١، ومعاني الزجاج ٤٦٢/١-٤٦٣، والدر المصون ٢٣٥/٣ .

(٦) انظر الكتاب ٣٥٤/٢-٣٥٥ هذا باب استعمالهم علامة الإضمار الذي لا يقع موقع ما يضم في الفعل إذا لم يقع موقعه .

(٧) سورة النساء: ١٠٩ .

(٨) في الكتاب: «لم تُعدْ (ها) ههنا» انظر الكتاب ٣٥٤/٢-٣٥٥ .

وانتصب « مسهلاً » على الحال من « نظم » .

* * *

جَعَلْتُ أَبَا جَادٍ عَلَى كُلِّ قَارِيٍّ دَلِيلًا عَلَى الْمَنْظُومِ أَوَّلَ أَوَّلًا

جَعَلَ النَّاطِمُ - رحمه الله - حروفَ (أبي جادٍ) كنايةً عن القراء، بأن جعل لكل قارئٍ منهم حرفاً يُعَبَّرُ عنه به، وذلك الحرف محلُّه من الكلمة أولُها. وهذه الكنايات عنده على قسمين :

أحدهما: يَكْنِي به عن القارئ بانفراده .

والثاني: يَكْنِي به عنه إذا اجتمع مع غيره .

فالموضوعُ للانفراد أحدٌ وعشرون حرفاً، عدد الأئمة ورؤيتهم على حسب ما رتبهم في النظم .

فلنافعٍ وراويئيه: (أبج) .

ولابن كثيرٍ وراويئيه: (دهز) .

ولأبي عمروٍ وراويئيه: حطّي .

ولابن عامرٍ وراويئيه: كلم .

ولعاصمٍ وراويئيه: نصع .

ولحمزةٍ وراويئيه: فضق .

وللكسائيِّ وراويئيه: رست .

وهذا القسم هو الذي أشار إليه في هذا البيت .

وقوله: « أَوَّلَ أَوَّلَ » يُريدُ: الأَوَّلَ في النظم تجعلُ له الحرفَ الأوَّلَ، والثاني

لِلثاني، والثالث لِلثالث، هكذا .

فالألفُ لنافع، والباءُ لقالون، والجيمُ لورش، إلى آخرِ القراء، حتى تنتهي

إلى التاء من الحروف، وإلى الدُّوريِّ في رواية الكِسائيِّ، ولا تُجَعَلُ الواوُ كنايةً عن أحد من القراء؛ لأنَّهَا يُعْطَفُ بِهَا، فَيَلْتَبَسَ مَا هُوَ كِنَايَةٌ بِمَا لَيْسَ كَذَلِكَ، وسيأتي بيانُ القِسْمِ الثَّانِي من الكنايات؛ وهي كناياتُ الاجتماعِ .
وَبَنَى النَّاطِمُ - رحمه الله - هذا الاصطلاحَ على اصطلاحِ الحُسَّابِ الذين يجعلون الحروفَ كنايةً عن الأعداد، ولم يبن اصطلاحه على ما جاءت عليه في الأصل .

قال أبو عبد الله حمزة^(١) بن الحسن الأصبهاني: إنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ الكِتَابَةَ العربيةَ قومٌ من الأوائِل، استعربوا ووضعوا هذه الكتابةَ على عددِ حروفِ أسمائهم، وكانوا ستَّةَ نفرٍ: أبجد، هوز، حطي، كلمن، صغفض، قُرسَت، وهم ملوكُ مَدِين، ورئيسُهُم: كَلْمُن، هلكوا يومَ الظُّلَّةِ مع قومِ شُعيب، فقالت ابنةُ كَلْمُن تَرثِيهِ^(٢):

كَلْمُنُ قَدْ هَدَّ رُكْنِي هُلْكُهُ وَسَطَ الْحَلَّةِ
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْحَتْفُ نَارًا وَسَطَ ظُلَّةِ

ثمَّ وَجَدَ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ حُرُوفًا لَيْسَتْ مِنْ أَسْمَائِهِمْ، وَهِيَ سِتَّةٌ: الثَّاءُ وَالْحَاءُ وَالذَّالُ وَالظَّاءُ وَالغَيْنُ وَالشَّيْنُ، فَسَمَّوْهَا الرُّوَادِفَ .

قال سيبويه^(٣): « أبو جاد، وهواز، وحطي، كعمرو في جميع ما ذكرنا، وحال هذه الأسماء حال عمرو، وهي / أسماء عربية. وأما كلمون، وصغفض، ١/٧٠

(١) انظر عقد الخلاص لابن الحنبلي: ١٨٦، والأوائِل للعسكري ١/١٣٣، ١٣٦، والعقد الفريد

١٤٣/٤، واللسان (مرر)، والتاج والقاموس (بجد) .

(٢) انظر التاج (بجد) على اختلاف في الرواية، وألف باء للبلوي ١/٦٧ .

(٣) انظر الكتاب ٢٦٧/٣ باب تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء .

وقُريسيات فإنهن أعجمية لا ينصرفن، ولكنهن يقعن مواقع عمرو فيما ذكرت، إلا أن قُريسيات بمنزلة عرفات وأذرعات .

وقال في موضع آخر^(١): « وتقول: هذه قُريسيات كما ترى، شبهوها بهاء التأنيث؛ لأن الهاء تجيء للتأنيث، ولا تلحقُ بناتِ الثلاثة بالأربعة، ولا الأربعة بالخمسة .

قال قطرب^(٢): هو أبو جاد، وإنما حذفوا واؤه وألفه؛ لأنه وُضع لدلالة المتعلم، فكرة التطويل والتكرار وإعادة المثال مرتين، فكتبوه من غير واو ولا ألف؛ لأن الألف في أبجد، والواو في هواز قد عرفتُ صورتَهُما، وإنما كررت الياء في حُطِّي وقُريسيات؛ لاختلاف صورتَهُما في الظرف وغيره .

قلتُ: فظاهر ما حكاه قطرب أنه يقال: قُريسات، ولا يقال: قُريسيات، وسيبويه إنما ذكر قُريسيات بيائين، ولم يذكر أصحاب الحساب إلا قُريست، وأسقطوا الياءين؛ لأن المعتبر الحرف فقط لا صورته، وعلى هذا بنى الناظم. (ورأيت من يضبطها هكذا: أبجاد هاوز، حاطي، كَلَمَّان)^(٣) .

وروى ميمونُ بنُ مهرانَ عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال^(٤): إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ تَفْسِيرًا، عِلْمَهُ مَن عِلِمَهُ، وَجَهْلَهُ مَن جَهْلَهُ، ثُمَّ فَسَّرَ هَذِهِ الْكَلِمَ فَقَالَ: أبو جاد: أبا آدم الطاعة، وجدَّ في أكل الشجرة .

(١) انظر الكتاب ٢٣٤/٣ باب تسمية المذكر بلفظ الاثنين والجميع الذي تلحقُ له الواحدَ واوًا ونونًا، وفيه قريشيات بالشين .

(٢) انظر التاج (بجد)، وألف با للبلوي ٦٧/١ .

(٣) سقط من ب ..

(٤) انظر ألف باء للبلوي ٦٨/١ .

هوَّاز: زلَّ فهوى من السماء إلى الأرض .

حُطِّي: حُطَّت عنه خطاياها .

كَلْمُون: أَكَلَ من الشجرة، ومُنَّ عليه بالتوبة .

صَعْفَضُ: فَأَخْرَج من النعيم إلى النكد .

قُرَيْسَات: أَقْرَّ بالذنب فأَمِنَ العقوبة .

وقوله: « جعلت » هي هنا بمعنى صيرت. تتعدى إلى مفعولين، الثاني هو الأول في المعنى، تقول: جعلت حسني قبيحاً؛ أي: صيرته كذلك. وأبا جاد الأول بمعنى حروف (أبي جاد)، ودليلاً الثاني، والدليلُ والأمانةُ والمعنى، و « على كل قارئ » متعلقٌ بدليلاً، و « على المنظوم »: بدل من كل على إعادة العامل .

و « أوَّلَ أوَّلَ » : منصوبٌ على الحال من « أبي جاد » بمعنى : مرتبة، كقولهم: علَّمته الحِسَابَ باباً باباً؛ أي: مبوباً . والأصل: أولاً لأوَّلٍ، فحَذَفَ الجارَّ ورَكَّبَ وبَنَى كقولهم: هو جاري يَيْتَ يَيْتَ؛ أي: لصيقاً، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل محذوف، كأنه قال: أعطيتُ أولَ أولاً؛ أي: أعطيتُ أوَّلَ الحروف أوَّلَ القراء، وهذا أقلُّ تكلفاً من الأول، وأظهرُ معنىً .

ويعني بالمنظوم: القارئ^(١) المنظوم في الترتيب المتقدم .

* * *

(١) في ب: « القارئ » .

وَمِنْ بَعْدِ ذِكْرِ الحَرْفِ أُسْمِي رِجَالَهُ

مَتَى تَنْقُضِي آتِيكَ بِالْوَاوِ فَيَصِلُ

الحرف له في الاصطلاح محاملٌ: يُرادُ به حرفُ التَّهَجِّي كالزاي من (زيد)،
ويُرادُ به حرفُ المعنى كـ (مِنْ) و(عَنْ) و(فِي)، ويُرادُ به الكلمةُ على الإطلاق
اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً، وكثيراً ما يُطلقُ سيويهِ^(١) هذا الإطلاق، وهو الذي
أرادَ الناظمُ - رحمه الله تعالى - / فإنه أرادَ بالحرفِ الكلمةَ التي يختلفُ القراءُ فيها
بالإظهار والإدغام والفتح والكسر والضم والرفع وغير ذلك من الأحكام .

فنقولُ: إِنَّ النَّازِمَ أعطى بهذا البيت ثلاثَ قواعدَ:

الأولى: أنه يذكُرُ الحرفَ المختلفَ فيه، ويحكمُ عليه بحكمٍ من الأحكام .

الثانية: أنه يذكُرُ رجالَ ذلك الحكم المذكورِ في الحرفِ على ما اصطَلَحَ
عليه في حروف (أبي جاد)، وذلك أنه يذكُرُ كلمةً ليست من الألفاظ التي تُقَيَّدُ
بها أحكامُ القراءة، ويكون المرادُ من تلك الكلمة الحرفُ الكائنُ أوَّلَها، وسواءً
أكان جزءاً منها، أو داخلاً عليها. إذا كان على حرف واحد كقوله:

وَبَسْمَلٍ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ (بِ) سُنَّةٍ

(ر) جَالٌ (ن) مَوْهَا (د) رِيَّةٌ^(٦)

فقوله: «بَسْمَلٍ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ» هو الحرفُ المختلفُ فيه وأحكامُه، وهي قيده.

(١) انظر الكتاب ١٢/١، باب علم ما الكلم من العربية، وشرح السيرافي ٤٩/١ - ٥٠ .

(٢) الباء رمز لقالون .

(٣) الراء رمز للكسائي .

(٤) النون رمز لعاصم .

(٥) الدال رمز لابن كثير .

(٦) والبيت أول باب البسملة، وتمتمته:

وتحملاً

وقوله: « بسنة رجالٍ نموها درية » . هي رجالٌ ذلك الحكم أعني: أوائلَ الكَلِمِ الأربَعِ: الباءُ من (بِسْنَةٍ) وإن لم تكن من أجزائها، وراءٌ^(١) (رجالٌ)، ونونٌ (نَمَوْهَا)، ودالٌ (دِرِيَّةٌ) .

الثالثة: أنه يذكُرُ بعد انقضاء الرجال كلمةً أولها الواو، وهي تؤذِنُ بانقضاء الرجال المسمَّين للحرف المتقدم الحكم، وسواءً أكانت هذه الواو جزءاً من الكلمة، أو عاطفةً نحو قوله:

وَكَسْرُ بِيوتِ وَالبِيوتِ يُضَمُّ (ع)^(٢) نْ

(ج)^(٣) مَي (ج)^(٤) لَّةٍ وَجهاً على الأصل أقبلاً^(٥)

ونحو قوله: « وتحملاً » في البيت الذي أنشدناه أولاً .

وهذه القواعدُ الثلاثُ يأتي بها مرتبةً بالحرف المختلف فيه وقيوده، ثم بمرموز رجاله، ثم بالواو الفاصلة، ولهذا المعنى لم يجعل الواو كنايةً عن أحد من القراء للحاجة إليها، واختصها من بين سائر الحروف؛ لأنها في العطف لا تقتضي ترتيباً، وربما اضطرَّه النَّظْمُ إلى أن لا يُرتَّبَ .

فإن قيل: قد عكس هذا الترتيب في قوله^(٦):

(١) « راء » ساقطة من ب .

(٢) العين رمز لحفص .

(٣) الحاء رمز لأبي عمرو البصري .

(٤) الجيم رمز لورش .

(٥) البيت من فرس سورة البقرة، وقبله:

ونقلُ قرانٍ والقرانُ دواؤنا

(٦) البيتان في باب مذاهبهم في ياءات الإضافة، وأول البيت الأول:

... وأربعٌ (إِ) ذ (ح) ^(١) مَت هُداها ولكني بها اثنانٍ وكُلا
وتحتي وقُلُ في هودَ إني أراكُم

لأنَّ الرموزَ المذكورةَ في « إذ حمت هُداها » منسوبٌ إليها الياءاتُ الأربعة
المذكورةُ بعدها، وهي: ﴿ولكني﴾ ^(٢) في الموضعين، و ﴿تحتي﴾ ^(٣) في الزخرف،
و « في هود » ﴿إني أراكُم﴾ ^(٤) فكان حقه على ما قعدَ هنا أن يذكرَ هذه الياءاتِ،
ويأتي بعدها برجالها ؟

فالجواب: أن قاعدته لم تنعكس؛ لأنه ذكر قوله: « وأربع »، وذكر بعده
الرجال، ثم أتى بقوله: « ولكني »، و « تحتي »، تفسيراً لقوله: « وأربع »، فكأنه قدر
قائلاً يقول له: ما الأربعة التي حكمتَ لهن بالفتح لهؤلاء الرجال، فقال: ولكني
وكذا .

ونصب قوله: « الحرف » بالمصدر الذ هو « ذكري »؛ لأنه أضافه ^(٥) إلى الياء،
وهو الفاعل .

وياءان في اجعل لي

وتتمة البيت الثاني:

وقل فطرُن في هودَ (هـ) اديه (أ) ووصلا

- (١) الهمزة رمز لنافع .
- (٢) الحاء رمز لأبي عمرو .
- (٣) سورة الأعراف: ٦١، ٦٧ .
- (٤) سورة الزخرف: ٥١ .
- (٥) سورة هود: ٨٤ .
- (٦) في ب: لأنه إضافة إلى الياء . .

و « أُسْمِي » و « أُسْمَى » بمعنى: ذَكَرْتُ الاسمَ. قال ابنُ القوطية^(١): « أُسْمِيَتْ الشيء؛ جعلتَ له اسماً » .

و « متى » ظرفُ زمانٍ فيه معنى الشرط .

و « تنقضي » مجزومٌ بسكون الياء، وكان في الرفع بالضممة ظاهرةً، وهذا على لغة من يُجري الياءَ والواوَ مُجْرَى حروفِ الصَّحَّةِ، فيرفعُ بالضممة ظاهرةً، وبالفتحة كذلك، ويُسكِّنُ في الجزم^(٢) / . وعلى هذا قراءةُ قُنبِل^(٣): ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ﴾^(٤)، وقول الشاعر^(٥):

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْحِي بِمَا لَأَقْتُ لُبُونُ بَنِي زِيَادِ

وقولُ الآخر^(٦):

هَجَوْتُ زَبَانَ ثُمَّ جِئْتُ مُعْتَذِرًا مِنْ هَجْوِ زَبَانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ

وكذلك قوله: « آتيك »، الكلام فيه كما تقدم . و « الفيصل »، والفاصل بمعنى، وهو حال من الواو؛ أي: آتيك بها فاصلة بين الكلم، التي تكون كناية

(١) الأفعال: ٧٥ (سما) .

(٢) انظر البحر المحيط ٣٤٢/٥-٣٤٣ .

(٣) انظر السبعة: ٣٥١، وفي هذه القراءة يقول الشاطبي في باب ياءات الزوائد: وَمَنْ يَتَّقِي (ز) كَا بِيوسُفَ وَأَفَى كَالصَّحِيحِ مُعَلَّلًا

فالزاي من « زكا » يُرمزُ به لقبيل راوي ابن كثير .

(٤) سورة يوسف: ٩٠ .

(٥) البيت من الوافر، نسبه في الخزانة لقيس بن زهير العبسي ٣٥٩/٨، ٥٢٤/٩، وفي أ: وقوله.

(٦) البيت من البسيط بلا نسبة في سر الصناعة ٦٣٠/٢، والخزانة ٣٥٩/٨، وهو لأبي عمرو

بن العلاء (زبان) قاله للفرزدق عندما اعتذر إليه من هجائه إياه. انظر معجم الأدباء

. ١٥٨/١١

عن الرجل، وما لا يكون كناية.

ومثال ما أراده الناظم قوله^(١):

وَمَا يَخْدَعُونَ الْفَتْحُ مِنْ قَبْلِ سَاكِنٍ وَبَعْدُ (ذَ) كَا وَالْغَيْرُ
فالْحَرْفُ الْمُخْتَلَفُ فِيهِ ﴿يَخْدَعُونَ﴾^(٢) . وَأَحْكَامُهُ: هِيَ قِيُودُهُ الَّتِي حَكَّمَ عَلَيْهِ

بِهَا .

و «الرجال» : هو ذال « ذكا » ، والواو الفاصلة: واو « والغير » ، ونحو

قوله^(٤):

وَعَدْنَا جَمِيعًا دُونَ مَا أَلْفٍ (حَ) لَا

وَأَسْكَانٌ^(٦)

* * *

(١) البيت أول فرس سورة البقرة، وتمتمته:

... .. كالحرف أوّلاً

(٢) الذال رمز للكوفيين الثلاثة مع ابن عامر الشامي .

(٣) سورة البقرة: ٩ .

(٤) البيت من فرس سورة البقرة، وأوله:

وَيُقْبَلُ الْأُولَى أَنْثُوا (د) وَنَ (حَ) اجزٍ

(٥) الحاء رمز لأبي عمرو، أي: قرأ أبو عمرو البصري: « واعدنا » حيث وردت في القرآن بغير

ألف .

(٦) وتمة الشطر:

... يَرْضَهُ يُمْنُهُ (ل) بِسُ (ط) يَّيِّبِ

سِوَى أَحْرَفٍ لَا رِيْبَةً فِي اتِّصَالِهَا

وَبِاللَّفْظِ اسْتَعْنِي عَنِ الْقَيْدِ إِنْ جَلَا

لما التزم أن يأتي بالحرف المختلف فيه مع تقييده ثم برجاله، ثم بالواو بعد انقضاء الرجال؛ ليؤذن بالفراغ منها. أخبر أن هنالك مواضع لا يأتي بعد انقضاء الرجال فيها بالواو، فتتصل بذلك التراجم المختلف فيها، فلذلك استثنائها من الكلية المتقدمة كقوله^(١):

وَطَسَ عِنْدَ الْمِيمِ (فَ)^(٢) اَزَّ اتَّخَذْتُمْ أَخَذْتُمْ
وَحَقُّهُ أَنْ يَقُولَ: واتَّخَذْتُمْ. وكقوله^(٣):

وَيَدْعُونَ خَاطِبُ (إِ)^(٤) ذُ (لَ)^(٥) وَي هَاءٌ مِنْهُمْ
وَحَقُّهُ: وهَاءٌ. وكقوله^(٦):

وَقَرْنًا افْتَحَ (إِ) ذُ (نَ) صُوا يَكُونُ (لَ) هَ (تَ)^(٧) سِوَى

(١) البيت من باب حروف قربت مخارجها، وتتمته:

... وفي الأفراد (ع) اشْرَدَ (غ) فِلا

(٢) الفاء رمز لحمزة .

(٣) البيت أول فرش سورة غافر، وتتمته:

بِكَافٍ (كَ) فَيَ أَوْ أَنَّ زِدِ الهمزُ ثَمَّلا

(٤) الألف رمز لنافع .

(٥) اللام رمز لهشام .

(٦) البيت من فرش سورة الأحزاب، وتتمته:

... .. وخَاتِمَ وَكَلَّلا

(٧) الشاء رمز للكوفيين الثلاثة، وفي النسختين معاً: ثرى بدل ثوى، وهي كذلك في النسخ الخطية.

يَحِلُّ سِوَى الْبَصْرِيِّ

وَحَقُّهُ أَنْ يَقُولَ: وَيَكُونُ، وَيَحِلُّ. وَارْتَفَعَ اللَّبْسُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَאוּ؛ لِأَنَّ حَرْفَ الْقُرْآنِ أَوْ تَقْيِيدَهُ لَا يَضْمُنُهُ رِمَازًا، فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ لَبْسًا، وَأَشْكَلُ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ^(١):

وَقُلْ قَالَ مُوسَى وَاحْذِفِ الْوَاوَ (دُ) خَلَلًا

ثُمَّ قَالَ مُتَّصِلًا بِهِ^(٢):

(نَ) مَا (نَفَرٌ)^(٣) بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ يَرْجِعُونَ نَ

فَلَمْ يَأْتِ بَعْدَ دَالٍ « دُخَلَلًا » بِوَاوٍ، وَوَصَّلَ بِهِ رِمُوزَ التَّرْجُمَةِ الثَّانِيَةَ، لَكِنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْبَيْتِ أَلَّا يَكُونَ مَضْمُنًا عَلَيَّ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْتَعْمَلُ التَّضْمِينَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، لَكِنَّهُ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى، وَأَمَّا فِي هَذَا الْبَيْتِ فَلَا لَبْسَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَضْمُنًا مِثْلًا لَكَانَ « نَمَى وَنَفَرٌ » رَاجِعِينَ إِلَى تَرْجُمَةٍ: « قَالَ مُوسَى »، وَكَانَتْ تَبْقَى تَرْجُمَةٌ: « تَرْجِعُونَ » مِنْ غَيْرِ رِمُوزٍ .

وَنَصَّبَ قَوْلَهُ: « سِوَى أَحْرَفٍ » عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ نَصْبًا غَيْرًا .

وَمَذْهَبُ سِيبَوِيهِ^(٤) أَنَّهُ ظَرَفُ مَكَانٍ، فِيهِ مَعْنَى الْإِسْتِثْنَاءِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى

(١) الْبَيْتُ مِنْ فَرَشِ سُورَةِ الْقَصَصِ، وَأَوَّلُهُ:

يُصَلِّقُنِي أَرْفَعُ جِزْمَةً فِي نَصُوصِهِ

(٢) الْبَيْتُ مِنْ فَرَشِ سُورَةِ الْقَصَصِ، وَتَمَّتْهُ:

... .. سِحْرَانِ (ث) قُ فِي سَاحِرَانِ فَتُقْبَلَا

(٣) (نَفَرٌ) مِنَ الرَّمْزِ الْكَلِمِيِّ يَقْصَدُ بِهِ: حَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَابْنُ عَامِرٍ . أَخَذَ مِنْ قَوْلِهِ:

وَقُلْ فِيهِمَا وَالْيَحْصِيُّ نَفَرٌ حَلَا

(٤) الْكِتَابُ ٢/٣٥٠ .

ذلك قولُ العَرَبِ: مررتُ بَمَنْ سِوَاكَ، فَوَقوعُهُ بعدَ « من » يدلُّ على أنه ظرف، ولا بد؛ لأنَّ مَنْ الموصولة، إنما توصل بالجملة، أو بما هو في تقدير الجملة وهو المجرور والظرف، وهذا ليس بمجرور، فتعين أن يكون ظرفاً .

و « ريبة » اسم لا، أعملها عمل ليس، وقد تقدم مثله له. و « في اتصالها » :

خبرها، والريبة: الشك / .

وفي الحديث^(١): « دَعَّ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ » ؛ أي: ما يُشكِّكُك، ويحصلُ فيه الريبةُ إلى غيره، وهي في الأصل: قلقُ النفس واضطرابُها . ألا ترى كيف قابلها بالطمأنينة في قوله: « فَإِنَّ الكَذِبَ رِيبةٌ، والصُّدُقَ طَمَأْنِينَةٌ^(٢) » وذلك أن النفس إذا شكَّت في أمر لا تستقرُّ .

ومعنى « لا ريبة » : لا شكَّ يعرضُ للناظر بسبب اتصالها؛ لأنه اتصالٌ غيرُ مُلبس؛ لأنه في المعنى منفصل، فلا ريبةَ في اتصاله .

و « اتصالها » : مصدرٌ من قولك: اتصل الشيء، وأصله (اتصل) وللعرب

في مثل هذا مذهبان:

أحدهما: أن تقلبَ الواوَ بحسب ما قبلها من الحركات، فتقول: ايتصلَّ ياتصلُّ، وإذا بنيتَه للمفعول قلت: أوُتصلَّ، فتصحُّ الواوُ؛ لانضمام ما قبلها .

والثاني: أن تقلبَ الواوَ تاءً، وتُدغمَ التاءَ في التاءِ خوفاً من تلاعب الحركات بحرف العلة، وهكذا كل (افتعل) مما فاؤه واوٌ أو ياءٌ نحو: ايتسرَ من

(١) انظر الجامع الصغير للسيوطي برقم: (١٢٠٤٧) ، و(١٢٠٤٨) .

(٢) الجامع الصغير برقم: (١٢٠٤٨) .

اليسر، تقول فيه: أَسْرَ وَايْتَسَرَ^(١).

قوله: « وباللفظ أستغني عن القيد »، يقول: قد لا أُقَيِّدُ الحرفَ المَخْتَلَفَ فيه، بل آتِي به على لفظه لو قَيِّدَ، وذلك أنه التَزَمَ أنه يذْكَرُ الحرفَ ثم يُقَيِّدُه، كقوله^(٢):

وصيةً أرفعُ (ص) فَوْ (ح) رميةً (ر) ضاً

فالحرفُ لفظٌ: « وصية »، وتقييدهُ: قوله: « أرفعُ ». والرموز ما بعد ذلك. ثم أخبرَ هنا أنه في بعض المواضع لا يُقَيِّدُ الحرفَ، ويستغني بلفظه عن تقييده، وذلك في الغالب يكون عنده على وجهين:

أحدهما: أن يكونَ الوزنُ يقتضي ذلك نحو قوله^(٣):

وحمزةٌ أسرى في أسارى

فلم يُقَيِّدْ قراءةَ حمزة ولا قراءةَ الباقيين، بل لفظَ بالحرف كما يُقرأ؛ لأنَّ الوزنَ يبيِّنُ ذلك .

والثاني: أن يكونَ الرسمُ يقتضي ذلك نحو قوله^(٤):

(١) وفيه يقول ابنُ مالك من باب الإبدال:

ذو اللينِ فاتا في افتعالٍ أبدلاً
وشدُّ في ذي الهمز نحو ائتكلأ
طا تا افتعال رُدَّ إثرَ مطبِقٍ
في أدانَ وازدَدَ وادكرُ ذالاً بقي

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وتمتمته:

ويصطُّ عنهم غيرُ قُنْبُلٍ اعتلاً
... ..

(٣) رمز لشعبة .

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وتمتمته:

تُفَادُوهُمْ والمدُّ (إ) ذُ (ر) اق (ن) فلأ
... .. وضمُّهم

..... وعند سِرَاطٍ والسِّرَاطَ لِقُنْبَلًا
 فقيّد القراءة في السراط بلفظيها اتكالا على الرسم، وإذا قيّد القراءة باللفظ،
 فقد يُقيّد القراءتين، أعني المذكورَ راويها، والمسكوتَ عن راويها، كقوله^(١):
 وَحَمْرَةٌ أُسْرَى فِي أُسَارَى
 وكقوله^(٢):
 أَوْصَى بِوَصَى
 وقد يُقيّد إحداهما باللفظ، ولا يذكر الأخرى كقوله^(٣):
 وَمَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (ر) اُوِيهِ (ن) اَصِرُّ
 وكقوله^(٤):
 وَبِالتَّاءِ آتَيْنَا وَبِالضَّمِّ (خ) (٥) حَوْلًا

(٥) البيت من فرش سورة الفاتحة . وأوله:

..... وَمَالِكِ يَوْمِ (ر) اُوِيهِ (ن) اَصِرُّ

(١) البيت من فرش سورة البقرة، وتمتمته:

..... وَضُمَّهُمْ تَفَادَوْهُمْ وَالْمُدُّ (ل) ذُ (ر) اِقَ (ن) فَلَا

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وتمتمته:

..... وَأَخْفَاهُمَا (ط) لَقَّ وَخَفُّ بْنُ عَامِرٍ فَأَمَّتَعُهُ أَوْصَى بِوَصَى (ك) مَا (ا) عَتَلَا

(٣) البيت أول سورة الفاتحة، وآخره:

..... وعند سِرَاطٍ والسِّرَاطَ لِقُنْبَلًا

(٤) البيت من فرش سورة آل عمران، وأوله:

..... وَرَفَعُ وَلَا يَأْمُرُكُمْ (ر) وَحَهُ (سَمَا)

(٥) الخاء رمز للقراء السبعة جميعهم عدا نافع، أُخِذَ من قوله:

وَسْتَتُّهُمْ بِالْخَاءِ لَيْسَ بِأَغْفَلًا

وقد يكونُ الحرفُ بعضُهُ ملفوظٌ بتقييده، وبعضُهُ باللفظ كقوله^(١):

تُمارونه تَمْرُونَهُ وَاَفْتَحُوا (شَد) ^(٢) لَذَا

وهذا كله إنما يفعلُه حيث يكون الأمرُ جلياً لا لبسَ فيه على الناظر في الكتاب، وهذا هو معنى قوله: «إن جلا»؛ أي: إن كَشَفَ اللفظُ بالحرف ما (أدرتُه وبيَّنتُه)^(٣)، هو من قولك: جلوتُ الأمر: كَشَفْتُهُ .

وجوابُ قوله: «إن جلا» محذوفٌ، يدلُّ عليه قوله: «وباللفظ أستغني» ، ولا يكون الجوابُ متقدماً .

* * *

وَرُبَّ مَكَانٍ كَرَّرَ الْحَرْفَ قَبْلَهَا لِمَا عَارِضٍ وَالْأَمْرُ لَيْسَ مَهْوً لَا

/ لما التزم أن يذكرَ القراءَ معبراً عنهم بحروف (أبي جاد) لزمه ألا يذكرَ /
القارئ في البيت إلا مرةً واحدةً، ولا يكرِّره إلا إن ذكره في ترجمة ثانية، ويكون ذلك بعد ذكر الواو الفاصلة كقوله^(٤):

وَعُدْتُ عَلَى إِدْغَامِهِ وَنَبَذْتُهَا (شَد) وَاِهْدُ (حَد) مَادٍ وَأُورِثْتُمْ (حَد) لَا

فقد كرَّرَ الحاءَ في البيت مرتين لكن بعد الواو، فعلم بذلك أنه لقراءته في

(١) البيت من وزن سورة الذاريات، وتمتمه:

وَمَنَاءَةٌ لِلْمَكِيِّ زِدِ الْهَمْزَ وَاحْفِلاً

(٢) الشين رمز للكسائي وحمزة، أخذ من قوله:

وذو النقطِ شينٌ للكسائي وحمزة

(٣) كذا في الأصل .

(٤) البيت من باب حروف قربت مخارجها .

حرف ثانٍ، ولكن قد يضطره النظم لإقامة الوزن أو القافية، أو تتميم المعنى،
فيكرر الحرف في الترجمة الواحدة دون أن يأتي بواو نحو قوله:

عُلَا عُلَا

وذا أُسْوَة تَلَا

وكقوله:

صُحْبَة تَلَا

و:

نَفَرٌ حَلَا

و:

سَمَا العُلَا

و:

حُلَا حَلَا

ثم إذا وقع هذا التكرار فقد يأتي بعده بواو الفصل، وهو الأكثر، وقد لا
يأتي به نحو:

عُلَا عُلَا

سَلَسِلَ نَوْنٌ

ولأجل كثرة الأول بنى عليه فقال: « كَرَّرَ الحرفَ قبلها »، يريد بالحرف:
حرفَ الرمز. و « هاء قبلها » : تعود على الواو، ونصب « الحرف » بـ « كرر »،
وفيه ضمير يعود إلى المكان على جهة المجاز، كأن المكان لما أتى فيه الحرفُ
مكرراً، فقد كرره ويحتملُ أن يعود إلى الناظم، والأولُ أقربُ .

واختلف النحاة في (رُبَّ) (١):

فقال طائفة: لا تتعلق بشيء .

وقالت طائفة: تتعلق. وإذا قلنا بالتعلق، فاعلم أنه على ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يكون ظاهراً نحو قولك: رُبَّ رجلٍ عالمٍ لقيتُ، أو أدركتُ .

والثاني: أن يكون مقدرًا غيرَ ملفوظٍ به، مثل أن يُقال لك: هل أدركتُ

من العلماء أحداً؟ فتقول: رُبَّ رجلٍ عالمٍ، ولا تذكرُ أدركتُ ولا لقيتُ،

ولكنك تريده، وحذفته استغناءً بعلم السامع.

والثالث: أن تنوبَ منابه الجملة التي هي صفة للمعمول، وذلك نحو: رُبَّ

رجلٍ قامَ، ورُبَّ رجلٍ لقيتُهُ، فلا يجوز أن يعملَ « قامَ » ولا « لقيتُهُ » في « رُبَّ » ،

أما « قامَ » فلا يجوز أن يعملَ؛ لأنه لا يعملُ فعلُ الفاعلِ المتصلِ في ظاهره، لا

تقول: زيدا ضرباً، بنصب زيد، تعني ضربَ نفسه. ولا فرق بين تعديه بنفسه

وبجرف الجر، وأما ضربتُهُ فلا يجوزُ أن يعملَ؛ لأنَّ الفعلَ إذا طلبَ معنىً فلا

يتقضى منه إلا لفظاً واحداً، إما مضمراً وإما ظاهراً، وقد عملَ الفعلُ الذي هو

ضربتُهُ في الهاء، فلا يعملُ في ظاهره، ولهذا قال النحويون (٢) في قول الشاعر (٣):

هَذَا سُرَاقَةٌ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَا إِنِ يَلْقَاهَا ذَيْبُ

(١) انظر الأزهية: ٢٦٨، ورتف المباني: ٢٦٦، وأمالي ابن الشجري ٣٠٠/٢، والمغني ١٣٤/١.

(٢) انظر أمالي ابن الشجري ٩١/٢-٩٢. فالهاء ضمير للمصدر الذي هو الدرس، التقدير: للقرآن الذي يدرسُ درساً.

(٣) من البسيط، ولم يعرف قائله، انظر الكتاب ٦٧/٣، والخزانة ٣/٢، والرتف ٢٤٧، واللسان (سرق). وانظر هامش (٤) من أمالي ابن الشجري ٩١/٢.

إن الهاء في « يدرُسُهُ » تعود على المدرس، ولا تعود على القرآن؛ لأن الفعل قد تعدى إليه باللام ظاهراً، فلا يتعدى إليه مضمراً .

فإذا ثبت ذلك فنقول: إن « رَبُّ » في البيت من القسم الثالث مما نابت الصفة فيه مناب العامل، وأجزأت عنه في الاستقلال، وذلك أن الضمير في « كَرَّرَ » « إن أعدته على مكان، كان هو العائد على الموصوف، وكان كقولك / : رَبُّ ١/٧٥ رجلٍ قام، وقد تقدم بيانه، وإن أعدت الضمير على الناظم، كان في الكلام ضميرٌ محذوفٌ، يعود على الموصوف التقدير: ورُبَّ مكانٍ كرَّرَ الناظم الحرف فيه، وكان كقولك^(١): رَبُّ رجلٍ ضربته. وقد قدر بعضُ الشُّراح^(٢) العامل محذوفاً فقال: والعامل في « رَبُّ » ومجرورها محذوفٌ تقديره: وجدَّ أو عُثِرَ عليه. انتهى كلامه . وقد بينا ما في هذا الكلام .

و « ما » في قوله: « لما عارضٍ » زائدة^(٣) كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾^(٤) .

وقوله: « والأمرُ ليس مهولاً » ؛ أي: ليس مُفزعاً، ومنه المهول الذي يُحلفُ على النار، وذلك لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا أن يُحلفوا الرجل، أوقدوا ناراً، وألقوا فيها ملحاً، ويُسمونه التهويل^(٥)؛ أي^(٦): إنَّ تكرارَ الحرفِ لا يُفزعُ،

السينب

- (١) في الأصل: « قولك » .
- (٢) انظر فتح الوصيد، والآلي الفريدة، وكنز المعاني للجعيري في شرح الإيضاح . وإبراز المعاني ١/١٧٣ .
- (٣) والقول الثاني أنها نكرة تامة، انظر الدر المصون ٤/١٤٢ .
- (٤) سورة النساء: ١٥٥ .
- (٥) انظر (هول) في الصحاح واللسان .
- (٦) « أي » سقط من ب .

إذ لا يؤدي إلى الإشكال وإلى الالتباس .

* * *

وَمِنْهُنَّ لِلْكَوْفِيِّ ثَاءٌ مِثْلُ
عَنَيْتُ الْأَلِيِّ أَثْبَتُهُمْ بَعْدَ نَافِعٍ
وَسِتَّتُهُمْ بِالْحَاءِ لَيْسَ بِأَغْفَلًا
وَكُوفٍ وَشَامٍ ذَالُهُمْ لَيْسَ مُغْفَلًا

هذا هو النوع الثاني من الكنايات، وذلك أنه جعل باقي حروف «أبي جاد» كناية عن القراء إذا اجتمعوا على قراءة ما، وهي الحروف الروادف، وهي: تخذ طغش .

فالثاء منهن للكوفيين الثلاثة، والحاء للجميع إلا نافعاً، والذال للكوفيين وابن عامر، وهذه الحروف الثلاثة مقتضى هذين البيتين .

فقوله: « ومنهم » يعني من حروف (أبي جاد)، ويراد بالكوفي الثلاثة وإن أفرده، وإنما وصفت الثاء ليتحرز من التاء ذات اثنتين، إذ لم يجز لها ذكر بالنص . وقوله: « وستتهم » يعني بالسته الأئمة المذكورين في نظمه بعد نافع، لا ستتهم على الإطلاق، وهذا معنى قوله:

عَنَيْتُ الْأَلِيِّ أَثْبَتُهُمْ بَعْدَ نَافِعٍ

الألي: بمعنى الذين. يريد الذين أثبتهم في النظم بعد نافع، وهم: ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والكوفيون الثلاثة .

وقوله: « وكوفٍ وشامٍ » يريد وكوفي وشامي، لكنه حذف الياء الساكنة من ياءي النسب، ثم أجرى الياء الباقية مجرى ياء (قاضي)، وقد تقدم التنبية عليه. وهكذا حكم ما يأتي من هذا النوع .

والأغفلُ من الحروف^(١): ما لم يُنْقَطْ، وكذلك المغفل، وموضع « ليس بأغفلا » نصبٌ على الحال من الخاء، وصلة الألى قوله: « أثبتُّهم »، ونظيره قولُ الشاعر^(٢):

رَأَيْتُ بَنِي عَمِّي الألى يَخْذِلُونِي على حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذِ يَتَقَلَّبُ
و « كوفٍ وشامٍ » : مبتدأ، و « ذالهم » : ابتداءٌ ثانٍ خبرُهُ « ليس مغفلا » ،
والجملةُ خبرُ الأول .
ولو قال عوضَ قوله:

« عَنَيْتُ الألى أَثْبَتُّهُمْ بعد نافعٍ » :
عَنَيْتُ البُدُورَ مِنْهُمْ^(٣) غيرَ نافعٍ

لكان أبينَ / .

* * *

وَكُوفٍ مَعَ المكيِّ بِالظَّاءِ مُعْجَمًا وَكُوفٍ وَبَصْرٍ غَيْنُهُمْ لَيْسَ مُهْمَلًا
يتضمَّنُ هذا البيتُ حرفين من الروادف وهما: الظاءُ والغين، فالظاءُ
للكوفيين وابنِ كثير، والغينُ للكوفيين وأبي عمرو، والمعجمُ من الحروف ما نُقِطَ
من قولك: أعجمتُ الكتابَ: أزلتُ عجمته^(٤)؛ لأنَّ النقطَ يُزيلُ عجمتها، وهو

الفاسي

- (١) انظر تعليقُ والجعيري على البيت، والسراج لابن القاصح : ٢٠ .
- (٢) من الطويل، لبعض بني فقحس في الخزانة ٣٠/٣ .
- (٣) « منهم » غير واضح في الأصل .
- (٤) الصحاح (عجم) .

X

التباسُّها، والمهمَلُ أيضاً: ما لم يُنْقَطْ؛ أي: تُرِكَ غيرَ منقوطة^(١).

* * *

وَذُو النَّقْطِ (شِينٌ لِلْكَسَائِيِّ وَحَمْزَةٌ
 وَقُلٌّ فِيهِمَا مَعَ شُعْبَةٍ (صُحْبَةٌ) تَلَا
 (صِحَابٌ) هُمَا مَعَ حَفْصِهِمْ (عَمٌّ) نَافِعٌ
 وَشَامٌ (سَمَاءٌ) فِي نَافِعٍ وَفَتَى الْعَلَاءِ
 وَمَكٌّ وَحَقٌّ فِيهِ وَابْنُ الْعَلَاءِ قُلٌّ
 وَقُلٌّ فِيهِمَا وَالْيَحْضِيُّ (نَفَرٌ) حَلَا
 وَ(جِرْمِيٌّ) الْمَكِّيُّ فِيهِ وَنَافِعٌ
 وَ(حِصْنٌ) عَنِ الْكُوفِيِّ وَنَافِعُهُمْ عَلَاً

أخبر أن الشينَ ذا النقطِ للكسائيِّ وحمزة، وهذا آخرُ الحروفِ الروادفِ،
 وبه انقضى الكلامُ في كُنَايَاتِ الاجْتِمَاعِ^(٢)، ثم أراد أن يجعلَ لاجتماعِ القراءِ
 كُنَايَاتٍ أُخْرَى، فاختَرَعَ ثَمَانِيَةَ كَلِمٍ، جَعَلَهَا كُنَايَاتٍ، وَهِيَ: صُحْبَةٌ، وَصِحَابٌ،
 وَعَمٌّ، وَسَمَاءٌ، وَحَقٌّ، وَنَفَرٌ، وَجِرْمِيٌّ، وَحِصْنٌ، وَلَمْ يَقْصِدْ اسْتِيفَاءَ صُورِ
 الاجْتِمَاعِ، وَإِنَّمَا اعْتَبَرَ الْأَكْثَرَ.

فأما «صُحْبَةٌ» فكنايةٌ عن حمزة والكسائيِّ وأبي بكر، وأما «صِحَابٌ»
 فكنايةٌ عن حمزة والكسائيِّ وحفص، وعبرَ بهذين اللفظين لأصحابهم في المذهبِ
 الكوفيِّ. وأما «عَمٌّ» فكنايةٌ عن نافعِ وابنِ عامرٍ؛ لعمومِ رَوَايَتِهِمَا، وَأما «سَمَاءٌ»
 فكنايةٌ عن نافعِ وأبي عمروِ وابنِ كثيرٍ، بمعنى السُّمُوِّ والشُّهْرَةِ، وَ«حَقٌّ» لابنِ

(١) انظر معنى حروف المعجم في سر صناعة الإعراب ١/١٣٣-١٤٠.

(٢) انظر الفتح واللائي والكنز للجعبري في التعليق على المحل.

كثير وأبي عمرو بمعنى القمّة، و «نَفَرٌ» لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر؛ لأنهم ثلاثة، والثلاثة نَفَرٌ، وهو دليلُ كثرة النّقلة، و «جِرْمِيٌّ» لنافع وابن كثير؛ لأنهما إماما الحرمَين، فنافعُ إمام حرم المدينة، وابن كثيرُ إمام حرم مكة، شرفهما الله تعالى .

والتَّسَبُّبُ إليه: حَرَمِيٌّ على القياس^(١)، ويقال: حَرَمِيٌّ على غير قياس^(٢)، كما قالوا في الدَّهْر: دُهْرِيٌّ، وقيل: يُقال في الحَرَم: حَرَمٌ، قال الشاعر^(٣):
 وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحَشًا بِقَاعُهَا لِعَيْبَةٍ مَن كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
 فقولهم على هذا: حَرَمِيٌّ قياسٌ .
 وأما «حِصْنٌ» فللكوفيّين ونافع؛ لما فيها من التحصّن بكثرة الرواة، وصحّة النقل، وغير ذلك .

وارتفاع / قوله: «شَيْنٌ» على البدل من «ذو»، و «فيهما» متعلقٌ بـ «قُلْ»،
 و «مَعَ شَعْبَةٍ» حالٌ من ها فيها، و «صَحْبَةٌ تَلَا»: مبتدأ وخبرٌ، منصوب بالقول، وأفرد الضمير في «تلا»؛ لأنَّ «صَحْبَةٌ» صار عنده علماً، فهو كالمفرد، وليس من الاصطلاح في شيء، وربما أتى به في بعض الأبيات كذلك، والضمير في قوله: «فيهما» يعودُ على حمزة والكسائي؛ أي: قُلْ في حمزة والكسائي إذا اجتمعَا مع شعبة صحبةً، و «صِحَابٌ» مبتدأ، وهما خبره، و «مَعَ حَفْصِهِمْ» حالٌ، و «هما» يعودُ على حمزة والكسائي. «عمٌ نافعٌ وشامٌ» ابتداءً وخبرٌ، «سما»

(١) انظر عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (حرم) ١/٤٥٧-٤٥٩، والصحاح (حرم) .

(٢) انظر التاج (حرم) .

(٣) هو حسان بن ثابت في ديوانه: ١/٤٥٦، وفيه (الحرم) بالضم .

مبتدأ، و « في نافع » خبره، و « فتى العلا » و « مك » معطوفان على « نافع » ، و « حق » مبتدأ، و « فيه » خبره، والهاء تعودُ على « مك » ، و « ابنُ العلا » معطوفٌ على الهاءِ المجرورةِ في « فيه » ، عَطَفَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ الْخَافِضِ كَقَوْلِهِ^(١):

فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ

و « نَفَرٌ حَلًا » : مبتدأ وخبرٌ، و « اليحصيُّ » معطوفٌ على المضمَرِ المجرورِ، وباقي الأبيات بين الإعراب .

* * *

وَمَهْمَا أَتَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ كَلِمَةٌ

فَكُنْ عِنْدَ شَرْطِي وَاقْضِ بِالْوَاوِ فَيَصَلَا

اعلمَ أَنَّ الرُّمُوزَ تَأْتِي فِي هَذَا الْقَصِيدِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ: فَضَرْبٌ تَنْفَرِدُ فِيهِ حُرُوفُ (أَبِي جَادٍ)، فَيَكُونُ مَحَلُّهَا بَعْدَ الْحَرْفِ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ وَبَعْدَ تَقْيِيدِهِ كَقَوْلِهِ^(٢):
وَرَفْعُكَ لَيْسَ الْبِرُّ يُنْصَبُ (فـ) فِي (عـ) لَا

(١) الشاهد فيه عطف « الأيام » على المضمَرِ المجرورِ . وهذا البيت بلا نسبة في الكتاب ٣٨٣/٢ ، (هذا باب ما يحسن أن يشركَ المظهرُ المضمَرُ فيما عملَ، وما يقبُحُ أن يشركَ المضمَرُ المظهرَ فيما عملَ فيه) ، وقال الشنتمري: هذا البيت غير معروف في الكتاب عند كثير من حملته . انظر تحصيل عين الذهب ص: ٣٨٢ ، برقم: (٥٦٨) ، والمقرب ٢٣٤/١ ، وشرح أبيات سيبويه ٢٠٧/٢ . وأوله:

فاليوم قرَّبتَ تهجونا وتشتمنا

وهو من البسيط .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

بِخُلْفِ لِه فِي رَحْمَةٍ وَخَيْثَةٍ
.....

وقد تقدّم هذا الضربُ في قوله: « ومن بعدِ ذِكْرِي الحرفَ » .
 وضربٌ تنفردُ فيه الكَلِمُ الثماني الموضوعَةُ للجمع، ولا يَلْتَزِمُ فيها ترتيباً، بل
 يأتي بها بعدَ الحرفِ المختَلَفِ فيه وقبله، فمثالها بعده قوله^(١):

وَقُرْحُ بَضْمِ الْقَافِ وَالْقُرْحُ (صُحْبَةٌ)^(٢)

ومثالها قبله^(٣) قوله:

(صُحْبَةٌ) يُصْرَفُ فَتَحُ ضَمٌّ وَرَأْوَةٌ بِكَسْرٍ

وسياتي الكلامُ عن هذا الضرب عند قوله^(٤):

وَقَبْلَ وَبَعْدَ الحَرْفِ آتَى بِكُلِّ مَا رَمَزْتُ بِهِ فِي الجَمْعِ

وضربٌ تجتمعُ فيه حروفُ (أبي جاد) وكَلِمُ الجمع، فيكون الحُكْمُ للكَلِمِ،
 فتصير حروفُ (أبي جاد) لا يَلْتَزِمُ فيها ما كان يَلْتَزِمُهُ لو انفردت بالذِّكْرِ من
 إتيانه بها بعد الحرفِ المختَلَفِ فيه، بل يأتي بهن قبل الحرفِ المختَلَفِ فيه وبعده،
 فمثالهما قبل الحرفِ المختَلَفِ فيه قوله^(٥):

(١) البيت من فرس سورة آل عمران، وآخره:

... .. ومع مد كائن كسر همزته (د) لا

(٢) (صحبة) رمز للكسائي وحمزة وشعبة، أخذت من قوله:

وقل فيهما مع شعبة صحبة تلا

(٣) البيت أول فرس سورة الأنعام، وتمته:

... .. وذكر لم تكن (ش) أع وانجلا

(٤) البيت في مقدمة النظم، وتمته:

... .. إذ ليس مشكلا

(٥) البيت من فرس سورة الزخرف، وآخره:

وَحُكْمُ (صِحَابِ) ^(١) قَصْرُ هَمْزَةٍ جَاءَنَا

و ^(٢):

(ع) مَّ (ف) تَى قَصْرُ السَّلَامِ مُؤَخَّرًا

ومثالهما متأخرةً قوله ^(٣):

مَعَا قَدْرُ حَرْكٍ مِّنْ صِحَابٍ ...

و ^(٤):

... رءوفٌ قصرٌ (صُحْبِي) هـ (ح) لا

وقد تأتي كلمة الجمع وقد اكتنفتها حرفان من (أبي جاد) كقوله ^(٥):

... (ص) فَوَ (ح) رَمِيَهُ (ر) ضًا

وهذا الضرب الثالث هو المراد هنا بالذكر، فقوله: « كَلِمَةٌ » يجوزُ أن يريدَ

بها كَلِمَةً من الثماني، ويجوزُ أن يريدَ بها كَلِمَةً ضَمَّنَ أولها كنايةً، يعني حروفَ

وَأَسُورَةٌ سَكَنُ وَبِالْقَصْرِ (ع) دَلَا

(١) صحاب رمز لحمزة والكسائي وحفص، من قوله:

صحاب هما مع حفصهم

(٢) البيت من فرش سورة النساء، وآخره:

وغير أولي بالرفع (ف) بي (ح) قَى (ن) هَشَلَا

(٣) البيت من فرش سورة البقرة، وتمته:

... .. . وحيث جا بضم تمسوهن وامتدده (ش) لَشَلَا

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

وفي أن تقولون الخطابُ (ك) ما (ع) لا (ش) فَا

(٥) البيت من فرش سورة البقرة، وتمته:

وصية أرفع (ص) فَوَ (ح) رَمِيَهُ (ر) ضًا ويصطُ عنهم غير قنبلٍ اعتلا

(أبي جاد)، يقول: مهما جاءتك كلمة جمع قبل حرف (أبي جاد) / أو بعده، أو مهما أتتك كلمة ضمّن أولها حرف من حروف (أبي جاد) قبل كلمة الجمع أو بعدها، فكن عندما شرطته لك من الدلالة بكلا النوعين؛ أي: اجمل كل نوع على ما تقدّم، وإنما قال هذا؛ ليعلمك أنه يجمع بين النوعين من الرموز، فيقدّم بعضها على بعض؛ لكلا يتوهم أنه لا يأتي إلا بحروف (أبي جاد) على انفرادها، أو بالكلم الثماني على انفرادها .

وموضع «مهما» رفع بالابتداء، وهي كناية عن الموضع الذي يقع هذا الحكم المذكور فيه، وخبره «أتت كلمة»، والضمير العائد عليه من خبره محذوف التقدير: ومهما أتت فيه، وإنما قلنا ذلك؛ لأن مهما من أسماء الشرط، والأصل فيها: «ما»، ثم زيدت عليها «ما»، وأبدلت الألف هاء كراهية لاجتماع الأمثال .

و «كلمة»^(١) أتى بها على لغة بني تميم، وذلك أنهم يقولون: كلمة وكلم، نحو: سدرّة وسدر، وكسرة وكسر، وأهل الحجاز يقولون: كلمة، والجمع كلم بحذف التاء نحو: نبقة ونبق .

و «فيصلاً» حال من السواو، ولا يجوز نصبه على التمييز؛ لأن التمييز في مثل: تفقاً زيداً شحماً أكثر ما يكون من الفاعل، ولا يكون إلا اسماً لا صفة .

(١) حكى الفراء فيها ثلاث لغات: كلمة، وكلمة، وكلمة . انظر الصحاح (كلم)، وانظر التصريح على التوضيح وحاشية العليمي ١١٧/١ وما بعدها، وانظر: من تراث لغوي مفقود للفراء صنعة علم الدين الجندي: ٢١، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/٣٥٩، والمذكر والمؤنث لابن التستري: ١٠٠ .

وما كان ذا ضدٍ فإني بضدهِ غنيٌّ فزاحمٌ بالذكاءِ لتفضلاً

اعلمُ أنَّ القراءةَ إذا قيدها فلا تخلو تلك القيودُ إما أن تكونَ أصداداً أو غيرَ أصدادٍ، فإن كانت أصداداً ذَكَرَ أحدَ الضدَّين ونَسَبَهُ لراويه، ويسكُتُ عن الضدِّ الآخرِ وراويه نحو: ﴿وَلَا تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾^(١) قُرِيءَ: يُقْبَلُ بالياء والتاء، فالتاء للخطاب، والياء للغيب، فيذكرُ إحداهما وراويها، ولا يذكرُ الأخرى ولا راويها.

وإن كانت القيود ليست بأصداد، فإنه يذكرُ القيدَين معاً، ولكنه ينسُبُ أحدهما لراوٍ يذكرُه، ولا يذكرُ راويَ القيد الآخرِ نحو قوله^(٢):

وَأَرْنَا وَأَرْنِي سَاكِنَ الْكَسْرِ (دُ)مْ (ي)دَاً

فلفظه بالسكونِ والكسرةِ قيدٌ للراءِ المختلفِ فيها، إلا أنَّ السُّكُونَ لِمَنْ ذَكَرَ، والباقون على الكسر، وهذا كله منه طلب الاختصار .

وهكذا يفعلُ أبداً ينظرُ إلى القراءة التي يُريدُ أن يسكُتَ عنها، فيذكرُ ضدها وراويها ويسكُتُ، وربما أتى بالقراءتين جميعاً وإن كانتا ضدَّين كقوله^(٣):

وَحَفَّفَ (كُوفٍ)^(٤) يُكَذِّبُونَ وَيَأْوُهُ بَفَتْحٍ وَلِلْبَاقِينَ ضُمٌّ وَثُقُلًا

(١) سورة البقرة: ٤٨ .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وفي فصلت (ي)رَوَى (ص)فَا (د)رَهُ (ك)لَا

(٣) البيت من فرش سورة البقرة .

(٤) كوف رمز للكوفيين الثلاثة: عاصم وحمزة والكسائي .

فقوله: « ضَمٌّ »^(١): ذِكْرُهُ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّ الْفَتْحَ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهِ فِي الْيَاءِ لَا يَتَضَمَّنُ عِنْدَهُ الضَّمَّ، وَقَوْلُهُ: « تُقْلًا »^(٢): حَشَوْتُ لِتَمَامِ الْوِزْنِ .
 وَمَعْنَى « غَنِيٌّ »: مُسْتَعْنٍ، وَمَعْنَى « فَزَاجِمٌ بِالذِّكَاءِ »: زَاجِمٌ نُظِرَاءَكَ لِتَفْضُلِهِمْ، أَيْ لِتَصِيرِ أَفْضَلِهِمْ، مِنْ قَوْلِكَ: فَاضَلَنِي فَفَضَلْتُهُ، صِرْتُ أَفْضَلَ مِنْهُ .
 وَ« مَا » فِي قَوْلِهِ: « وَمَا كَانَ » يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ شَرْطًا، وَالْجَوَابُ: فَإِنِّي، وَهِيَ مَبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهَا عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ الشَّرْطُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، وَ« كَانَ ذَا ضَمٍّ صَلَّتْهَا، وَ« فَإِنِّي بَضَدُهُ غَنِيٌّ »: خَبَرُهَا، وَدَخَلَتِ الْفَاءُ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٣) ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٤) / .

١/٧٩

* * *

كَمَدٌ وَإِثْبَاتٌ وَقَفْحٌ وَمُدْغَمٌ وَهَمَزٌ وَنَقْلٌ وَاخْتِلَاسٌ تَحْصَلًا
 وَجَزْمٌ وَتَذْكِيرٌ وَغَيْبٌ وَخَفِيَّةٌ وَجَمْعٌ وَتَنْوِينٌ وَتَحْرِيكٌ أَعْمَلًا
 هَذَانِ الْبَيْتَانِ وَمَا بَعْدَهُمَا تَفْسِيرٌ لِلْقِيُودِ الَّتِي يُسْتَعْنَى بِضَدِّهَا، فَالْمَدُّ ضَدُّهُ
 الْقَصْرُ، يُسْتَعْنَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ. مِثَالُ الْمَدِّ قَوْلُهُ^(٥):
 وَفِي حَذِيرُونَ الْمَدُّ (م) - آئِلٌ ...

(١) انظر اللآلي الفريدة عند شرح البيت .

(٢) اللآلي الفريدة عند شرح البيت .

(٣) سورة البقرة: ٢٤٧ .

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧ .

(٥) البيت من فرش سورة الشعراء، وتتمته:

(ذ) اع وخلق اضمم وحرك به (ا) لعل

ومثالُ القصرِ قولُهُ^(١):

وَحُكْمُ صِحَابٍ قَصْرُ هَمْزَةٍ جَاءَنَا

والإثباتُ ضدهُ الحذفُ كقولِهِ^(٢):

وَتَثَبْتُ فِي الْحَالَيْنِ (دُ)رًا لَوَامِعًا

ومثالُ الحذفِ قولُهُ^(٣):

.... واحذفِ الواوَ (دُ)خللاً

وقد لا ينصُّ على لفظِ الحذفِ والإثباتِ؛ بل يأتي بما يدلُّ عليهما كقولِهِ^(٤):

... .. وزدْ أَلْفًا مِنْ قَبْلِهِ

وكقولِهِ^(٥):

وَبَسْمَلٍ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ ...

وَقَبْلَ يَقُولُ الْوَاوُ غُصْنٌ...^(٦)

(١) تقدم .

(٢) البيت من باب ياءات الزوائد، وعجزه:

بِخُلْفٍ وَأُولَى النَّمْلِ حَمَزَةٌ كَمَلًا

(٣) البيت من فرش سورة القصص، وأوله:

يَصَدِّقُنِ ارْفَعْ جِزْمَهُ (ف)سي (ن)صُوصِهِ وقل قال موسى

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

وَفِي فَأَزَلَّ اللَّامَ خَفَّفُ حَمَزَةٍ وزدْ أَلْفًا مِنْ قَبْلِهِ فَتَكْمَلًا

(٥) تقدم .

(٦) البيت من فرش سورة المائدة، وتمتمته:

... .. ورافعٌ سوى ابن العلاء من يرتدُّ (عم) مُرسلاً

وكقوله في الحذف^(١):

... قالوا الواوُ الأولى سُقُوطُهَا

و لم يَصِلُوا هَا مضمراً قَبْلَ سَاكِنٍ^(٢)

والفتح هنا المرادُ به الذي يُضادُ الإمامةَ وبين اللفظين، ولم يُردُّ به الفتحُ الذي هو أحدُ ألقابِ الحركاتِ الثلاث، ولذلك التزمَ أن يذكرَ ضديهِ ولا يذكرَهِ هو كقوله^(٣):

وإضجاعُكَ التوراةَ (م)^(٤) رُدَّ (ح) سنُهُ

وقلَّلَ (ف) بي (ج) يودٍ وبالحُلفِ (ب) سَلَا^(٥)

والمدغمُ ضدُّه المظهرُ كقوله^(٦):

وإدغامُ بَاءِ الجُزْمِ في الفاءِ (ق) د^(٧) (ر) سَا^(٨)

(١) البيت من فرش سورة البقرة، وتمتمته:

عليهم وكان فيكونُ النصبُ في الرفعِ كُفلاً

(٢) البيت من باب هاء الكناية، وعجزه:

وما قبله التحريكُ للكلِّ وُصلاً

(٣) البيت أول فرش سورة آل عمران .

(٤) الميم رمز لابن ذكوان .

(٥) الباء رمز لقالون .

(٦) البيت من باب حروف قريبت مخارجها، وتمتمته:

(ح) ميئاً وخَيْرُهُ في يتب (ق) اصداً ولا

(٧) القاف رمز لخلاص .

(٨) الراء رمز للكسائي .

والمظهُرُ كقولهِ^(١):

ومن حَيِّيَ اكسِرُ مُظهِراً (إ) ذ (ص) فَي (ه) (٢) دِيَّ
والهمزُ ضُدُّهُ تركُ الهمز، وتركهُ إمَّا إلى البدل، وإمَّا إلى العدم، وإمَّا إلى
التسهيل .

فمثال الهمز قولهُ^(٣):

ويهمزُ ضِرٌّ ————— يَزَى

وبَادِيَ بعدَ الدالِ بالهمز (ح) لَلَا^(٤)

وفي الصابئين الهمزُ والصابئون (خ) ذ^(٥)

وَحَقَّقَهَا فِي فَصَّلَتْ (صُحْبَةٌ) أَعْلَجَمِي^(٦)

ومثالُ ترك الهمز قولهُ^(٧):

(١) البيت من فرش سورة الأنفال، وعجزه:

وَإِذْ يَتَوَفَّى أَتْنُوهُ (ل) ه (م) لَّا

(٢) الهاء رمز للبيزي .

(٣) البيت من فرش سورة الذاريات، وتتمته:

... .. خَشَعًا خَاشِعًا (ش) فَا (ح) مِيدًا وَخَاطِبَ تَعْمَلُونَ (ف) طِبُّ (ك) لَّا

(٤) البيت من فرش سورة هود، وأوله:

وَإِنِّي لَكُمْ بِالْفَتْحِ (ح) قُ (ر) وَاتِه

(٥) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وَهُزُّرًا وَكُفُّرًا فِي السَّوَاكِنِ (ف) صَّلَا

(٦) البيت من باب الهمزتين من كلمة، وعجزه:

... والأولى أَسْقَطَنَّ (ل) تَسْهَلَا

(٧) البيت من فرش سورة البقرة، وصدوره:

لأَعْتَكُم بِالْخَلْفِ أَحْمَدُ^(١) سَهْلًا

وَوَرَشٌ لَيْلًا وَالنَّسِيءُ بِيَأْتُهُ^(٢)

..... وَنُدٌ سِهًا مثله من غير همزٍ (ذ) كَت (ل) لا^(٣)

والنقلُ ضده عدمُ النقلِ، وهو تركُ الحركةِ في محلِّها، وتحقيقُ الهمزة، ولكنه لم يُقَيَّد في القصيدِ إلا بالنقلِ كقوله^(٤):

وَنَقْلُ قُرَانٍ وَالْقُرَانُ (د) وَأُونَا

و كقوله^(٥):

... .. الْآنَ بِالنَّقْلِ نُقْلًا

وإنما لم يُقَيَّد بضده؛ لثلا يَلْتَبَسَ بغيرِ النقلِ؛ لأنه لو قال مثلاً: حَقَّقْ، لم يُفْهَم منه للباقيين إلا تركُ الهمز، ولا يتعيَّن أنه بالنقلِ .

والاختلاسُ ضدهُ إشباعُ الحركة، ويُرادِفُ الاختلاسَ الإخفاءُ كقوله^(٦):

قل العفوَ لبصري رفعٌ وبعده

(١) أي: البزي .

(٢) البيت من باب الهمز المفرد، وعجزه:

وَأَدْغَمَ فِي يَاءِ النَّسِيءِ فَثَقَّلَا

(٣) البيت من فرش سورة البقرة، وصدرة:

وَنَسَخَ بِهِ ضَمٌّ وَكَسْرٌ (ك) فَا وَنُدٌ سِهًا.....

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وَفِي تَكْمَلُوا قَلْ شَعْبَةُ الْمَيْمِ ثَقَّلَا

(٥) البيت من باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وأوله:

وَشِيءٌ وَشَيْئًا لَمْ وَلِنَافِعٍ لَدَى يُونُسٍ.....

(٦) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

وإخفاء كسر العين (ص) ^(١) يَغ (ب) ه (ح) لا

ومثاله بمرادفه ^(٢):

وكم / جليل عن الدوري مختلساً جلاً

ولم يعبر في الكتاب بالإشباع؛ لقلّة دور هذا النوع .

و « تحصلاً » جملة صفة لاختلاس، أي: ثبت في النقل وروى .

وموضع الكاف رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنّ قائلاً قال: ما مثالي

ذلك؟ فقال: هو كمدّ وكذا إلى آخر البيت .

والجزم ضده عنده: الرفع، إما لأن الجزم يقتضي حذف الحركة أو حذف

١/٨٠

الحرف، والرفع يقتضي / إثبات ذلك .

وإما لأن الجزم إنما يرد على الرفع، هكذا ذكر أبو الحسن السخاوي ^(٣)

وغيره، وهذا غير يبين؛ لأن الجزم صدر عن الجازم، والنصب عن الناصب،

والرفع عن الرافع، فكما لا يكون الجزم ضدًا للنصب؛ لأنه لا يجتمع معه،

كذلك لا يكون ضدًا للرفع، إذ لا يلتقي على الكلمة عاملان، ولا يرد عامل

على عامل، إنما يرد العامل على الكلمة عارية عن العامل، وإذا كانت كذلك لم

نعمًا معاً في النون فتح (ك) ما (ش) فا

(١) الصاد رمز لشعبة .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

وينصركم أيضاً ويشعركم وكم

(٣) انظر فتح الصيد عند قوله:

وجزم وتذكير وغيب وخفة

بتصرف .

يكن الجزمُ وارداً على الرفع، والله أعلم .

ومثال ذلك في القصيد قوله^(١):

..... جزمهم يذرهم (ش)فا

ولا يذكرُ الرفعُ مستغنياً به عن الجزم؛ لأنه جعلَ الرفعَ ضدّاً للنصب على ما يأتي بعدُ .

والتذكيرُ ضده التأنيثُ، يُكتفي بأحدهما عن الآخر، مثالُ ذلك قوله^(٢):

وذكرُ تسقى عاصمٌ وابنُ عامرٍ

وعكسه قوله^(٣):

وإن يكنَّ أنتُ (ك)فاءً (ص)ديقٍ ...

والغيبُ ضده الخطابُ، يُكتفي بأحدهما عن الآخر، مثالُ ذلك قوله^(٤):

وبالغيبِ عمّا تعملون (ه)نا (د)نا

وعكسه قوله^(٥):

(١) البيت من فرس سورة الأعراف، وأوله:

وفي النحلِ والاهُ الكِسائي والياءُ (غ)صنٌ تهذلاً

(٢) البيت من فرس سورة الرعد، وعجزه:

وقل بعده باليا يفضُّلُ (ش)لشُّلا

(٣) البيت من فرس سورة الأنعام، وتكملته:

..... وميتةٍ (د)نا (ك)افياً وافتحُ حصّادٍ (ك)نذي (ح)بلا

(٤) البيت من فرس سورة البقرة، وعجزه:

وغيبك في الثاني (ل)لى (ص)فوه (د)لا

(٥) البيت من فرس سورة الأعراف، وعجزه:

وخطبُ تَرَحَّمْنَا وَتَغْفِرُ لَنَا (شَد) هَذَا
والخفةُ ضدُّ التثقيب، يُكْتَفَى بأحدهما عن الآخر، مثالُ ذلك قولُه^(١):
وَخَفَّفَ نُونًا قَبْلَ فِي اللَّهِ (مَن) (ل) هـ
وعكسُه قولُه^(٢):

وُثِقَلُ لِلْمَكِّيِّ نُونٌ تُبَشِّرُونَ
والجمعُ ضدُّه التوحيد، يُكْتَفَى بأحدهما عن الآخر كقولُه^(٣):
... وَاجْمَعُوا آثَارِ (كَم) (شَد) رَفَأً (عَد) لَأَ
وعكسُه قولُه^(٤):

وَوَحَّدَ (حَقُّ) (٥) مَسْجِدَ اللَّهِ الْأَوَّلَا
ولا تكونُ التثنيةُ ضدًّا للجمع، فإن جاء ما يترددُ بين الإفراد والتثنية، لم يعبرُ
بلفظ التثنية كقولُه^(٦):

وَبَا رَبَّنَا رَفَعٌ لَغَيْرِهِمَا جَلَا

(١) البيت من فرش سورة الأنعام، وعجزه:

بِخُلْفِ (أ) تَى وَالْحَذْفُ لَمْ يَكُ أَوْلَا

(٢) البيت من فرش سورة الحجر، وعجزه:

وَإِكْسَرُ (جِرْمِيًّا) وَمَا الْحَذْفُ أَوْلَا

(٣) البيت من فرش سورة الروم، وأوله:

لِيرُبُّوْ خِطَابٌ ضَمٌّ وَالْوَاوُ سَاكِنٌ أَتَى
.....

(٤) البيت من فرش سورة التوبة، وصدوره:

وَيُكْسَرُ لَا أَيْمَانَ عِنْدَ ابْنِ عَامِرٍ

(٥) حق رمز لابن كثير وأبي عمرو البصري .

(٦) تقدم .

وَحُكْمُ (صِحَابٍ) قَصْرُ هَمْزَةٍ جَاءَنَا

والباقون بالمد، فردَّ القراءتين إلى اصطلاحٍ آخرَ خوفاً من اللبس .

والتنوينُ ضده تركُ التنوينِ كيفما كان سقوطه إما للإضافة، وإما لترك

الصَّرفِ، وَيُكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، مِثَالُ ذَلِكَ^(١):

..... وَتَوَنُّوْا عَزِيْرُ (رِ) ضَا (نِ) صٌ

..... وَقَلْبِ نَوْ وَنُوَا (مِ) نِ (حِ) مِيْدِ ^(٢)

وعكسه^(٣) قوله^(٤):

سَلَسِلَ نَوْنٌ (لِ) ذِ (رِ) وَوَا (صِ) رْفَه (لِ) نَا

وقد يعبرُ عن التنوين بالنون؛ لأنه كذلك في اللفظ كقوله^(٥):

..... شِهَابِ بِنُونِ (ثِ) قِ

(١) من فرش سورة التوبة، وتكلمته:

عَشِيْرَاتُكُمْ بِالْجَمْعِ (صِ) بَدَقْ وَنَوْنُوَا عَزِيْرُ (رِ) ضَا (نِ) صٌ وَبِالْكَسْرِ وَكَلَا

(٢) من فرش سورة المؤمن، وتمتمته:

فَأَطَّلِعَ أَرْفَعُ غَيْرَ حَفْصِ أَدْخِلُوَا (نَفْسِ) صِيْلَا

(٣) في هامش ب ورقة ٧٤: « ليس عكسه، وإنما عكسه قوله: ومتم لا تنونه ... البيت. وهذا منه وهم عفا الله عنه.

وإنما قوله: « سلاسل ... » مثال لما سقط منه التنوين بشرط الصرف .

(٤) البيت من فرش سورة الإنسان، وعجزه:

وَبِالْقَصْرِ قَفْ (مِ) نِ (عِ) نِ (هِ) بَدِئُ خُلْفَهُمْ (فِ) لَا

(٥) أول فرش سورة النمل، وتمتمته:

..... وَقَلْ يَا تَيْبِي (دِ) نَا مَكْتُ أَفْتَحُ ضِمَّةَ الْكَافِ (نِ) بُوَفَلَا

وقال في عكسِهِ^(١):

ولا نونَ شيركاً (ع)ن (ش)ذاً (نفر) (م)بلا
 والتحريكُ ضدُّه السكونُ، سواءً كان التحريكُ مطلقاً أو مقيداً، فإذا قال في
 قراءةٍ ما: حرَّك، فهمَ أن الباقيين بالإسكان، وإذا قال في قراءةٍ ما: سَكَّن، فهمَ أن
 الباقيين بالتحريك، إلا أن الحركةَ لا تتعيَّنُ من هذا، وإنما تتعيَّنُ من البيت بعدُ،
 مثالُ ذلك قوله^(٢):

وَحَرَّكَ عَيْنُ الرَّعْبِ ضَمًّا (ك)مَا (ر)سَا

وقوله^(٣):

مَعَا قَدْرُ حَرَّكَ (م)ن (ص)حَابٍ ...

وعكسهُ قوله^(٤):

وَسَكَّنُ مَعَا شَتَانُ (ص)حَا (ك)بِلاهما

وقوله: أَعْمَل، من قوله: أَعْمَلْتُ فلاناً في كذا؛ أي: استعملته فيه، كأنَّ
 القارئَ أَعْمَلَ الحركةَ في اللفظ بالحرف، حيث ظهرَ لها أثرٌ فيه من الرفع

(١) البيت من فرش سورة الأعراف، وأوله:

وَحَرَّكَ وَضَمَّ الْكَسْرَ وَامدَّدْ هَامِزًا

(٢) البيت من فرش سورة آل عمران، وعجزه:

وَرُعْبًا وَيَغْشَى أَثْوَا (ش)بَائِعًا (ت)بِلا

(٣) البيت من فرش سورة آل عمران، وتتمته:

... .. وَحَيْثُ جَا يُضْمُّ تَمْسُوهُنَّ وَامدَّدْ (ش)لَشُلًا

(٤) البيت من فرش سورة المائدة، وعجزه:

وَفِي كَسْرٍ أَنْ صَدُّوكُمْ (ح)بَامدَّةً (د)بِلا

والنصب والخفض، وموضعه خفضٌ على الصفة لـ «تحريك». .
وهذه الأضدادُ المذكورةُ في هذين البيتين ليست على جهة الحصر، بل أتى
بأضدادٍ أُخرَ غيرِها، ولكن ما ذَكَرَ هو الأكثرُ في الكتاب، وإلا فقد قال^(١):
هَنَا قَاتَلُوا أُخْرَ (شِد) فَاءً ...

وقوله^(٢):

..... وختامه بفتحٍ وَقَدِّمَ مَدَّةً

وقوله^(٣):

..... شَدِّدٌ وَأَهْمِلًا

ولهذا قال في ذلك: «كَمَدٌ وإِثْبَاتٌ» .

/ وموضعُ «كَمَدٌ» رفعٌ على أنه خيرٌ ابتداءً مضمراً؛ كأنه قال: هو كَمَدٌ،
وكذا إلى آخره .

* * *

وَحَيْثُ جَرَى التَّحْرِيكُ غَيْرَ مَقْيَدٍ هُوَ الفَتْحُ وَالِإِسْكَانُ آخَاهُ مَنْزِلًا

اعلم أنَّ التَّحْرِيكَ فِي هَذَا الكِتَابِ يَأْتِي عَلَى وَجْهَيْنِ: مُطْلَقٌ وَمَقْيَدٌ، فَاَلْمَقْيَدُ

(١) البيت من فرس سورة آل عمران، وتتمته:

..... وبعْدُ فِي بَرَاءَةِ أُخْرٍ يَقْتَلُونَ (شِد) مَرْدَلًا

(٢) البيت من فرس سورة المطففين، وتمامه:

وَفِي فَاكِهَيْنِ اقْصُرُ (عُد) بَلًا (ر) اشدًّا وَلَا

(٣) البيت من فرس سورة الأنعام، وتمامه:

سَبِيلَ بَرَفِيعٍ (خ) بَدُّ وَيَقْضِي بَضْمٌ سَا كُنْ مَعَ ضَمِّ الكَسْرِ

يقيده بالرفع والضم، أو بالكسر والخفض، مثاله^(١):

وَحَرَّكَ عَيْنَ الرَّعْبِ ضَمًّا (ك) مَا (ر) سَا

وقوله^(٢):

... .. وَاللَّامَ حَرَّكُوا برفع

وقوله^(٣):

... وبالتحريك بالكسر (ك) فلا

والمطلق لا يزيد فيه على لفظ حرك كقوله^(٤):

مَعَا قَدْرُ حَرَّكَ (م) ن (صِحَابِ)

وعلى الجملة إذا قال: حرك وقيد، فالقراءة المذكورة بالحركة المستفاد من

التقييد، والقراءة المسكوت عنها بالسكون، فالذي ضد للحركة^(٥) [هو

السكون]^(٦).

وإذا قال: حرك وأطلق، فالمراد الفتح اصطلاحاً منه، وضده أيضاً السكون،

وإذا قال: سكن ويسكت، فهم لمن ذكر الإسكان، وفهم للباقيين التحريك، لكنه

(١) تقدم .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وتامه:

وَتَسْأَلُ ضَمُّوا التَاءَ وَاللَّامَ ... (خ) لوداً وهو من بعد نفي لا

(٣) البيت من فرش سورة الأنعام، وتامه:

وَسَكَّنْ (ش) فاءً واقتديه حذف هائه (ش) فاءً

(٤) تقدم .

(٥) هكذا بالأصل .

(٦) زيادة يقتضيها السياق .

لا يكونُ إلا الفتحُ اصطلاحاً منه أيضاً كقوله: « معاً قدرُ حَرِّكَ » المراد فتحُ الدال، والباقون بالسكون فيها، وعكسُ هذا قوله^(١):

وَسَكَّنْ مَعاً شَتَّانُ (ص) حَا (ك) بِلَاهُمَا

فالمذكورون لهم في النون الإسكانُ، وللباقيين فيها التحريكُ، لكنه بالفتح لأنه مُطَلَقٌ، وأما إذا قال: سَكَّنْ ولم يسكُتْ، فَإِنَّ مَنْ ذُكِرَ عَلَى السكون، والباقون على ما يُقَيَّدُ كقوله^(٢):

وَأَرْنَا وَأَرْنِي سَاكِنَ الْكَسْرِ (د) م (ي) بَدَأُ

فالمذكورون بالإسكان المذكور، والباقون بالكسر المذكور، وكقوله^(٣):

وَتُلْثِي سُوْكَوْنُ الضَّمِّ (ل) ا ح وَجَمَلًا

فالتحريكُ والإسكانُ ضدان، والتحريكُ المطلقُ يُؤاخيهِ الإسكانُ، فإذا قال: حَرِّكَ وَأَطَلَقَ، عَلِمَ أَنْ الْمَرَادَ الْفَتْحُ، وَأَنَّ الْبَاقِينَ بِالْإِسْكَانِ، وَإِذَا قَالَ: سَكَّنْ، عَلِمَ أَنَّ الْبَاقِينَ بِالتَّحْرِيكِ الْمَطْلُوقِ وَهُوَ الْفَتْحُ .

وَنَصَّبَ « منزلاً » على الظرف، أي: آخاهُ في منزله الذي هو فيه، أي الحرفُ الذي يَتَّصِفُ بهما واحداً، ويجوزُ نصبُهُ على التمييز .

* * *

(١) تقدم .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وفي فصلت (ب) رَوَى (ص) فَا (د) رَه (ك) بِلَا

(٣) البيت من فرش سورة المزمل، وصدرة:

وَنَا تُلْثِيهِ فَا نَصَبُ وَفَا نَصَفِيهِ (ظ) بِي

وَأَخِيْتُ بَيْنَ النُّونِ وَالْيَاءِ فَتَحِهِمْ

وَكَسْرٍ وَبَيْنَ النَّصْبِ وَالْخَفْضِ مُنْزِلًا

يقول: إذا كانت القراءة مترددةً بين الياء والنون، وبين النصب والخفض، وبين الفتح والكسر، فإنه يذكرُّ أحدَ العبارتين، ويستغني بها عن الأخرى، فأما النونُ والياء، فإنما يأتیان في أولِ المضارعِ كقوله^(١):

يُعَلِّمُهُ بِالْيَاءِ (نَصُّ) (أ) ثَمَّةٌ

والباقون بالنون، وعكسه قوله^(٢):

وَنُدْخِلُهُ نُونًا مَعَ طَلَاقٍ ...

وأما النصبُ والخفضُ فيأتي بهما إذا كانا إعراباً كقوله^(٣):

... وَاَنْصَبُ بَيْنَكُمْ (عَمَّ)^(٤) (صَدَّ) نَدَلًا

فضدُّه الخفضُ للباقيين .

وأما الفتحُ والكسرُ / فيأتي بهما إذا كانا بناءً كقوله^(٥):

١/٨٢

(١) البيت من فرس سورة آل عمران، وعجزه:

وبالكسر إني أخلقُ (١) عتادَ أفضلاً

(٢) البيت من فرس سورة النساء، وتماه:

... .. وفوق مع نُكْفَرُ نُعَذَّبُ معهُ في الفتح (١) ذ (ك) بلا

(٣) البيت من فرس سورة

(٤) عمّ رمز لنافع وابن عامر، من قوله:

... .. عمّ نافعٌ وشامٍ

(٥) البيت من فرس سورة آل عمران، وتماه:

ورِضْوَانٌ اَضْمُمُ غَيْرَ ثَانِي الْعُقُودِ وَكَسْرُ رَةٌ (ص) حَّ

... إِنَّ السُّدَّيْنَ بِالْفَتْحِ (رُفْلَا

وَعَكْسُهُ^(١):

... أَنَّ اللَّهَ يُكْسِرُ (ف) فِي (ك) بِلَا

وَجَعَلَ هَذَا التَّنْوِينَ^(٢) فِي الْحَرَكَاتِ حَتَّى يَمِيزَ بَيْنَ مَا هُوَ بِنَاءٌ وَإِعْرَابٌ، وَقَدْ يَضْطَرُّهُ الْوِزْنُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ فَيُدْخِلُ بَعْضَ الْحَرَكَاتِ مَكَانَ بَعْضِ كَقَوْلِهِ^(٣):

وَبَا عِبْدَ اضْمُمْ وَاخْفِضِ التَّا بَعْدُ (فُزُّ

فَضْدُ الْخَفْضِ النَّصْبُ، وَلَيْسَ حَرَكَةُ الْبَاءِ بِنَصْبٍ، بَلْ هِيَ فَتْحَةٌ؛ لِأَنَّهُ فِي قِرَاءَةِ الْبَاقِينَ (مَاضٍ) وَالْحَرَكَةُ بِنَاءٌ .

وَمُنْزِلًا: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ آخِيَتْ مِنْ قَوْلِكَ: أَنْزَلْتُ الْقَوْمَ مَنَازِلَهُمْ؛ أَي: جَعَلْتُ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رَتْبَتِهِ، يَعْنِي آخِيَتْ بَيْنَ كَذَا وَكَذَا فِي حَالِ كَوْنِي مُنْزِلًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّ شَيْءٍ مَنَزَلْتَهُ .

* * *

وَحَيْثُ أَقُولُ الضَّمُّ وَالرَّفْعُ سَاكِتًا فَغَيْرُهُمْ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْبِ أَقْبَلًا

يقول: إذا كانت قراءة مترددة بين الرفع والنصب، أو بين الضم والفتح، فإنني أذكر الضم، ويفهم للباقيين الفتح، أو أذكر الرفع فيفهم للباقيين النصب،

(١) البيت من فرش سورة آل عمران، وتامه:

وذكر فناداه وأضحجه (ش)أهداً ومن بعدُ

(٢) لعله (التنوين) .

(٣) البيت من فرش سورة المائدة، وعجزه:

رسالته اجمع واكسر التا (ك) ما (ا)عتلا

فمثال الضم قوله^(١):

وَضَمُّهُمْ فِي يَزْلِقُونَكَ (حَد) بِالذُّ
يُفْهَمُ لِلْبَاقِينَ الْفَتْحُ، وَمِثَالُ الرَّفْعِ قَوْلُهُ^(٢):

وحتى يقولَ الرَّفْعُ فِي اللَّامِ (أ) وَلَا

يُفْهَمُ لِلْبَاقِينَ النَّصْبُ، وَلَا يَنْعَكْسُ ذَلِكَ، أَعْنِي أَنْ يُذَكَّرَ الْفَتْحَ أَوْ النَّصْبَ،
فِيْفْهَمُ مِنْهُ لِلْبَاقِينَ الضَّمُّ وَالرَّفْعُ، بَلْ إِنَّمَا يُفْهَمُ إِذَا ذُكِرَ الْفَتْحُ وَالنَّصْبُ الْكَسْرُ
وَالخَفْضُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: «وَأَخِيْتُ». ونوع أيضاً الحركات باعتبار البناء
والإعراب .

وفي هذا البيت من البديع: اللف^(٣)، فإن الضم يدل على الفتح، والرفع يدل
على النصب، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤) فالسكون في الليل، والابتغاء في النهار، وقال امرؤ
القيس^(٥):

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَا^(٦) وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

(١) البيت من فرش سورة ن، وعجزه:

وَمَنْ قَبْلَهُ فَاكْسِرْ وَحَرِّكْ (ر) وَيْ (ح) لَا

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وصدوره:

وَفَتْحُكَ سَيْنَ السَّلْمِ (أ) صِلْ (ر) ضِيْ (د) نَا

(٣) ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع
يردّه إليه. انظر شرح التلخيص للبابرتي ٦٣١ .

(٤) سورة القصص: ٧٣ .

(٥) من الطويل، في ديوانه: ٣٨ . وقد رسمت فيه (لدا) بالياء .

(٦) لدا إذا كانت بمعنى عند ترسم بالألف، وإذا كانت بمعنى في ترسم بالياء . من هذا قول
بعضهم:

وقال آخر^(١):

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَسْوَاكِبَهُ

وقوله: « ساكتاً » نصبٌ على الحال من الضمير في « أقول »؛ معناه: أقولُ ضمُّ وأسكُتُ، ولا أقيدُ، فإن الباقيين بالفتح، فإن قيّد ولم يسكُتُ، فالقراءة الأخرى بحسب تقييده كقوله^(٢):

وَحَرَّكَ وَضُمَّ الْكَسْرَ وَأَمْدَدَهُ هَامِزاً

وكقوله^(٣):

ضُمَّ الْإِسْكَانَ (ص) يَف

و « الضمُّ »: مبتدأ خبره محذوفٌ، وكذلك « الرفعُ » التقدير: وحيثُ أقولُ الضمُّ لبعض القراء، والرفعُ للآخرين، والأحسنُ أن لو قال:

وحيثُ ذكُرتُ الضمُّ والرفعُ ساكتاً

فيعربُ ولا يحكي؛ لأنه لا يذكرُ الضمُّ بلفظ ما حكاها هنا، إنما يذكرُ ما يقتضيه نحو: ضُمَّ واضمُّمُ وضُمُّوا، وما أشبه ذلك من العبارات، و « أقبلَ » خبرٌ عن « غيرهم »، و « بالفتح » متعلقٌ به، أي: جاء في روايته، وأفردَ الضمير في

لدا بمعنى عند فارسم بالألف وإن بمعنى في قبالياء عُرف

وهذا يوافق ما عليه مرسوم الإمام في قوله تعالى: ﴿لدا الباب﴾ في سورة يوسف، و﴿لدى الحناجر﴾ في سورة المؤمن.

(١) من الطويل، في ديوان بشار ٣١٨/١ .

(٢) البيت من فرس سورة الأعراف، وعجزه:

ولا نونَ شيركاً (ع) بن (ش) لدا (نفر) ميلا

(٣) تقدم .

«أقبلَ مراعاةً للفظ: «غيرِ»، تقول: غيرُ زيدٍ قائمٌ، تريدُ القومَ سواه، ولكنك تُفردُ / .

* * *

وَفِي الرَّفْعِ وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّغْيِبِ جُمْلَةٌ عَلَى لَفْظِهَا أَطْلَقْتُ مَنْ قَيْدَ الْعَلَا

اعْلَمْ أَنَّ النَّاظِمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِذَا ذَكَرَ قِرَاءَةَ مَا، فَإِنَّهُ يُقَيِّدُهَا عَلَى حَسَبِ مَا يَذْكَرُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ لَا يُقَيِّدُ أَحْكَامَ الْقِرَاءَةِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، فِيمَا أَنْ يَأْتِيَ بِالْقِرَاءَةِ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي يُرِيدُ إِذَا اقْتَضَى ذَلِكَ وَزْنَ أَوْ حَطًّا، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي قَوْلِهِ^(١):

وباللفظ أستغني عن القيد إن جلا

وإمّا أن يسكّت ولا يُقَيِّدُ، وَيَكُونُ سَكْوَتُهُ تَقْيِيدًا، إِلَّا أَنَّ هَذَا مَنحَصَرٌّ فِي ثَلَاثَةِ أَحْكَامٍ: فِي الرَّفْعِ وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّغْيِبِ وَأَضْدَادِهَا، فَإِذَا وَجَدْتَ الْحَرْفَ غَيْرَ مَقْيَدٍ، فَانظُرْ فَإِنْ كَانَ يَحْتَمِلُ الرَّفْعَ وَالتَّنْصِبَ، فَالمرادُ الرَّفْعُ، وَإِنْ كَانَ يَحْتَمِلُ التَّذْكِيرَ وَالتَّأْنِيثَ، فَالمرادُ التَّذْكِيرُ، وَإِنْ كَانَ يَحْتَمِلُ التَّغْيِبَ وَالتَّخَابُطَ، فَالمرادُ التَّغْيِبُ، مِثَالُ الرَّفْعِ قَوْلُهُ^(٢):

... .. (حقُّ)كَ يَوْمٌ لَا

(١) تقدم .

(٢) البيت من فرش سورة الانقطار، وصدوره:

وظا بضنين (حقُّ) (ر)اوٍ ونخفٌ في فعدللك (الكوفي)

يَحْتَمِلُ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾^(١) الرفع والنصب، فالمرادُ لأهلِ رمزِ « حَقُّكَ » الرفعُ،
ومثالُ التذكيرِ قوله^(٢):

وَيُجِبِي (حـ) لِيَطُّ

يَحْتَمِلُ: ﴿يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ﴾^(٣) التذكير والتأنيث، فالمرادُ للمذكورين
التذكير .

ومثال الغيبِ قوله^(٤):

وَبَلُّ يُوَثِّرُونَ (حـ) زُ

يَحْتَمِلُ « يُوَثِّرُونَ » الغيبَ والخطاب، فالمرادُ لمن ذكِرَ الغيبُ، قال أبو الحسن
السَّخَاوِيُّ^(٥): وقد اجتمعت هذه الثلاثة في بيتٍ واحدٍ في قوله^(٦):

و(حـ) بالصَّ أَصْلٌ وَلَا يَعْلَمُونَ قُلُّ

. البيت .

(١) سورة الانفطار: ١٩ .

(٢) البيت من فرش سورة القصص، وتمامه:

... .. يعقلون (حـ) فظتُهُ وفي حُسَيْفَ الفتحين (حفص) تنخلاً

(٣) سورة القصص: ٥٧ .

(٤) البيت من فرش سورة الأعلى، وتمامه:

... .. وتصلى يُضَمُّ (حـ) زُ (ص) فما تُسَمِعُ التذكيرُ (حق) وذو جِلاً

(٥) انظر فتح الوصيد عند شرح البيت .

(٦) البيت من فرش سورة الأعراف، وعجزه:

ل(شعبة) في الثاني ويُفْتَحُ (شـ) ممللاً

تكراراً لقوله^(١):

وباللفظ أستغني عن القيد إن جلا

فكأنه يقول: في الرفع والتذكير والغيب جملة مواضع في القصيد، أطلقت على لفظها من غير تقييد .

« مَنْ قَيْدَ الْعُلَا » : أي حصَّله، يُشير إلى أنه إنما وضع كتابه لمن له حظٌّ من الذكاء والفطنة والسِّمة التي يرتقي بها إلى فهم مُرادِهِ، وإلا فالوضع الذي يُريده مرفوعاً لا يعلم أنه أراد الرفع فيه إلا مَنْ يعلمُ أنَّ الحرفَ المذكورَ يحتملُ الرفع والنصب، وهذا لا يتفطنُ إليه إلا مَنْ قَيْدَ الْعُلَا كما قال .

* * *

وَقَبْلَ وَبَعْدَ الْحَرْفِ آتَى بِكُلِّ مَا

رَمَزَتْ بِهِ فِي الْجَمْعِ إِذْ لَيْسَ مُشْكِلًا

يقول: إنَّ الرُّمُوزَ الموضوعَةَ لاجتماعِ القراءِ وهي الكَلِمُ الثمانِي، يأتي بهم قَبْلَ الحرفِ المِخْتَلَفِ فيه وبعده؛ لأنه غيرُ مُشْكِلٍ، ألا تراه لا يُبدلُ صحبةً ولا صحاباً. هذا اللفظ ملتزمٌ أبداً؛ فبذلك لا يلتبس. / وقد تقدّم بيانهُ قَبْلُ .

١/٨٤

وكان حقُّ هذا البيت أن يذكره إثر قوله^(٢):

وَحِصْنٌ عَنِ^(٣) الْكُوفِيِّ وَنَافِعِهِمْ عَلَا

(١) تقدم .

(٢) من المقدمة، وأوله:

وجرميُّ المكيُّ فيه ونافعٌ

(٣) في النسختين: على، والمحفوظ المروي: عن .

وأعرب « قبلُ » وإن لم تكن مضافة؛ لأنه من باب التعليق^(١). ونظيره قولُ العَرَب: « قطعَ اللهُ يدَ ورجلَ مَنْ قالها^(٢) » فـ « يد » و « رجل » محذوفان التثوين للإضافة، إلا أن أحدهما أُضيفَ لفظاً، والآخَرَ في المعنى، وكذلك قولُ الشاعر^(٣):

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً أُسْرُ بِهِ بَيْنَ ذِرَاعِي وَجِبْهَةِ الْأَسَدِ

يريدُ: بين ذراعي الأسدِ وجبهةِ الأسدِ، والتعليقُ إنما يكون في الأفعال^(٤) نحو قولهم: عَلِمْتُ أَيُّهُمْ قَائِمٌ، وَعَلِمْتُ لَزِيدٌ قَائِمٌ .
ولا يكونُ التعليقُ في الحروفِ إلا قليلاً نحو قوله^(٥):

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣١٩/٢، وسر صناعة الإعراب ٢٩٨/١، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٨/٣، والبحر المحيط ١٦٢/٧ .

(٢) قال الفراء: « وسمعت أبا ثروان العكلي يقول: قطع الله الغداة يد ورجل من قالها » المعاني ٣٢٢/٢ .

(٣) من المنسرح، نسبه في الكتاب إلى الفرزدق ١٨٠/١، والخزانة ٣١٩/٢ . والعارض: السحاب المعترض في الأفق. وذراعا الأسد: كوكبان. وجبهة الأسد: أربعة كواكب فيها عوج، وهما جميعاً من الأنواء التي تستبشر بها العرب إذا سقطت جهة الغرب لنزول المطر .

(٤) انظر سر الصناعة ٢٨٢/١، ٢٩٨-٣٠٠، والكتاب ١٤٧/٣، ١٤٩ .

(٥) من الوافر، وهو الخزانة لمسلم بن معبد الوالي ٣٠٨/٢، وسر الصناعة ٢٨٢/١، وهو بغير نسبة في معاني الفراء ٦٨/١، والخصائص ٢٨٢/٢ . وقال ابن جني في المحتسب ٢٥٦/٢: «وبعدُ فالحق أحق أن يتبع، هذا البيت لم يعرفه أصحابنا، ولا رووه، والقياس من بعدُ على نهاية المج له . والإعراض عنه، لا سيمًا وقد جاور بحرف الجر حرفاً مثله لفظاً ومعنى، فلو وُجد هذا البيت عنواناً على كل ورقة من مصحف أبي عمرو، لما جاز استعمال مثله في الشعر إلا كلاً ولأ - يعني قليلاً - فضلاً عن الأخذ به في كتاب الله » .

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً

وقد اختلف النحاة في خفض قولهم: لا غلامي لزيد^(١)، فمنهم من يقول بالإضافة وعلّق الحرف، ومنهم من يقول بالحرف وعلّق الاسم، وعلى هذا أكثرهم؛ لقلّة تعليق الحروف، إذ لم يأت منه إلا البيت المتقدم^(٢).

* * *

وَسَوْفَ أُسَمِّي حَيْثُ يَسْمَحُ نَظْمُهُ بِهِ مُوضِحًا جَيِّدًا مُعَمَّمًا وَمُخَوَّلًا

يُريد: سوف أسمي القارئ باسمه لا برمزه، إذا استقام بذلك الوزن، سواء كان قبل الحرف المختلف فيه أو بعده كقوله^(٣):

وَذَكَرَ تُسْقَى عَاصِمٌ وَابْنُ عَامِرٍ

وكقوله^(٤):

رَوَى نُونُهُ بِالْبَاءِ نُقْطَةً أَسْفَلَ وَعَاصِمٌ

وكقوله^(٥):

(١) انظر الأمالي لابن الشجري ١٢٩/٢، ٢٢٠.

(٢) انظر الخصائص ٤٠٧/٢، وسر الصناعة ٢٩٨٢/٢-٣٠٠.

(٣) البيت من فرش سورة الرعد، وعجزه:

وقل بعده بالياء يفضّل (ش) لشلّا

(٤) البيت من فرش سورة الأعراف، وتماه:

وفي النون فتح الضمّ (ش) ف... ..

(٥) البيت أول فرش سورة الكهف، وعجزه:

على ألف التنوين في عوجاً بلا

وَسَكَّتَةُ (حَفْصٍ) دُونَ قَطْعِ لَطِيفَةٍ

ولا يفعل ذلك إلا حيث لا يذكر رموزاً، فلا يجمع على حرفٍ واحدٍ بين الرموز والتصريح بالاسم .

و « أُسْمِي » : فعلٌ يتعدى إلى مفعولين، لأحدهما بنفسه، والثاني بالباء، والأصل: وسوف أُسَمِّي القارئَ باسمه حيث يُسَمَّحُ النظمُ به؛ أي: يسهلُ ويتأتى، ورجلٌ سَمَّحٌ جَوَادٌ؛ لأنه يهبُ بسهولة^(١) .

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز^(٢) يوماً لبعض المؤذنين: أذنْ أذناً سَمِحاً، وإلاً فاعتزِلْنَا؛ أي: سهلاً من غير تطريبٍ ولا لحنٍ، و « مُوضِحاً » : من قولك: أوضحتُ الشيءَ بَيْنَتَهُ، ووضَّحَ هو، فأنا مُوضِحٌ، وهو واضحٌ .

و « الجيد » : العنق^(٣) . وجمعه أجياد، وامرأةٌ جَيِّدَاءُ منه. وهو مفعولٌ بـ « موضِحاً » ، و « مُوضِحاً » حالٌ من « نَظْمُهُ » أي: يَسَمَّحُ نَظْمُهُ به في حال كونه مُظهِراً عُنُقاً، أي: يَسَمَّحُ به حسناً، يُقالُ: فلانٌ يمشي في الناس طويلاً العنق، أي:

(١) الصحاح (سمح) .

(٢) ساقه البخاري في ترجمة باب رفع الصوت بالأذان من الصحيح .

(٣) انظر الغرر المثلثة (الجوْدُ): ٣٩٣ . قال السهيلي: « الجيد إنما يستعمل في مقام المدح، والعنق

في الدم، فتقول: صفعت عنقه، ولا تقول: صفعتُ جيده، وقوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ

مَسَدٍ ﴾ إنما جاء على طريق التهكم والتمليح يجعل الحبل كالعقد، وانظر التاج (جيد) .

ومنه قول امرئ القيس في مقام الامتداح:

وجيدٌ كجيدِ الرِّئِمِ ليس بفاحشٍ إذا هي نصتُهُ ولا بمعطلٍ

الديوان: ١٦ .

لا ريبَ عليه، ومنه: « المؤذنون أطولُ الناسِ ^(١) أعناقاً ^(٢) يومَ القيامة ^(٣) ». حملهُ بعضهم على ذلك، أي: لا أُسمي إلا حيث يَسمحُ النظمُ به، من غير كُلفةٍ فيه ولا عيبٍ .

و « مُعَمَّاً » نعتٌ لـ « جيداً » ، وكذلك « مُخَوَلاً » ؛ أي: يظهرُ النظمُ عُتقاً فيه الحليُّ، وذلك أبلغُ في حُسْنِهِ، وذلك أن الطفلَ الصغيرَ عند العرب الذي له أعمامٌ وأحوالٌ، يُعلمُ منه ذلك بالنظر إليه؛ لما في عنقه من الزينة لمنافسة أعمامِهِ وأحوالِهِ فيه، فكلُّ يُقلِّدُهُ وَيُزِينُهُ.

وأخذ هذا المعنى من قول امرئ القيس ^(٤):

١/٨٥ / فَأَدْبَرَنَ كَالْجَزَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ
بِجِيدٍ مُعَمِّمٍ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوَّلٍ
وجيدٌ يجوزُ أن يكونَ وزنه: فُعْلاً وفِعْلاً، فإن كان فُعْلاً فالضمةُ انقلبت
كسرةً لتصحَّ الياءُ، وإن كان فِعْلاً فالكسرةُ أصليةٌ، هذا على قول سيبويه ^(٥).

(١) كتبت في هامش أ، وليست بخط المؤلف، وإنما هي بخط الأستاذ ابن حزم الله كما ذكر المعلق في الهامش .

(٢) بفتح الهمزة جمع عنق، يشير بذلك إلى عزتهم وأرتفاع أقدارهم، ويحتمل أن يشير بطول أعناقهم إلى سلامتهم من العرق في العرق، وروي: إعناقاً بكسر الهمزة، من العنق، والعنق بفتح الفاء والعين ضربٌ من السير؛ أي: أكثر إسرعاً وأعجل إلى الجنة، يقال: أعنقَ يعنقُ إعناقاً فهو معنقٌ، والاسم العنق بالتحريك. انظر القيس ٢٩٩/١ - ٣٠٠ ، والنهاية لابن الأثير ٣١٠/٣ (عنق) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان منه، من حديث معاوية .

(٤) ديوانه: ٢٢ ، وهو من معلقته . أي: بعنقٍ صبيٍّ كريمٍ العمِّ والخال .

(٥) قال سيبويه: « يجوز أن يكون (فِعْلاً) و(فُعْلاً) كُسرَت فيه الجيمُ كراهية الياء بعد الضمة »

وهو عند الأخص جيدٌ بالكسر لا غير^(١).

* * *

وَمَنْ كَانَ ذَا بَابٍ لَهُ فِيهِ مَذْهَبٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يُسَمَّى فَيُدْرَى وَيُعْقَلُ

يقول: إذا كان بعضُ القراء مختصاً ببابٍ من أبواب القراءات، أو يشارِكُهُ فيه غيره، وأغلبُ أحكامه (له)^(٢)، فلا بدَّ أن يُسَمَّى الروايَ باسمه في أول الباب، ويُحِيلَ في باقي الباب عليه، وهذا كبابِ نقلِ الحركةِ قال فيه^(٣):

وَحَرَكٌ لِيُورِثُ

وكبابِ وَقْفِ حمزة، قال فيه^(٤):

وَحَمْزَةٌ عِنْدَ الرَّقْفِ

وكهَاءِ التَّأْنِيثِ والرَّاءِ، واللاماتِ، والإدغامِ الكبيرِ .

ونصَّبَ « يُعْقَلُ » بالعطفِ على « يُدْرَى » المنصوبِ بأن، ويجوزُ في « مَنْ » أن تكونَ شرطاً، ويكونَ خبرها: « كَانَ ذَا بَابٍ »، والجوابُ: « فلا بد »، ويجوزُ أن تكونَ خبريةً، و « كَانَ ذَا بَابٍ » صلَّتْهَا، والخبرُ: « فلا بد »، ودخلتْهُ الفاءُ؛ لأنَّ

وانظر اللسان والتاج (جيد) ، والكتاب ٥٩٢/٣ في تكسير (فعلًا) على (أفعال) و(فُعول) .

(١) في اللسان والتاج (جيد): « فأما الأخص فهو عنده (فعل) لا غيره » .

(٢) ما بين القوسين سقط من ب .

(٣) البيت من باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وتمامه:

... .. كلُّ ساكنٍ آخرٍ صحيحٍ بشكْلِ الهمزِ واحذِفْهُ مُسهلاً

(٤) البيت من باب وقف حمزة وهشام على الهمز، وتمامه:

... .. سهلاً همزه إذا كان وسطاً أو تنطرف منزلاً

المبتدأ موصول .

* * *

أَهَلَّتْ فَلَبَّتْهَا الْمَعَانِي لُبَابِهَا

وَصُغْتُ بِهَا مَا سَاغَ عَذْبًا وَسَلْسَلًا

يقال: أَهَلَّ يُهَلُّ: إذا رفعَ صوتَه، ويُقال: أَهَلَّ واستهَلَّ بمعنى، ومنه استهلالُ المولود عند ولادته، وإهلالُ الحجيج: رفعُهُم الأصواتَ بالتَّليَّةِ، والمستهلُّ من المطر ما له وَقَعٌ شديدٌ عند نزوله، ويُقالُ منه: هَلَّ المطرُ هَلًّا^(١)، ويُقالُ: أَهَلَّ للهِلال، وكانَّ الأصواتَ ترتفعُ عند رؤيته.

ولَبَّيتُ الرجلَ قلتُ له إذا نادى: لَبَّيْكَ . ولَبَّيْكَ من قولك: أَلَبَّ بالمكان لَرِمَهُ، فكانه يقول: لُزُومًا لِأَمْرِكَ، ولَبَّيْكَ عند سيويهِ^(٢) مصدرٌ مثني، لا يَظْهَرُ معه فعلُهُ أبدًا نحو: سبحانَ اللهُ .

وصاغَ الشيءَ يَصوغُهُ صِياغَةً وصَوغًا، يُعَبِّرُ به عن إتقان الشيء وإحكامه، وساغَ: سَهَّلَ، يُقالُ منه: ساغَ الشرابُ في الخلقِ سَوغًا: سَلِسَ، وساغَ الشيءُ: طابَ وهنَّو، والعذبُ: الخُلُو، والمسلسلُ: السَّهْلُ، من قولهم: شرابٌ سلسلٌ، وقد تقدَّمَا .

يقول: إنَّ هذه القصيدةَ رَفَعَتْ صوتَها صارخةً بالمعاني، فقالت لها المعاني: لَبَّيْكَ، ولم تعصها ولم تجبها كلُّ المعاني، إنما أجابها لُبَابُ المعاني: أي خالصُها،

(١) الصحاح (هلل) .

(٢) انظر الكتاب ٣٤٩/١ باب ما يجيء من المصادر مثني منتصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره .

فَلْيَأْبُهَا: بَدَلٌ مِنَ الْمَعَانِي بَدَلَ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ، وَلَمْ أَقْصِدْ مِنَ الْمَعَانِي إِلَّا مَا سَهَّلَ مُتَنَاوَلُهُ وَقُرْبَ، وَ «عَذْبًا»: حَالٌ.

* * *

وَفِي يُسْرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتِصَارَهُ فَأَجْنَتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلًا

/ يَسَّرْتُ لَهُ فِي الْأَمْرِ يُسْرًا وَيَسَارًا وَأَيْسَرْتُ لَهُ: جَعَلْتُهُ لَهُ مَيْسُورًا؛ أَي: ١/٨٦
سَهْلًا حَاضِرًا، وَالْيُسْرُ وَالْيَسَارُ أَيْضًا الْغِنَا^(١). وَالْمُرَادُ هُنَا الْأَوَّلُ، يَعْنِي: صَغَرَ
حَجْمَهَا وَقَلَّةَ آيَاتِهَا.

وَكِتَابُ «التَّيْسِيرِ»^(٢) لِأَبِي عَمْرٍو الدَّانِي فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ مَعْرُوفٌ.

و «رُمْتُ»: حَاوَلْتُ، يَعْنِي أَنَّهَا عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا تَتَضَمَّنُ مَا فِي التَّيْسِيرِ
مِنْ أَحْكَامِ الْقِرَاءَاتِ، وَأَنَّهُ رَامَ ذَلِكَ فَنَالَ مِنْهُ مُرَادَهُ، وَيُقَالُ: أَجْنَتِ الثَّمْرَةُ: حَانَ
أَنْ تُجْنَى، وَأَجْنَتِ الْأَرْضُ: كَثُرَ جَنَاهَا؛ أَي: كَلَّوْهَا وَغَيْرُهُ.

يَقُولُ: كَثُرَتْ الْفَوَائِدُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِسَبَبِ نَظْمِهَا لِلتَّيْسِيرِ، فَ «أَجْنَتِ»
عَلَى هَذَا هُوَ الثَّانِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْأَوَّلِ؛ أَي: حَانَ أَنْ تُجْنَى مِنْهُ،
وَمُؤَمَّلًا عَلَى الْوَجْهَيْنِ: اسْمٌ مَفْعُولٌ يُرَادُ بِهِ مَا اشْتَمَلَتْهُ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَنَصِبُهُ عَلَى
التَّمْيِيزِ؛ أَي: كَثُرَتْ مَنَافِعُهَا مِنَ التَّيْسِيرِ، أَوْ جَازَ أَنْ تُجْنَى مَنَافِعُهَا لِحَسَنِهَا
وَإِنْتِهَائِهَا فِي الطَّيْبِ.

* * *

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٢) انظُرْ مَقْدَمَةَ التَّيْسِيرِ لِمَصْحُوحَةِ أُوتُو بَرْتِيزِل: ص - ج - ط - ي - يا - يب .

وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ فَلَفَّتْ حَيَاءً وَجَهَهَا أَنْ تُفَضَّلَا

« الألفاف » : جمع لِفٍّ، وهي الأشجارُ الملتفُّ بعضها إلى بعض، يُقال: جَنَّةٌ لِفٌّ وَلِفٌّ: ملتفةُ النبات^(١). قال الله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾^(٢).
والنشرُ: التفريقُ ضد الطِّيِّ^(٣). لما قال في البيت الذي قبله: إنها كَثُرَ فيها الجنى، أو ظَهَرَ فيها الجنى من التيسير، استعارَ لها أَلْفَافًا، أي: ما التفت عليه من الفوائد أكثرُ مما في التيسير، لا شكَّ في ذلك، لما تحويه من اللغة والمعاني الشعرية والتوجيهات النحوية في غير ما موضع، والباءُ في « بنشر » يجوزُ أن تكونَ زائدةً كقوله^(٤):

... .. يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ

ويجوز أن تكونَ غيرَ زائدةٍ فتكونُ للحال التقدير: وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ كائنةً بنشر فوائده؛ أي: بإظهارها . و « لَفَّتْ » غَطَّتْ .
يقول: لما جاءت أكثرُ فوائده مما في التيسير، وهو لها كالأمِّ، فغَطَّتْ وجهَهَا حياءً أَنْ تُفَضَّلَ عليه. و « حياءً » مصدرٌ لقوله: « لَفَّتْ وَجَهَهَا » نحو: جَلَسْتُ قُعُودًا، و « أَنْ تُفَضَّلَ » مفعولٌ له، العاملُ فيه: لَفَّتْ .

(١) جنة لفةٌ وَلَفٌّ: ملتفة. وجمع لِفٍّ: أَلْفَافٌ، وقد يجوز أن يكون (أَلْفَافٌ) جمعُ لِفٍّ، فيكون جمعُ الجمع، وقال الجوهري في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾: واحدها لِفٌّ بالكسر .
الصحاح (لفف) .

(٢) سورة النبأ: ١٦ .

(٣) الصحاح (نشر) .

(٤) من البسيط، للراعي النميري في ديوانه: ١٢٢، ونمائه:

هنَّ الحرائرُ لا ربَّاتُ أحمرٍ سودُ المحاجرِ لا يقرَأَنَّ بالسُّورِ

وسميتها حرز الأمانى تيمناً ووجه التهاني فاهنيه متقبلاً

« الحرز^(١) » : ما تودع فيه الأشياء، والحرز أيضاً: مصدر قولك: حرز المكان حرازةً وحرزاً^(٢): امتنع، فهو حرّيزٌ، والحرز أيضاً: ما أحرزت من شيء، ويُقال: أحرزت الشيء ضمته / إلى الحرز .

١/٨٧

و « الأمانى » جمع أمنيّة، والأصل: الأمانى بالتشديد، ثم خفف، فحذفت الياء الساكنة من الياءين، وأجريت الأخيرة مجرى ياء القاضى؛ لأن قبلها الآن كسرة، ووزن أمنيّة: أفعولة، والأصل: أمنيّة نحو: أهدوثة وأرجوحة، فقلبت الواو ياءً والضمة قبلها كسرة، ووقع الإدغام، ونظيرها أضحية وأضحى، وأوقية وأواقى، ولا يجوز أن يكون وزنها فُعلية، وتكون الياءان زائدتين لقولهم: تمنيت، والغالب على الهمزة أولاً الزيادة.

و « تيمناً » : تفعل من اليمن وهو البركة، يُقال: يُمن الرجلُ يُمناً فهو^(٣) ميمونٌ وميمن^(٤).

ووجه القوم: شريفهم، ومنه قوله في آخر القصيدة^(٥):

... .. في وجوه بني ملا

(١) الصحاح (حرز) وفيه: الحرز: الموضع الحصين، يقال: هذا حرز حريز، ويسمى التعويذ حرزاً. والحرز: الخطر .

(٢) اللسان (حرز) .

(٣) في ب: « وهو » ، ويمن على ما لم يسم فاعله .

(٤) الصحاح (يمن) .

(٥) آخر باب في القصيدة، وهو باب مخارج الحروف والصفات، وتماه:

رعى طهر دين تمه ظلّ ذي ثنا صفا سجل زهد في وجوه بني ملا

ومنه: وجه الإنسان، و « التهاني » : جمع تَهْنِية بوزن تَفْعَلَة نحو: تَوْدِية وتوصية، والأصل: تهنئة بالهمز، بوزن تهنعة، لأنه من قولك: هَنُو الشيءُ هِنَاءً تيسرَ بلا مشقة. و « اهنيه » : أمرٌ من قولك: هَنَأني الطعامُ هِنَاءً، ويُقال: هَنَأ الشيءُ: سَاغ، وهنأتُ الرجلَ أَهْنِيَهُ وَأَهْنُوهُ^(١) هِنْتًا: أعطيته .

و « مُتَقَبَّلًا » : من التَقَبَّل، وهو قبولُ الشيء، يقول: سَمَّيت هذه القصيدةَ بـ « حرز الأمانى ووجه التهاني » تفاؤلاً، كما يُسمَّى الرجلُ أبو عبد الله، والمرأةُ أم مالك وإن لم يكن لهما ولدٌ اسمه عبد الله ولا مالك، ومنه قولُ أبي العلاء يصفُ نُوقاً^(٢):

قصدت ممدوحاً اسمه سعيدٌ سألنَ فقلتُ مَقْصِدُنَا سَعِيدٌ

فكان اسمُ الأميرِ لهنَّ فالاً. وكما يُتَفَاءَلُ بالاسمِ الحسَنِ، يُتَشَاءَمُ بضده. قال الشاعر^(٣):

سَمَّتْكَ أُمَّكَ عُبْدُوساً وَمَا كَذَبْتَ وَكَيْفَ يُفْلِحُ مَنْ بَعْضُ اسْمِهِ بُوسٌ

فانظرُ كيفَ تَشَاءَمَ بعُبدوس؛ لأن في حروفه بَاءً وواواً وسيناً هجاءً (بُوس)، وإن لم يكن على ذلك الترتيب، وفي الحديث أن رسولَ الله ﷺ قال لِللَّقْحَةِ^(٤) تَحَلَّبُ: « مَنْ يَحَلْبُ هذه » فقامَ رجلٌ فقال له رسولُ الله ﷺ: « ما اسمُكَ » ؟ فقال له الرجلُ: مُرَّةٌ، فقال له رسولُ الله ﷺ: « اجلس » ثم قال: « مَنْ يَحَلْبُ

(١) ضبطه المؤلف بضم النون، وهو خلاف المقصود، وأجمع أهل اللغة على أنه مفتوح النون في هذا المعنى، إلا ما جاء عن الزجاج أنه بالضم .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) اللَّقْحَةُ بالفتح واللَّقْحَةُ بالكسر: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. اللسان (لحق) .

هذه «؟ فقام رجلٌ فقال له رسولُ الله ﷺ: «ما اسمُك»؟ فقال: حَرْبٌ، فقال له رسولُ الله ﷺ: اجلس، ثم قال: مَنْ يَحْلِبُ هذه، فقامَ رجلٌ فقال له رسولُ الله ﷺ ما اسمُك؟ فقال: يَعِيشُ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «احْلُبْ»^(١).

وقال يوماً عمرُ بنُ الخطابِ لرجلٍ: ما اسمُك؟ فقال: جَمْرَةٌ، فقال: ابنُ مَنْ؟ فقال: ابنُ شِهَابٍ، فقال: مَمْنٌ؟ قال: مِنَ الحُرْقَةِ، قال: أينَ مسكنُك؟ قال: بِحِرَّةِ النارِ، قال: بأيِّها؟ قال: بذاتِ لَطْيٍ. قال عمرُ: أدركَ أهلكَ فقد احترقوا. قال: فكان كما قال عمرُ بنُ الخطابِ^(٢).

وأيضاً لما كانت جامعَةً لما يتمناه طالبُ هذا العلم، وأسنى ما يهناً به، سمّاها بذلك، ونصبَ «حرز الأمانى» بـ «سميتُ» على إسقاط الخافض، والأصل: وسميتها بحرز الأمانى، وأبدلَ الهمزةَ في «التهانى» وفي «اهنه» ياءً، وحكمَ لها بحكم الياءِ الأصلية، فلذلك قدّر فيها الحركةَ في التهاني، وحذفها في «اهنه» كما تقول: ارمه، ونصبَ «متقبلاً» على التمييز للفاعل في «اهنه»، أي: ليكن قبولُك له هنيئاً ليس بذى تعسّفٍ، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أيضاً، (هذا على من فتحَ الياءَ، وأما على من كسرَها فهو حالٌّ لا غير)^(٣)، والهاءُ في «سميتها» وفي «فاهنه» تعودُ على القصيدةِ بلحظين: بلحظِ الكتابِ والقصيدةِ.

(١) انظر الموطأ، باب ما يكره من الأسماء برقم: ٢٠٤٩، من رواية يحيى بن سعيد، والحديث مرسل.

(٢) انظر الموطأ، برقم: ٢٠٥٠، باب ما يكره من الأسماء، عن ابن عمر من رواية يحيى بن سعيد. وانظر كتاب الياقوتة في العلم والأدب من العقد الفريد - التفاؤل بالأسماء - ٤٦/٢.

(٣) ما بين القوسين من ب، وهو في حاشية (أ) غير واضح.

وَنَادَيْتُ اللَّهُمَّ يَا خَيْرَ سَامِعٍ أَعِزَّنِي مِنَ التَّسْبِيحِ قَوْلًا وَمَفْعَلًا^(١)

الأصل في اللهم: يا الله، ثم حُذِفَ حرف النداء، وَعُوِّضَ منه في آخر الاسم ميمٌ مشددة، ولذلك لا يُجْمَعُ بينهما، لا يقال: يا اللهم إلا في الشعر كما قال الشاعر^(٢):

وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَقُولِي كَلِمًا
سَبَّحْتَ أَوْ هَلَّلْتِ يَا اللَّهُمَّ مَا

وإنما قل ذلك لأنه جَمَعُ بين العَوِّضِ والمعوِّضِ منه. ونظير ذلك قوله^(٣):

هُمَا نَفَثَا فِي فِيٍّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامٍ
الأصل: فَوْه، فحُذِفَتِ الهاءُ، وَعُوِّضَ من الواو ميمٌ، فصار فمًا، ثم رُدَّتِ

الواوُ في التثنية، / وَجُمِعَ بينهما وبين الواو .

وقال الفراء^(٤): الأصل في اللهم: يا الله أَمَّنَّا، فحُذِفَ المفعولُ وهو نا الضمير، وحُذِفَتِ الهمزةُ من أُمَّمٌ لكثرة الاستعمال، وبقيت الميمُ المشددة، فهي بَقِيَّةُ فعلٍ أمرٍ معناه: الدعاءُ، واتصلَ باسم الله تعالى، وحُذِفَ حرفُ النداء، فليس عنده في قوله: « يا اللهم ما » شذوذٌ .

(١) المروي المحفوظ: مفعلا بالكسر .

(٢) الرجز بلا نسبة في الخزانة ٢/٢٩٦، والرصف: ٣٠٦، واللسان (أله)، ومعاني الفراء ٢٠٣/١ . وبعده:

ارْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلِّمًا

(٣) من الطويل، للفرزدق في ديوانه: ٢/٢١٥ .

(٤) معاني القرآن ١/٢٠٣-٢٠٤ .

و « أَعِذْنِي » من قولك: عَاذَ بِاللَّهِ عَوْذًا وَعِيَاذًا: لَجَأَ إِلَيْهِ^(١). وَيُقَالُ: أَعَاذَتِ النَّاقَةُ بَوْلَهَا عِنْدَ النَّجَاحِ: لَزِمَتْهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَزِمَ شَيْئًا كَذَلِكَ .

و « التَّسْمِيعُ » : مَصْدَرٌ سَمِعَ بِعَمَلِهِ: إِذَا عَمِلَهُ لَا يُرِيدُ بِهِ وَجَهَ اللَّهُ تَعَالَى، بَلْ يُرِيدُ بِهِ السُّمْعَةَ فِي النَّاسِ وَالشُّهْرَةَ^(٢)، وَمِثْلُهُ رَأَى بِعَمَلِهِ إِذَا عَمِلَهُ لَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ، فَيُثْنُوا عَلَيْهِ .

وخرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(٣): « مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ

بِهِ » .

[وَقَالَ ﷺ^(٤): « إِنْ أَخُوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تُرَاعُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمُ الْجِزَاءَ .

وخرَجَ مُسْلِمٌ^(٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ أَوَّلَ

(١) الصحاح (عوذ) .

(٢) في ب: « والشهادة » .

(٣) صحيح مسلم في كتاب الزهد، باب تحريم الرياء (باب من سمع ورائى بعمله)، وهو في صحيح البخاري في كتاب الرقائق، باب الرياء والسمعة، وسنن ابن ماجه، في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة .

(٤) مسند الإمام أحمد عن محمود بن لبيد ٤٢٨/٥-٤٢٩، والبغوي في شرح السنة ٢٠١/٤، وانظر صحيح الجامع للألباني برقم: ١٥٥٥ .

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، (الإمارة) باب من قاتل للرياء والسمعة فاستحق النار. وانظر النسائي، كتاب الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريء .

الناس يُقضى عليه يومَ القيامة رجلٌ استشهدَ فأُتِيَ به فعرفه نِعْمَهُ فعرفَهَا، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتى استشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ لِيُقَالَ جَرِيءٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار، ورجُلٌ تعلَّم العلمَ وعلمه، وقرأ القرآنَ، فأُتِيَ به فعرفه نِعْمَهُ فعرفَهَا، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلمته، وقرأتُ فيكَ القرآنَ، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلمَ لِيُقَالَ عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ لِيُقَالَ: هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار، ورجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليه وأعطاه من أصنافِ المالِ كلِّه، فأُتِيَ به فعرفه نِعْمَهُ فعرفَهَا، قال: فما عَمِلْتَ فيها، قال: ما تركتُ من سبيلٍ يجبُ أن يُنفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ لِيُقَالَ: هو جوادٌ فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار] (١).

و «قولاً» مصدرُ قال. و «مفعلاً»: اسمُ مصدرٍ فعلٍ يفعل، وقطعَ الهمزة من قوله: «وناديتُ اللهم» للضرورة، وأكثرُ ما يردُّ ذلك في أوائلِ الأعجاز، نحو قوله (٢):

لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكاً فِي دِيَارِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ

وكان أبو عبد الله الدرَّاج رحمه الله تعالى يقول: الصَّوابُ أن يقول: وناديتُك اللهم، ويخرُجُ بذلك عن الضرورة .

قلتُ: يجوزُ أن يكونَ لا ضرورةً فيه، وذلك أن اسمَ الله تعالى يجوزُ أن

(١) ما بين المتعاقبين في هامش أ ..

(٢) في ديوان حسان: ٢٥٦ .

يدخلُ عليه حرفُ النداء، ويجتمعُ مع الألف واللام فيقالُ: يا الله وتُقطعُ منه إذ ذاك ألفُ الوصل، وهذا بعضُ ما اختصَّ به هذا الاسمُ في كلامهم، فلما حذفوا حرفَ النداء المسوِّغ لقطعِ ألفِ الوصل، وعوَّضوا منه الميمَ المشدَّدةً، تركُّوا الهمزةَ مقطوعةً معه حُكماً للعِوضِ بِحُكْمِ العِوضِ منه، كما أنَّ (هَرَأَقَ) إذا سُمِّيَ به لا ينصرفُ للوزن والتعريف، وإن لم يكن في أوله حرفُ المضارعة، لكنهم حكموا للهاء بحكم الهمزة؛ لأنَّ الأصل: أَرَأَقَ .

* * *

إِلَيْكَ يَدِي مِنْكَ الْأَيْدِي تَمُدُّهَا أَجْرِنِي فَلَا أَجْرِي بِجَوْرِ فَأَخْطَلَا

اليَدُ: الجارحةُ، وهي مؤنثة^(١)، وأنشدَ أبو علي في ذلك^(٢):

اليَدُ سَابِجَةٌ وَالرَّجْلُ ضَارِحَةٌ وَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ وَالْمَتْنُ مَلْحُوبٌ^(٣)

وكذلك اليَدُ من النعمة، ومنه قولهم: هذه يَدٌ مشكورةٌ، والأصلُ فيها^(٤)

يَدِي^(٥) بوزن: ظَبْيِي، إلا أنَّ الحذفَ لحقها على غير قياس، وانتقلَ الإعرابُ إلى

(١) انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/٣٥٦، والمذكر والمؤنث لابن التستري الكاتب: ٤٩، ٥٠، ٥٤، ١١٠ .

(٢) من البسيط، وهو لامرئ القيس في ديوانه: ٥٣، من قصيدة مطلعها:

وقد أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملني جرداءُ معروقةُ اللِّحِينِ سُرْحُوبُ

(٣) اليَدُ سَابِجَةٌ: يعني إذا جرى ومد يده، فكأنه سابحٌ في الماء . وضارحةٌ: يعني نافحة . وقادحة:

يعني غائرة . والمتن: الظهر . وملحوب: مستور . ويروي: « سلحوب » بدل « ملحوب » يعني:

أملس قليل اللحم . انظر شرح ديوان امرئ القيس: ٥٣ .

(٤) في (أ): فيهما .

(٥) قال الفيروز أبادي في الغرر المثلثة: « وأصلها: يَدِي، ويقال فيها: اليَدَى واليَدَةُ واليَدُ مشددة .

انظر صفحة: ٣٤٧ (اليَدِي) . وقال ابن جني في النصف ٢/١٤٨: « لقد أجمعوا على سكون

العين من (يد) . وقال السهيلي: الأصل فيها « يَدِي » انظر: نتائج الفكر: ١٠١ بتصرف .

وأما قولُ الشَّاعر^(١):

يَدَيَانِ يَيْضَاوَانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ قَدْ يَمْنَعَانِكَ أَنْ تُضَامَ وَتُقَهَّرَا

بفتح الدال فيه لا يدلُّ على أن الأصلَ في الواحد: يَدَيٌّ، بوزن: جَمَلٌ؛ لأنه لما أنست العينُ بالحركة في الواحد بسبب الحذف، تَرَكَهَا حين رَدِّ اللامِ في الشنية على ذلك . وتَجَمَّعُ اليدين^(٢) (الجارحةُ والنعمةُ) في القلة والكثرة: أَيَدٍ^(٣)، والأصلُ: أَيَدِيٌّ، فَتُقَلَّبُ الضمةُ قبل الياء كسرةً، فتعتلُّ الياءُ، ثم يُجَمَّعُ الجَمْعُ فيُقَالُ: أَيَادٍ، إلا أن أيادي كثيرٍ في النعمة، والأيدي كثيرٌ في الجارحة، ولا يجوزُ أن يُقالَ: إن الأيادي جمعُ يدٍ التي هي النعمة من غير أن يكونَ جَمْعَ الجَمْعِ، لأن أَيَادِي جَمْعُ الرُّبَاعِي، ويدٌ ثَلَاثِيٌّ، ومما جاء فيه الأيادي مُراداً به الجارحةُ قولُ الشاعر^(٤):

فَأَمَّا وَاحِدًا فَكَفَّاكَ مِثْلِي فَمَنْ لِيَدٍ تُطَاوِحُهَا الْأَيَادِي

ومنه قولُ الآخر^(٥):

(١) من الكامل، وهو في الخزانة بلا نسبة ٤٨٢/٧ . وانظر المنصف ١٤٨/٢ وفيه: « وتظَهَّرَا » بدل « وتقهَّرا » ويروى « وتضهدا » . قال ابن جني: وقد تراه قال (يعني الشاعر): يَدَيَانِ فحركها عند الرد لأنها قد جرت متحركة قبل الرد .

(٢) في ب: « اليد من » .

(٣) انظر الغرر المثلثة: ٣٤٧ (اليديُّ) .

(٤) من الوافر، وقد نسب لنقيع بن حُرْمُوز في نوادر أبي زيد: ٥٦ .

(٥) قال ابن بري: « الرجز لجندل بن المثنى الحارثي يصف سراياً على الصحيح » . وقبله:

والآلُ في كلِّ مُرادٍ هَوَجَلٍ

انظر اللسان (غزل، هجل، سخم، يدي) ، والتاج (رود، غزل، هجل، سخم، نجل، يدي)، وأساس البلاغة للزخشي (سخم) .

كَأَنَّهُ بِالصَّخَّصَحَانَ الْأَجَلِ
قُطِنٌ سُخَامٌ بِأَيْدِي غُزَلٍ

وتمدها: تبسُّطُها، والهاءُ تعود على قوله: يدي، يقول: يا رب وُرودُ النعمِ منك تمدُّ يدي إليك، أي من نِعَمِ الله على العبد: تضرُّعُهُ إليه واستكاثتُهُ له، ويدي مفعولٌ بفعلٍ محذوفٍ، التقديرُ: إليك مددتُ يدي، والأيدى مبتدأ، وتمدُّها: جملةٌ في موضعٍ خبر، وفاعلُ «تمدها» يعودُ على الأيدى .

و «منك» حالٌ من فاعل «تمدها»، ويُقالُ: أجزتُ الرجلَ: حميتهُ ومنعتهُ، وجزَّارُ السلطانُ جوراً: تركَ العدلَ، والمسافرُ تركَ القصدَ والطريقَ فلم يَهتدِ .

وخطِلَ في كلامه خطلاً، وأخطَلَ: أخطأ^(١). رغبَ من الله تعالى أن يجيره من الجور، وهو العدولُ عن القصد والإصابة . ونصبَ «فأخطل» بإضمار أن؛ لأنه في جواب النفي الذي هو قوله: «فلا أجرني» التقدير: اللهم أجرني من الخطأ والزَّلَلِ .

* * *

أَمِينٌ وَأَمْنًا لِلْأَمِينِ بِسِيرِهَا وَإِنَّ عَثَرَتْ فَهِيَ الْأُمُونُ تَحْمَلًا

لَمَّا دَعَا فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ أَمَّنَ عَلَى دَعَائِهِ هُنَا، فَقَالَ: آمِينَ؛ وَمَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لَنَا^(٢).

(١) انظر الصحاح واللسان (خطل) .

(٢) يرى أبو حاتم الرازي في كتابه «الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية» أن أصول أسماء الله الحسنى أربعة، وهي: الله، الرحمن، السلام، آمين. وباقي الأسماء صفات ودلائل على هذه الأصول الأربعة، ومن يرى هذا كذلك ثعلب في مجالسه ١/٢٦٦ قال: «أمين: اسمٌ من

وفيه لغتان: القصرُ والمدُّ^(١)، آمين بوزن عمين، وآمين بوزن عامين، قال الشاعرُ في القصرِ^(٢):

تَبَاعَدَ مِنِّي فَطَحَلْتُ وَاِبْنَ أُمَّهِ آمِينَ فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدًا

وقال في المدِّ^(٣):

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا

قال أبو العباس ثعلب^(٤): ولا تشددُ الميمُ، فإنه خطأ .

-
- أسماء الله عز وجل»، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ١٢ قال: « وآمين: اسم من أسماء الله . وقد ردَّ هذا الكلام الفارسي في الخليات: ١٠٠ قال: « ومما يدل على أنه ليس باسم من أسماء الله وأنه من أسماء الأفعال على ما ذكرت: أنه مبني، كما أن هذه الأسماء الموضوعة للأمر مبنية، وليس في أسماء الله تعالى اسم مبني على هذا الحد، فلما كان هذا الاسم كصه وإيه ونحوهما، دل ذلك على أنه بمنزلتها، وليس من أسماء القديم (يعني به الله سبحانه وتعالى، والأحسن أن يقال: الأول) سبحانه إذ ليس من أسمائه اسم مبني على هذا الحد . وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ١٢: « وقال قومٌ من المفسرين في قول المصلي بعد فراغه من قراءة أم الكتاب (آمين): كأنه قال يا الله وأضرمت استجب لي... ثم تحذف يا النداء . وانظر للتوسع لمعة في الكلام: ١٧٢ وما بعدها، وتفسير ابن أبي الربيع ٤٠/١-٤١ .
- (١) المقصود بالمد هنا المد الطبيعي ومقداره حركتان، لا كما يتوهمه بعض القرّاء فيمدونه مدًّا مشبعًا ظانيناه مدًّا بدل، وليس كذلك. أما القصر هنا فالمراد به: عدم الزيادة على مقدار تمكين الفم من النطق بحركة الفتحة من دون إشباع لها .
- (٢) البيت من الطويل، وهو لجبير بن الأضبط في تهذيب إصلاح المنطق ٤٢/٢ .
- (٣) من البسيط، وهو لمجنون ليلي في ديوانه: ٢١٩، ونسبه ابن منظور في اللسان (أمن) لعمر بن أبي ربيعة ، وليس في ديوانه .
- (٤) الفصيح: ٣١٦ . وانظر الخليات: ٩٧، وعمدة الحفاظ ١٣٧/١-١٤١، وقد خص هذه الكلمة بالتأليف ابن الخشاب المتوفى (٥٦٧ هـ) في رسالة سماها « لمعة في الكلام على لفظة آمين » وحقّقها الدكتور سليمان العايد .

وهو مبنيٌ لوقوعه موقع المبني، وهو فعلُ الأمر الذي هو استجبٌ، وبُني على حركةٍ لالتقاء الساكنين، ونُحِصَّ بالفتح لِثِقَلِ الكسرة والضمة لاسيما بعد الياء والكسرة .

١/٩٠ / ونَصَبَ «أَمناً» على أنه مفعول بفعل محذوف، عطفه على اسم الفعل الذي هو أمين، التقدير: اللهم استجب لنا وهبْ أَمناً^(١).

وتقول في فعله: أَمِنْتُ الشيءَ أَمناً ضِدُّ خِفْتُهُ، وَأَمِنْتُ الرَّجُلَ أَمَانَةً وثقتُ به، ورجُلٌ أَمَانٌ^(٢) وأمين، وَأَمِنَتِ النَّاقَةُ أَنْ تَضَعُ فَهِيَ أَمُونٌ^(٣)؛ أي: هي وثيقةٌ أَمِينَةٌ، ويُقال: هي القوية الخلق، كأنه أَمِنَ فيها من العثر لِقَوَّتِها.

و «السَّرُّ»: ضِدُّ الجهر، وهو أيضاً الخالص من كلِّ شيءٍ، وإياه أراد هاهنا، وهو ما اشتملته من الفوائد المتخيرة والمعاني المنتخبة .

و «العِثَارُ»: السَّقُوطُ^(٤). يُقالُ منه: عَثَرَ يَعَثُرُ إذا سقطَ في مَشِيهِ، وَيُسْتَعَارُ للكلام إذا أخطأ فيه، يقول: اللهم ارزُق أَمناً للأمين بسرِّها، وكونه أَمِيناً بسرِّها

أمين» وحققتها الدكتور سليمان العايد.

(١) انظر الكنز للجعيري في المحل .

(٢) ضبطها المؤلف بفتح الهمزة، والصحيح أنها بالضم (أَمَان) كما في المعاجم، منه قولهم: رجلٌ أمينٌ وأَمَانٌ؛ أي: له دين، قال الأعشى:

ولقد شهدتُ التاجرَ الـ أَمَانَ مَوروداً شَرَابُهُ

أما الأَمَانُ بالفتح فهو والأمانة بمعنى. انظر الصحاح واللسان (أمن) .

قال الفيروز أبادي في الغرر المثلثة: ٣٦٦ (أمن): «أَمِنَ الرَّجُلُ كَكَرَّمَ، فهو أمينٌ وأَمَانٌ، صار مأموناً به» .

(٣) انظر اللسان (أمن) والغرر المثلثة: ٣٦٥ (الأمان) .

(٤) الصحاح (عثر) .

هو اعترافه بما فيها وإذاعته له، ثم قال على وجه الاستصغار: وإن عثرت هذه القصيدة، فالأمين بسرّها أمون لها؛ أي: هو لها كالأمون يتحمل ما فيها، ويُغضبي عنه إكراماً، كما تتحمل الناقة الأمون ما فوقها من الأعباء .

و « تحملًا » في البيت من باب قولهم: زيد الأسد شدّةً، يجوز فيه أن يكون تمييزاً؛ لانبهام ما وقع به التشبيه، ومنهم من يجعله في موضع الحال؛ لانبهام الحالة التي وقع عليها التشبيه، التقدير: زيد الأسد في حال كونه ذا شدّة .

* * *

أقولُ حرّ والمروءة مرؤها لإخوته المرأة ذو النور مكحلا

أخبر أنه يُخطبُ الحرّ بما تتضمنه الأبيات التي تلي هذا البيت؛ لأنه أهل للخطاب بذلك، التقدير: أقولُ حرّ: أخي أيها المجتازُ نظمي بيابه .
واعترض بين القول والمقول بقوله: « والمروءة مرؤها » إلى آخر البيت، وجُمِلَ الاعتراض كثيرةً في كلام العرب، وهي أبدأ فيها تسديدٌ للكلام الذي بعدها، ومنه قولُ الشاعر^(١):

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهِ يَكَلُّوْهَا

ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُوْهَا

وقولُ الآخر^(٢):

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغْتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

(١) البيت في اللسان والتاج (كلام) بغير نسبة، وهو في ديوان إبراهيم بن هرمة: ٥٥ .

(٢) من السريع، وهو في شرح شواهد المغني ٨٢١/٢ لعوف بن محلم .

التقدير: إِنَّ سُلَيْمِي ضَنْتَ بِشَيْءٍ، وَإِنَّ الثَّمَانِينَ قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(١) التقدير: أُقْسِمُ بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم .

وأشار بهذه الجملة الاعتراضية إلى قوله ﷺ^(٢): «المؤمنُ مرآةٌ أخيه، فإذا رأى شيئاً فليمطه» يعني أنه يُريه عُيوبه فيُصلحها، كما تُريه المرآة ذلك، ومنه قولُ الشاعر^(٣):

صَدِيقِي مِرْآةٌ أَمِيطُ بِهَا الْأَذَى وَعَضْبٌ حُسَامٌ إِنْ مُنِعْتُ حُقُوقِي
/وَإِنْ ضَاقَ أَمْرٌ أَوْ أَلَّتْ مُلِمَّةٌ لَجَأْتُ إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ شَقِيقٍ

و «المروءة»: كمالُ الرجوليّة، يُقال: مرؤُ الرجلُ مروءةً: حَسُنْتَ هَيْئَتُهُ، وتمرأَ الرجلُ: تكلّفَ المروءةَ، والمرءُ: الرجلُ، والأنثى: امرأة، ويُقال: امرؤٌ ومرءٌ، والأولُ أكثرُ، وامرأةٌ ومرأةٌ كذلك، ومع الألف واللام يُقال: الإمرؤُ، والمرءُ، والثاني أكثرُ، والإمرأةُ، والمرأةُ كذلك، والأصل: مرءٌ ومرأةٌ، فتوهّموا أن الهمزة محذوفة، فأدخلوا ألفَ الوصل، وسكّنوا الميمَ لذلك، والمرأةُ معروفةٌ، وتُجمَعُ: مرأءٍ، والأصل: مرأئيُّ، ثم أُعِلَّ كجوارٍ، وأما المرايا فهو جمعُ مَرِيئةٍ، يقال: ناقَةٌ

(١) سورة الواقعة: ٧٥-٧٧ .

(٢) بلفظ «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخ المؤمن» في سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب النصيحة والحيطة، والبخاري في الأدب المفرد. ولفظ: «إن أحدكم مرآة أخيه» رواه الترمذي، في كتاب البر والصلة باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم .

(٣) انظر فتح الوصيد فقد ساقهما الشارح عند قول الناظم: «أقول لحر...» وكذلك في الدرّة الفريدة للمتجب الهمداني لوحة (٦٣ ب) .

مَرِيَّةٌ: غزيرة اللبن^(١). والأصل: مَرَائِي، الهمزة التي بعد الألف حادثة في الجمع، واللام معتلة، فقلبت الكسرة فتحةً، فانقلبت الياء ألفاً، فصارت مَرَاء، فوقعت الهمزة بين ألفين، فقلبت ياءً فقيلاً: مَرَايا. والهمزة في المرآة أصليةً فلذلك صحّت^(٢).

و «المكحل»: المِرْوَدُ^(٣). ويُقال له: مِكْحَالٌ أيضاً، نظيره مِفْتَحٌ ومِفْتاحٌ، وكلُّ ما يُعْمَلُ به ويُنْقَلُ من الآلات فمِيمُهُ مكسورةٌ نحو: المِطْرَقَةُ والمِقرعة والمِقطع والمِخْرز، إلا أحرفاً شذت منها: المِكْحَلُ والمُدْهَنُ، والمُسْعَطُ .

وإعرابُ هذه الجملة أن تقول: «المروءة» مبتدأ، و «مرؤها» : مبتدأ ثان، و «المرآة»: خبره، والجملة خبر الأول، و «ذو النور»: صفةٌ للمرأة، وإنما ذكَّره لأنه خبر عن المرء، وهو مذكَّرٌ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾^(٤) فيمن نصب^(٥) وأنث^(٦)؛ لأنَّ القولَ وإن كان مذكراً فهو في المعنى الفتنة، فأنت لذلك حملاً على المعنى. ويتعلق «لأخوته» بـ «ما» في قوله: المرآة

(١) الصحاح واللسان (مري) .

(٢) انظر الصحاح واللسان (مرأ) .

(٣) الصحاح (كحل) .

(٤) سورة الأنعام: ٢٣ .

(٥) الذين قرؤوا بالنصب الباقون من قول الشاطبي:

وفتنُّهُم بالرفع (ع-ن) (د) بين (ك) -امل

يعني: الباقين من المذكورين، والمذكورون هم: حفص وابن كثير وابن عامر .

(٦) الباقون من قول الشاطبي:

... وذكَّر لم يكن (ش) -باع وانجلا

أي: القراء السبعة عدا الكسائي وحمزة المذكورين في البيت .

من معنى الفعل، التقدير: مرؤها مُبين لإخوته؛ لأنه إذا كان لهم مرآة، كان مبيناً لهم عيوبهم ومُظهرًا لها .

و «مِكْحَلٌ» : نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، أَي: مُنَوَّرًا مَشَبَّهًا بِذَلِكَ. شَبَّهَ الْمَرْءَ بِالْمِرَاةِ فِي حَالِ كَوْنِهَا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْمِكْحَلِ عَنِ الْمُنَوَّرِ؛ لِأَنَّ الْمِيلَ شَأْنُهُ كَذَلِكَ إِذَا أَلْقَى الْكِحْلَ فِي الْعَيْنِ هُوَ يَنُورُهَا، وَكَذَلِكَ الْمِرَاةُ، تُنَوِّرُ الْوَجْهَ؛ أَي: تُزِيلُ شَيْنَهُ .

* * *

أَخِي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ يُنَادَى عَلَيْهِ كَأَسَدِ السُّوقِ أَجْمَلًا

«أخي» : هو الحرُّ في قوله: «أقول لحرٍّ» ، وهو منادى حُذِفَ مِنْهُ حَرْفُ النَّدَاءِ، التَّقْدِيرُ: يَا أَخِي، وَهَذَا هُوَ الْمُقُولُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ، وَ«الْمُجْتَازُ» : الْمَارُّ، وَأَصْلُهُ: مَجْتَوَزٌ مَفْتَعِلٌ مِنَ الْجَوَازِ، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ أَلْفًا / لِتَحْرُكِيهَا وَإِنْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا. ١/٩٢
وَالنَّظْمُ بِمَعْنَى الْمَنْطُومِ، وَالْمُرَادُ بِهِ كِتَابَتُهُ هَذَا، وَ«نَظْمِي» فَاعِلٌ بِالْمُجْتَازِ، وَ«بِبَابِهِ» يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَ«يُنَادَى»: حَالٌ مِنَ النَّظْمِ، وَ«عَلَيْهِ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ «يُنَادَى»، وَ«كَأَسَدِ» حَالٌ مِنْ هَاءِ «عَلَيْهِ»، وَإِضَافَتُهُ غَيْرُ مُحْضَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ: حَسَنُ الْوَجْهِ .

و «أجملا» : أمرٌ من قولك: أجمَلَ الرَّجُلُ فِي الْقَوْلِ يُجمِلُ، أَي: أَحسَنَ فِيهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ^(١):

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ

وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

وَالأَصْلُ: أَجمَلَنُ بِالنونِ الخَفِيفَةِ، فَأَبَدَلَهَا أَلْفًا لِأَنَّ قَبْلَهَا فَتْحَةً شَبَّهَهَا بِالتَّنْوِينِ

(١) من الطويل، وهو في ديوان امرئ القيس: ١٢ .

في قولك: رأيتُ زيداً، ومنه قول قطريِّ بن الفجاءة^(١):

فَمَا فِي تَسَاقِيِ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ سَبَّةٌ عَلَى شَارِيهِ فَاسْقِنِي مِنْهُ وَاشْرَبَا
يقول للحرّ: إذا مرّ بك كتابي هذا، ورأيت سوقه كاسدةً، فأجمل القول،
وأحسن الظنّ، ثمّ بين ذلك الإجمال فقال:

* * *

وظُنُّ بِهِ خَيْرًا وَسَامِحٌ نَسِيحُهُ بِالْإِغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هَلْهَلًا

« الإغضاء »: إدناء الجفون، ويُقال: غَضَوْتُ عَلَى الْقَذَا: سَكَتُ، وَأَغْضَيْتُ،
وَتَوَبُّ مُهْلَهْلٌ وَهَلْهَالٌ وَهَلْهَلٌ: سَخِيفُ النَّسِجِ، وَسُمِّيَ الرَّجُلُ مَهْلَهْلًا؛ لِأَنَّهُ
هَلْهَلَ الشَّعْرَ؛ أَي: رَقَّقَهُ، وَقَالَ النَّابِغَةُ^(٢):

أَتَاكَ بِقَوْلِ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ وَلَمْ يَأْتِ بِالقَوْلِ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ
وَالنَّسِيجُ: الْمَنسُوجُ، وَلَمَّا كَانَ بَيْتُ الشَّعْرِ مُؤَلَّفًا مِنْ سَبَبٍ وَوَتِدٍ وَفَاصِلَةٍ،
وَبَيْتُ الشَّعْرِ كَذَلِكَ فِيمَا زَعَمَهُ الْخَلِيلُ، اسْتَعَارَ لِلنَّظْمِ نَسِيجًا .

يقول: ظنُّ بالكتاب خيراً، فإنَّ حسنَ الظنِّ بالشيءِ يُوجِبُ حُسْنَ الاعتذار
عنه، وجميلَ التأويل لما يصدُر منه، وجوابُ « وإن كان هلهاً » محذوفٌ، دلٌّ
عليه: وظنُّ به خيراً؛ أي: إن كان هلهاً في نسجه فعامله بالاغضاء والحسنى .

(١) المازني. انظر شعر الخوارج: ١٢٧، وقبله:

ألا أيها الباغي البزاز تقرّبني أساقك بالموت الذعاف المقشبا

وانظر الفصول والغايات: ٤١٠ .

(٢) في ديوانه: ٣٥، وفيه: « ولم يأت بالحق » . من قصيدة مطلعها:

عفا ذو حُسى من فرتنى فالفوارع فجبني أريك فالتلاع السدوافع

وضبطها المؤلف: هلهل = وكذلك: المهلهل .

وَسَلَّمَ لِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِصَابَةً وَالْأُخْرَى اجْتِهَادًا رَامَ صَوْبًا فَأَمَحَلًا

/ رُمْتُ الشَّيْءَ: حَاوَلْتُهُ وَطَلَبْتُهُ، وَالصَّوْبُ: نُزُولُ الْمَطْرِ^(١)، وَالْمَحَلُّ: جَفَافٌ ١/٩٣
النبات لعدم المطر، وَأَمَحَلَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مُمَحَلٌّ، وَأَمَحَلَّ فَلَانٌ: صَادَفَ الْمَحَلَّ^(٢).

إذا اجتهد العالمُ فأصابَ فله أجران: أجزرُ الاجتهاد، وأجزرُ الإصابة، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجزرُ الاجتهاد خاصةً، فاجتهد بين حالين، حالةٌ يجوزُ فيها أجرين، وحالةٌ يجوزُ فيها أجزراً واحداً، فلا بدُّ له على الجملة من الأجر، والمرادُ بالحسينين في قوله: «وَسَلَّمَ لِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ»، الحالتان اللتان قدَّمناهما: حالةُ الاجتهاد والإصابة، ويزترَبُ عليها أجران، وحالةُ الاجتهاد دون الإصابة، ويزترَبُ عليها أجزراً واحداً، فيقول لأخيه: سَلِّمْ فَلَا بَدَّ لِي مِنَ الْأَجْرِ، فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَخْطَأْتُ فَلِي أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَعَبَّرَ عَنِ الْخَطَأِ بَعْدَ الْجَهْدِ بِقَوْلِهِ:

وَالْأُخْرَى اجْتِهَادًا رَامَ صَوْبًا فَأَمَحَلًا

أي: رَامَ الْجَهْدَ الْإِصَابَةَ، وَهِيَ الصَّوْبُ، فَأَمَحَلَّ أَي: صَادَفَ الْمَحَلَّ، وَبَنَى النَّاطِقُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَذْهَبَهُ هُنَا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَجْتَهِدٍ مُصِيبًا .

وقد اختلف العلماء^(٣) في ذلك؛ فقالت طائفة: ليس لله في حكمٍ من أحكام الشريعة حكمٌ معينٌ في وقعة من الوقائع، وإنما الحكم ما ظهر في نفس المجتهدين، فقد أصابوه، فكلُّ مجتهدٍ على هذا مُصِيبٌ، أي: إذا أفتى بشيء فقد أصابه، ويكونُ حكمُ الله على المكلف ما ظهر للمجتهد، وهؤلاء على فرقتين: فقالت

(١) الصحاح (صوب) .

(٢) الصحاح (محل) واللسان .

(٣) انظر المنحول: ٤٥١ وما بعدها، والموافقات، كتاب الاجتهاد ٦٤/٤ . .

فرقة منهم: في نفس الأمرِ حُكْمٌ، لو كان لله حُكْمٌ لحكَمَ به، كما تقول: لا نبيَّ بعد رسول الله ﷺ، وفي الزمان رجلٌ صديقٌ خيرٌ، لو أن الله بعث نبياً لبعثه، وهؤلاء يقولون بالأشبهه .

وقالت فرقة منهم: ليس في نفس الأمر شيءٌ هو أشبهه^(١) .

وقالت طائفة^(٢): بل لله تعالى في نفس الأمر حُكْمٌ معينٌ، وهو ما تضمَّن المصلحة، فمن صادفه فهو المصيب، ومن لم يُصادف فهو المخطئ، ولكنه معذورٌ، واختلف هؤلاء: هل عليه دليلٌ أو لا دليل عليه؟، والقائلون بالدليل اختلفوا: هل هو ظنيٌّ أو قطعيٌّ؟

فالقائل أنه لا دليل عليه أنه لو كانت عليه أمارَةٌ لفهمها الكلُّ، كماطر إذا دلت عليه أمارَةٌ علمها الكلُّ .

والقائلون بالدليل الظنيُّ يقولون: إنَّ الله تعالى امتحن الخلق بذلك الحكم في نفس الأمر، وأمرهم ببذل الجهد في طلبه، فلولا أنه هو ودليله في غاية الحق، لعرفه الكلُّ فزال الامتحان .

والقائلون بالدليل القطعيُّ يقولون: إن تكليف الكلِّ بشيءٍ معينٍ، يعتمدُ دليلاً ظاهراً للكل، وما ذاك إلا القطعيُّ، وأما الظنيُّ فتختلف فيه القرائح^(٣).
وقوله: « وسَلِّم لإحدى الحسنيين، فيه حذفٌ مضافٍ التقدير: وسَلِّم لصاحب إحدى الحسنيين، ويُروى «إصابة» رفعاً وجرأ .

/ فالرفعُ على تقدير: إحداهما إصابةٌ والأخرى اجتهادٌ، والجرُّ على البدل ١/٩٤
من إحدى .

(١) انظر المنحول: ٤٥٨ .

(٢) انظر المنحول: ٤٥٧ .

(٣) انظر المستصفي: ٢٨٦، وانظر للتوسع الفتاوى ١٥/٢٠ وما بعدها .

و « الأخرى اجتهادٌ » مبتدأ وخبرٌ، ويجوزُ جرُّ « اجتهاد » إذا جرُّ « إصابة » ،
فيكون بدلاً من الأخرى، وموضعُ « رام صوباً » رفعٌ أو جرٌّ على أنه صفةٌ
لاجتهاد، وجعلَ الاجتهاد هو الذي يرومُ الصَّوبَ فَيُجِلُّ مجازاً .

* * *

وَإِنْ كَانَ خَرَقٌ فَادْرِكُهُ بِفَضْلَةٍ مِنْ الْحِلْمِ وَيُصْلِحُهُ مَنْ جَادَ مَقُولاً

لما استعارَ لتأليف الكتاب نسيجاً في قوله: « وسامحٌ نسيجه » استعارَ له هنا
خرقاً، يقول: إن وقع فيه خرقٌ أي: خللٌ وفسادٌ، فأصلحهُ ورقَّعهُ بفضلةٍ من
الحلم، وليكن المصلحُ المأذونُ له في إصلاحه ممن جاد قولاً، و « كان » في البيت
تامةً، مثلها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾^(١)، فيمن رفع^(٢).
ومثله قولُ الربيع بنِ ضُبُع^(٣):

إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَادْفُتُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشِّتَاءُ

تقدَّرُ « كان » في ذلك بالحضور والوقوع^(٤) والحدوث، والمرفوعُ بعدها
فاعلٌ بها، وأصلُ « ادْرِكُهُ » : ادْتَرِكُهُ، فأبدلت تاءُ الافتعال دالاً، ثم أدغمت
الدالُ في الدال، و « مَقُولاً » : تمييزٌ، وهو اللسان، والمراد: صاحبه، فإنَّ اللسان
إنما يجودُ لجودةٍ صاحبه. وإنما صحَّت الواوُ في « مَقُول » ، ولم تعتلَّ فيقال مثلاً:
مقالاً، كما يُقال في مَقومٍ: مقام، إذ هو على وزن الفعل في عدد الحركات

(١) سورة النساء: ١١ .

(٢) وهو نافعٌ وحده من السبعة، لقول الشاطبي:

... (نافع) بالرفع واحدة جلا

(٣) من الوافر، وهو في الأزهية للهرودي: ١٨٤، والخزانة ٣٨١/٧ .

(٤) في أ: والوقع .

والحروف والسواكن ومحلّ الزيادة؛ لأنه عندهم في معنى مِقْوَال، ومِقْوَال لا تعتلُّ فيه الواو؛ لأن بعدها السكون، كما صحَّحُوا: اجْتَوَرُوا واعتَوَّنُوا؛ لأنه في معنى تجاورُوا وتعاونُوا^(١).

* * *

وَقُلْ صَادِقًا لَوْلَا الْوَيْثَامُ وَرُوحُهُ لَطَاحَ الْأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَافِ

« الوَيْثَامُ » : الْوَيْثَامُ، يُقَالُ: وَاءَمَهُ يُوَاثِمُهُ مُوَاثِمَةً، وَرُوحُ الْوَيْثَامِ: الْحَيَاةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِسَبَبِهِ، وَالرُّوحُ يَعْبُرُ بِهَا عَمَّا تَحْصُلُ بِهِ الْحَيَاةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾^(٢) أَي: بِالْوَحْيِ، سَمَّاهُ رُوحًا؛ لِحُصُولِ حَيَاةِ الْقُلُوبِ بِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً؛ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

وَطَاحَ الشَّيْءُ يَطِيحُ طِيحًا، وَطَاحَ يَطُوحُ طَوْحًا: هَلَكٌ^(٤)، وَأَيْضًا / سَقَطَ ١/٩٥
مَنْبَسَطًا، وَأَيْضًا اضْطَرَبَ عَقْلُهُ، وَطَوَّحْتُ الشَّيْءَ فَتَطَوَّحَ، فَهَذَا مِنْ طَاحَ يَطُوحُ،
وَلَوْ كَانَ مِنْ طَاحَ يَطِيحُ لَقِيلَ: طِيحْتُهُ، وَالْأَصْلُ: طَوَّيْحْتُ كَكَوَّثَرْتُ، أَوْ:
طَوَّيْحْتُ كَجَهَّوَرْتُ، ثُمَّ قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً فِيهِمَا، وَأُدْغِمَتِ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ، وَالْأَنَامُ:
الْخَلْقُ الْإِنْسُ وَالْجَانُّ.

(١) انظر أدب الكاتب، باب افتعلت ومواضعها: ٣٦١، والسيرافي على الكتاب، باب موضع

افتعلت: ٢٠٢-٢٠٤ .

(٢) سورة النحل: ٢ .

(٣) سورة البقرة: ١٧٩ .

(٤) الصحاح (طوح) .

ويجوزُ فيه في الشعر: الأَنِيمُ، والخُلْفُ: المخالفةُ، والقَلَى: البُغضُ، يُقال منه: قَلَيْتُ الشَّيْءَ أَقْلِيهَ قِلاً ومَقْلِيَةً وَقَلَى: أَبْغَضْتُهُ^(١)، وَأَمَّا مِنَ الطَّبِيخِ فيقال: قَلَوْتُ الشَّيْءَ قَلَوًّا وَقَلَيْتُهُ قَلِيًّا: طَبَخْتُهُ^(٢) في مَقْلَى^(٣).

أشارَ في هذا البيت إلى ما تقوله العربُ في كلامها: لولا الوئامُ هَلَكَ الأَنامُ. وزاد في المثل لفظة: « وَرَوْحُهُ » للوزن؛ ولأن فيه مبالغةً، كما تقول: يُعجِبني زيدٌ وحُسْنُهُ، والمقصودُ: الحُسْنُ، لكن جيءَ به بعد بجيء ما يتضمنه مبالغةً في المعنى المقصود، وغيرَ لفظ هَلَكَ بطاحٍ مرادفِهِ للوزن، ولما عَلِمَ أَنَّ في الناس مَنْ يخالفه فيما قصدَ من الاصطلاح، نَبَّهَ على فضل الموافقة، وما يحصلُ مِنْ تركها، بما أشار إليه من المثل المتقدم.

وَنَصَبَ « صادقاً » [على أنه كان صفةً لمصدرٍ حَذَفَه، التقديرُ: وَقُلْ قولاً صادقاً]^(٤)، ونسبَ إلى القولِ الصدقَ مجازاً كما تقولُ: صدَقَ قولُ فلان .
و « الكلُّ » توكيدٌ للأَنامِ، وأجرى الألفَ واللامَ فيه مُجرى الإضافة، وهذا

(١) قال الجوهري في الصحاح (قلا): والقلى: البغض، فإن فتحت القاف مددت، تقول: قلاه يقلبه قِلاً وقِلاءً، ويقلاه لغة طي، وأنشد ثعلب:

أيامَ أمِّ الغمْرِ لا نَقْلاها ولو نشاءُ قَبِلت عيناها

(٢) قال الجوهري في الصحاح (قلا): « قلوْتُ السويقَ واللحمَ فهو مَقْلَى، وقلوتُهُ فهو مَقْلَوٌ لغةً، والرجلُ قِلاءً، والقَلِيَّةُ من الطعامِ، والجمعُ: قِلايا .

وإلى هذا أشار ابن مالك في منظومته فيما ورد من الأفعال بالواو والياء بقوله:

اعلم أن الواو والياء قد أتت في بعض ألفاظ النحو كنجو منيته

إلى أن قال في معنى قليته وقلوته:

وقلوتُهُ بالنارِ مثلَ قَلِيتهُ ورثوتُ خيلاً ماتَ مثلَ رَثِيتهُ

(٣) قال الجوهري في (قلا): « والمقلاة والمقلى: الذي يُقلى عليه، وهما مقليان، والجمع: المقالي .»

(٤) ما بين المتعاقبين سقط من ب .

على ما اجتمع عليه النحويون من المسامحة في إطلاق هذا اللفظ هكذا .
 قَالَ الزَّجَّاجِيُّ^(١): وهو في الحقيقة غير جائز، وإنما كان غير جائز؛ لأنَّ لفظَ
 كلِّ في المعنى مضافٌ، ولا ينفكُّ عن الإضافة، فإذا دخلتُه الألفُ واللام صار
 كالجمع بين الإضافة والألف واللام^(٢).
 و « في الخُلف » متعلقٌ بـ « طاح » .
 و « القلي » : مجرورٌ في التقدير لعطفه على الخُلف .

* * *

وعِشْ سَالماً صَدْرًا وَعَنْ غِيْبَةٍ فَعِْبْ

تَحْضُرُ حِطَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغْسَلًا

الغِيْبَةُ كما قال رسولُ الله ﷺ^(٣): « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » ، قيل: أَرَأَيْتَ
 إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
 فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ » .

(١) قال أبو البركات الأنباري في مشور الفوائد: ٧١ مسألة (١٦٤): « أجاز النحويون إدخال
 الألف واللام في كل وبعض، وأباه الأصمعي » .

وقال الجوهري: « وكل وبعض معرفتان، ولم يجئ عن العرب بالألف واللام وهو جائز؛ لأن
 فيهما معنى الإضافة أضفت أو لم تضاف » الصراح (كلل) .

(٢) الظاهر من كلام سيويه وأبي علي الفارسي في الحلييات (وليس في المطبوع منها) جواز
 دخول الألف واللام عليها. انظر الكتاب ١١/٢-١٤، وانظر ابن الشجري مفصلاً في
 المسألة ومرجعاً الجواز في الأمالي ١/٢٣٣-٢٣٧، وانظر في مقابل هذا عمدة الحفاظ
 للسمين ٣/٤٩٤، ونتائج الفكر: ٢٧٦-٢٨١، وتعليق محمد العيدي في إحالة (١) في علل
 الوقوف للسجاوندي ١/١١١ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الغيبة (النهى عن الغيبة)، وأبو داود، كتاب الأدب،
 باب في الغيبة .

وقال مُعَاذٌ^(١): ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالُوا: مَا أَعْجَزَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اغْتَبْتُمْ صَاحِبِكُمْ» قالوا: يا رسولَ الله: قلنا ما فيه، قال: «إِنْ قُلْتُمْ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهْتُمُوهُ» .

وعن حُذَيْفَةَ عَنِ عَائِشَةَ أَنَّهَا ذَكَرَتْ امْرَأَةً فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَصِيرَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اغْتَبَيْتَهَا»^(٢) .

/ وعلى الجملة فالغيبية: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت^{١/٩٦} نقصاً في دينه، أو في نفسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابته، كالعمش والحوال والقصر والطول والسواد والصفرة، وكقولك: أبوه نبطي أو هندي، أو فاسق، أو خسيس، أو إسكاف، أو جزار، وكقولك: إنه سيء الخلق، متكبر مرء، شديد الغضب، جبان، عاجز، ضعيف القلب .

وحضور الشيء: شهوده، والحظار بالظاء: ما يحظر به على الغنم وغيرها بأغصان الشجر وغيرها، مأخوذ من حظرت الشيء: منعته، والحظيرة ما وراء الحظار، والقدس: الطهارة، والمراد بحظار القدس: الجنة، وكذلك حظيرته، يقول: يجب على المرء أن يعيش وهو سالم الصدر من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من الخلق المذموم، ويجب عليه أن يغيب عن الغيبة إماماً يدينه إن أمكنه، وإما بقلبه، فقد نص الله عز وجل على ذمها في كتابه، وشبه صاحبها بأكل لحم

(١) انظر الترغيب والترهيب للمنذري ١٥٠/٥ برقم: ٤٠٩٥ .

(٢) رواه الطبراني وأبو يعلى .

(٣) أبو دواد، كتاب الأدب، باب الغيبة، والترمذي (صفة القيامة) باب تحريم الغيبة .

الميتة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(١).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ^(٢): «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» .

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ^(٣): «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ بِأُظْفِيرِهِمْ فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» .

وفي الحديث^(٤): «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ مَاتَ تَائِبًا مِنَ الْغَيْبَةِ فَهُوَ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ» .

وقال أنس^(٥): «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِصَوْمِ يَوْمٍ، وَقَالَ: لَا يُفْطِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آذَنَ لَهُ، فَصَامَ النَّاسُ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا جَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ظَلَلْتُ صَائِمًا فَأَذِّنْ لِي لِأُفْطِرَ، فَيَأْذِنُ لَهُ، وَلِلرَّجُلِ وَلِلرَّجُلِ^(٦)، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَتَاتَانِ مِنِ أَهْلِ بَيْتِي ظَلَّتَا صَائِمَتَيْنِ، وَإِنَّهُمَا اسْتَحَيَتَا أَنْ

(١) سورة الحجرات: ١٢ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، وأبو داود، في كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية .

(٣) أبو داود، في كتاب الأدب، باب الغيبة .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) مسند الإمام أحمد برقم: ٢٢٥٤٥ ، وانظر الترغيب والترهيب ١٥١/٥ برقم: ٤٠٩٨ ، و ٢٧٠/٢ برقم: ١٥٧٦ عن عبيد مولى رسول الله ﷺ .

(٦) في ب: «والرجل والرجل» .

تَأْتِيَاكَ، فَأَذِنُ لِهَمَا فَلْتَفْطِرَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ عَاوَدَهُ (فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ عَاوَدَهُ^(١))
فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَمْ تَصُومَا، وَكَيْفَ صَامَ مَنْ ظَلَّ هَذَا الْيَوْمَ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ، اذْهَبْ
فَمُرَّهُمَا إِنْ كَانَتَا صَائِمَتَيْنِ أَنْ تَسْتَقِيئَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِمَا فَأَخْبِرُهُمَا، فَاسْتَقَاءَا، فَقَاءَتْ
كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَلَقَةً مِنْ دَمٍ، فَخَرَجَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ^(٢): وَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، / لَوْ بَقِيَتَا فِي بُطُونِهِمَا لَأَكَلْتُهُمَا النَّارُ .

/٩٧

وفي روايةٍ أخرى: « إِنَّهُ لَمَّا أَعْرَضَ عَنْهُ جَاءَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لَقَدْ مَاتَتَا أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ائْتِنِي بِهِمَا، فَجَاءَتَا،
فَدَعَا بِعُسٍّ^(٣) أَوْ قَدَحٍ، فَقَالَ لِأِحْدَاهُمَا: قِيئِي، فَقَاءَتْ مِنْ قِيحٍ وَصَدِيدٍ حَتَّى
مَلَأَتْ الْقَدَحَ، وَقَالَ لِلْأُخْرَى: قِيئِي، فَقَاءَتْ كَذَلِكَ، فَقَالَ: إِنْ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا
أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لِهَمَا، وَأَفْطَرْتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمَا، جَلَسْتُ
إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلْتَا تَأْكُلَانِ لَحْمَ النَّاسِ .

وقالت عائشة^(٤): « لَا يَغْتَابَنَّ أَحَدٌ أَحَدًا، فَإِنِّي قُلْتُ لَامْرَأَةٍ مَرَّةً وَأَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ
ﷺ: إِنْ هَذِهِ لَطَوِيلَةُ الذَّيْلِ، فَقَالَ: الْفِطْيُ، فَلَفَظْتُ قِطْعَةً مِنْ لَحْمٍ .

و « سَالِمًا » : نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْفَاعِلِ فِي « عَش » .

و « صَدْرًا » : تَمْيِيزٌ لِلْفَاعِلِ فِي سَالِمًا، وَيَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ،

كَمَا تَقُولُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ قَائِمٍ أَبًا .

و « حِطَّارٌ » : مَفْعُولٌ بِـ « تُحَضَّرُ » ، وَ « أَنْقَى » : بِمَعْنَى نَقِيًّا، وَهُوَ حَالٌ مِنْ

(١) سقط من ب .

(٢) سقط من ب .

(٣) العُسُّ: القدح العظيم، وجمعه: عِساس. انظر الصحاح (عسس) .

(٤) انظر الترغيب والترهيب ١٥٠/٥ برقم: ٤٠٩٤ بلفظ: « فَلَفَظْتُ بَضْعَةً » .

المضمر في « تَحَضَّرَ » ، و « مُغَسَّلًا » : نعتٌ له؛ أي: نقياً من الذنوب مُغَسَّلًا منها .

* * *

وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِأَلْتِي كَقَبْضِ عَلَي جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلَاءِ

أشار بهذا البيت إلى ما جاء في الحديث^(١): « إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْقَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وَلَا يُنْجِي مِنْهُ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ » .

والصبرُ على الجملة مقامٌ عظيمٌ من مقامات الدين، ومنتزلاً من منازل السالكين، وقد أثنى الله تعالى على أهله في غير ما موضعٍ من كتابه، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(٢) ، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾^(٣) ، وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) .

وقال ﷺ^(٥): « الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنَ كُنُوزِ الْجَنَّةِ » .

وقال الكليني^(٦) حين سُئِلَ عن الإيمان فقال^(٦): « الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ » .

(١) الترمذي ١٤٢/٢ عن أنس ، وابن بطة في الإبانة ١٧٣/١ عن أنس ، والسلسلة الصحيحة ٦٨٢ ، ٩٥٧/٢ .

(٢) سورة السجدة: ٢٤ .

(٣) سورة القصص: ٥٤ .

(٤) سورة النحل: ٩٦ .

(٥) قال العراقي في المعنى: « لم أجده » . وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢١/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد ٣٨٥/٥ عن عمرو بن عبسة، والطبراني في الأوسط، في مكارم الأخلاق

وفي حديث عطاء عن ابن عباس: لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال^(١): «أُمُومِنُونَ أَنْتُمْ؟ فَسَكَتُوا، فَقَالَ عُمَرُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: وَمَا عِلْمَةُ إِيمَانِكُمْ؟ فَقَالَ: نَشْكُرُ الرَّخَاءَ، وَنَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَنَرْضَى بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ: مُؤْمِنُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ.»

وقوله: «مَنْ لَكَ» هو استفهامٌ يُضْرَبُ مثلاً في معنى الاستبعاد لشيءٍ. ومن هذا المعنى قولُ الشاعر^(٢):

مَنْ لِي بِهِ يَرْضَى وَيَغْضَبُ مِثْلَ مَا/أَنْسَ الرَّشَاءَ ثُمَّ انْتَنَا لِنِظَارِهِ
وَيَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الرَّضِيِّ^(٣):

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدَتْ مَرْمَاكَ

/ وقوله: «بِالَّتِي» هو على حذف موصوفٍ^(٤) دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ التَّقْدِيرُ: مَنْ ١/٩٨
لَكَ بِالْحَالَةِ الَّتِي، أَوْ بِالْعَزِيمَةِ الَّتِي يَكُونُ الْقَابِضُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى
الْجَمْرِ؛ أَي: هِيَ فِي الشَّدَّةِ وَالصَّعُوبَةِ كَقَبْضِ عَلَى جَمْرٍ، وَيَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ: «عَلَى جَمْرٍ»
بِ«قَبْضٍ»، وَقَوْلُهُ: «فَتَنْجُو»: هُوَ مَنْصُوبٌ فِي التَّقْدِيرِ، وَأَسْكَنَ الْوَاوَ ضَرُورَةً
كَقَوْلِ النَّابِغَةِ^(٥):

عن جابر، وابن أبي شيبة في الإيمان عن الحسن عن جابر ١٨٤/٢، وابن أبي الدنيا في الصير
٤٣/٢، والسلسلة الصحيحة برقم: ٥٥٤.

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ديوان الشريف الرضي: ١٠٧/٢ .

(٤) في ب: «مضاف» .

(٥) ديوانه: ١٥ . وهو من معلقته . ولَبَّده: سَكَّه بِشَدَّةٍ، وَالْوَالِدَةُ: الْأُمَّةُ الشَّابَّةُ، وَالنَّادُ: الْمَكَانُ
النَّدِي، وَهُوَ مَصْدَرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الصِّفَةِ . وَسَكَنَ الْيَاءَ مِنْ أَقَاصِيهِ ضَرُورَةً، وَجَازَ ذَلِكَ

رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَكَبَدَهُ ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمَسْحَاةِ فِي الثَّأْدِ

يُرِيدُ: أَقَاصِيَهُ. وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْيَاءِ وَالْوَاوِ، وَنَصَبُهُ عَلَى جَوَابِ
الاسْتِفْهَامِ، وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً، التَّقْدِيرُ: فَتَنْجُو مِنَ الْبَلَاءِ إِنْ حَصَلَتْ
عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، وَهَذَا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ كَلَامُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ بِاطِّلٍ، يَعْنِي الرِّفْعَ،
وَذَلِكَ أَنَّ الرِّفْعَ عِنْدَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْعَطْفُ، فَيَكُونُ مَا بَعْدَ الْفَاءِ كَمَا قَبْلَهَا فِي الْاسْتِفْهَامِ وَهُوَ غَيْرُهُ .

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَ الْفَاءِ هُوَ الْمَوْجِبُ لِمَقْتَضَى مَا قَبْلَهَا، فَإِذَا قُلْتَ: هَلْ
تَأْتِي فَتَحْدِثُنِي^(١) فَرَفَعْتَ « تَحْدِثُنِي »، فَإِنْ عَطَفْتَ كُنْتَ مَسْتَفْهِماً عَنِ الْحَدِيثِ،
كَمَا أَنْتَ مَسْتَفْهِمٌ عَنِ الْإِتْيَانِ، وَإِنْ لَمْ تَعْطِفْ كَانَ الْحَدِيثُ وَقَعاً، وَهُوَ السَّبَبُ
فِي السُّؤَالِ عَنِ الْإِتْيَانِ؛ أَي: أَنْتَ الْآنَ تَحْدِثُنِي فَهَلْ تَأْتِي، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي الْبَيْتِ
هَذَانِ الْمَعْنِيَانِ .

و « الْبَلَاءُ » مَمْدُودٌ، وَقَصْرُهُ ضَرْوَةٌ، وَأَصْلُهُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِمْتِحَانُ، وَيَكُونُ
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ، يُقَالُ: بَلَاهُ بِالْمَرْضِ وَالْفَقْرِ، وَبَلَاهُ بِالصَّحَّةِ وَالْغِنَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ وَنَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾^(٢)، ثُمَّ سَمِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النُّوعَيْنِ بَلَاءً،
وَتَسْمِيَةُ النُّوعِ الْأَوَّلِ بِهِ أَكْثَرُ، وَالْمَرَادُ فِي الْبَيْتِ: عَذَابُ الْآخِرَةِ وَمَقْدَمَاتِهِ.

* * *

تَشْبِيهاً بِالْأَلْفِ لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا سَاكِنَةً، وَالْيَاءُ أَخْتَهَا فِي الْمَدِّ وَاللِّينِ، فَحُمِلَتْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ
عَلَيْهَا .

(١) انظر الأمالي لابن الشجري ٣/١٠٠ .

(٢) سورة الأنبياء: ٣٥ .

وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ سَحَابُهَا بِالذَّمْعِ دِيمًا وَهَطَّلًا

سَاعَدَتْ الرَّجُلَ: وافقته، وَيَتَعَدَّى لمفعولين، إلى الثاني منهما بعلى، وتوَكَّفَ البيتُ ووَكَّفَ: قَطَرَ، والسحاب: جمعُ سَحَابَةٍ نحو: كَنَانَةٌ وَكَنَائِنٌ، وهي استعارةٌ للعَيْنِ، والذَّمْعُ: جمعُ دِيمَةٍ، وهو المطرُ الدائم، وقيل: أَقْلُهُ مطرٌ يومٍ وليلَةٍ، وأصلُ دِيمَةٍ: دِيمَةٌ؛ لأنه من دَامَ يدومُ، فانقلبت الواوُ في الواحدِ ياءً لسكونها بعد كسرة، وقُلبت في الجمعِ حَمَلًا^(١) على المفرد^(٢)، وإن لم يكن بعدها ألفٌ كما هي في حِيَاضٍ وَسِيَاطٍ، الأَصْلُ: حِوَاضٌ وَسِوَاطٌ؛ لأنه جمعُ حَوْضٍ وَسَوَطٍ، فقُلبت في الجمعِ لانكسار ما قبلها، ولأن الحركة طرأت لها في الجمعِ، ولوقوع الألف بعدها .

والهَطَّلُ: جمعُ هاطِلٍ من قولك: هَطَلَ السحابُ هَطَلًا وهَطَلَانًا: سَكَبَ^(٣) .
وموضعُ أَنْ وما عَمِلَتْ فيه رفعٌ بالابتداء على قول سيويه^(٤)، سَدَّتْ جملةُ الجواب مسدًّا للخبر، ولا يجوز عنده أن يقع بعد لو مبتدأً غيرها، / وأما قولهم: ١/٩٩
«لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي» فارتفاعُ «ذات» بفاعلٍ مضمَرٍ دلَّ عليه «لَطَمْتَنِي»، كأنه قال: لو لَطَمْتَنِي ذاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي، والفرقُ بين أن وغيرها كثرةُ وُرُودِ نحو:

(١) منقوطة في أ . وربما هو رسم للحاء تقييداً لها على طريقة المحققين الأول .

(٢) في ب: «العمر» .

(٣) بعده: «وأشار الناظم - رحمه الله - في هذا البيت إلى قول الحسن بن أبي الحسن البصري، روي عنه أنه وعظَّ الناس يوماً، فلم يرَ عيناً تدمعُ، فقال: ما جمدت العيونُ حتى قست القلوبُ، وما قست القلوبُ حتى كثرت الذنوبُ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قلوبِهِمْ ما كانوا يكسبون﴾^(٣)، كأن المؤلف استغنى عنه، وليس في ب، وإخاله مضبياً لرسم الصاد فويقه، وقد كتبت في صفحة ٢٥٩ في صلب النص .

(٤) الكتاب ١١/٣، والدر المصون ١/٣٣٠، والبحر المحيط ٣/٢٦٤ .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾^(١) ، وَقَلَّةٌ وَرُودٍ نَحْوُ: لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ، وَانْتَصَبَ «دِيمَا» وَ «هُطَلًا» عَلَى الْحَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مُشَبَّهَةٌ دِيمَا وَهُطَلًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمِيِزًا كَأَنَّهُ قَالَ: لَتَوَكَّفَتْ دِيمَهَا وَهُطَلَهَا .

* * *

وَلَكِنَّهَا عَنِ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحَطُهَا فَيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبَهْلًا

الضَمِيرُ فِي « وَلَكِنَّهَا » يَعُودُ عَلَى الْعَيْنِ، أَوْ ضَمِيرُ الْقِصَّةِ، تَفْسِرُهُ الْجُمْلَةُ بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾^(٢)، وَالْقَحَطُ: احْتِبَاسُ الْمَطَرِ، يُقَالُ: قَحَطَ الْقَوْمُ، وَقَحَطَ الْمَطَرُ: احْتَبَسَ، وَقَحَطَتِ الْأَرْضُ قُحُوطًا، (وَأَقْحَطَ الْقَوْمُ: صَارُوا فِي الْقَحَطِ، وَأَقْحَطَ الرَّجُلُ: أَكْسَلَ عَنِ الْإِنْزَالِ فِي الْجِمَاعِ)^(٣) .
وَالسَّبَهْلُ: الَّذِي لَا شَيْءَ مَعَهُ^(٤)، قَالَه الْكِسَائِيُّ .

وَرُوي عَنْ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لِأَكْرَهُ^(٥) أَنْ أَرَى أَحَدَكُمْ سَبَهْلًا، يَعْنِي: لَا فِي عَمَلِ دُنْيَاهُ وَلَا أَخْرَاهُ، وَإِحْدَى اللَّامِينَ فِيهِ مَزِيدَةٌ لِلْإِلْحَاقِ بِسَفَرِ جَلِّ، نَظِيرُهُ: قَفَعْدَدُ^(٦)، وَهُمَا صِفَتَانِ . قَالَ سَيُوبِيهِ^(٧): وَلَا نَعْلَمُهُ جَاءَ إِلَّا

(١) سورة الحجرات: ٥، وانظر الدر المنثور ١٦٩/٦ .

(٢) سورة الحجج: ٤٦ .

(٣) ما بين القوسين عبارة ابن القطاع في الأفعال ١٤/٣ .

(٤) الصحاح (سبهل) .

(٥) في ب: « لا أكره » .

(٦) القفعدد: لم يشرحه السجستاني في تفسير غريب أبنية الكتاب . وهو الرجل القصير، وقيل: نبت. انظر اللسان والتاج (قفعد) . وقال الزبيدي في التضعيف في الرباعي من كتاب أمثلة الأبنية في كتاب سيوبيه: ٩٨ (ولم نلق تفسير قفعدد، وسعد، وقسقب، وقد سمعت أن القفعدد: نبت) .

وصفاً، يعني هذا الوزن .

وقوله: « يا ضيعة الأعمار، معناه: يا قوم احذروا ضيعة الأعمار؛ أي: احذروا أن تضيع أعماركم، أو أن تضيعوا أعماركم، وإنما نادى الضيعة على الجاز، كأنه قال: يا ضيعة الأعمار احضري هذا أو أنك، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾^(١)، ونحو قوله^(٢):

فِيَا عَجَبًا حَتَّى كَلَيْبٌ تَسْبِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلٌ أَوْ مُجَاشِعُ

ويجوز أن يكون المنادى محذوفاً، وينتصب « ضيعة الأعمار، بفعل محذوف، التقدير: يا قوم احذروا ضيعة الأعمار .

و « تمشي » بيان للضيعة، وانتصب « سَبَهَلًا » على الحال من « الأعمار » كأنه قال: تمشي مضيعةً، يقول: إنما منع العين من البكاء قساوة القلب، فلمَّا قَحَطَ القلبُ، جَمَدَتِ العينُ .

وأشار بذلك إلى ما روي عن الحسن بن أبي الحسن البصري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال وقد وعظ الناس يوماً فلم يرَ عيناَ تدمعُ فقال: والله ما جمدت العيون حتى قست القلوب، وما قست القلوب حتى كثرت الذنوب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٣).

(ولإبراهيمَ الإلبيري^(٤) في المعنى:

الكتاب للسجستاني: ١٤١، ومنه: « سهلٌ يعلو الأكم » مثل يضرب لمن يصعد في الآكام فراغاً. مجمع الأمثال ١/٣٤٤ برقم: ١٨٤٧ .

(١) سورة يس: ٣٠ .

(٢) من الطويل، وهو للفرزدق ٤١٩/١ .

(٣) سورة المطففين: ١٤ .

(٤) انظر ترجمته في حلى المغرب ١٣٢/٢-١٣٣، وساق بعض الأشعار، وترتيب المدارك: ٨٢٨، وبغية الملتبس: ٢١٠، وانظر ديوانه: ٤٤ مع اختلاف في الرواية، وما بين القوسين في

وَأَرَى شُؤْنَ الْعَيْنِ تُمَسِكُ مَاءَهَا وَلَطَالَمَا حَكَتِ السَّحَابَ الْوُكْفَا
 وَأَحَالَ ذَلِكَ لِفَتْرَةٍ عَرَضَتْ لَهَا أَوْ قَسْوَةٍ فِي الْقَلْبِ أَشْبَهَتْ الصَّفَا
 وَيَقِيلُ فِي طُولِ الْبُكَاءِ لَهْفُوتِي وَلرَبَّمَا شَفَعُ الْبُكَاءُ لِمَنْ هَفَا
 وقيل لبعض الصالحين: بَمَ يُسْتَعَانُ عَلَى الْبُكَاءِ؟ قال: بِتَرْكِ مَا تَبْكِي مِنْهُ^(١).
 وقال العُتَيْبِيُّ: لَا يَكُونُ الْبُكَاءُ إِلَّا مِنْ فَضْلِ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَزَنُ، ذَهَبَ الْبُكَاءُ،
 وَأَنْشَدَ^(٢):

فَلَيْسَ بِكَيْنَاهُ فَحُقَّ لَنَا وَلَكِنْ تَرَكَنَا ذَلِكَ لِلصَّبْرِ
 فَلِمِثْلِهِ جَرَّتِ الْعُيُونُ دَمًا وَلِمِثْلِهِ جَمَدَتْ وَلَمْ تَجْرِ

وفي الحديث^(٣): «أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَطُولُ
 الْأَمَلِ، وَالْحَرَصُ عَلَى الدُّنْيَا» .

(وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسولُ الله ﷺ^(٤): « لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ
 بغيرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بغيرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ

هامش (أ) غير واضح .

(١) الخبر في فتح الوصيد عند شرح البيت نفسه .

(٢) ومثله عند المتنبي:

وإن صبرنا فإننا صبرٌ وإن بكينا فغير مردود
 وإن جزعنا له فلا عجبٌ ذا الجزر في البحر غير مردود

انظر التبيان ٢٦٢/١ .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (أخبار أصبهان) ٢٤٦/١، وابن عدي في الكامل ١٩٣/٢،
 والسلسلة الضعيفة ١٥٢٢/٤ .

(٤) الترمذي، كتاب الزهد، باب أبعده الناس من الله القلب القاسي، والبيهقي في شعب الإيمان
 ٦٥/٢، وانظر السلسلة الضعيفة ٩٢٠/٢، وما بين القوسين في هامش (أ) .

أبعدَ الناس من الله القلبُ القاسي .

ولندكرُ شيئاً مما وردَ في البكاء من خشية الله تعالى، قال الله تعالى:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ

خُشُوعاً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا

تَبْكُونَ﴾^(٣) .

وقال عليه السلام^(٤): « مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ تَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ

رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ يُصِيبُ شَيْئاً مِنْ حُرٍّ وَجْهِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ عَلَيَّ

النَّارِ .

وقال عليه السلام^(٥): « لَا يَلِجُ أَحَدٌ فِي النَّارِ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ

اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ .»

وقال عقبه بنُ عامرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : مَا النَّجَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « أَمْسِكْ

عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَكَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَأَبْكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ »^(٦) .

وقالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْدِخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْ

(١) سورة التوبة: ٨٢ .

(٢) سورة الإسراء: ١٠٩ .

(٣) سورة النجم: ٥٩، ٦٠ .

(٤) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، وانظر السلسلة الضعيفة برقم: ٤٤٩٠، وضعيف الجامع: ٥١٩٦، وزاد (الله) في ب .

(٥) الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، والنسائي، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه .

(٦) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان .

أَمَّتِكَ بِغَيْرِ حَسَابٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَنْ ذَكَرَ ذَنْبَهُ فَبَكَى^(١).

وقال عليه السلام^(٢): « مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ مِنْ قَطْرَةٍ دَمِعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، أَوْ قَطْرَةٍ دَمِعَ أَهْرِيقتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وكان محمد بن المنكدر^(٣) إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه، ويقول: بَلَّغْنِي أَنَّ النَّارَ لَا تَأْكُلُ مَوْضِعاً مَسَّتُهُ الدَّمُوعُ.

وقال أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْكِيَ فَلْيَبْكِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَتَبَاكَ .

والبكاء على الذنوب من أدلة الخشية والخوف، وقد أثنى الله على الخائفين، قال الله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾^(٥).

وقيل ليحيى بن معاذ^(٦): مَنْ آمَنُ الْخَلْقِ غَدًا؟ قَالَ: أَشَدُّهُمْ خَوْفًا الْيَوْمَ .
وقال أبو سليمان الداراني^(٧): مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرَبَ .

(١) لم أقف عليه .

(٢) الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل المرباط .

(٣) ابن عبد الله بن الهدير القرشي، عالم زاهد، من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، وروى عنهم، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق، توفي سنة ١٣٠ هـ. انظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٥/٥، والأعلام ٣٣٣/٧ .

(٤) سورة الأعراف: ١٥٤ .

(٥) سورة البينة: ٨ .

(٦) الرازي أبو زكريا، واعظ زاهد، لم يكن له نظير في عصره، من أهل الري، مات في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ. انظر الأعلام ٢١٨/٩ .

(٧) ابن حبيب المحاربي، أبو بكر، قاض من ثقات التابعين شامي، والداراني نسبة إلى داريا من

بِنَفْسِي مَنِ اسْتَهْدَى إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَكَانَ لَهُ الْقُرْءَانُ شَرِبًا وَمَغْسِلًا

« استَهْدَى »: استفعل، مِنْ هَدَى يَهْدِي، وَيُرَدُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِمَعَانٍ مِنْهَا:
الاستدعاءُ والطلبُ نحو: اسْتَطَعْمْتُهُ واستسْقَيْتُهُ؛ أَي: طَلَبْتُ مِنْهُ ذَلِكَ.

ومنها: وَجَدْتُهُ كَذَلِكَ، تَقُولُ: اسْتَجَدْتُهُ واستكْرَمْتُهُ واستعْظَمْتُهُ واستسَمِنْتُهُ:
وَجَدْتُهُ جَيِّدًا وَكَرِيمًا وَعَظِيمًا وَسَمِينًا .

ومنها: التَّحَوُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، يُقَالُ: اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ، وَاسْتَيْسَتِ
الشَّاةُ^(١)، وَاسْتَسْرُ الْبَغَاثُ^(٢).

ومنها: مَعْنَى تَفَعَّلَ^(٣)، قَالُوا: (تَعْظَمَ وَاسْتَعْظَمَ، وَتَكَبَّرَ وَاسْتَكَبَّرَ، وَتَيَقَّنَ
وَاسْتَيْقَنَ .

ومنها: مَعْنَى فَعَلَ، قَالُوا^(٤): اسْتَقَرَّ وَقَرَّ، وَعَلَا قِرْنُهُ وَاسْتَعْلَاهُ .

وَالْأَكْثَرُ فِيهَا الْمَعْنَى الْأَوَّلُ، وَمِنْهُ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ؛ أَي: أَفْدَى بِنَفْسِهِ مِنَ
الْمَكَارِهِ مَنْ طَلَبَ الْهَدَايَةَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ. وَانْتِصَابُ « وَحْدَهُ » لِنِيَابَتِهِ مَنْابًا مَا
نَابَ/ عَنِ الْمَنْصُوبِ، فَإِذَا قُلْتَ: جَاءَ زَيْدٌ وَحْدَهُ، فَالْأَصْلُ: جَاءَ زَيْدٌ مَنْفَرِدًا، ١/١٠١

غوطة دمشق، توفي سنة ١٢٠ هـ. انظر الأعلام ١٨٣/٢، وانظر الإحالة رقم (٢) في
المصدر نفسه .

(١) قال سيبويه: وقالوا في التحول من حال إلى حال هكذا، وذلك قولك: استنوق الجملة
واستيست الشاة. الكتاب ٧١/٤ .

(٢) « إن البغاث بأرضنا يستسر » هكذا في مجمع الأمثال ١٥/١ برقم: ٨ . والبغاث: ضرب من
الطير، وفيه ثلاث لغات، والجمع: بغنان . والمثل يُضْرَبُ لِلضَّعِيفِ يَصِيرُ قَوِيًّا، وَلِلذَّلِيلِ يَعْزُزُ
بَعْدَ الذَّلِّ .

(٣) في ب : « فَعَلَ » .

(٤) ما بين القوسين سقط من ب .

فمنفرداً حالاً، ثم أُقيِمَ مقامَ الحالِ الفعل، ففعلٌ مثلاً: جاء زيدٌ ينفردُ، ثم أُقيِمَ مقامَ الفعلِ مصدرُهُ، ففعلٌ مثلاً: جاء زيدٌ انفراداً، ثم وُضِعَ « وحده » موضعَ هذا المصدرِ فقيل: جاء وحده، ويجوزُ في البيت أن يكون حالاً من الله تعالى، ويجوزُ أن يكونَ مِنَ الفاعلِ في « استهدى » .

والمعنى على الأوّل: طلب الهداية إلى الله تعالى منفرداً بذلك غيرَ مُشركٍ به في طلبه؛ أي: هو في ذلك مخلصٌ لله تعالى .

(والمعنى على الثاني: أنه طلب الهداية إلى الله تعالى منفرداً في طلبها؛ أي: هو في زمانٍ أعرَضَ الناسُ فيه عن ذلك، فلا يسلك أحدٌ طريقه ولا يطلبُ طلبه) ^(١).

و « مَنْ » في قوله: « مَنْ استهدى » يجوزُ أن تكونَ مفعولةً بفعلٍ محذوفٍ التقدير: أفدي بنفسي مَنْ استهدى، ويجوزُ أن يكونَ موضعها رفعاً على الابتداء وإضمارِ الخبر، التقدير: مُفدئى بنفسي مَنْ استهدى، (ويقبُحُ أن يُجعلَ خبراً؛ لأنه يلزمُ أن يكونَ التقدير: المفدئى بنفسي مَنْ استهدى) ^(٢) .

ويتعلّقُ « بنفسي » بالمفدى، وهو موصولٌ، فيؤدّي إلى حذف الموصول وإبقاء الصلة، وذلك قبيحٌ، وقوله:

وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَرِباً وَمَغْسِلاً

(أي: كان مُلازماً له معتكفاً عليه حتى يصيرَ له شرباً ومغسلاً) ^(٣) .

(١) ما بين القوسين جاء في ب مكانه: « أي هو مخلص لله تعالى » والباقي ساقط .

(٢) ما بين القوسين سقط من ب .

(٣) ما بين القوسين سقط من ب .

والشُّرْبُ: النصيبُ من الماء، قال الله تعالى: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾^(١)؛ أي: إذا اقتسمَ الناسُ حظوظَهُمْ، كان القرآنُ حظَّهُ، والمغسِلُ مَفْعِلٌ من غَسَلَ يَغْسِلُ، يُرَادُ به المكانُ والزمانُ، أمّا الزمانُ فلا يصحُّ هنا، فلم يبقَ إلا المكانُ، جعله ملازمته إياه كمكانٍ يَغْتَسِلُ فيه؛ لأنه يغسِلُهُ من دَرَنِ الذُّنُوبِ، وسوَّغَ له هذا التجوُّزَ لفظَةَ الشُّرْبِ؛ لأنَّ أصلها أن تستعملَ في الماء. وَيَنْظَرُ هذا المعنى إلى ما جاء في الحديث^(٢): «مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ» .

* * *

وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخَضَّلًا

العَبِيرُ: أَخْلَاطٌ من الطَّيِّبِ، وقيل: الزعفرانُ، والخَضِلُّ: كلُّ شيءٍ نَدِيٍّ، وشِرَاءُ خَضِلٍ: رطبٌ، وأخضَلْتنا السَّمَاءُ: بَلَّتْنا^(٣)، وبكى فلانٌ فأخضَلَ لحيتهُ بدمعِهِ؛ أي: بَلَّها به، يقول: أفدي بنفسي مَنْ استهدى إلى الله وحده، وطابت عليه أرضه. والهاءُ في «أرضه» يجوزُ أن تعودَ على المستهدي، أي: طابت عليه الأرضُ التي تحملُهُ؛ لما عنده من النور والانشراح، فتفتَّقَتْ له بكلِّ طيبٍ، لما يثني به عليه أهلها من الثناء الذي يُشبهُ العبيرَ طيباً.

(١) سورة الشعراء: ١٥٥ .

(٢) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ، والمشكاة: ٢١٣٦، والدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، والسلسلة الضعيفة: ١٣٣٥ .

(٣) الصحاح (خضل) .

قال بعضُ الأدباءِ يرثي^(١):

أ/ ١٠٣ / وَلَيْسَ فَتِيْقُ الْمَسْكِ مَا تَجْدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْمَخْلَفُ
ويجوزُ أن تعودَ على القرآن، جعله في حال تلاوته للقرآن وتدبره له
كالسالك في أرضٍ قد تفتتت له بأنواع الطيب؛ لكثرة الفوائد الحاصلة بالتدبر .
ومعنى « أَصْبَحَ مُخْضَلًا » أي: هو مبتلٌ برحمة الله تعالى، وحسن له ذلك
قولُهُ في البيت قبله:

وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شِرْبًا وَمَغْسِلًا

لما كان له شرباً ومغسلاً أصبحَ بذلك مبتلاً .

* * *

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عطية البصري المعروف بالعطوي، كان شاعراً كاتباً من شعراء
الدولة العباسية، له فن من الشعر لم يسبق إليه، ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ففاق
جميع نظرائه، وخف شعره على كل لسان، وروي واستعمله الكتاب، واحتذوا معانيه،
وجعلوه إماماً.
والبیت ثاني بیتين رثا بهما أحمد بن أبي داود، قال الأصفهاني: وأنشدني الأخفش للعطوي
قال:

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قومٍ تقصّفوا

وبعد البيت برواية:

وليس نسيم المسلك ريثاً خنوطه

انظر الأغاني ١٣٢/٢٣ وما بعدها . وروى البيت صاحب التبيان بشرح ديوان المتنبي
٣٣٨/٢ بصيغة أخرى:

وليس بشم المسلك ما تجدونه

عند شرحه لقول المتنبي:

وتفوح من طيب الثناء روائح لهم بكل مكانة تستنشق

فطوبى له والشوق يبعثُ همَّةً

وزندُ الأَسَى يهتاجُ في القلب مُشعلاً

يُقال: طابَ الشيءُ يَطيبُ طيباً: حَلاً وحَسُنَ وحَلَّ، وطابَ عن الشيءِ نفساً: تَرَكَه، وطوبى لفلان أي: أصابَ خيراً. والهَاءُ في « له » تعودُ على « مَنْ » في قوله: « بنفسِي مَنْ استهدَى إلى الله »، أي: الحالة الطيبة له.

ويحتملُ أن يريدَ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ﴾^(١) قيل: إنه فرَجٌ تَقَرُّ به أعينُهُم، وقيل: إنه الجنةُ، وقيل: كرامةٌ مِنَ الله لهم .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ^(٢): « أَنَّ « طُوبَى » شجرةٌ في الجنة مسيرةٌ مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرُجُ من أكمامها، غرسها الرحمنُ بيده، ونفخَ فيها من روحه، تُنبِتُ الحلَى والحُلَلَّ، وإن أغصانها لُترى من وراء سُورِ الجنة » .
والأصل فيه: طَيِّبَى، فوقعت الياءُ ساكنةً بعد ضمة وهي عَيْنٌ، فقلبت الياءُ واواً، ولو كانت فعلى صفةً لاستعملَ استعمالَ الأسماء، لقلبت الضمة كسرةً، وتصحُّ الياءُ نحو: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾^(٣)، وامرأةٌ حِيكَى، أصلهما: ضِيزَى وحِيكَى؛ لأنه من ضَاَزَ يَضِيزُ الحقُّ: نَقَصَه، وحاكت المرأةُ في مشيها تحيكُ حَيكاناً، وهي مشيةٌ تحركُ فيها رأسها ومنكبيها وجسدها، ثم قُلبت الضمة كسرةً، فصحَّت الياءُ^(٤) .

(١) سورة الرعد: ٢٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد برقم: ١١٢٤٥ .

(٣) سورة النجم: ٢٣ .

(٤) الصحاح (ضيز، حيك) .

فإن قلت: هلاً زعمت أن الأصل في «ضيزى» و«حيكى» الكسر، ولم ادعي أنه مضموم؟

فالجواب: أن فعلى بالكسر لا يكون في الصفات، وإن كانت فعلى صفة تستعمل استعمال الأسماء، جاز فيها قلب الضمة كسرة، إجراء له مجرى الصفات، وقلب الياء واواً إجراءً له مجرى الأسماء، فيقال: جاءني الطيبى والكيسى، والطوبى والكوسى. وهما مؤنثا: الأطيب والأكيس، وكأنهم فرّقوا في هذا بين الاسم والصفة، وخصّوا الصفة ببقاء الياء؛ لثقلها وخفة الياء.

ومحل «طوبى» رفع بالابتداء، و«له» الخبر، وجاز الابتداء به لمعنى الدعاء. نظيره: ويح له، و«الشوق» مصدر قولك: شاقه الشيء شوقاً: هيجه، ويبعث: يحرك ويثير ويوقظ.

و«الزند» الذي يُقدح به، وهو الأعلى، والسفلى: زنده^(١)، والأسى: الحزن، يُقال: أسيت على الشيء: حزنت عليه، أسى أسى.

و«يهتاج» يفتعل، من هاج يهيج هياجاً: تحرك، وهاجه غيره، يستعمل متعدياً وغير متعد، كرجع زيد ورجعته، قال الله تعالى: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿فإن رجعت الله﴾^(٣).

وأصل يهتاج: يهيج^(٤)، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً. و«مشعلا» من قولك: أشعلت النار والحرب: أوقدتهمَا.

(١) انظر الصحاح واللسان (زند).

(٢) سورة الأنفال: ٤٤، والحج: ٧٦، وفاطر: ٤، والحديد: ٥.

(٣) سورة التوبة: ٨٣.

(٤) انظر الصحاح (هيج).

ومعنى قوله: « والشَّوقُ يَبْعَثُ هَمَّهُ » أي: شوقه إلى ما عند الله تعالى يَبْعَثُ هَمَّهُ، فلا يَزَالُ في حُزْنٍ.

وفي الخبر: « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » .

واستعار للأسى زَنْدًا يَهْتَاجُ في قلبه أَسْفًا على ما سَلَفَ، وَنَدَمًا على ما فات.

و « مشعلًا » حالٌ من فاعل يهتاج، وفي أكثر النَّسخِ: مُشْعَلًا بفتح العين اسمٌ مفعول، ورأيتُ في بعضها: مُشْعِلًا بالكسر اسمُ فاعل، وهو أيضاً حالٌ من الفاعل، كأن الزَّندَ يُشْعِلُ في قلبه الهمومَ ويوقدُها، وواو قوله: « والشَّوقُ » يجوزُ أن تكونَ للحال؛ أي: طوبى له في هذه الحالة، ويجوزُ أن تكونَ عاطفةً جملةً على جملة، والله أعلم .

* * *

هُوَ الْمُجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ قَرِيبًا غَرِيبًا مُسْتَمَالًا مُؤَمَّلًا

المجتبى: المختار، وفعله افتعل^(١)، من جَبَا الماءَ في الحوضِ يَجْبُوهُ وَيَجْبِيهِ جَبْوًا وَجَبِيًّا وَجَبًا: جمعة؛ لأنك إذا اخترتَ الشيءَ فقد جمعتَ محاسنَه التي توجبُ تفضيلَه، والضميرُ من قوله: « هو المجتبى » يعودُ على « مَنْ استهدى » وهو القارئُ، وإنما كان مجتبىً لأنَّ الله تعالى اختاره لما يسره له من فهمِ كتابه وتدبيره وتلاوته والعملِ به .

ومعنى قوله: « يغدو على الناس كلهم قريباً غريباً » يقربُ من الناسِ ببدنه

(١) في ب: « وفعله افتعل » ، وفي أ: فعل افتعل .

دون أفعاله، فهو قريبٌ منهم حسّاً، بعيدٌ منهم معنّى، ويُحكى عن بعضهم أنه قال: صحبتُ كذا وكذا فِرْقَةٍ، كلُّهم يقول: مني مني .
و يغدو على الناس: يمرُّ عليهم، و «مُستَمالاً» مُستَفَعلاً من الميل، أي: قلوبُ الناس تستميلُهُ بحبِّه وتودُّدِهِ، وأصله مُستَمِيلٌ، فنقلت حركة الياء إلى الميم، ثم قلبت الياء ألفاً لتحريكها في الأصل وانفتاح ما قبلها في اللفظ، و «مؤملاً»: مقصوداً، يرجون إجابة دُعائه لتحسينهم الظنَّ فيه، و «قريباً» حالٌ من الضمير في «يغدو»، وما بعده صفتُهُ .

* * *

يَعُدُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلَى لَأَنَّهْمُ عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ يَجْرُونَ أَفْعَالًا

١/١٠٤ / «يعدُّ» يحسبُ ويعتقدُ، ومنه قوله^(١):

تَعُدُّونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بِنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقْنَعَا

والمولى مُشْتَرِكٌ يُطَلَّقُ عَلَى الْمَالِكِ وَعَلَى الْمَمْلُوكِ، وَعَلَى ابْنِ الْعَمِّ، وَعَلَى النَّاصِرِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْمَمْلُوكُ؛ أَي: يَعْتَقِدُ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَرَى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا بَدَلًا وَلَا عَطَاءً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢) .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ: الْمَالِكُ، أَي: يَحْسَبُ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَادَاتٍ، فَلَا يَحْتَقِرُّ أَحَدًا مِنْهُمْ عَاصِيًّا كَانَ أَوْ مَطِيعًا، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَأَنَّهْمُ عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ يَجْرُونَ أَفْعَالًا»، أَي: لِأَنَّ أَفْعَالَهُمْ جَارِيَةٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ أَسْعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاسْتَعْمَلَهُ فِي طُرُقِ الْخَيْرِ، وَخَتَمَ لَهُ بِالْحَسَنِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ

(١) ديوان جرير: ٩٠٧/٢ .

(٢) سورة فاطر: ١٥ .

أبعده الله تعالى، واستعمله في طُرُق الضلال، وحتم له بالشقاوة .
وفي حديث مُسْلِمٍ عن النبي ﷺ^(١): « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » زاد البخاري: « وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِمِ » .
ويتعلّق « لأنهم » بـ « يعدُّ » ، و« على ما قضاه الله يجرؤون » ، ونصب « أفعلا » على التمييز للفاعل الذي في « يجرؤون » من باب: تفقأ زيد شحماً، والأصل: لأنهم على ما قضاه الله تجري أفعالهم، فأفعلهم فاعلٌ بـ « تجري »، ثم حذفَ أفعال الذي هو الفاعل، وأقام المضاف إليه وهو الضميرُ مقامه، فصار: على ما قضاه الله يجرؤون، ثم ردَّ المحذوفَ تمييزاً وجمعه؛ لأنه يجوز فيه الوجهان في نحو قولك: طابَ الزيدون أنفساً ونفساً، بالإفراد؛ لأنَّ المقصودَ منه يَحْصُلُ بالإفراد والجمع؛ لأنه كذلك كان في الأصل، ومن الجمع قوله تعالى: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٢)، ومن الإفراد: ﴿فَإِنْ طِينٌ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾^(٣) .
وأفعلاً مفردُهُ فِعْلٌ بكسر الفاء، وجمعه على ذلك على غير قياس، لأن قياسه في القلّة: أفعال، ويجوز أن يكونَ واحدُهُ فَعْلًا بفتح الفاء، وجمعه القياسي في القلّة: أفعال نحو: أَكْلَبٌ وَأَفْلَسٌ، ويكونُ فَعْلٌ وفِعْلٌ من فَعْلٍ نحو: الطَّحْنُ والطَّحْنُ من طَحَنَ، فالفِعْلُ بالكسر المفعول، وبالفتح الحركاتُ الصادرةُ على الإطلاق^(٤)، وأفردَ « مولى » للضرورة أو لموافقة لفظٍ جميع؛ لأنه مفردٌ في اللفظ .

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد برقم: ٦٩٠٠ .

(٢) سورة الكهف: ١٠٣ .

(٣) سورة النساء: ٤ .

(٤) انظر كلام السمين الحلبي في هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِينٌ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ

نَفْسًا﴾ ٣٠٦/٢-٣٠٧ .

يَرَى نَفْسَهُ بِالذَّمِّ أَوْلَى لَأَنَّهَا عَلَى الْمَجْدِ لَمْ تَلْعَقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا

/ « يرى » هنا من رؤية القلب بمعنى العلم، فيتعدى إلى مفعولين أصلهما ١٠٥/١
مبتدأ وخبر، وهما: نفسه وأولى، يقول: يجب على قارئ القرآن أن ينظر إلى
عيوب نفسه فيزيلها، ويكون ذلك شاغلاً له عن عيوب غيره لمعرفة بتقصيره،
ففي بعض الآثار عن النبي ﷺ^(١): « إِنَّ الْعَبْدَ لِيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُدْخِلُهُ ذَنْبُهُ الْجَنَّةَ،
قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يُدْخِلُهُ ذَنْبُهُ الْجَنَّةَ؟ (قال: لا يزالُ نصبَ عينيه تائباً منه
هارباً عنه حتى يُدْخِلَهُ ذَنْبُهُ الْجَنَّةَ^(٢)) » .

وهذا لا يتأتى إلا بالنظر في عيوب النفس وفي تقصيرها، قال الشاعر^(٣):

إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَافاً عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

وقوله: « لأنها على المجد ... » البيت، يقول: يجب أن يعتقد التقصير من
نفسه فيذممها على ذلك؛ لأنها لم تتكلف المشاق في اكتساب المجد، ولم ترتكب
الأخطار في تحصيله، وكنتى عن ذلك بلعق الصبر والألا، فالصبر هو الصبر بكسر
الباء، وأسكنه تخفيفاً كما يفعل ذلك بكثف ونحوه^(٤)، وهو مر المذاق. و « الألا »

(١) لم أقف عليه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ب .

(٣) للمتوكل الكثاني من قصيدة مطلعها:

للغانيات بذي الحجاز رسوم فبطن مكة عهدهن قديم

وفي ضمنها البيت المشهور:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ساقه الزمخشري في باب (لا) من المستقصى في أمثال العرب ٢/٢٦٠، وانظر الخزانة
٥٦٦/٨-٥٦٧، والكتاب ٣/٤١-٤٢، ونسب إلى السيربي والطرماح، وفي شرح القطر
نسبه إلى أبي الأسود، وهو في ملحقات ديوانه: ١٣٠ .

(٤) تقدم الكلام عنه .

نَبْتُ بِشَيْعِ الطَّعْمِ، يُشْبِهُ الشَّيْحَ رَائِحَةً وَطَعْمًا، وَهُوَ مَمْدُودٌ وَقَصْرُهُ لِلشُّعْرِ،
وَوَاحِدَتُهُ: أَلَاءَةٌ. قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسِدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ

وَلَعَقُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يُسْتَعْظَمُ، إِنَّمَا يُسْتَعْظَمُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ مَعَ الْعَدَمِ^(٢)،
التَّقْدِيرُ: يَرَى نَفْسَهُ أَوْلَى بِالذَّمِّ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَلْعَقِ الصَّبْرَ وَالْأَلَا عَلَى اكْتِسَابِ الْمَجْدِ .
قَالَ أَبُو الْحَسَنِ السَّخَاوِيُّ^(٣): وَلَوْ قَالَ: لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الصَّبْرِ وَالْأَلَا لَكَانَ
أَحْسَنَ؛ لِأَنَّ الْأَلَا لَا يُلْعَقُ .

قُلْتُ: إِنَّمَا قَالَ النَّازِمُ: « لَمْ تَلْعَقْ » لِأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى مَا فِي بَيْتِ أَنْشُدَهُ أَبُو عَلِيٍّ
الْبَغْدَادِيُّ^(٤):

لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا

وَنظِيرُ مَا فَعَلَهُ النَّازِمُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٥):

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

(١) البيت ساقط من ب، وقد نسبه ابن منظور في اللسان (الأ) إلى ابن عنمة .

(٢) عبارة السخاوي في فتح الوصيد عند قول الناظم: « يرى نفسه بالذم ... » قال: « وهو نبتٌ
يُشْبِهُ الشَّيْحَ رَائِحَةً وَطَعْمًا، وَلَا يُسْتَعْظَمُ لَعَقُهُ، إِنَّمَا يُسْتَعْظَمُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ مَعَ الْعَدَمِ » .

(٣) انظر فتح الوصيد عند قول الناظم: « يرى نفسه بالذم ... » .

(٤) الأمالي ١/١٤٦، وانظر الصلة لابن بشكوال ٦٥٧، - ساقها من مقطوعة أنشدها أبو علي -
في ترجمة هارون بن موسى. قال أبو علي: « قرأت على أبي بكر بن دريد لبعض العرب
... » .

(٥) من الكامل، وهو لعبد الله بن الزبير في ديوانه: ٣٢، وانظر كتاب الشعر ٢/٥٣٢،
وأما ابن الشجري ٣/٨٢ ولم ينسبه، وانظر تعليق الطناحي على البيت الإحالة رقم (٣)
من المصدر نفسه .

والرَّمْحُ لَا يُقَالُ فِيهِ: تَقَلَّدْتُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ^(١):

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

وَالْمَاءُ لَا يُقَالُ فِيهِ: عَلَفْتُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ^(٢):

غَرَائِرُ فِي كِنٍّ وَصَوْنٍ وَنَعْمَةٍ يُحَلِّينَ يَاقوتًا وَشَذْرًا مُفَقَّرًا

وَرِيحَ سَنَا فِي حُقَّةٍ حِمِيرِيَّةٍ تُخَصُّ بِمَفْرُوكٍ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرًا

وَلَا يُقَالُ: حَلَيْتُهُ رِيحَ سَنَا، إِنَّمَا هَذِهِ كُلُّهَا عَلَى إِضْمَارٍ مَا يَلِيقُ بِهَا، التَّقْدِيرُ:

وَحَامِلًا رُحْمًا، وَسَقَيْتُهَا مَاءً بَارِدًا، وَيَضْمَخُنَ رِيحَ سَنَا. وَكَذَلِكَ بَيْتُ النَّاطِمِ

التَّقْدِيرُ فِيهِ: لَمْ تَلْعَقْ مِنَ الصَّبْرِ، وَلَمْ تَسْتَدِمِ الْأَلَا .

وَرَوَى مُسْلِمٌ^(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ:

(١) بغير نسبة في كتاب في كتاب الشعر ٥٣٣/٢، وتأويل مشكل القرآن: ٢١٣، وأمالي ابن الشجري ٨٢/٣، والأشباه والنظائر ١٠٨/٢، والإنصاف ٦١٢/٢، والخصائص ٤٣١/٢، واللسان (زجج) . وتكلمته:

حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

ويروى: « حتى غدت » . وفي الأصل: فعلفتها .

(٢) ديوانه: ٥٩ من قصيدة مطلعها:

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعْرَعْرَا

الغرائر: الغوافل عن الدهر لصياتهن وتنعمهن، والكين: ما يُكِنُّ به عن الحر والبرد، والشذُر: قطع الذهب. والمفقر: المصوغ على هيئة فقار الجراد .

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة وقبولها، باب لن ينجي أحداً عمله، وهو في البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، وابن ماجه، كتاب الزهد والمداومة على العمل بلفظ: « خير العمل أدومه وإن قل » والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب صلاة القاعد في الناقل، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان بلفظ: « ما ديم عليه وإن قل » .

«أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهُ» .

وَنَقَلْتُ مِنْ تَأْلِيفِ^(١) أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بُشْكَوَالِ^(٢) مَا هَذَا نَصَهُ: «قَرَأْتُ بِحِطِّ أَبِي عَلِيِّ الْغَسَّانِيِّ /- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : قَالَ لِي الْفَقِيهُ أَبُو الْحَزْمِ بْنُ عَلِيمٍ، قَالَ ١/١٠٦ لِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُوسَى الْبَطْلِيُّوسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَرَّابِ، قَالَ لِي أَبُو نَصْرِ هَارُونَ بْنُ مُوسَى بْنِ جَنْدَلِ النَّحْوِيِّ: كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَى أَبِي عَلِيِّ الْبَغْدَادِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقْتَ إِمْلَائِهِ النَّوَادِرَ بِجَامِعِ الزَّهْرَاءِ، وَنَحْنُ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، إِذْ أَخَذْتَنِي سَحَابَةٌ، فَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَّا وَقَدْ ابْتَلَّتْ ثِيَابِي كُلَّهَا، وَحَوَالِي أَبِي عَلِيِّ أَعْلَامُ أَهْلِ قَرْطَبَةَ، فَأَمَرَنِي بِالِدَنُوِّ مِنْهُ، وَقَالَ لِي: مَهْلًا يَا بَانَصْرُ، لَا تَأْسَفْ عَلَيَّ مَا عَرَضَ لَكَ، فَهَذَا شَيْءٌ يَضْمَحِلُّ، عَنْكَ بِثِيَابٍ غَيْرَهَا تُبَدِّلُهَا، وَلَقَدْ عَرَضَ لِي مَا أَبْقَى بِجِسْمِي نُدُوبًا تَدْخُلُ مَعِيَ الْقَبْرَ، ثُمَّ قَالَ لَنَا: كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى ابْنِ بَجَاهِدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَادَّلَجْتُ إِلَيْهِ لِأَتَقَرَّبَ مِنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى الدَّرْبِ الَّذِي كُنْتُ أَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى مَجْلِسِهِ، أَلْفَيْتُهُ مُغْلَقًا، وَرَأَيْتُ عَلِيًّا فَتَحَّهُ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أُبَكِّرُ هَذَا الْبُكُورَ، وَأُغْلِبُ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُ، فَنَظَرْتُ إِلَى سَرَبٍ بِجَنْبِ الدَّرْبِ^(٣) فَاقْتَحَمْتُهُ، فَلَمَّا تَوَسَّطْتُهُ ضَاقَ بِي، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا عَلَى النَّهْوِضِ، فَاقْتَحَمْتُهُ أَشَدَّ اقْتِحَامٍ حَتَّى نَفَذْتُ بَعْدَ أَنْ تَحَرَّقَتْ ثِيَابِي، وَأَثَرَ السَّرْبِ فِي لَحْمِي حَتَّى انْكَشَفَ الْعِظْمُ، وَمَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ، فَوَأَيْتُ مَجْلِسَ الشَّيْخِ عَلَيَّ هَذِهِ الْحَالِ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِمَّا عَرَضَ لِي؟!»

(١) «تأليف» من ب .

(٢) انظر الصلة في ترجمة هارون بن موسى برقم: ١٤٤١ ٢/٦٥٦-٦٥٧ .

(٣) في الصلة «الدار» .

وَأَنْشَدَنَا:

دَبَيْتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقُوا دُونَهُ الْأُزْرَا
فَكَابِدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبِرًا^(١)
لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ أَكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
قال أبو نصر: فكتبناه عنه من قبل أن يأتي موضعها في نوادره، وسألني ما
حكاه، وهان علي ما عرض لي من بلل الثياب.

وَأَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ^(٢):

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْإِدْلَاجِ فِي السَّحْرِ

وَفِي الرِّوَاكِ إِلَى الْحَاجَاتِ وَالْبُكْرِ
لَا تَضْجُرَنَّ وَلَا يُعْجِزُكَ مَطْلِبُهَا فَالْتَجِحْ يَذْهَبُ بَيْنَ الْعَجْرِ وَالضَّجْرِ
إِنِّي وَجَدْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَالِبُهُ وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفْرِ
المضض: حُرْقَةُ أَلَمِ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ .

* * *

(١) الأبيات في المصدر السابق ، وبهجة المجالس ٣١٨/١ .

(٢) ذكرها بتمامها ابن عبد السير في بهجة المجالس ٣٢٥/١ ونسبها إلى علي بن أبي

طالب بصحة ، ونسبها ابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٣٢٢/٤ إلى أبي حية النميري .

والبيتان الأخيران في العقد الفريد ١٩٥/١ مع اختلاف في الرواية، وعيون الأخبار ١٢٠/٣ .

وهي بكاملها في فتح الوصيد عند شرحه للبيت « يرى نفسه ... » وفيها: « وللرواح » بدل

« وفي الرواح » ، و « على الحاجات » بدل « وإلى الحاجات » .

وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ

وَمَا يَأْتِلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَدِّلاً

/ أشار في هذا البيت إلى ما قاله بعض الحكماء يُوصي رجلاً فقال له: ١/١٠٧
انصح لله كنصح الكلب لأهله، فإنهم يُجيعونه ويضربونه، ويأبى إلا أن
يحوطهم نصحاً.

معناه: كن مع الله بهذه المثابة، انصح في خدمته وإن أدبك بمرضٍ أو فقرٍ أو
جوعٍ أو غير ذلك من أنواع المحن والبلايا. و « يُقْصِيهِ » : يُبْعِدُهُ، مِنْ أَقْصَيْتُ
الرَّجُلَ إِذَا أَبْعَدْتَهُ، وَقَصَا الْمَكَانُ وَغَيْرُهُ قَصَوْاً: بَعَدَ .

و « يَأْتِلِي » يُقْصِرُ، وَهُوَ يَفْتَعِلُ مِنْ قَوْلِكَ: أَلَا يَأْلُو أَلَوْاً وَأَلِيّاً^(١): قَصَرَ، وَأَصْلُ
أَلِيّاً: أَلِيَوْاً (فَعِيلًا)، فَقَلِبْتَ الْوَاوُ يَاءً لِاجْتِمَاعِهَا مَعَ الْيَاءِ، وَسَبَقَ أَوْلَاهُمَا
بِالسُّكُونِ، وَأَدْغَمْتَ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ، وَنَظِيرُهُ مِنَ الْمَصَادِرِ: الزَّفِيرُ وَالشَّهِيْقُ^(٢) .
و « مُتَبَدِّلاً » مِنْ قَوْلِكَ: رَجُلٌ مُتَبَدِّلٌ: يَلِي عَمَلَ نَفْسِهِ، وَابْتَدَلَهُ مِنَ الثِّيَابِ:
مَا لَا يُصَانُ. كُلُّ ذَلِكَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْبَدَلِ^(٣)، وَهُوَ ضِدُّ الْمَنْعِ؛ لِأَنَّ عَدَمَ الصَّوْنِ
لِلشَّيْءِ إِعْطَاءٌ وَبَدَلٌ .

(١) انظر الأفعال لابن القوطية (ألى): ١١، وفي اللسان (ألا)، وألى يُؤلى تألية وأتلى: قصر وأبطأ.

(٢) «للكسرة التي قبلها، إذ لا حائل إلا الياء الساكنة المدغمة، وإذا كانوا يقولون في قنوت الشيء: قنوة وقنيّة، فيقلبون للكسرة التي في القاف، فهذا أجدر؛ لأن المدغم كأنه لم يكن» هذا الكلام ليس في نسخة ب، وكان المؤلف استغنى عنه لأنه لا يتسق مع ما قبله، وكأنه مضرب وممرض .

(٣) في ب: « من ابتدل » .

ومفعولٌ قِيلَ قوله: « كُنْ كالكلب » لأنه هو المفعولُ بالقول، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾^(١)، وإنما جاز ذلك في القول؛ لأن مفعولَه جملةٌ أبدأً، أو مفردٌ في معنى الجملة نحو: قلتُ الحقَّ .
و « يُقْصِيهِ أَهْلُهُ » حالٌ من الكلب، وقوله: « وما يأتلي » حالٌ من الهاء التي في « يُقْصِيهِ »، و « متبذلاً » حالٌ من فاعل يأتلي، أي: يبذلُ في خدمتهم نفسَهُ جمعاءً .

* * *

لَعَلَّ إِلاَّهَ العَرشِ يَا إِخْوَتِي يَقي جَمَاعَتَنَا كُلَّ المَكَارِهِ هُوَلاً

« لَعَلَّ^(٢) » هنا تَرَجُّ، وقد تكون توقُّعاً في نحو قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) .

وفيها لغات^(٤): لَعَلَّ وَعَلَّ، وَلَعَنَّ، وَعَنَّ، وَلَغَنَّ، وَغَنَّ، ولأنَّ .

و « يَقي » من الوقاية، والأصل: يوقِي، فحُذفت الواوُ لوقوعها بين ياءٍ وكسرة. و « المَكَارِهِ » جمعُ مكروه، وكان قياسُهُ مكارِيه، لكنه حذف الياءَ للضرورة، ونحوه قوله^(٥):

(١) سورة الجاثية: ٣٢ .

(٢) انظر باب مواضع لعل من الأزهية للهرودي: ٢١٧ وما بعدها، ورضف المباني، باب عل:

. ٤٣٤

(٣) سورة الشعراء: ٣ .

(٤) انظر الصحاح والتاج (علل) .

(٥) الرجز في الخصائص ٣/٣٢٦ للعجاج، وليس في ديوانه، ولجنبدل بن المنثى الطهوي في شرح أبيات سيويه ٢/٣٢٩، والمقاصد النحوية ٤/٥٧١ .

وَكَحَّلَ الْعَيْنَيْنِ بِالْعَوَاوِرِ

المفرد: عَوَّارٌ، وجمعه: عَوَاوِيرٌ. وعكسه قولُ الآخر^(١):

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفِي الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصِّيَارِيفِ

أراد الدراهم والصياريف؛ لأنه جمعُ درهم وصيرَف، لكنّه أشبع للضرورة .

ونصب «جماعتنا» و «كلّ» بـ(يَقِي)؛ لأنه يتعدّى إلى اثنين، قال الله تعالى:

﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾^(٢) .

و «هُوَلًا»: حالٌّ عن المكاره، الواحدُ: هائلٌ من قولك: هألني الشيءُ / ١٠٨/١

يَهُولُنِي هَوْلًا: أفزعني وعظّم عليّ أيضاً، وهيل الرجلُ: أصابه الهولُ، وهلتُ منه،

وجمع هائلاً على هُوَلٍ، كما قالوا: بازل وبُزَل، وفَعَل في جمعِ فاعل إذا كان

غيرَ مذكّرٍ عاقلٍ غيرَ متمكن، ومثله فارح وفرّح، إنما هو قياسيٌّ في المذكرِ العاقلِ

نحو: ضاربٌ وضربٌ، وغائبٌ وغيبٌ، وصائمٌ وصومٌ .

* * *

وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَكُونُ كِتَابُهُ شَفِيعاً لَهُمْ إِذْ مَا نَسُوهُ فَيَمْحَلَا

مَحَلَّ فُلَانٍ بِفُلَانٍ مَحَلًّا: سعى عليه ووَشَى به، وأمحلَ البلدُ: أجذب، وزمانٌ

ماحِلٌّ: ذو محلٍ، مثل: لابنٍ وتَامِرٍ. وفي الدعاء: اللهم لا تجعل القرآن بنا

(١) من البسيط، ونسب في الكتاب ٢٨/١، والنكت ١٥٦/١، والمقتضب ٢٥٦/٢، والكامل

٣٢٩/١، والمسائل الحليّات: ٣١٥، وسر الصناعة ٢٥/١، والإنصاف ٢٧/١، والخزانة

٤٢٥/٤، والصحاح واللسان (صرف) للفرزدق، وليس في ديوانه . والصياريف: جمع

صيرفي، وهو النقاد .

(٢) سورة الإنسان: ١١ .

ماحلاً، أي: ذاكراً ما أسلفناه من المساوي في صحته.

وللقرآن يوم القيامة حالتان: إحداهما الشفاعة لمن قرأه فلم ينسه، ولم ينس العمل به، أي: لم يتركه. والثانية: الوشاية بمن قرأه فنسيه متهاوناً من غير عذر، ونسي العمل به .

وقال رسول الله ﷺ^(١): «سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾» .

وعن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان، فقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال النبي ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب الله تعالى» .

وقد روي: «أن من أتبع القرآن، هبط به إلى رياض الجنة، ومن أتبع القرآن، زخ في قفاه، فيقذفه في جهنم» . قوله: «زخ» بنقطة من فوق هو من قولك: زخخت في قفاه زخاً: دفعت^(٢).

وقال الحسن: أولى الناس بهذا القرآن من عمل به، وإن كان لا يقرؤه. وقيل أيضاً: إن أشقى الناس بهذا القرآن من حفظه ولم يعمل بما فيه .

وفي حديث عن النبي ﷺ قال^(٣): «إن في جهنم لوادياً، إن جهنم لتتعود بالله من شر ذلك الوادي في كل يوم مرّات، وإن في ذلك الوادي لجباً، إن

(١) أبو داود في كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، والترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ثواب القرآن .

(٢) انظر الأفعال لابن القوطية (زخ): ٢٨٦ .

(٣) الديلمي في الفردوس، كتاب العلم ١/٢٢٥ .

جهنم وذلك الوادي ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب، وإن في ذلك الجب لحيّة، إن جهنم والوادي وذلك الجب ليتعوذون بالله من شر تلك الحيّة سبع مرات، أعدّها الله عز وجل للأشقياء من حملة القرآن. وقد ذكرنا في أول الكتاب من فضل القرآن وقراءته ما فيه كفاية إن شاء الله .

وعطف « ويجعلنا » على « يقي جماعتنا » ، و « ممن » مفعول ثانٍ ليجعلنا، و « يكون شفيعاً لهم » : صلة لمن، و « لهم » و « إذ » متعلقان بشفيعاً .

وفي « إذ » معنى التعليل، وفي تعلق إذ بشفيعاً إشكال؛ لأن الشفاعة وقوعها في الآخرة، وزمن النسيان الدنيا، فكيف يصح أن يتعلق به ؟

قلت: والجواب عن ذلك أن يُراد بالشفاعة ثبوتها ووجوبها، والتقدير: ويجعلنا ممن يكون كتابه ثابتة لهم شفاعته، ثم لما كان ثبات الشفاعة في الدنيا سبباً في وقوعها في الدار الآخرة، أوقع موقع الثبات شفيعاً لهم.

وقد انفصل أبو علي الفارسي فيما حكاه عنه أبو الفتح بن جني^(١) عن قوله

تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾^(٢) حين أبدل « إذ » من « اليوم » وليس / ١٠٩ / بزمن واحد .

قال ابن جني: آخر ما حصل منه أن قال: إن الدنيا والآخرة متصلتان، وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه، حتى كأنها واقعة، وكأنّ اليوم ماضٍ، هذا كله إذا جعلنا « إذ » اسماً، وأما إن جعلناها حرفاً فلا إشكال .

(١) نقله السمين في الدر المصون في تعليقه على الآية ٩٩/٥ - ١٠٠ .

(٢) سورة الزخرف: ٣٩ .

ومثله في الإشكال قوله تعالى: ﴿لَمَقَّتْ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ﴾^(١) لا يجوز أن يتعلق «إذ» بـ «مقت» الأول؛ لأنك فصلت بينه وبين متعلقه بالخبر، و«مقت» مصدرٌ موصولٌ مقدرٌ بأن والفعل، فلا يجوز فيه ذلك لأنه أجنبيٌّ منه، ولا يجوز أن يتعلق بـ «مقت» الثاني وإن كان متصلاً به؛ لأن زمانهٗما مختلفٌ؛ لأن «مقتكم أنفسكم» في الآخرة، و«إذ تدعون» في الدنيا، والعامل في «إذ تدعون» فعلٌ^(٢) محذوفٌ، دلَّ عليه المقْت، التقدير: مَقَّتَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ، فيجوزُ الوقْفُ عند قوله تعالى: ﴿مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ على هذا الإعراب^(٣).

ونصب «فيمحلا» على جواب النفي؛ أو: لم يكن نسياناً فيكون بسببه محل.

* * *

وَبِاللّهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي وَمَا لِي إِلَّا سِرُّهُ مُتَجَلِّلاً

يقال: حَالَتِ الْقَوْسُ عَنْ عَظْفِهَا حَوْلًا: انقلبت وزالت عنه، وكذلك حال الشخص والرجل إلى موضع تحوّل، والحوّل أيضاً والمحالّة والحيلة سَوَاءً، ومنه: رَجُلٌ حَوَّلٌ: ذو حِيلٍ. والاعتصامُ بالله: أن تلجأ إليه، ومنه: عَصَمَ اللهُ عَبْدَهُ عِصْمَةً: مَنَحَهُ، وَعَصَمَهُ الطَّعَامُ مِنَ الْجُوعِ عَصَمًا، والقوةُ: مصدرٌ قَوِيَ الشَّيْءُ صار قوياً.

(١) سورة غافر: ١٠ .

(٢) في ب: «بعد» .

(٣) انظر الدر المصون ٣١/٥-٣٢ .

نَظَمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَعْنَى (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، وَزَادَ فِيهِ الْإِعْتِصَامَ بِهِ.
 وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(١): «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ
 الْجَنَّةِ، قَالَ: بَلَى، قَالَ: قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ» .
 وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَيضاً: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً مِنْ كُنُوزِ
 مَنْ تَحْتَ الْعَرْشِ، قَالَ ^(٢): قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
 أَسَلَّمَ عَبْدِي وَاسْتَسَلَّمَ» .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، قَالَ الْمَلَكُ: هُدَيْتَ،
 وَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، قَالَ الْمَلَكُ: كُفَيْتَ، وَإِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
 بِاللَّهِ، قَالَ الْمَلَكُ: وُقِيْتَ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ / الشَّيَاطِينُ، فيقول: لَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، ١١٠/أ
 مَا تَرِيدُونَ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ ^(٣): «كَنتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ:
 لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا تَفْسِيرُهَا، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 أَعْلَمُ، فَقَالَ: لَا حَوْلَ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا
 بِاللَّهِ، بِذَلِكَ أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيكونُ الحَوْلُ على هذا: مصدرُ
 حَالَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا: إِذَا تَحَوَّلَ إِلَيْهِ كَمَا قَلْنَا» .

قُلْتُ: وَخَبْرُ لَا فِي النَّفْيَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي الْحَدِيثِ مَحذُوفٌ التَّقْدِيرُ: لَا حَوْلَ
 لَنَا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِاللَّهِ، وَبِذَلِكَ الْخَبْرُ يَتَعَلَّقُ الْمَجْرُورَانِ فِيهِمَا الْمَقْدَرُ

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله، وكتاب المغازي،
 باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم، كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر،
 والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب
 ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) «قال» ليس في أ .

(٣) انظر السلسلة الضعيفة برقم: ٣٣٥٥ .

والموجود، فيتعلقُ « بالله »، و « عن معاصي الله » بـ « لنا » المحذوفة التي هي خير لا، ولا يجوزُ أن يتعلَّقا بحول أو بقوة؛ لأنهما مبيَّان^(١)، ولو تعلَّقَ بهما شيءٌ لكانا منونين، ألا ترى أنك تقول: لا مروراً بزيد اليوم، ولا نزولاً على عمرو غداً، فتنونُ مروراً ونزولاً إذا علَّقتَ بهما المجرورين، وهما: بزيد وعلى عمرو، ولو لم تعلِّقهُما بالمنفيين لبَيَّتَ على الفتح فقلت: لا مرورَ بزيد اليوم، ولا نزولاً على عمرو غداً، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢) خيرٌ لا فيه محذوفٌ التقدير: لا عاصمٌ لنا اليوم من أمر الله، وبه يتعلَّقُ اليوم، ومن أمر الله، ولا يجوزُ تعلُّقُهُما بعاصم لبنائه، فهو نفيٌ عام .

وقال ابنُ الأنباري^(٣): الحولُ عند العرب: الحيلةُ، والمعنى: لا حيلةٌ للعبد في دفع الشر، ولا قوة على دركِ الخير إلا بالله . و « حولي » وما بعده مبتدآت^(٤) خبرهما « بالله »، و « سِتْرُهُ » مبتدأٌ خبرُهُ « لي »، و « متجللاً » حالٌ من الياء في « لي » التقدير: وما لي إلا سِتْرُهُ في حال كوني متجللاً به أي: متغطياً به، أي: اتخذهُ جلالاً، وجلالُ كل شيء غطاؤه، وجمعه في القليل والكثير: أجلةٌ نحو: كِنَانٌ وأَكْنَةٌ، وعِنَانٌ وأَعْنَةٌ .

* * *

(١) في أ: « سيان » أو ما يشبهها .

(٢) سورة هود: ٤٣ .

(٣) انظر اللسان (حول) .

(٤) في ب: « مبتدآت » .

فَيَا رَبَّ أَنْتَ اللَّهُ حَسْبِي وَعَدَّتِي عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعًا مُتَوَكِّلًا

حَسْبُكَ ذَاكَ أَي: كَافِيكَ، وَهُوَ اسْمٌ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ، وَحَكَى سَيِّوِيهِ^(١):
حَسْبُكَ يَنْمِ النَّاسُ، وَانْجَزَمَ «يَنْمِ» عَلَى جَوَابِ مَا تَضَمَّنَهُ «حَسْبُكَ» مِنْ مَعْنَى
الشَّرْطِ، / التَّقْدِيرِ: اكَتَفَ فَإِنْ تَكَتَفَى يَنْمِ النَّاسُ.

١/١١١

وَيُقَالُ: أَحْسَبِنِي الشَّيْءُ: كَفَانِي^(٢)، وَقَوْلُهُ: «عَدَّتِي» الْعِدَّةُ: مَا أَعْدَدْتَهُ مِنْ
آلَةٍ. نَظَمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَعْنَى حَسْبِي اللَّهُ.

قال محمد بن حسان^(٣): قال لي معروف الكرخي^(٤) - رحمه الله -: ألا
أعلمك عشر كلمات، خمسا للدنيا، وخمسا للآخرة، من دعا الله عز وجل بهن
وجد الله تعالى عندهن، قلت: اكتبها، قال: لا، ولكن أرددها عليك كما رددتها
عليّ بكر بن حبيش: حسي الله لديني، حسي للدنياي، حسي الله الكريم
لما أهتمني، حسي الله الحليم القوي لمن بغى عليّ، حسي الله الشديد لمن
كادني بسوء، حسي الله الرحيم عند الموت، حسي الله الرؤوف عند المسألة في
القبر، حسي الله الكريم عند الحساب، حسي الله اللطيف عند الميزان، حسي
الله القدير عند الصراط، حسي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم .

(١) الكتاب ١٠٠/٣ . باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي لأن فيها معنى الأمر والنهي .

(٢) انظر الأفعال لابن القوطية (حسب): ٤١ .

(٣) محمد بن حسان الضبي، أديب له شعر، أدب أولاد المأمون العباسي. توفي سنة ٢٣٠ هـ .
الأعلام ٣٠٩/٦ .

(٤) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد الأعلام الزهاد، ولد ونشأ وتوفي ببغداد،
اشتهر بالصلاح، كان يختلف إليه أحمد بن حنبل، ولابن الجوزي تأليف عنه. توفي سنة ٢٠٠ هـ .
انظر الوفيات ١٠٤/٢ .

وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال^(١): « مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، كَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَمَّهُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ، صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا، وَ « أَنْتَ » مَبْتَدَأٌ، وَ « اللَّهُ حَسْبِيَ » خَيْرٌ بَعْدَ خَيْرٍ .

وَعَمَدَتُ فُلَانًا: قَصَدْتُ إِلَيْهِ، وَالْعَمَدُ أَنْ تَعْمَدَ^(٢) الشَّيْءَ بِعِمَادٍ يُمَسِكُهُ، وَاعْتَمَدْتُ^(٣) عَلَى الشَّيْءِ مِنْ هَذَا أَيْ: جَعَلْتُهُ عِمَادًا يُمَسِكُنِي، وَالضَّارِعُ: الدَّلِيلُ^(٤)، وَالْمَتَوَكَّلُ: المَظْهَرُ لِلعَجْرِ مَعْتَمِدًا عَلَى مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ. وَ « عَلَيْكَ اعْتِمَادِي » ابْتِدَاءً وَخَيْرٌ، وَ « ضَارِعًا »: حَالٌ مِنَ الْيَأْسِ فِي « اعْتِمَادِي » المَعْمُولَةِ لِلْمَصْدَرِ، وَ « مَتَوَكَّلًا »: نَعْتٌ أَوْ حَالٌ أُخْرَى .



(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، الآية: ١٢٩ من سورة التوبة .

(٢) بابه ضرب .

(٣) في ب: واعتمد .

(٤) انظر الأفعال لابن القوطية (ضرع): ٨٩ .